تفسير
حدائق الروح والريحان
في
روابي علوم القرآن

تأليف الشيخ العلامة

محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي

المدرس بدار الحديث الخيرية في مكة المكرمة

إشراف ومراجعة

الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي

خبير الدراسات برابطة العالم الإسلامي

مكة المكرمة

المجلد العشرون

دار طوق النجاة

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م

دار طوق النجاة

بيروت ـ لبنان

تفسير
حدائق الروح والريحان
في
روابي علوم القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

شعرٌ

جَزَى اللَّهُ خِيراً مَنْ تَأمَّلَ صَنْعَتِي وَقَابَلَ مَا فِيها مِنَ السَّهْوِ بالعَفْوِ
وَأَصْلَحَ مَا أَخْطأْتُ فِيه بِفَضْلِه وفطْنَته أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ سَهْوِي

آخر

إِنْ تَجِدَ عَيْباً فَسُدَّ الخَلَلا جَلَّ مَنْ لاَ عَيْبَ فِيهِ وعَلاَ

آخرُ

الصَّبْرُ مِفْتَاحُ مَا يُرْجَى وَكُلُّ خَيْرٍ بهِ يَكُونُ
وَرُبَّما نِيْلَ بِاصْطِبَارِ مَا قِيلَ هَيْهات لاَ يكُوْنُ

آخرُ

السبَاقَ السباقَ قولاً وفِعْلاً حَذِّرِ النَّفْسَ حَسْرَة المَسْبُوقِ
رَأَيْتُ أخَا الدنْيا وإنْ كان ثَاوِيَا أخَا سَفَرٍ يُسْرَى بِهِ وَهُوَ لاَ يَدْرِي

آخرُ

إِنَّما الدُّنْيَا كَبَيْتٍ نَسْجُهُ مِنْ عَنْكَبُوتِ

آخرُ

سُبْحانَكَ لاَ عِلْمَ لنَا إلاَّ مَا عَلَّمْتَ وَأَلْهَمْتَ لَنَا إِلْهَاماً

آخرُ

إِلٰهِي رَبِّ سَامِعَا عَلِّمْنَا عِلْماً نَافِعَا
وَفِّقْنَا يَسَاراً وَيُسْراً جَنِّبْنا إِعْسَاراً وَعُسْراً

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي سرح قلوبنا في ميادين التنزيل، وشرح صدورنا برشحات التفسير والتأويل، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الفرد الجليل، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيّه الحبيب الخليل، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله أجمعين، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإني لما فرغت من تفسير الجزء الثامن عشر من القرآن تفرّغت لتفسير الجزء التاسع عشر منه، راجياً من الله سبحانه التوفيق والهداية لأقوم الطريق، فقلت وقولي هذا:

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ
أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا
﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ
مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ
ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى
ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ
بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا
ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا
﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ
تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ
وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا
مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا
﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا

أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ
وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟
يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ
ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ
يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا
﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾
أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ
قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ
نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾
لِّنُحْۦِىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟
فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ
ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا
مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا
وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ ﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى[١] لما حكى أباطيل المشركين السالفة بطعنهم في نبوة محمد ﷺ بقولهم: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾.. أردف ذلك بذكر سخافات أخرى لهم في هذا الصدد، فقالوا: «هلا أنزل علينا الملائكة فيخبرونا بصدقه، أو نرى ربنا فينبئنا بذلك، ثم بين أن هذا عتو عظيم منهم، ثم أعقب هذا ببيان أنهم سيرون الملائكة حين الهول يوم الجزاء والحساب حين يقولون لهم: لا بشرى لكم اليوم، بل فيه منعكم من كل خير، فإن ما قدمتم من

(١) المراغي.

عمل صالح في الدنيا صار هباء منثوراً، ثم أخبر بما يكون لأهل الجنة من خير المستقر وحسن المقيل في ظل ظليل، ونعم لا مقطوعة ولا ممنوعة حين يقولون: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾، ولعل في ذكر هذا ما يكون حافزاً لهم على مراجعة أنفسهم، وتخمير الرأي ليرشدوا إلى طريق السداد، ويقلعوا عما هم فيه من هوى متبع وشيطان مطاع.

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه لما بين في سابق الآيات أن المشركين طلبوا إنزال الملائكة.. أردف هذا ببيان أنهم ينزلون حين ينتهي هذا العالم الدنيوي، ويختل نظام الأفلاك والأرض والسموات، ويحشر الناس من قبورهم للعرض والحساب، فيعض الكافر على يديه نادماً على ما فات، ويتمنى أن لو كان قد أطاع الرسول فيما أمر ونهى، ولم يكن قد أطاع شياطين الإنس والجن الذين أضلوه السبيل، وخذلوه عن الوصول إلى محجة الصواب.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾...﴾ الآيتين، مناسبة هاتين الآيتين لما قبلهما: أن الله سبحانه لما ذكر[1] مقالاتهم الباطلة، وتعنتهم الظالم في الرسول من نحو قولهم: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾، وقولهم: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾، وقولهم في القرآن: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾، وقولهم فيه: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا﴾.. أعقب ذلك بشكاية الرسول إلى ربه بأن قومه قد هجروا كتابه، ولم يلتفتوا إلى ما فيه من هداية لهم، ورعاية لمصالحهم في دينهم ودنياهم، ثم سلاه سبحانه على ذلك بأن هذا ليس دأب قومك فحسب، بل إن كثيراً من الأمم قد فعلوا مع رسلهم مثل هذا، فاقتد بأولئك الأنبياء، ولا تجزع، ثم وعده وعداً كريماً بأن يهديه إلى مطلبه، وينصره على عدوه، وكفى به هادياً ونصيراً.

---

(١) المراغي.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه لما ذكر[1] مطاعنهم في كتابه الكريم، كقولهم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ﴾، وقولهم: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا﴾.. قفى على ذلك بذكر شبهة أخرى لهم؛ وهي قولهم: لو كان القرآن من عند الله حقاً لأنزله جملة واحدة، كما أنزلت التوراة جملة على موسى، والإنجيل جملة على عيسى، والزبور على داود، فرد الله عليهم مقالتهم، وبين لهم فوائد إنزاله منجماً، فذكر منها تثبيت فؤاد ﷺ بتيسير الحفظ وفهم المعنى وضبط الألفاظ إلى نحو أولئك، ثم وعده بأنهم كلما جاؤوا بشبهة دحضها بالجواب الحق والقول الفصل الذي يكشف وجه الصواب، وبعدئذ ذكر حال المشركين، وأنهم حين يحشرون يكونون في غاية الذل والهوان، ويجرون على وجوههم إلى جهنم، وهم مصفدون بالسلاسل والأغلال.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ۝٣٥...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما تكلم في دلائل وحدانيته ونفي الأنداد، وفي النبوة، وأجاب عن شبهات المنكرين لها، وفي أحوال يوم القيامة وأهوالها التي يلقاها الكافرون، وفي النعيم الذي يتفضل به على عباده المتقين.. أردف ذلك بقصص بعض الأنبياء مع أممهم الذين كذبوهم، فحل بهم النكال والوبال؛ ليكون في ذلك عبرة لقومه المشركين الذين كذبوا رسوله حتى لا يحل بهم من العذاب مثل ما حل بمن قبلهم إذا هم تمادوا في تكذيبهم، وأصروا على بغيهم وطغيانهم، وقد ذكر من ذلك خمس قصص: قصة موسى مع فرعون وقومه، وقصة نوح وقومه، وقصة هود مع قومه عاد، وقصة صالح مع قومه ثمود، وقصة أصحاب الرس.

قوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه لما ذكر[2] مطاعن المشركين في النبي ﷺ، وأورد

---

(١) المراغي.   (٢) المراغي.

شبهاتهم في ذلك.. أردف هذا ببيان أن ذلك ما كفاهم، وليتهم اقتصروا عليه، بل زادوا على ذلك الاستهزاء به والحط من قدره، حتى لقد قال بعضهم لبعض: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾، بل لقد غالوا في ذلك فسموا دعوته إضلالاً، فرد الله عليهم مقالهم، وأبان لهم أنه سيظهر عليهم حين مشاهدة العذاب من الضال ومن المضل، ثم عجب رسوله من شناعة أحوالهم بعد حكاية أقوالهم وأفعالهم القبيحة، وأرشد إلى أن مثل هؤلاء يبعد أن يزدجروا عما هم فيه من الغي بنصحك وإرشادك، فإن أكثرهم لا يسمعون ولا يعقلون، وما هم إلا كالأنعام أو أضل منها سبيلاً.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه لما بين[1] جهالة المعرضين عن دلائل التوحيد، وسخيف مذاهبهم وآرائهم.. أعاد الكرة مرة أخرى، فذكر خمسة أدلة عليه نراها عياناً، وتتوارد علينا ليلاً ونهاراً، وتكون دليلاً على وجود الإله القادر الحكيم.

أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ...﴾ الآية، سبب نزول هذه الآية: ما أخرجه ابن مردويه وأبو نعيم في «الدلائل» بسند صحيح من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن أبا معيط كان يجلس مع النبي ﷺ بمكة لا يؤذيه، وكان رجلاً حليماً، وكان بقية قريش إذا جلسوا معه آذوه، وكان لأبي معيط خليل غائب عنه بالشام، فقالت قريش: صبأ أبو معيط، وقدم خليله من الشام ليلاً، فقال لامرأته: ما فعل خليلي أبو معيط؟ فقالت: صبأ، فبات بليلة سوء، فلما أصبح أتاه أبو معيط، فحياه، فلم يرد عليه التحية، فقال: ما لك لا ترد عليّ تحيتي؟ فقال: كيف أرد عليك تحيتك وقد صبوت، فقال: أو قد فعلتها قريش؟ قال: فما يبرىء صدورهم إن أنا فعلت؟ قال: تأتيه في مجلسه، وتبزق في وجهه، وتشتمه بأخبث ما تعلمه من الشتم، ففعل، فلم يزد النبي ﷺ أن مسح

---

(١) المراغي.

وجهه من البزاق، ثم التفت إليه فقال: «إن وجدتك خارجاً من جبال مكة أضرب عنقك صبراً»، فلما كان يوم بدر، وخرج أصحابه أبى أن يخرج، فقال له أصحابه: أخرج معنا، قال: قد وعدني هذا الرجل إن وجدني خارجاً من جبال مكة أن يضرب عنقي صبراً، فقالوا: لك جمل أحمر لا يدرك، فلو كانت الهزيمة طرت عليه، فخرج معهم، فلما هزم الله المشركين وحل به جمله - وقع في الوحل - في جدد من الأرض، فأخذه رسول الله ﷺ أسيراً في سبعين من قريش، وقدم إليه أبو معيط، فقال: تقتلني من بين هؤلاء؟ قال: نعم بما بزقت في وجهي، فأنزل الله في أبي معيط: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ أخرجه السيوطي في «الدر المنثور» (ج ٥/ ص ٦٨).

التفسير وأوجه القراءة

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ هذه المقالة من جملة شبههم التي قدحوا بها في النبوة، وهذه الجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ...﴾ الخ؛ أي: وقال المشركون الذين لا يأملون وعدنا على الطاعة بالثواب، ولا يخافون وعيدنا على المعصية بالعقاب، وأصل الرجاء[1]: ظن يقتضي حصول ما فيه مسرة. واللقاء: يقال في الإدراك بالحس بالبصر وبالبصيرة، وملاقاة الله سبحانه عبارة عن القيامة، وعن المصير إليه تعالى؛ أي: الرجوع إلى حيث لا حاكم، ولا مالك سواه. والمعنى: وقال الذين لا يتوقعون الرجوع إلينا للمجازاة؛ أي: ينكرون البعث والحشر والحساب والجزاء؛ وهم كفار مكة: ﴿لَوْلَآ﴾ حرف تحضيض بمعنى هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾؛ أي: بطريق الرسالة لكون البشرية منافية للرسالة بزعمهم؛ أي: قالوا: هلا أنزلت الملائكة علينا، فيخبرونا أن محمداً صادق فيما يدعيه، أو هلا أنزلوا علينا رسلاً يرسلهم الله تعالى إلينا؛ لأن البشر لا يصلح للرسالة ﴿أَوْ﴾ هلا ﴿نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ جهرة وعياناً، فيأمرنا بتصديق محمد ﷺ واتباعه؛ لأن هذا الطريق أحسن وأقوى في الإفضاء إلى

---

(١) روح البيان.

الإيمان وتصديقه، ولما لم يفعل ذلك علمنا أنه ما أراد تصديقه.

ومن لطائف الشيخ نجم الدين في تأويلاته أنه قال[1]: يشير سبحانه إلى أن الذين لا يؤمنون بالآخرة والحشر من الكفرة يتمنون رؤية ربهم بقولهم: ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ فالمؤمنون الذين يدعون أنهم يؤمنون بالآخرة والحشر، كيف ينكرون رؤية ربهم وقد وردت بها النصوص، فلمنكري الحشر عليهم فضيلة بأنهم طلبوا رؤية ربهم، وجوزوها كما جوزوا إنزال الملائكة، ولمنكري الرؤية ممن يدعي الإيمان شركة مع منكري الحشر في جحد ما ورد الخبر والنقل؛ لأن النقل كما ورد بكون الحشر ورد بكون الرؤية لأهل الإيمان، انتهت.

ثم أجاب سبحانه عن شبهتهم هذه بقوله: ﴿لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا﴾ واللام في قوله: ﴿لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا﴾ موطئة للقسم؛ أي: وعزتي وجلالي لقد أضمر هؤلاء القائلون الاستكبار عن الحق والعناد به ﴿فِي أَنفُسِهِمْ﴾؛ أي: في قلوبهم، كما في قوله: ﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ﴾، أو المعنى[2]: لقد أظهروا الكبر والعظم والترفع في شأن أنفسهم، يعني: وضعوا لأنفسهم وجعلوا لها قدراً ومنزلة ورفعة حيث أرادوا لأنفسهم الرسل من الملائكة، ورؤية الرب تعالى ﴿وعتو﴾؛ أي: تجاوزوا الحد في الظلم والطغيان ﴿عُتُوًّا﴾؛ أي: تجاوزاً ﴿كَبِيرًا﴾؛ أي: بالغاً إلى أقصى غاياته من حيث أنهم عاينوا المعجزات القاهرة، وأعرضوا عنها، واقترحوا لأنفسهم الخبيثة معاينة الملائكة الطيبة، ورؤية الله تعالى التي لم ينلها أحد في الدنيا من أفراد الأمم وآحاد الأنبياء غير نبينا محمد ﷺ، وهو إنما رآه تعالى بعد العبور عن حد الدنيا، وهو الأفلاك السبعة التي هي من عالم الكون والفساد.

ووصفه[3] بالكبر لكون التكلم بما تكلموا به من هذه المقالة الشنيعة في

---

(١) التأويلات النجمية.

(٢) روح البيان.

(٣) الشوكاني.

غاية الكبر والعظم، فإنهم لم يكتفوا بإرسال البشر حتى طلبوا إرسال الملائكة إليهم، بل جاوزوا ذاك إلى التخيير بينه وبين مخاطبة الله سبحانه ورؤيته في الدنيا من دون أن يكون بينهم وبينه ترجمان، ولقد بلغ هؤلاء الرذالة بأنفسهم مبلغاً هي أحقر وأقل وأرذل من أن تكون من أهله، أو تعد من المستعدين له، وهكذا كل من جهل قدر نفسه، ولم يقف عند حده.

وإنما قال هنا[1]: ﴿عُتُوًّا﴾ على الأصل، وفي سورة مريم: ﴿عِتِيًّا﴾ على استثقال اجتماع الواوين، والقلب لمناسبة الفواصل هناك.

وحاصل معنى الآية: أي[2] وقال الذين ينكرون البعث والحشر، ويطعنون في صدق الرسول فيما أوحي به إليه: هلا أنزل علينا الملائكة، فيخبرونا بأن محمداً صادق فيما يدعي، فإنّا في شك من أمره، وفي ريب مما يخبر به، وإن لم يكن هذا فلنر ربنا، ونعلم أنه هو حقاً بأمارات لا يعتريها لبس، ثم يقول لنا: إني أرسلت إليكم محمداً من لدني بشيراً ونذيراً، فإن تم لنا ذلك صدقناه وآمنا به، وما مقصدهم من هذا وذاك إلا التمادي في الإنكار والعناد والعتو، ومن ثم قال: ﴿لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾؛ أي: والله لقد استكبروا في شأن أنفسهم، وتجاوزوا الحد في الظلم والطغيان تجاوزاً بلغ أقصى الغاية تكذيباً برسوله، وشموخاً بأنوفهم عن أن ينصاعوا إليه ويتبعوه، ولم يأبهوا بباهر معجزاته، ولا كثرة آياته، وإنهم لقد بلغوا غاية القحة في الطلب. وفي الحق أن شأنهم لعجب، وأن العقل ليحار في أمرهم ويدهش لقصور عقولهم، وسذاجة آرائهم، وضعف أحلامهم ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾﴾، ولله در القائل:

وَمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ رَأَىٰ غَيْرُهُ مِنْهُ مَا لاَ يَرَىٰ

ثم بين أنهم سيلقون الملائكة حين الهول يوم القيامة، لا على الوجه الذي طلبوه، ولا على الصورة التي اقترحوها، بل على وجه آخر لم يمر ببالهم، فقال:

---

(١) البحر المحيط. (٢) المراغي.

﴿يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ﴾.

وفي «الأسئلة المقحمة»[1]: فإذا كان رؤية الله جائزة، فكيف وبخهم على سؤالهم لها؟ قلنا: التوبيخ بسبب أنهم طلبوا ما لم يكن لهم طلبه؛ لأنهم بعد أن عاينوا الدليل قد طلبوا دليلاً آخر، ومن طلب الدليل بعد الدليل.. فقد عتا عتواً ظاهراً، ولأنهم كلفوا الإيمان بالغيب فطلبوا رؤية الله، وذلك خروج عن موجب الأمر وعن مقتضاه، فإن الايمان عند المعاينة لا يكون إيماناً بالغيب، فلهذا وصفهم بالعتو.

وانتصاب ﴿يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ﴾ بفعل محذوف؛ أي: واذكر لهم يا محمد أهوال يوم يرى الكفار الملائكة رؤية ليست على الوجه الذي طلبوه، والصورة التي اقترحوها، بل على وجه آخر، وهو يوم ظهورهم لهم عند الموت، أو يوم القيامة.

ثم أخبر، فقال: ﴿لَا بُشۡرَىٰ﴾؛ أي: لا بشارة بالمغفرة ودخول الجنة ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾؛ أي: يوم يرى الكفار الملائكة ﴿لِّلۡمُجۡرِمِينَ﴾؛ أي: للكافرين، وهذا إظهار في مقام الإضمار، أي: لا بشرى لهم.

ويجوز[2] أن يكون انتصاب هذا الظرف بما يدل عليه قوله: ﴿لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ﴾ والمعنى: لا يبشر المجرمون يوم يرون الملائكة. و﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ مؤكد لـ﴿يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ﴾ والمعنى: أنهم يمنعون البشرى في ذلك اليوم، أو لا توجد لهم البشرى فيه، فأعلم سبحانه بأن الوقت الذي يرون فيه الملائكة وهو وقت الموت، أو يوم القيامة قد حرمهم الله البشرى. والمراد بالملائكة: ملائكة العذاب. قال الزجاج: المجرمون في هذا الموضع هم الذين اجترموا الكفر بالله واقترفوه أياً كانوا، لا خصوص القائلين الذين سبق ذكرهم.

---

(١) الأسئلة المقحمة.

(٢) زاد المسير.

وعبارة «روح البيان» هنا: قوله: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ لم يقل: يوم تنزل الملائكة... إلخ. إيذاناً[1] من أول الأمر بأن رؤيتهم ليست على طريق الإجابة إلى ما اقترحوه، بل على وجه آخر غير معهود، و﴿يَوْمَ﴾ منصوب على الظرفية بما يدل عليه قوله تعالى: ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾؛ لأنه في معنى: لا يبشر يومئذ المجرمون، لا بنفس بشرى؛ لأنه مصدر، والمصدر لا يعمل فيما قبله، وكذا لا يجوز أن يعمل ما بعد لا فيما قبلها، وأصل الجرم: قطع الثمرة عن الشجر، واستعير ذلك لكل اكتساب مكروه، ووضع المجرمون موضع الضمير تسجيلاً عليهم بالإجرام مع ما هم عليه من الكفر، و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ تكرير للتأكيد، بين الله تعالى أن الذي طلبوه سيوجد، ولكن يلقون منه ما يكرهون حيث لا بشرى لهم، بل لهم إنذار وتخويف وتعذيب بخلاف المؤمنين، فإن الملائكة تتنزل عليهم ويبشرونهم ويقولون لهم: لا تخافوا ولا تحزنوا.

﴿وَيَقُولُونَ﴾؛ أي: يقول الكفرة المجرمون عند مشاهدة الملائكة، وهو معطوف على ما ذكر من الفعل المنفي المقدر المعلوم من ﴿لَا بُشْرَىٰ﴾؛ أي: لا يبشر المجرمون يومئذ، ويقولون: إذا رأوا الملائكة، وفزعوا منهم عند الموت ويوم القيامة: ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾؛ أي: استعاذة مستعاذة منكم، وهي كلمة كانوا يقولونها عند لقاء العدو ونزول الشدة، ويضعونها موضع الاستعاذة، والحجر: المنع. والمحجور: الممنوع، جعل صفة لحجر؛ لقصد التأكيد كيوم أَيْوَمٍ. وَليل أَلْيَلٍ. والمعنى نسأل الله تعالى أن يحجر المكروه عنا حجراً، ويمنع شركم عنا منعاً أكيداً بحيث لا يلحقنا شركم وتعذيبكم إيانا. وقيل[2]: معنى ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ بعداً بعيداً بيننا وبينكم.

ويقال: إن قريشاً كانوا إذا استقبلهم أحد بشر يقولون: حاجوراً حاجوراً، حتى يعرف أنهم من الحرم، فيكف عنهم، فأخبر تعالى أنهم يقولون يوم القيامة، فلا ينفعهم. وقيل: الضمير في ﴿يقولون﴾ يعود إلى الملائكة. قال ابن عباس:

---

(١) روح البيان. (٢) تنوير المقياس.

معناه: تقول[1] الملائكة حراماً محرماً أن يدخل الجنة إلا من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وقيل: إذا خرج الكفار من قبورهم تقول لهم الملائكة: حراماً محرماً عليكم أن تكون لكم البشرى.

وقرأ الجمهور: ﴿حِجْرًا﴾ - بكسر الحاء -، وقرأ أبو رجاء والحسن والضحاك وقتادة ومعاذ القارىء: ﴿حُجرا﴾ - بضم الحاء -، وقرىء أيضاً بفتحها كما في «المراح». والمعنى؛ أي:[2] يوم يرى هؤلاء المجرمون الملائكة، فلا بشرى لهم بخير؛ إذ يقولون لهم: ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾؛ أي: محرم عليكم البشرى بالغفران والجنة؛ أي: جعلهما الله تعالى حراماً عليكم؛ إذ هما لا يكونان إلاّ لمن اعترف بوحدانية الله تعالى، وصدق رسوله.

والخلاصة: لا بشرى يومئذ للكافرين، وتقول لهم الملائكة: حرام أن نبشركم بما نبشر به المتقين.

ثم بين السبب في وبالهم وخسرانهم، فقال: ﴿وَقَدِمْنَآ﴾؛ أي: عمدنا وقصدنا ﴿إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ﴾؛ أي: إلى ما عمل الكفار في الدنيا من أعمال الخير التي لوعملوها مع الإيمان لنالوا ثوابها من صلة رحم وإغاثة ملهوف، وقرى ضيف وفك أسير، وإكرام يتيم مثلاً؛ أي: قصدنا إلى إبطالها في الآخرة﴿فَجَعَلْنَـٰهُ﴾؛ أي: فجعلنا عملهم ذلك ﴿هَبَآءً﴾؛ أي: غباراً ﴿مَّنثُورًا﴾؛ أي: مفرقاً؛ أي: كالهباء المنثور في الحقارة وعدم الانتفاع بها؛ أي: تعلقت إرادتنا أزلاً بإبطال ثوابها، فأظهرنا بطلانها في الآخرة. والقدوم في الأصل عبارة عن مجيء المسافر بعد مدة ولكن المراد هنا إراد الله سبحانه. والهباء: هو ما يدخل من الكوة مع ضوء الشمس يشبه الغبار، فلا يمس بالأيدي، ولا يرى في الظل. والمنثور: المفرق المنعدم كما سيأتي. ووصفه بالمنثور؛ لأن الهباء تراه منتظماً مع الضوء، فإذا حركته الريح رأيته قد تناثر وذهب.

---

(١) الخازن.

(٢) المراغي.

مثل[1] سبحانه وتعالى حالهم وحال أعمالهم التي يعملونها في الدنيا من صلة وصدقة وعتاقة ونحو ذلك من المحاسن التي لو عملوها مع الإيمان.. لنالوا ثوابها بحال قوم خالفوا سلطانهم، واستعصوا عليه، فقصد إلى ما تحت أيديهم من الدار والعقار ونحوهما، فهدمها ومزقها وأبطلها بالكلية ولم يبق لها أثراً؛ أي: قصدنا إليها، وأظهرنا بطلانها بالكلية لعدم شرط قبولها، وهو الإيمان، فليس هناك قدوم على شيء ولا نحوه، وهذا هو تشبيه الهيئة بالهيئة، فهو استعارة تمثيلية، وفي مثله تكون المفردات مستعملة في معانيها الأصلية، وشبه أعمالهم المحبطة بالغبار في الحقارة وعدم الجدوى، ثم بالمنثور منه في الانتشار بحيث لا يمكن نظمه.

وبعد أن بين سبحانه حال الكافرين يومئذ.. ذكر حال أضدادهم المؤمنين، فقال: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ وهم المؤمنون ﴿يَوْمَئِذٍ﴾؛ أي: يوم إذ يرون الملائكة ويقولون: حجراً محجوراً، وهو يوم القيامة ﴿خَيْرٌ﴾ من المجرمين ﴿مُّسْتَقَرًّا﴾: تمييز؛ أي: من جهة المكان الذي[2] يكونون فيه في أكثر أوقاتهم يتجالسون ويتحادثون فيه ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾؛ أي: من جهة المكان الذي يأوون إليه للاسترواح إلى أزواجهم، ولا نوم في الجنة، ولكنه سمي مكان استراحتهم إلى الحور مقيلاً على طريق التشبيه، وروي أنه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم، فيقيل أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار. وفي لفظ الأحسن تهكم بهم، قال الأزهري: القيلولة عند العرب الاستراحة نصف النهار إذا اشتد الحر وإن لم يكن مع ذلك نوم. قال النحاس: والكوفيون يجيزون العسل أحلى من الخل.

فإن قلت[3]: كيف يكون أصحاب الجنة خيراً مستقراً من أهل النار ولا خير في النار، ولا يقال: العسل أحلى من الخل؟

قلتُ: إنه من قبيل التقريع والتهكم كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ

---

(١) روح البيان.

(٢) النسفي.

(٣) روح البيان.

﴿جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ﴾ كما سبق، فليست المفاضلة على بابها. ويمكن[1] إبقاؤها على بابها، ويكون التفضيل وقع بين المستقرين والمقيلين باعتبار الزمان الواقع ذلك فيه، فالمعنى: خير مستقراً في الآخرة من الكفار المترفين في الدنيا، وأحسن مقيلاً في الآخرة من أولئك في الدنيا. وقيل: خير مستقراً منهم لو كان لهم مستقر، فيكون التقدير: لو وجد لهم مستقر.. يكون مستقر المؤمنين خيراً من مستقرهم.

والمعنى: أي[2] إن منازل أهل الجنة خير من منازل أولئك المشركين الذين يفتخرون بأموالهم وما أوتوا من الترف والنعيم في الدنيا، وأحسن فيها قراراً حين القائلة من مثلها لهم في الدنيا؛ لما يتزين به مقيلهم من حسن الصور وجمال التنوق والأبّه والزخرف وغيرها من المحاسن التي لا يوجد مثلها في الدنيا في بيوت المترفين، ولما فيه من نعيم لا يشوبه كدر ولا تنغيص، بخلاف مقيل الدنيا.

والمراد بالمقيل هنا المكان الذي ينزل فيه للاستراحة بالأزواج، والتمتع بمغازلتهن؛ أي: محادثتهن ومراودتهن، وإلا فليس في الجنة حر ولا نوم، بل استراحة مطلقة من غير غفلة، ولا ذهاب حس من الحواس، وكذا ليس في النار مكان استراحة ونوم للكفار، بل عذاب دائم وألم باق، وإنما سمي بالمقيل؛ لما روي أن أهل الجنة لا يمر بهم يوم القيامة إلا قدر النهار من أوله إلى وقت القائلة حتى يسكنون مساكنهم في الجنة، وأهل النار في النار، وأما المحبوسون من العصاة، فتطول عليهم المدة مقدار خمسين ألف سنة من سني الدنيا. والعياذ بالله تعالى. ثم في ﴿أحسن﴾ رمز إلى أن مقيل أهل الجنة مزين بفنون الزين والزخارف كبيت العروس في الدنيا.

وفي الحديث: «من سعادة المرء المسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء»، وسئل بعضهم عن الغنى، فقال: سعة البيت ودوام القوت. ثم

---

(١) البحر المحيط.

(٢) المراغي.

إن سعادات الدنيا كلها مذكرة لسعادات الآخرة، فالعاقل من لا تغره الدنيا الدنية، فجنة العارف هي القلب المطهر ومعرفة الله فيه، كما قال يحيى بن معاذ الرازي ـ رحمه الله تعالى ـ: في الدنيا جنة من دخلها لم يشتق إلى الجنة، قيل: وما هي؟ قال: معرفة الله تعالى.

ثم ذكر سبحانه بعض حوادث يوم القيامة، فقال: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ﴾ منصوب بـ اذكر مقدراً، وهو معطوف على ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ﴾، وكذا قوله: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ...﴾ إلخ؛ أي: واذكر يا محمد لهم أهوال يوم تشقق وتتقطع وتتخرق فيه السماء؛ أي: كل سماء ﴿بِٱلْغَمَـٰمِ﴾؛ أي: بسبب ثقل الغمام، وهو سحاب[1] أبيض مثل الضباب فوق السموات السبع، ثخنه كثخن السموات السبع، وثقله كثقل السموات السبع، فينزل على السماء السابعة، فيخرقها بثقله ويشققها، وهكذا حتى ينزل إلى الأرض وفيه الملائكة؛ أي: ملائكة كل سماء، فينزل أولاً ملائكة الدنيا، وهم أزيد من أهل الأرض من إنس وجن، ثم ملائكة السماء الثانية، وهم أزيد من ملائكة سماء الدنيا، وهكذا، ثم ينزل الكروبيون، وإذا نزل ملائكة سماء الدنيا اصطفوا حول العالم المجموع في المحشر صفاً، وإذا نزل ملائكة السماء الثانية اصطفوا خلف هذا الصف صفاً آخر، وهكذا حتى تصير الصفوف سبعة، كلهم يحرسون أهل المحشر من الفرار والهرب. قال الإمام النسفي ـ رحمه الله تعالى ـ: الغمام فوق السموات السبع، وهو سحاب أبيض غليظ كغلظ السموات السبع، ويمسكه الله سبحانه اليوم بقدرته، وثقله أثقل من ثقل السموات، فإذا أراد الله سبحانه أن يشقق السموات ألقى ثقله عليها فانشقت، فذلك قوله تعلى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَـٰمِ﴾؛ أي: بثقل الغمام، فيظهر الغمام، ويخرج منها، وفيه الملائكة كما قال تعالى: ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾؛ أي: تنزيلاً عجيباً غير معهود.

فإن قيل[2]: قد ثبت بالنقل أن الأرض بالقياس إلى سماء الدنيا كحلقة في فلاة، وهكذا سماء الدنيا بالنسبة إلى السماء الثانية، وهكذا إلى السماء السابعة،

---

(1) زاده.
(2) روح البيان بتصرف.

فكيف تسع الأرض لملائكة السموات السبع بأسرها؟

أجيب: بأن الله سبحانه وتعالى يمد الأرض يوم القيامة مد الأديم، فتتسع مع أن السموات مقبية، فكلما زالت واحدة منها ونزلت تتسع الأرض بقدرها، فيكفي لملائكتها أطرافها، وقد ثبت أن الملائكة أجسام لطيفة رقيقة، فلا تتصور بينهم المزاحمة كمزاحمة الناس.

وقرأ الحرميان[1] - نافع وابن كثير - وابن عامر: ﴿تشّقّق﴾ بتشديد الشين، فأدغموا التاء في الشين؛ لأن أصله تتشقق، قرؤوا كذلك هنا وفي قٓ، وباقي السبعة بحذف تلك التاء: ﴿تَشَقَّقُ﴾ بلا تشديد الشين.

وقرأ الجمهور: ﴿وَنُزِّلَ﴾ ماضياً مشدداً مبنياً للمفعول. وقرأ ابن مسعود وأبو رجاء ﴿ونزل﴾ ماضياً مشدداً مبنياً للفاعل، وعنه أيضاً: ﴿وأنزل﴾ مبنياً للفاعل، وجاء مصدره تنزيلاً، وقياسه إنزالاً؛ لأنه لما كان معنى أنزل ونزل واحداً جاز مجيء مصدر أحدهما للآخر. وقرأ الأعمش وعبد الله في نقل ابن عطية ﴿وأنزل﴾ ماضياً رباعياً مبنياً للمفعول، مضارعه ينزل. وقرأ جناح بن حبيش والخفاف عن أبي عمرو ﴿ونزل﴾ ثلاثياً مخففاً مبنياً للفاعل. وقرأ هارون عن أبي عمرو ﴿وتنزل﴾ بالتاء من فوق مضارع نزل مشدداً مبنياً للفاعل. وقرأ أبو معاذ وخارجة عن أبي عمرو ﴿ونزل الملائكة﴾ بضم النون وشد الزاي، أسقط النون من ﴿وننزل﴾. وفي بعض المصاحف ﴿وننزل﴾ بالنون مضارع نزل مشدداً مبنياً للفاعل، ونسبها ابن عطية لابن كثير وحده، قال: وهي قراءة أهل مكة، ورويت عن أبي عمرو. وعن أبي أيضاً ﴿وتنزلت﴾، وقرأ أبي: ﴿ونزلت﴾ ماضياً مشدداً مبنياً للمفعول بتاء التأنيث. وقال صاحب «اللوامح» عن الخفاف عن أبي عمرو ﴿ونزل﴾ مخففاً مبنياً للمفعول. ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ رفعاً، والوجه في هذه القراءة أن يكون مثل: زكم الرجل وجن، فإنه لا يقال إلا: أزكمه الله وأجنه، فهذه إحدى عشرة قراءة.

---

(١) البحر المحيط.

﴿ٱلْمُلْكُ﴾[1]: مبتدأ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: ظرفه ﴿ٱلْحَقُّ﴾: نعته، ومعناه: الثابت؛ لأن كل ملك يزول يومئذ فلا يبقى إلاّ ملكه ﴿لِلرَّحْمَٰنِ﴾[4]: خبره.

والمعنى[2]: إن السلطة القاهرة والاستيلاء الكلي العام صورة ومعنى بحيث لا زوال له أصلاً ثابت للرحمن يومئذ؛ أي: يوم إذ تشقق السماء بالغمام. وفائدة التقييد أن ثبوت الملك المذكور له تعالى خاصة يوم القيامة، وأما ما عداه من أيام الدنيا، فيكون غيره أيضاً له تصرف صوري في الجملة ﴿وَكَانَ﴾ ذلك اليوم ﴿يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾؛ أي: يوماً شديداً هوله على الكافرين، وأما على المؤمنين فيكون يسيراً بفضل الله تعالى، وقد جاء في الحديث: «أنه يهون يوم القيامة على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا»؛ أي: وكان[3] هذا اليوم مع كون الملك فيه لله وحده شديداً على الكفار لما يصابون به فيه، وينالهم من العقاب بعد تحقيق الحساب، وأما على المؤمنين فهو يسير غير عسير لما ينالهم فيه من الكرامة والبشرى العظيمة.

والحاصل: أن الكافرين يرون ذلك اليوم عسيراً عظيماً من دخول النار وحسرة فوات الجنان بعدما كانوا في اليسير من نعيم الدنيا، وأهل الإيمان والجد والاجتهاد يرون فيه اليسر من نعيم الجنان ولقاء الرحمن بعد أن كانوا في الدنيا راضين بالعسر، تاركين لليسر، موقنين أن مع العسر يسراً. وقيل للشبلي ـ رحمه الله تعالى ـ في الدنيا أشغال، وفي الآخرة أهوال، فمتى النجاة؟ قال: دع أشغالها تأمن من أهوالها، فلله در قوم فرغوا عن طلب الدنيا وشهواتها، ولم يغتروا بجمعها، ولم يلتفتوا إليها، نسأل الله سبحانه وتعالى الوقوف عند الأمر إلى حلول الأجل وانتهاء العمر.

والظرف في قوله: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ منصوب بمحذوف كسابقه تقديره: واذكر لهم يا محمد لهؤلاء المشركين أهوال يوم يأكل الكافر يديه إلى

---

(١) النسفي.

(٢) روح البيان.

(٣) الشوكاني.

(٤) الشوكاني.

المرفق، ثم ينبتان، ثم يأكلهما، وهكذا كلما نبتتا أكلهما تحسرا وندامة على التفريط والتقصير، فلا يزال كذلك كما قاله الضحاك وعطاء. فـ﴿عَلَىٰ﴾ زائدة على هذا التأويل، وهو يوم القيامة، والظاهر أن العض هنا حقيقة، ولا مانع من ذلك، ولا موجب لتأويله. وقيل: هو كناية عن الغيظ والحسرة؛ أي: فعض اليدين عبارة عن الندم لما جرى به عادة الناس أن يفعلوه عند ذلك، وكذا عض الأنامل، وأكل البنان، وحرق الأسنان، ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة لأنها من روادفها.

والمراد بالظالم: كل ظالم يرد ذلك المكان، وينزل ذلك المنزل، ولا ينافيه ورود الآية على سبب خاص، وهو عقبة بن أبي معيط بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف كما مر في الأسباب، فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

وحاصل قصة عقبة بن أبي معيط: أنه كان لا يقدم من سفر إلا صنع طعاماً، وكان يدعو إلى الطعام من أهل مكة من أراد، وكان يكثر مجالسة النبي ﷺ، ويعجبه حديثه، فقدم ذات يوم من سفره، وصنع طعاماً، ودعا رسول الله ﷺ إلى طعامه، فأتاه رسول الله ﷺ، فلما قدم الطعام إليه أبى أن يأكل، فقال: «ما أنا بالذي آكل من طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله»، وكان عندهم من العار أن يخرج من عندهم أحد قبل أن يأكل شيئاً، فألح عليه بأن يأكل، فلم يأكل، فشهد بذلك عقبة، فأكل رسول الله ﷺ من طعامه، وكان أبي بن خلف الجمحي غائباً، وكان صديق عقبة، فلما قدم أخبر بما جرى بين عقبة وبين رسول الله ﷺ، فأتاه فقال: صبوت يا عقبة؛ أي: ملت عن دين آبائك إلى دين حادث؟ فقال: لا والله ما صبوت، ولكن دخل علي رجل، فأبى أن يأكل من طعامي إلا أن أشهد له، فاستحييت أن يخرج من بيتي قبل أن يطعم، فشهدت، فطعم، فقال: ما أنا بالذي أرضى منك أبداً حتى تأتيه فتبزق في وجهه وتشتمه وتكذّبه ـ نعوذ بالله تعالى ـ فأتاه، فوجده ساجداً في دار الندوة، ففعل ذلك ـ والعياذ بالله تعالى ـ فقال رسول الله ﷺ لعقبة: «لا ألقاك خارجاً من مكة إلا علوت رأسك بالسيف» فأسر يوم بدر، فأمر عليه السلام علياً

ـ رضي الله عنه ـ أو عاصم بن ثابت الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ فقتله، وطعن عليه السلام بيده الطاهرة الكاسرة أبياً اللعين يوم أحد في المبارزة، فرجع إلى مكة، فمات في الطريق بسَرِف ـ بفتح السين المهملة وكسر الراء ـ وهو مناسب لوصفه، لأنه مسرف. قال في «إنسان العيون»: ولم يقتل النبي ﷺ بيده الشريفة قط أحداً إلا أبي بن خلف، لا قبل ولا بعد.

حال كون ذلك الظالم ﴿يَقُولُ﴾: حال من فاعل ﴿يَعَضُّ﴾ ﴿يا﴾ هؤلاء، فالمنادى محذوف، ويجوز أن تكون ﴿يا﴾ لمجرد التنبيه من غير قصد إلى تعيين المنبه؛ أي: يا قوم ﴿ليتني اتخذت﴾ في الدنيا ﴿مَعَ ٱلرَّسُولِ﴾ محمد ﷺ ﴿سَبِيلًا﴾؛ أي: طريقاً إلى النجاة من هذه الورطات؛ أي: صاحبته في اتخاذ سبيل الهدى؛ أي: واذكر يوم يعض المشرك بربه على يديه ندماً وأسفاً على ما فرط في جنب الله، وعلى ما أعرض عنه من الحق الواضح الذي جاء به رسوله حالة كونه يقول: ليتني اتخذت مع الرسول طريقاً إلى النجاة، ولم تتشعب بي طرق الضلالة.

﴿يَٰوَيۡلَتَىٰ﴾؛ أي: يا هلكتي تعالي واحضري لأتعجب منك، فهذا أوان حضورك، والنداء وإن كان أصله لمن يتأتى منه الإقبال؛ وهم العقلاء إلا أن العرب تتجوز وتنادي ما لا يعقل إظهاراً للتحسر ﴿لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا﴾ كأبي بن خلف ﴿خَلِيلًا﴾؛ أي: صديقاً، من الخلة وهي المودة لأنها تتخلل النفس؛ أي: تتوسطها والمراد من أضله في الدنيا كائناً من كان من شياطين الإنس والجن، فيدخل فيه أبي المذكور؛ أي: لم أتخذ فلاناً الذي أضلني وصرفني عن طريق الهدى خليلاً وصديقاً.

وهذا[1] دعاء على نفسه بالويل والثبور على مخاللة الكافر الذي أضلَّه في الدنيا. وفلان: كناية عن الأعلام. قال النيسابوري: زعم بعض أهل اللغة أنه لم يثبت استعمال فلان في الفصيح إلا حكاية، لا يقال: جاءني فلان، ولكن يقال:

---

(١) البحر المحيط.

قال زيد: جاءني فلان؛ لأنه اسم اللفظ الذي هو علم الاسم، وكذلك جاء في كلام الله. وقيل: فلان كناية عن علم ذكور من يعقل، وفلانة عن علم إناثهم. وقيل: كناية عن نكرة من يعقل من الذكور، وفلانة عمن يعقل من الإناث. والظاهر أنه منصرف. وأما الفلان والفلانة فكناية عن غير العقلاء. وقيل: يختص بالنداء إلا في ضرورة الشعر، كقوله:

فِيْ لُـجَّـةٍ أَمْـسِـكْ فُـلاَنـاً عَـنْ فُـلِ

وفل[1]: كناية عن نكرة الإنسان نحو يا رجل، وهو مختص بالنداء، وفلة بمعنى يا امرأة كذلك، ولام فل ياء أو واو على الخلاف فيه، وليس مرخماً من فلان، خلافاً للفراء. وَوهم ابن عصفور وابن مالك وصاحب البسيط في قولهم: فل كناية عن العلم كفلان. وفي كتاب سيبويه: ما قلناه بالنقل عن العرب.

وقرأ الحسن وابن قطيب ﴿يا ويلتي﴾ بكسر التاء والياء الصريحة، فالياء فيه ياء المتكلم، وهو الأصل. وقرأ الدوري وجماعة بالإمالة. قال أبو علي: وترك الإمالة أحسن؛ لأن أصل هذه اللفظة الياء، فأبدلت الكسرة فتحة والياء ألفاً فراراً من الياء، فمن أمال رجع إلى الذي فرّ منه.

والله ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِى﴾ وصرفني ﴿عَنِ ٱلذِّكْرِ﴾؛ أي: عن القرآن المذكر لكل مرغوب ومرهوب، وعن موعظة الرسول ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى﴾ الذكر من ربي بواسطة الرسول، وتمكنت من العمل به، وعمرت ما يتذكر فيه من تذكر.

وهٰهنا[2] تم الكلام، ثم قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾؛ أي: إبليس الحامل بوسوسته على مخالة المضلين ومخالفة الرسول وهجر القرآن ﴿لِلْإِنسَٰنِ﴾ المطيع له ﴿خَذُولًا﴾؛ أي: كثير الخذلان له، ومبالغاً في حبه، يواليه حتى يؤديه إلى الهلاك، ثم يتركه ولا ينفعه، وكذا حال من حمله على صداقته. والخذلان: ترك النصرة ممن يظن به أن ينصر. وفي وصفه بالخذلان إشعار بأنه كان يعده في الدنيا ويمنيه بأن ينفعه في الآخرة.

---

(١) زاد المسير. (٢) روح البيان.

وهذا[1] اعتراض مقرر لمضمون ما قبله؛ إما من جهته تعالى كما مر، وإما من تمام كلام الظالم، قال بعضهم: المراد بالشيطان: قرين السوء، سماه شيطاناً؛ لأنه الضال المضل، يضل كما يضل الشيطان الحقيقي. وهذه الآية عامة في كل متحابين اجتمعا على معصية الله، والخلة الحقيقية هي أن لا تكون لطمع ولا لخوف، بل في الدين. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يحشر المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالّ» أخرجه أبو داود والترمذي. وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلاّ تقي». وروى الشيخان عن أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ قال: «مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة». قال مالك بن دينار: إنك إن تنقل الحجارة مع الأبرار خير من أن تأكل الخبيص مع الفجار، نسأل الله الخلاص والالتحاق بأرباب الاختصاص، والعمل بالقرآن في كل زمان وعلى كل حال.

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ﴾ محمد ﷺ شكاية لله مما صنع قومه، وفي هذا[2] تخويف لقومه؛ لأن الأنبياء إذا شكوا إلى الله تعالى قومهم عجل الله لهم العذاب. وهذا عطف على قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ وما بينهما اعتراض؛ أي: قالوا: كيت وكيت، وقال الرسول محمد ﷺ إثر ما شاهد منهم غاية العتوّ، ونهاية الطغيان بطريق البث والشكوى ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى﴾ قريشاً ﴿ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾؛ أي: متروكاً بالكلية، ولم يؤمنوا به، وصدّوا عنه، ولم يتأثروا بتخويفه ووعيده. والمعنى[3]: إن قومي اتخذوا هذا القرآن الذي جئت به إليهم، وأمرتني بإبلاغه، وأرسلتني به مهجوراً متروكاً لم يؤمنوا به، ولا قبلوه بوجه من الوجوه. وقيل: هو من هجر إذا هذى، والمعنى: إنهم اتخذوه هجرا وهذيانا. وقيل:

---

(١) المراح.
(٢) الشوكاني.

معنى ﴿مَهْجُورًا﴾ مهجوراً فيه، ثم حذف الجار. وهجرهم فيه قولهم: إنه باطل، إنه سحر وشعر وأساطير الأولين. وهذا حكاية لقوله ﷺ في الدنيا. وقيل: يقوله الرسول ﷺ يوم القيامة. والمعنى حينئذ: ويقول الرسول يوم القيامة. فالماضي بمعنى المضارع. وفي ذكره ﷺ بلفظ ﴿ٱلرَّسُولِ﴾ تحقيق للحق ورد عليهم؛ إذ كان ما أوردوه قدحاً في رسالته ﷺ. وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ﴿إن قومي اتخذوا﴾ بتحريك الياء، وأسكنها عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي اهـ ابن الجوزي.

وفي هذه الآية[1]: تلويح بأن حق المؤمن أن يكون كثير التعاهد للقرآن؛ أي: التحفظ والقراءة كل يوم وليلة كيلا يندرج تحت ظاهر النظم الكريم. وفي الحديث: «من تعلم القرآن وعلق مصحفاً لم يتعاهده ولم ينظر فيه.. جاء يوم القيامة متعلقاً به، يقول: يا رب عبدك هذا اتخذني مهجوراً اقض بيني وبينه». ومن أعظم الذنوب أن يتعلم الرجل آية من القرآن أو سورة ثم ينساها. والنسيان: أن لا يمكنه القراءة من المصحف كما في «القنية». وفي الحديث: «إن هذه القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد»، قيل: وما جلاؤها؟ قال: «تلاوة القرآن وذكر الله».

ثم سلى رسوله ﷺ على ما يلاقيه من الشدائد والأهوال بأن له في سلفه من الأنبياء قبله أسوة بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كما جعلنا لك يا محمد أعداء من مجرمي قومك كأبي جهل وأضرابه ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾ من الأنبياء المتقدمين ﴿عَدُوًّا﴾؛ أي: أعداء، فإنه يحتمل الواحد والجمع ﴿مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: من مجرمي قومهم كنمروذ لإبراهيم، وفرعون لموسى، واليهود لعيسى، فاصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا.

والمعنى[2]: أي كما جعلنا لك أعداء من المشركين يتقولون عليك ما يتقولون من الترهات والأباطيل، ويفعلون من السخف ما يفعلون، جعلنا لكل نبي من الأنبياء الذين سلفوا وأوتوا من الشرائع ما فيه هدى للبشر أعداء لهم من

---

(١) روح البيان.　　(٢) المراغي.

شياطين الإنس والجن، وكانوا لهم بالمرصاد، وقاوموا دعوتهم ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾. فلا تجزع أيها الرسول، فإن هذا دأب الأنبياء قبلك، واصبر كما صبروا، قال ابن عباس: كان عدو النبي ﷺ أبا جهل، وعدو موسى قارون، وكان قارون ابن عمّ موسى، ونحو الآية قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾.

ثم وعده بالهداية والنصر والتأييد وغلبته لأعدائه، فقال: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ﴾؛ أي: كفاك ربك. والباء صلة لتأكيد ﴿هَادِيًا﴾: تمييز؛ أي: من جهة هدايته لك إلى كافة مطالبك، ومنها انتشار شريعتك وكثرة الآخذين بها ﴿وَنَصِيرًا﴾؛ أي: ومن جهة نصرته لك على جميع أعدائك، فلا تبال بمن يعاديك وسيبلغ حكمك إلى أقطار الأرض وأكناف الدنيا. ويصح أن يكون: ﴿هَادِيًا﴾ حالاً من ﴿ربك﴾؛ أي: حالة كونه هادياً لك، وناصراً لك.

والمعنى(١): أي وكفاك ربك هادياً لك إلى مصالح الدين والدنيا، وسيبلغك أقصى ما تطلب من الكمال، وسينصرك على أعدائك، وستكون لك الغلبة عليهم آخراً، فلا يهولنك كثرة عَددهم وعُددهم، فإني لا محالة جاعل كلمة الله هي العليا، وكلمة أعدائه هي السفلى، فاصبر لأمري وامض لتبليغ رسالتي حتى يبلغ الكتاب أجله.

دلت الآية(٢) بالعبارة والإشارة على أن لكل نبي وولي عدواً يمتحنه الله به، ويظهر شرف اصطفائه. قال أبو بكر بن طاهر رحمه الله تعالى: رفعت درجات الأنبياء والأولياء بامتحانهم بالمخالفين والأعداء، وفي الخبر: «لو أن مؤمناً ارتقى على ذروة جبل لقيض الله إليه منافقاً يؤذيه فيؤجر عليه»، ثم لم يغادر الله المجرم المعاند العدو لوليه حتى أذاقه وبال ما استوجبه على معاداته، كما قال في الحديث الرباني: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب»، وقال: «وأنا أنتقم لأوليائي كما ينتقم الليث الجريء لجروه».

---

(١) المراغي. (٢) روح البيان.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أهل مكة كأبي جهل وأصحابه: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ﴾ أي على محمد ﴿ٱلْقُرْءَانُ﴾ فـ﴿لَوْلَآ﴾ تحضيضية بمعنى: هلا. والتنزيل هنا: مجرد عن معنى التدريج، فـ﴿نُزِّلَ﴾ هنا بمعنى: أنزل كـ: خبَّر بمعنى: أخبر؛ لئلا يناقض قوله: ﴿جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾؛ أي: دفعة واحدة كالكتب الثلاثة التوراة والإنجيل والزبور. حال من ﴿ٱلْقُرْءَانُ﴾؛ إذ هي في معنى: مجتمعاً، وهذا اعتراض حيرة وبهت، لا طائل تحته؛ لأن الإعجاز لا يختلف بنزوله جملة أو مفرقاً، وقد تحدوا بسورة واحدة فعجزوا عن ذلك، حتى أخلدوا إلى بذل المهج والأموال دون الإتيان بها، مع أن للتفريق فوائد كثيرة سيأتي تفصيلها.

أي: وقال الذين كفروا من أهل مكة في تعنتاتهم: هلا أنزل هذا القرآن على محمد ﷺ حالة كونه جملة واحدة في مرة واحدة كسائر الكتب السالفة إن كان من عند الله تعالى، وما له أنزل على التفاريق؟. وهذا[1] اعتراض فاسد، لأنهم تحدوا بالإتيان بسورة واحدة من أصغر السور، فأبرزوا صفحة عجزهم، حتى لاذوا بالمناصبة، وفزعوا إلى المحاربة، وبذلوا المهج ومالوا إلى الحجج. وقيل: المراد بالذين كفروا هنا اليهود، والمعنى عليه: أي[2]: وقال اليهود: هلا أنزل القرآن على محمد دفعة واحدة كما أنزلت الكتب السالفة على الأنبياء كذلك. وهذا زعم باطل ودعوى داحضة، فإن هذه الكتب نزلت متفرقة، فقد أنزلت التوراة منجمة في ثماني عشرة سنة، كما تدل عليه نصوص التوراة، وليس هناك دليل قاطع على خلاف ذلك من كتاب أو سنة كما نزل القرآن، لكنهم معاندون أو جاهلون لا يدرون كيف نزلت كتب الله على أنبيائه، وهو اعتراض بما لا طائل تحته؛ لأن الإعجاز لا يختلف بنزوله جملة أو مفرقاً فرد الله عليهم ما قالوا، وأشار إلى السبب الذي لأجله نزل القرآن منجماً، فقال: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ والكاف في محل نصب على أنها صفة لمصدر محذوف[3] مؤكد معلل بما بعده، و﴿ذلك﴾: إشارة إلى ما يفهم من كلامهم؛ أي: مثل ذلك التنزيل المفرق الذي

---

(١) النسفي.

(٢) المراغي.

(٣) روح البيان.

قدحوا فيه نزلناه، لا تنزيلاً مغايراً له ﴿لِنُثَبِّتَ﴾ ونقوي. وقرأ عبد الله ﴿ليثبت﴾ بالياء؛ أي: ليثبت الله ﴿بِهِۦ﴾؛ أي: بذلك التنزيل المفرق ﴿فُؤَادَكَ﴾؛ أي: قلبك، فإن فيه تيسيراً لحفظ النظم وفهم المعنى، وضبط الأحكام والعمل بها، ألا ترى أن التوراة أنزلت دفعة، فشق العمل على بني إسرائيل، ولأن الكتب المتقدمة نزلت على أنبياء يكتبون ويقرؤون، وأنزلنا القرآن على نبي أمي لا يكتب ولا يقرأ، ولأن من القرآن الناسخ والمنسوخ، ومنه ما هو جواب لمن سأل عن أمور تحدث في أوقات مختلفة، ففرقناه ليكون أدعى لرسول الله ﷺ، وأيسر على العامل به، ولأنه كلما نزل عليه وحي جديد في كل أمر وحادثة ازداد هو قوة قلب وبصيرة.

وبالجملة: فإن إنزال القرآن منجماً فضيلة خص بها نبينا ﷺ من سائر النبيين، فإن المقصود من إنزاله أن يتخلق قلبه المنير بخلق القرآن ويتقوى بنوره، ويتغذى بحقائقه وعلومه، وهذه الفوائد إنما تكمل بإنزاله مفرقاً، ألا ترى أن الماء لو نزل من السماء جملة واحدة لما كانت تربية الزروع به مثلها إذا نزل مفرقاً إلى أن يستوي الزرع.

وقيل: إن هذه الكلمة أعني: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ هي من تمام كلام المشركين؛ أي: وقال الذين كفروا: لولا أنزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك؛ أي: كالتوراة والإنجيل والزبور، فيوقف على قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾، ثم يبتدىء بقوله: ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ على معنى أنزلناه عليك متفرقاً لغرض تثبيت فؤادك. قال ابن الأنباري: وهذا أجود وأحسن. قال النحاس: وكان ذلك؛ أي: إنزال القرآن منجماً من أعلام النبوة؛ لأنهم لا يسألونه عن شيء إلا أجيبوا عنه، وهذا لا يكون إلا من نبي، فكان ذلك تثبيتاً لفؤاده وأفئدتهم.

وقوله: ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ معطوف على ذلك الفعل المقدر. والترتيل[1]: التفريق ومجيء الكلمة بعد الأخرى بسكوت يسير دون قطع النفس، وأصله في

(١) روح البيان.

الأسنان، وهو تفريجها. والمعنى: كذلك نزلناه وقرأناه عليك شيئاً بعد شيء على تؤدة وتمهل في عشرين سنة، أو ثلاث وعشرين سنة.

خلاصة تلك الفوائد[1]:

١. أنه عليه الصلاة والسلام كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، فلو أنزل عليه القرآن جملة واحدة كان من الصعب عليه أن يضبطه، وجاز عليه السهو والغلط.

٢. أنه أنزل هكذا ليكون حفظه له أكمل، ويكون أبعد عن المساهلة وقلة التحصيل.

٣. أنه لو أنزل جملة على الخلق لنزلت الشرائع بأسرها دفعة واحدة عليهم، ولا يخفى ما في ذلك من حرج عليهم بكثرة التكاليف مرة واحدة، ولكن بإنزاله منجماً جاء التشريع رويداً رويداً، فكان احتمالهم له أيسر، ومرانهم عليه أسهل.

٤. أنه ﷺ إذا شاهد جبريل الفينة بعد الفينة قوي قلبه على أداء ما حمّل به، وعلى الصبر على أعباء النبوة، وعلى احتمال أذى قومه، وقدر على الجهاد الذي استمر عليه طول حياته الشريفة.

٥. أنه أنزل هكذا بحسب الأسئلة والوقائع، فكان في ذلك زيادة بصر لهم في دينهم.

٦. أنه لما نزل هكذا، وتحداهم بنجومه وبما ينزل منه، وعجزوا عن معارضته.. كان عجزهم عن معارضته جملة أجدر وأحق في نظر الرأي الحصيف.

٧. أن بعض أحكام الشريعة جاء في بدء التنزيل على وفق حال القوم الذين أنزلت عليهم، وبحسب العادات التي كانوا يألفونها، فلما أضاء الله بصائرهم

(١) المراغي.

بهدي رسوله تغيرت بعض أحوالهم، واستعدت أنفسهم لتشريع يزيدهم طهراً على طهر، ويذهب عنهم رجس الجاهلية الذي كانوا فيه، فجاء ذلك التشريع الجديد الكامل المناسب لتلك الحال الجديدة، ولو أنزل القرآن جملة واحدة لم يتسن شيء من هذا.

ثم ذكر سبحانه أنهم محجوجون في كل أوان، مدفوع قولهم بكل وجه وعلى كل حالة، فقال: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ﴾ يا محمد ﴿بِمَثَلٍ﴾؛ أي:[1] بسؤال عجيب وكلام غريب، كأنه مثل في البطلان يريدون به القدح في حقك وحق القرآن ﴿إِلَّا جِئْنَاكَ﴾ في مقابلته، فالباء في قوله: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ للتعدية أيضاً؛ أي: بالجواب الحق الثابت المبطل لما جاؤوا به، القاطع لمادة القيل والقال ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ عطف على ﴿الحق﴾. والتفسير: تفعيل من الفسر؛ وهو كشف ما غطي.

والمعنى: وبما هو أحسن بياناً وتفصيلاً لما هو الحق والصواب ومقتضى الحكمة، بمعنى أنه في غاية ما يكون من الحسن في حد ذاته، لا أن ما يأتون به له حسن في الجملة، وهذا أحسن منه، لأن سؤالهم مثل في البطلان، فكيف يصح له حسن، اللهم إلا أن يكون بزعمهم. يعني: لما كان السؤال حسناً بزعمهم.. قيل: الجواب أحسن من السؤال. والمعنى؛ أي[2]: لا يأتيك يا محمد المشركون بمثل من أمثالهم التي من جملتها اقتراحاتهم المتعنتة إلا جئناك في مقابلة مثلهم وسؤالهم بالجواب الحق الثابت الذي يبطل ما جاؤوا به من المثل ويدمغه ويدفعه، فالمراد بالمثل هنا السؤال والاقتراح، وبالحق جوابه الذي يقطع ذريعته، ويبطل شبهته، ويحسن مادته.

والاستثناء في قوله[3]: ﴿إِلَّا جِئْنَاكَ﴾ مفرغ، محله النصب على الحالية؛ أي: لا يأتونك بمثل في حال من الأحوال إلا حال إتياننا إياك بالحق الذي لا محيد عنه، وهذا بعبارته ناطق ببطلان جميع الأسئلة، وبصحة جميع الأجوبة،

---

(١) روح البيان.

(٢) الشوكاني.

(٣) روح البيان.

وبإشارته منبىء عن بطلان السؤال الأخير وصحة جوابه؛ إذ لولا أن التنزيل على التدريج.. لما أمكن إبطال تلك الاقتراحات الشنيعة، أو يقال: كل نبي إذا قال له قومه قولاً.. كان النبي ﷺ هو الذي يرد عليهم، وأما النبي ﷺ إذا قالوا له شيئاً.. فالله يرد عليهم.

وحاصل المعنى[1]: ولا يأتيك هؤلاء المشركون بصفة غريبة من الصفات التي يقترحونها، ويريدون بها القدح في نبوتك إلا دحضناها بالحق الذي يدفع قولهم، ويقطع عروق أسئلتهم السخيفة، ويكون أحسن بياناً مما يقولون، ونحو الآية قوله: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾.

والخلاصة: أنهم لا يقترحون اقتراحاً من فاسد مقترحاته إلا أتيناك بما يدفعه، ويوضح بطلانه.

وبعد أن وصفوا رسوله بتلك الأوصاف السالفة تحقيراً له.. سلاه على ذلك، وطلب إليه أن يقول لهم: ﴿الَّذِينَ﴾: مبتدأ أول ﴿يُحْشَرُونَ﴾ يوم القيامة، ويسحبون ﴿عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾ ويجرون ﴿إِلَى جَهَنَّمَ﴾ ﴿أُولَئِكَ﴾: مبتدأ ثان ﴿شَرٌّ﴾: خبر المبتدأ الثاني ﴿مَكَانًا﴾؛ أي: مكانة ومنزلة، أو مسكناً ومنزلاً في الآخرة ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾؛ أي: أخطأ طريقاً عن الحق والهدى من كل أحد في الدنيا.

والمعنى: أي إني لا أقول لكم كما تقولون، ولا أصفكم بمثل ما تصفونني به، بل أقول لكم: إن الذين يسحبون إلى جهنم، ويجرون بالسلاسل والأغلال هم شرّ مكاناً، وأضل سبيلاً، فانظروا بعين الإنصاف، وفكروا من أولى بهذه الأوصاف منا ومنكم؛ لتعلموا أن مكانكم شر من مكاننا، وسبيلكم أضل من سبيلنا، وهذا على نسق قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾، ويسمون هذا الأسلوب في المناظرة بـ إرخاء العنان للخصم؛ ليسهل إفحامه وإلزامه.

والمراد أن الملائكة تسحبهم وتجرهم على وجوههم إلى جهنم، أو كون

---

(١) المراغي.

الحشر على الوجوه عبارة عن الذلة والخزي والهوان، أو هو من قول العرب: مر فلان على وجهه إذا لم يدر أين يذهب. روى الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: صنفاً مشاةً، وصنفاً ركبانا، وصنفاً على وجوههم». قيل: يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم؟ قال: «إن الذين أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم، أما إنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك».

ولما استكبر الكفار واستعلوا حتى لم يخروا ساجدين لله تعالى.. حشرهم الله تعالى على وجوههم، ولما تواضع المؤمنون.. رفعهم الله على النجائب، فمن هرب عن المخالفة، وأقبل إلى الموافقة نجا، ومن عكس هلك، وأين يهرب العاصي والله تعالى مدركه.

قصة موسى وهارون عليهما السلام

واللام في قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ موطئة للقسم؛ أي: وعزتي وجلالي لقد آتينا موسى التوراة؛ أي: أنزلناها عليه بعد إغراق فرعون وقومه.

واعلم: أن الله سبحانه ذكر هنا طرفاً من قصص الأولين تسلية له ﷺ بأن تكذيب قوم أنبياء الله لهم عادة للمشركين بالله، وليس ذلك بخاص بمحمد ﷺ. وفي «الإرشاد»: والتعرض في مطلع القصة لإيتاء الكتاب مع أنه كان بعد مهلك القوم، ولم يكن له مدخل في هلاكهم كسائر الآيات للإيذان من أول الأمر ببلوغه عليه السلام غاية الكمال، ونيله نهاية الآمال التي هي إنجاء بني إسرائيل من ملك فرعون، وإرشادهم إلى طريق الحق بما في التوراة من الأحكام ﴿وجعلنا معه﴾؛ أي: مع موسى، والظرف متعلق بـ﴿جَعَلْنَا﴾ ﴿أَخَاهُ﴾ الشقيق، مفعول أول له ﴿هَٰرُونَ﴾ بدل من ﴿أَخَاهُ﴾، أو عطف بيان وهو اسم أعجمي، ولم يرد في شيء من كلام العرب. ﴿وَزِيرًا﴾ مفعول ثان؛ أي: معيناً يوازره ويعاونه في الدعوة إلى الله وإعلاء الكلمة، فإن الموازرة المعاونة كما سيأتي في مبحث اللغة.

---

(١) روح البيان.

تنبيه: والواو في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا﴾ لا تفيد ترتيباً، فإن من المعلوم أن إيتاء التوراة كان بعد إيتاء الرسالة لموسى وهارون بنحومن ثلاثين سنة، لأن إرسالهما كان في واقعة الطور عند مجيء، موسى من الشام، ثم جاء مصر، ومكث يدعو فرعون وقومه ثلاثين سنة، ثم خرج من مصر، فانفلق له البحر، فغرق فرعون وقومه، فذهب موسى إلى الشام، فآتاه الله التوراة هناك، فقوله: ﴿فَقُلْنَا اذْهَبَآ﴾ معطوفة على ﴿جعلنا﴾، وكل من الجعل والقول كان قبل إيتاء التوراة كما علمت. اهـ شيخنا.

أي[1]: ولقد أنزلنا على موسى التوراة كما أنزلنا عليك الفرقان، وجعلنا معه أخاه هارون معيناً وظهيراً له، ولا تعارض بين هذه الآية وقوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾ فإنه وإن كان نبياً فالشريعة لموسى عليه السلام، وهو تابع له فيها، كما أن الوزير متبع لسلطانه.

وفي «الروح»[2]: فإن قلت: كون هارون وزيراً كالمنافي لكونه شريكاً له في النبوة؛ لأنه إذا صار شريكاً له خرج عن كونه وزيراً؟

قلتُ: لا ينافي ذلك مشاركته في النبوة؛ لأن المتشاركين في الأمر متوازران عليه، وقد كان هارون في أول الأمر وزيراً لموسى، ولاشتراكهما في النبوة قيل لهما: اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا.

ثم ذكر ما أمرا به من تبليغ الرسالة مع بيان أن النصر لهما آخراً على أعدائهما بقوله: ﴿فَقُلْنَا﴾ لهما ﴿اذْهَبَآ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا﴾ الإلهية[3]؛ وهي مصنوعات الله تعالى الدالة على انفراده تعالى بالملك والعبادة، حيث عبدوا فرعون، فذهبا إليهم، فأرياهم الآيات التسع كلها؛ وهي آيات النبوة، فكذبوها حيث أنكروا رسالتهما كما كذبوا الآيات الإلهية ﴿فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا﴾؛ أي: أهلكناهم عقب ذلك التكذيب إهلاكاً عجيباً؛ أي: فقلنا لهما: اذهبا إلى فرعون

---

(١) المراغي.

(٢) روح البيان.

(٣) المراح.

وقومه الذين كذبوا بدلائل التوحيد المودعة في الأنفس والآفاق، فلما ذهبا إليهم كذبوهما، فأهلكناهم أشد إهلاك، ونحو الآية قوله: ﴿دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا﴾ وفي ذلك تسلية لرسوله، وأنه ليس أول من كذب من الرسل، فله أسوة بمن سلف منهم. قيل[1]: المراد بالآيات هي المعجزات التسع المفصلات الظاهرة على يد موسى عليه السلام، ولم يوصف القوم عند إرسالهما إليهم بهذا الوصف ضرورة تأخر تكذيب الآيات عن إظهارها المتأخر عن الأمر به، بل إنما وصفوا بذلك عند الحكاية لرسول الله ﷺ بياناً لعلة استحقاقهم لما يحكى بعده من التدمير. وقيل: المراد: ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ التكوينية؛ أي: العلامات التي خلق الله في الدنيا، كما جرينا عليه في حلنا. وقيل: المراد بها الرسل وكتب الأنبياء الذين قبل موسى، كما في قوله: ﴿وَقَوۡمَ نُوحٖ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ﴾ فالباء على كل تقدير متعلقة بـ﴿كَذَّبُواْ﴾ لا بـ﴿ٱذۡهَبَآ﴾، وإن كان الذهاب إليهم بالآيات، كما في قوله في الشعراء: ﴿فاذهبا بآياتنا﴾. وأما التكذيب فتارة يتعلق بالآيات، كما في قوله في الأعراف: ﴿فَظَلَمُواْ بِهَاۖ﴾؛ أي: بالآيات، وقوله في طه: ﴿وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾، وتارة بموسى وهارون، كما في قوله في المؤمنون: ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾.

وقوله: ﴿فَدَمَّرۡنَٰهُمۡ تَدۡمِيرٗا﴾ قبله حذف تقديره: فذهبا إليهم فأرياهم آياتنا فكذبوهما تكذيباً مستمراً، فأهلكناهم إثر ذلك التكذيب المستمر إهلاكاً عجيباً هائلاً لا يدرك كنهه. فاقتصر على حاشيتي القصة؛ أي: أولها وآخرها اكتفاء بما هو المقصود منها؛ وهو إلزام الحجة ببعثة الرسل والتدمير بالتكذيب، والفاء للتعقيب باعتبار نهاية التكذيب؛ أي: باعتبار استمراره، وإلا فالتدمير متأخر عن التكذيب بأزمنة متطاولة. وقيل: إن المراد بالتدمير هنا الحكم؛ لأنه لم يحصل عقب بعث موسى وهارون إليهم، بل بعده بمدة. وقرأ[2] علي والحسن ومسلمة بن محارب: ﴿فدمراهم﴾ على الأمر لموسى وهارون. وعن علي كذلك إلا أنه مؤكد بالنون الشديدة. وعنه أيضاً: ﴿فدمرا بهم﴾ أمراً لهما بزيادة باء الجر. ومعنى

---

(١) روح البيان.

(٢) البحر المحيط.

الأمر: كونا سبب تدميرهم.

قصة قوم نوح عليه السلام

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ منصوب بفعل مضمر وجوباً، يدل عليه ﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ﴾؛ أي: ودمرنا قوم نوح ﴿لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ﴾؛ أي: نوحاً ومن قبله من الرسل كشيث وإدريس، أو نوحاً وحده؛ لأن تكذيبه تكذيب للكل لاتفاقهم على التوحيد والإسلام. ويقال: إن نوحاً كان يدعو قومه إلى الايمان به وبالرسل الذين بعده، فلما كذبوه فقد كذبوا جميع الرسل، كما ثبت أن كل نبي أخذ العهد من قومه أن يؤمنوا بخاتم النبيين إن أدركوا زمنه. وقيل: معطوف على الهاء في: ﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ﴾.

﴿أَغْرَقْنَاهُمْ﴾ بالطوفان؛ أي: أهلكناهم بمائه، والإغراق السفول في الماء كما سيأتي. وهو استئناف مبين لكيفية تدميرهم ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾؛ أي: وجعلنا إغراقهم، أو قصتهم ﴿لِلنَّاسِ آيَةً﴾ عظيمة يعتبر بها كل من شاهدها أو سمعها، وهو مفعول ثان لـ﴿جعلنا﴾ و﴿لِلنَّاسِ﴾ ظرف لغو له؛ أي: جعلنا قصتهم عبرة لكل الناس على العموم، يتعظ بها كل مشاهد لها وسامع لخبرها ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾؛ أي: أعددنا وهيأنا في الآخرة ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾؛ أي: لهم؛ أي: للمغرقين من قوم نوح، والإظهار في موضع الإضمار للتسجيل بظلمهم، والايذان بتجاوزهم الحد في الكفر والتكذيب. فالمراد بالظالمين قوم نوح على الخصوص، ويجوز أن يكون المراد بهم كل من سلك مسلكهم في التكذيب: ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾؛ أي: وجيعاً سوى ما حل بهم من عذاب الدنيا.

وحاصل معنى الآية: أي[1] وكذلك فعلنا بقوم نوح حين كذبوا رسولنا نوحاً عليه السلام، وقد لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، يدعوهم إلى الله، ويحذرهم نقمته ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ فأغرقناهم، ولم نترك منهم أحداً إلا

---

(١) المراغي.

أصحاب السفينة، وجعلناهم عبرة للناس، كما قال: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ۝١١ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ۝١٢﴾؛ أي: أبقينا لكم السفينة؛ لتذكروا نعمة الله عليكم بإنجائكم من الغرق، وجعلكم من ذرية من آمن به وصدق بأمره.

وفي قوله: ﴿كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ﴾ وهم لم يكذّبوا إلا رسولاً واحداً؛ وهو نوح إيماء إلى أن من كذب رسولاً واحداً.. فقد كذب جميع الرسل؛ إذ لا فرق بين رسول وآخر؛ إذ جميعهم يدعون إلى توحيد الله ونبذ الأصنام والأوثان، قاله الزجاج.

ثم ذكر مآل المكذبين، فقال: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾؛ أي: وأعددنا لكل من كفر بالله، ولم يؤمن برسله عذاباً أليماً في الآخرة. وفي ذلك رمز إلى أن قريشاً سيحل بهم من العذاب في الدنيا والآخرة مثل ما حل بأولئك المكذبين إذا لم يرعووا عن غيهم.

قصص عاد وثمود وأصحاب الرس وغيرهم

وانتصاب ﴿وَعَادًا﴾ بالعطف على ﴿قومَ﴾. وقيل: على محل ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾. وقيل: على المفعول الأول لـ﴿جعلنا﴾؛ أي: وأهلكنا عاداً قوم هود ﴿وَثَمُودَا۟﴾ قوم صالح. قرأ حمزة وحفص وعبد الله وعمرو بن ميمون والحسن وعيسى ﴿وَثَمُودَا۟﴾ غير مصروف على تأويل القبيلة، وقرأ غيرهم ﴿وثموداً﴾ بالصرف على تأويل الحي ﴿و﴾ أهلكنا ﴿أصحاب الرس﴾ الرس في كلام العرب: البئر التي تكون غير مطوية. وأصحاب الرس هم قوم يعبدون الأصنام، فبعث الله إليهم شعيباً عليه السلام فكذبوه، فبينما هم حول الرس؛ أي: بئرهم الغير المبنية التي يشربون منها ويسقون مواشيهم انهارت، فخسف بهم وبديارهم. قاله الكلبي ووهب. وقيل: الرس: قرية بفلج اليمامة، كان فيها بقايا ثمود، فبعث إليهم نبي، فقتلوه، فأهلكوا. وقيل: هم أصحاب حنظلة بن صفوان عليه السلام، ابتلاهم بطير عظيم، فيها من كل لون تسمى بالعنقاء لطول عنقها فتخطف صبيانهم وعُرَسَهُمْ - أي طعامهم -، فدعا عليها حنظلة، فأصابتها الصاعقة، فكفوا شرها،

ثم إنهم قتلوا حنظلة عليه السلام، فأهلكوا. وقيل: إن الرس بئر في أنطاكية الشام، كذبوا حبيباً النجار؛ وهو صاحب يس الذي قال: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾، وقتلوه، فدسوه في تلك البئر، فأهلكوا.

وروى عكرمة ومحمد بن كعب القرظي عن النبي ﷺ: أن أهل الرس أخذوا نبيهم، فرسوه في بئر، وأطبقوا عليه صخرة، فكان عبد أسود قد آمن به يجيء بطعام إلى تلك البئر، فيعينه الله تعالى على تلك الصخرة فيقلعها، فيعطيه ما يغذيه به، ثم يرد الصخرة، إلى أن ضرب الله يوماً على أذن ذلك الأسود بالنوم أربع عشرة سنة، وأخرج أهل القرية نبيهم، فآمنوا؛ به في حديث طويل. قال الطبري: فيمكن[1] أنهم كفروا بعد ذلك، فذكرهم في هذه الآية، وكثر الاختلاف في أصحاب الرس، فلو صح ما نقله عكرمة ومحمد بن كعب كان هو القول الذي لا يمكن خلافه.

وملخص هذه الأقوال: أنهم قوم أهلكهم الله تعالى بتكذيب من أرسل إليهم، والله سبحانه أعلم بمن هم.

﴿وَقُرُونَۢا﴾؛ أي: وأهلكنا أيضاً أهل قرون وأزمنة. جمع قرن؛ وهم القوم المقترنون في زمن واحد. قيل: القرن: مئة سنة. وقيل: مئة وعشرون سنة. وقيل: القرن أربعون سنة. وفي «القاموس»: الأصح أنه مئة سنة؛ لقوله ﷺ لرجل: «عش قرناً، فعاش مئة سنة» ﴿بَيۡنَ ذَٰلِكَ﴾ المذكور من الطوائف والأمم من قوم نوح وما بعده ﴿كَثِيرٗا﴾ صفة لـ﴿قرونا﴾. والإفراد باعتبار الجمع، أو العدد كقوله: ﴿وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا﴾، أو لأن فعيلاً يستوي فيه المفرد والجمع؛ أي: وأهلكنا أقواماً كثيراً بين هؤلاء الأمم المذكورة لا يعلمهم إلا الله سبحانه وتعالى.

والمعنى: أي[2] ودمرنا عاداً قوم هود عليه السلام بالريح الصرصر العاتية، وثمود قوم صالح بالصيحة، وأهلكنا أصحاب الرس الذين كانوا باليمامة أو

---

(١) الطبري.
(٢) المراغي.

بغيرها ـ على الخلاف السابق ـ وقتلوا نبيهم ـ واختار ابن جرير أنهم أصحاب الأخدود الذين ذكروا في سورة البروج، وسيأتي ذكر قصصهم ـ وأهلكنا أمماً كثيرة بين أولئك المذكورين.

ثم ذكر أنه أنذر أولئك المكذبين، وحذرهم قبل أن يوقع بهم، فقال: ﴿وَكُلًّا﴾: منصوب بمضمرٍ يفسره ما بعده؛ أي: ذكرنا وأنذرنا وخوفنا كل واحد من الأمم المذكورين المهلكين ﴿ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾؛ أي: بينا له الأشباه والقصص العجيبة الغريبة التي تشبه الأمثال في الغرابة، الزاجرة عما هم عليه من الكفر والمعاصي بواسطة الرسل ﴿وَكُلًّا﴾؛ أي: وكل واحد منهم بعد التكذيب والإصرار ﴿تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾؛ أي: أهلكنا إهلاكاً عجيباً هائلاً. والتتبير[1]: الإهلاك بالعذاب، قال الزجاج: كل شيء كسرته وفتته فقد تبرته. قال المؤرخ والأخفش: معنى: ﴿تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ دمرنا تدميراً، أبدلت التاء والباء من الدال والميم.

ثم ذكر مشركي مكة بما يرونه من العبر في حلهم وترحالهم، وما يشاهدونه مما حل بأولئك الأمم المكذبة من المثلات، فقال: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا﴾؛ أي: وعزتي وجلالي لقد أتى قوم قريش في متاجرهم إلى الشام ومروا ﴿عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ﴾ وهي[2] قرية سدوم ـ بالدال المهملة، وقيل: بالذال المعجمة ـ وهي عظمى قرى قوم لوط، أمطرت عليها الحجارة، وأهلكت، فإن أهلها كانوا يعملون العمل الخبيث. واعلم أن قرى قوم لوط خمس، ما نجا منها إلا واحدة؛ وهي أصغرها؛ لأن أهلها كانوا لا يعملون العمل الخبيث، وسدوم من التي أهلكت. وتخصيصها هنا؛ لكونها في ممر تجار قريش، وكانوا في مرورهم بها يرونها مؤتفكة ولا يعتبرون. وانتصاب[3] ﴿مطر﴾ على أنه مصدر مؤكد بحذف الزوائد، كما قيل في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧﴾؛ أي:

---

(١) الشوكاني.

(٢) روح البيان.

(٣) روح البيان.

أمطرت إمطار السوء والشر والضرر، و﴿مطر﴾ مجهولاً في الخير، و﴿أُمطر﴾ في الشر. وقيل: هما لغتان. و﴿ٱلسَّوْءِ﴾ ـ بفتح السين وضمها ـ: كل ما يسوء الإنسان، ويغمه من البلاء والآفة. وقرأ زيد بن علي: ﴿مطرت﴾ ثلاثياً مبنياً للمفعول، و﴿مطر﴾ متعد. وقرأ أبو السماك ﴿مطر السوء﴾ بضم السين، ذكره في «البحر».

والمعنى: والله لقد مر هؤلاء المكذبون في رحلة الصيف على سدوم عظمى قرى قوم لوط، وقد أهلكها الله سبحانه بأن أمطر عليها حجارة من سجيل، لأن قومها كانوا يعملون الخبائث، وحذرهم لوط، فما أغنت عنهم الآيات والنذر، ثم وبخهم على تركهم التذكر حين مشاهدة ما يوجبه، فقال: ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا﴾؛ أي: أفلم يكونوا يرون آثارها وآثار ما حل بأهلها؟ والاستفهام فيه: للتقرير، وهو حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه؛ وهو ما بعد النفي؛ أي: ليقروا بأنهم رأوها حتى يعتبروا بها. اهـ. وفي «أبي السعود»[1]: والفاء لعطف مدخولها على مقدر يقتضيه المقام؛ أي: ألم يكونوا ينظرون إليها، فلم يكونوا يرونها، أو أكانوا ينظرون إليها، فلم يكونوا يرونها في مرات مرورهم؛ ليتعظوا بما كانوا يشاهدونه من آثار العذاب، فالمنكر في التقدير الأول: ترك النظر وعدم الرؤية معاً، والمنكر في التقدير الثاني: عدم الرؤية مع تحقق النظر الموجب لها» اهـ.

والمعنى: ألم يكونوا ينظرون إليها، فلم يكونوا يرون ما نزل بتلك القرية من عذاب الله تعالى بتكذيب أهلها رسول ربهم، فيعتبروا ويتذكروا ويراجعوا التوبة من كفرهم وتكذيبهم لرسوله؟ ثم أبان سبحانه أن عدم التذكر لم يكن سببه عدم الرؤية، بل منشؤه إنكار البعث والنشور، فقال: ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾؛ أي: بعثاً. وهذا إما إضراب عما قبله من عدم رؤيتهم لآثار ما جرى على أهل القرى من العقوبة، وإما انتقال من التوبيخ بما ذكر من ترك التذكر إلى

---

(١) أبو السعود. (٢) بيضاوي.

التوبيخ بما هو أعظم منه من عدم توقع النشور» اهـ «أبو السعود»؛ أي[1]: بل كانوا كفرة لا يتوقعون نشوراً ولا عاقبة، فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا فمروا كما مرت ركابهم، أو لا يؤملون نشوراً كما يأمله المؤمنون طمعاً في الثواب، أو لا يخافونه على اللغة التهامية «اهـ «بيضاوي». فالرجاء هنا؛ إما بمعنى التوقع، أو الأمل، أو الخوف.

والمعنى: أي أنهم ما كذبوا محمداً ﷺ فيما جاءهم به من عند الله تعالى؛ لأنهم لم يكونوا رأوا ما حل بالقرية التي وصفت، بل كذبوه من قبل أنهم قوم لا يخافون نشوراً بعد الممات، ولا يوقنون بعقاب، ولا ثواب، فيردعهم ذلك عما يأتون من معاصي الله تعالى؛ أي[2]: فإنهم ينكرون النشور المستتبع للجزاء الأخروي، ولا يرون لنفس من النفوس نشوراً وبعثاً أصلاً مع تحققه حتماً، وشموله للناس عموماً، واطراده وقوعاً، فكيف يعترفون بالجزاء الدنيوي في حق طائفة خاصة مع عدم الاطراد والملازمة بينه وبين المعاصي حتى يتذكروا ويتعظوا بما شاهدوه من آثار الهلاك، وإنما يحملونه على الاتفاقات.

واعلم: أن النشور لا ينكره إلا الكفور، وقد جعل الله في الدنيا شاهداً له، ومشيراً لوقوعه، وفي الخبر: «إذا رأيتم الربيع فاذكروا النشور». والربيع مثل يوم النشور؛ لأن الربيع وقت إلقاء البذر، ويكون الزارع قلبه معلقاً إلى ذلك الوقت أيخرج أم لا؟ فكذلك المؤمن يجتهد في طاعته وقلبه يكون معلقاً بين الخوف والرجاء إلى يوم القيامة، أيقبل الله تعالى منه أم لا؟ ثم إذا خرج الزرع وأدرك يحصد ويداسى ويذرى، ثم يطحن ويخبز، وإذا خرج من التنور بلا احتراق يصلح للخوان، ولو احترق ضاع عمله وبطل سعيه، وكذلك العبد يصلي ويصوم ويزكي ويحج، فإذا جاء ملك الموت، وحصد روحه بمنجل الموت، وجعلوه في القبر يكون فيه إلى يوم القيامة، وإذا جاء يوم القيامة وخرج من قبره، ووقع الحشر والنشور أمر به إلى الصراط، فإذا جاوز الصراط سالماً فقد صلح للرؤية، وإلا

---

(١) روح البيان.

فقد هلك، فعلى العاقل أن يتفكر في النشور، ويتذكر عاقبة الأمور.

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ﴾؛ أي: وإذا أبصرك يا محمد هؤلاء المشركون الذين قصصت عليك قصصهم يعني: قريشاً كأبي جهل وأصحابه ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ﴾ ﴿إِنْ﴾: نافية؛ أي: ما يتخذونك ﴿إِلَّا هُزُوًا﴾؛ أي: إلا موضع هزءٍ وسخرية؛ أي: إلا مهزوءاً بك؛ أي: يستهزئون بك قائلين بطريق الاستحقار والتهكم: ﴿أَهَٰذَا﴾ الإنسان هو ﴿الذي بعثـ﴾ـه ﴿اللَّهُ﴾ إلينا حالة كونه ﴿رَسُولًا﴾ ليثبت الحجة علينا يعني[1]: أنهم لم يقتصروا على ترك الإيمان، وإيراد الشبهات الباطلة، بل زادوا عليه الاستخفاف والاستهزاء إذا رأوه؛ وهو قول أبي جهل لأبي سفيان، وهذا نبي بني عبد مناف. والاستفهام فيه للتعجب المضمن للإنكار والتهكم.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن أهل الحس لا يرون النبوة والرسالة بالحسّ الظاهر؛ لأنها تدرك بنظر البصيرة المؤيدة بنور الله عز وجل، وهم عميان بهذا البصر، فلما سمعوا منه ما لم يهتدوا به من كلام النبوة والرسالة ما اتخذوه إلا هزواً، وقالوا مستهزئين: أهذا الذي بعث الله رسولاً وهو بشر مثلنا محتاج إلى الطعام والشراب.

﴿إِن كَادَ﴾ ﴿إِنْ﴾ مخففة من الثقيلة، وضمير الشأن محذوف؛ أي: إنه كاد، واللام في ﴿لَيُضِلُّنَا﴾ هي الفارقة بين النافية والمخففة؛ أي: إنه كاد محمد وقارب أن يضلنا ويصرفنا ﴿عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾؛ أي: عن عبادتها صرفاً كلياً بحيث يبعدنا عنها؛ أي ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهاده، والدعاء إلى التوحيد، وكثرة ما يورده مما يسبق إلى الذهن أنه حجج ومعجزات ﴿لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا﴾ وثبتنا ﴿عَلَيْهَا﴾؛ أي: على آلهتنا، واستمسكنا بعبادتها، وحبسنا أنفسنا عليها، وجواب ﴿لولا﴾ معلوم مما قبله؛ أي: لولا صبرنا على عبادتها وثباتنا على ديننا كاد ليضلنا عن آلهتنا.

---

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

وفي هذا:[1] إيماء إلى وجوه من الفائدة:

١. أنه ﷺ قد بلغ من الاحتفال في الدعوة إلى التوحيد وإظهار المعجزات، وإقامة الحجج والبينات مبلغاً شارفوا به أن يتركوا دينهم لولا فرط عنادهم وتناهي عتوهم ولجاجهم.

٢. الدلالة على تناقضهم واضطرابهم، فإن في استفهامهم السابق ما يدل على التحقير له، وفي آخر كلامهم ما يدل على قوة حجته ورجاحة عقله، فذكره تحميق لهم، وتجهيل لاستهزائهم بما استعظموه.

وبعد أن حكى مقالتهم سفّه آراءهم من وجوه ثلاثة:

١. ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ البتة وإن تراخى ﴿حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ الذي يستوجبه كفرهم، ومن العذاب عذاب بدر أيضاً؛ أي: سوف يعلمون حين يرون العذاب في الآخرة عياناً ﴿مَنْ﴾ هو ﴿أَضَلُّ سَبِيلًا﴾؛ أي: من هو أبعد طريقاً عن الحق والهدى، أهم أم المؤمنون؟ نسبوه ﷺ إلى الضلال في ضمن الإضلال، فإن أحداً لا يضل غيره إلا إذا كان ضالاً في نفسه، واعلم أنه لا يهملهم وإن أمهلهم. ووصف السبيل بالضلال مجازاً. والمراد سالكوها، و﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ جملة استفهامية معلقة لـ﴿يَعْلَمُونَ﴾، فهي سادة مسد مفعوليه.

أي[2]: إنهم حين يشاهدون العذاب الذي استوجبوه بكفرهم وعنادهم يعلمون من الضال ومن المضل؛ وفي هذا رد لقولهم: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ كما أن فيه وعيداً شديداً على التعامي والإعراض عن الاستدلال والنظر. ثم بين لهم سبحانه أنه لا تمسك لهم فيما ذهبوا إليه سوى التقليد واتباع الهوى، فقال معجباً لرسوله ﷺ:

٢. ﴿أَرَءَيْتَ﴾ يا محمد، أو أيها المخاطب. كلمة ﴿أَرَءَيْتَ﴾ تستعمل تارة للإعلام، وتارة للسؤال، وههنا للتعجب من جهل من هذا وصفه ﴿مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ

(١) المراغي.

﴿هَوَنهُ﴾ ﴿إِلَـٰهَهُۥ﴾ مفعول ثان قدم على الأول للاعتناء به؛ لأنه الذي يدور عليه أمر التعجب. والهوى مصدر هويه إذا أحبه واشتهاه، ثم سمي به المهوي المشتهى، محموداً كان أو مذموماً، ثم غلب على غير المحمود، فقيل: فلان اتبع هواه إذا أريد ذمه، فالهوى ما يميل إليه الطبع وتهواه النفس بمجرد الاشتهاء من غير سند منقول، ودليل معقول.

والمعنى(١): أرأيت يا محمد من جعل هواه إلهاً لنفسه بأن أطاعه، وبنى عليه أمر دينه معرضاً عن استماع الحجة والبرهان بالكلية، كأنه قيل: ألا تعجب ممن جعل هواه بمنزلة الإله في التزام طاعته وعدم مخالفته، فانظر إليه وتعجب منه. وهذا الاستفهام للتقرير والتعجيب. قال أبو سليمان ـ رحمه الله تعالى ـ: من أتبع نفسه هواها فقد سعى في قتلها؛ لأن حياتها بالذكر، وموتها وقتلها بالغفلة، فإذا غفل اتبع الشهوات، وإذا اتبع الشهوات صار في حكم الأموات.

﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾؛ أي: حفيظاً تمنعه عن الشرك والمعاصي، وحاله هذا؛ أي: الاتخاذ. والهمزة فيه للاستفهام الإنكاري، داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير؛ أتطمع في هدايته، فتكون عليه وكيلاً؛ أي: لست موكلاً على حفظه، بل أنت منذر، وليس هذا نهياً عن دعائه إياهم، بل الإعلام بأنه قد قضى ما عليه من الإنذار والإعذار. وقال بعض المفسرين: هذه الآية منسوخة بآية السيف.

والمعنى: أي انظر في حال هذا الذي جعل هواه إلهه بأن أطاعه وبنى عليه أمر دينه، وأعرض عن استماع الحجة الباهرة والبرهان الجلي الواضح، واعْجب ولا تأبه به، فإنك لن تكون حفيظاً على مثل هذا، تزجره عما هو عليه من الضلال، وترشده إلى الصراط السوي.

وخلاصة ذلك: كأنه سبحانه يقول لرسوله: إن هذا الذي لا يرى معبوداً له

---

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

إلا هواه لا تستطيع أن تدعوه إلى الهدى، وتمنعه من متابعة الهوى، إن عليك إلا البلاغ. ونحو الآية قوله: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢﴾، وقوله: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾، وقوله: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾. وفي هذا الأسلوب[1] تعجيب لرسوله من سوء أحوالهم بعد أن حكى قبيح أقوالهم وأفعالهم، وتنبيه له إلى سوء عاقبتهم، قال ابن عباس رضي الله عنه: كان الرجل في الجاهلية يعبد الحجر الأبيض زماناً، فإذا رأى غيره أحسن منه عبد الثاني وترك الأول، فأنزل الله الآية.

٣. ﴿أَمْ تَحْسَبُ﴾ ﴿أَمْ﴾: منقطعة تقدر بمعنى بل الإضرابية، وهمزة الاستفهام الإنكاري؛ أي: بل أتظن يا محمد ﴿أَنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾؛ أي: أن أكثر هؤلاء المشركين ﴿يَسْمَعُونَ﴾ ما يتلى عليهم من الآيات حق سماع؛ أي: سماع تفهم وتدبر واعتبار واتعاظ ﴿أَوْ﴾ أنهم ﴿يَعْقِلُونَ﴾ ما في تضاعيفها من المواعظ الزاجرة عن القبائح الداعية إلى المحاسن، فتهتم بشأنهم، وتطمع في إيمانهم، لا تحسبنّ ذلك. وتخصيص[2] الأكثر؛ لأنه كان منهم من آمن ومنهم من عقل الحق وكابر استكباراً وخوفاً على الرسالة.

قال ابن عطاء ـ رحمه الله ـ: لا تظن أنك تسمع نداءك، إنما تسمعهم إن سمعوا نداء الأزل، وإلا فإن نداءك لهم ودعوتك لا تغني عنهم شيئاً، وإجابتهم دعوتك هو بركة جواب نداء الأزل ودعوته، فمن غفل وأعرض فإنما هو لبعده عن محل الجواب في الأزل ﴿إِنْ هُمْ﴾؛ أي: ما هم في عدم انتفاعهم بما يقرع آذانهم من قوارع الآيات، وانتفاء التدبر فيما يشاهدونه من الدلائل والمعجزات ﴿إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾؛ أي: إلا كالبهائم التي هي مثل في الغفلة، وعلم في الضلالة.

وفي «التأويلات النجمية»: ليس لهم نهمة إلا في الأكل والشرب واستجلاب حظوظ النفس كالبهائم التي نهمتها الأكل والشرب ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ وأجهل وأخطأ ﴿سَبِيلًا﴾؛ أي: طريقاً موصلاً إلى مصالحهم من الأنعام؛ لأنها تنقاد لمن يقودها، وتميز من يحسن إليها، وتطلب ما ينفعها، وتجتنب ما يضرها،

---

(١) روح البيان.

وهؤلاء لا ينقادون لربهم، ولا يعرفون إحسانه من إساءة الشيطان، ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع، ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار، ولأنها لم تعتقد حقاً، ولا تكتسب خيراً ولا شراً بخلاف هؤلاء، ولأن جهالتها لا تضر بأحد، وجهالة هؤلاء تؤدي إلى هيج الفتن وصد الناس عن الحق، ولأنها غير متمكنة من طلب الكمال، فلا تقصير منها ولا ذم، وهؤلاء مقصرون مستحقون أعظم العقاب على تقصيرهم.

وقيل: إنما كانوا أضل من الأنعام؛ لأنه لا حساب عليها، ولا عقاب لها.
وقيل: إنما كانوا أضل؛ لأن البهائم إذا لم تعقل صحة التوحيد والنبوة لم تعتقد بطلان ذلك بخلاف هؤلاء، فإنهم اعتقدوا البطلان عناداً ومكابرة وتعصباً وغمطاً للحق.

واعلم: أن[1] الله تعالى خلق الملائكة وعلى العقل جبلهم، وخلق البهائم وركب فيها الشهوة، وخلق الإنسان، وركب فيه الأمرين؛ أي: العقل والشهوة، فمن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم، ولذا قال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾؛ لأن الإنسان بقدمي العقل المغلوب والهوى الغالب ينقل إلى أسفل دركة لا تبلغ البهائم إليها بقدم الشهوة فقط، ومن غلب عقله هواه؛ أي: شهوته، فهو بمنزلة الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، ومن كان غالباً على أمره فهو خير من الملائكة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾﴾، فعلى العاقل الاحتراز عن الأفعال الحيوانية، فإنها سبب لزوال الجاه الصوري والمعنوي، فمدار الخلاص هو ترك الراحة، والعمل بسبب مخالفة النفس والطبيعة.

وحاصل معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾؛ أي[2]: بل أتظن يا محمد أن أكثرهم

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

يسمعون حق السماع ما تتلو عليهم من الآيات، أو يعقلون ما تتضمنه من المواعظ الداعية إلى الفضائل ومحاسن الأخلاق، حتى تجتهد في دعوتهم، وتحتفل بإرشادهم وتذكيرهم، وتطمع في إيمانهم، فما حالهم إلا حال البهائم في تركهم للتدبر فيما يشاهدون من البينات والحجج، بل هم أضل منها سبيلاً؛ إذ هي قد تنقاد لصاحبها الذي يتعهدها، وتعرف من يحسن إليها ومن يسيء، وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها، وتهتدي لمراعيها ومشاربها، وتأوي إلى معاطنها ومرابضها، لكن هؤلاء لا ينقادون لخالقهم ورازقهم، ولا يعرفون إحسانه إليهم وإساءة الشيطان لهم، وهو الذي قد زين لهم اتباع الشهوات إلا أنهم لا يرجون ثواباً ولا يخافون عقاباً، إلا أن جهالة الأنعام مقصورة عليها، وجهالة هؤلاء تؤدي إلى وقوع الفتنة والفساد، وصد الناس عن سنن السداد، ووقوع الهرج والمرج بين العباد، إلا أن البهائم إذ لم تعقل صحة التوحيد والنبوة لم تعتقد بطلان ذلك، بخلاف هؤلاء فإنهم اعتقدوا البطلان عناداً ومكابرة وتعصباً وغمطاً للحق، إلا أنها لم تعطل قوة من القوى المودعة فيها، فلا تقصير من قبلها عن الكمال، أما هؤلاء فهم مبطلون لقواهم العقلية، مضيعون للفطرة التي فطر الله الناس عليها، وقد قالوا: الملائكة روح وعقل، والبهائم نفس وهوى، والبشر مجمع الكل للابتلاء والاختبار، فإن غلبته النفس والهوى فضلته البهائم، وإن غلبته الروح والعقل فضل الملائكة الكرام.

ولما فرغ سبحانه من ذكر جهالة الجاهلين وضلالتهم.. أتبعه بذكر طرف من دلائل التوحيد، مع ما فيها من عظيم الإنعام، وحاصل ما ذكره منها خمسة: الأول منها: مد الظل، والثاني: جعل الليل لباساً، والثالث: إرسال الرياح، **والرابع**: مرج البحرين، **والخامس**: خلق البشر من الماء.

فأولها: الاستدلال بأحوال الظل، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ الخطاب[1] لرسول الله ﷺ، ولكن المراد منه العموم؛ لأن المقصود بيان إنعام الله تعالى

(١) روح البيان.

بالظل، وجميع المكلفين مشتركون في تنبيههم على هذه النعمة اهـ «مراح».
والهمزة للتقرير. والرؤية؛ إما رؤية العين، والمعنى عليه: ألم تنظر إلى بديع صنعه تعالى، فإن المنظور يجب أن يكون مما يصح أن يتعلق به رؤية العين ﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام، سأل بها عن الحال، منصوبة على الحال بقوله: ﴿مَدَّ الظِّلَّ﴾؛ أي: بسط الظل؛ أي: ألم تبصر إلى صنع ربك، أو لم تبصر إلى الظل كيف مده ربك، وإما قلبية بمعنى العلم، فإن الظل متغير، وكل متغير حادث، ولكل حادث موجد، قال الزجاج: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تعلم، وهذا من رؤية القلب، قال: وهذا الكلام على القلب، والتقدير: ألم تر إلى الظل كيف مده ربك يعني: الظل من الفجر إلى طلوع الشمس، وهو ظل لا شمس معه.

وعبارة أبي السعود: ﴿كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾؛ أي[1]: كيف أنشأ ظلاً لأي مظل كان من جبل، أو بناء، أو شجر، عند ابتداء طلوع الشمس ممتداً، لا أنه تعالى مده بعد أن لم يكن كذلك كما بعد نصف النهار إلى غروبها، فإن ذلك مع خلوه عن التصريح بكون نفسه بإنشائه تعالى وإحداثه يأباه سياق النظم الكريم، وأما ما قيل من أن المراد بالظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس، وأنه أطيب الأوقات فغير سديد؛ إذ لا ريب في أن المراد تنبيه الناس على عظيم قدرة الله عز وجل وبالغ حكمته فيما يشاهدونه، فلا بد أن يراد بالظل ما يتعارفونه من حالة مخصوصة يشاهدونها في موضع يحول بينه وبين الشمس جسم كثيف، مخالفة لما في جوانبه من مواقع ضَحِّ الشمس، وما ذكر وإن كان في الحقيقة ظلاً للأفق الشرقي لكنهم لا يعدونه ظلاً، ولا يصفونه بأوصافه المعهودة» اهـ باختصار.

والمراد[2]: أن الشمس تنسخ الظل وتزيله شيئاً فشيئاً إلى الزوال، ثم ينسخ الظل ضوء الشمس، ويزيله من وقت الزوال إلى الغروب، فالظل الآخذ في التزايد الناسخ لضوء الشمس يسمى فيئاً؛ لأنه فاء من جانب المشرق إلى جانب المغرب، فهو من الزوال إلى الغروب، والظل من الطلوع إلى الزوال.

---

(١) أبو السعود.

(٢) روح البيان.

والمعنى: انظر أيها الرسول إلى صنع ربك كيف أنشأ الظل، وكذا الفيء من طلوع الشمس إلى غروبها، فاستخدمه الإنسان للوقاية من لفح الشمس وشديد حرارتها ﴿وَلَوْ شَآءَ﴾ ربك سكون ذلك الظل وثباته على حالة واحدة ﴿لَجَعَلَهُۥ﴾؛ أي: لجعل ذلك الظل ﴿سَاكِنًا﴾؛ أي: ثابتاً على حالة واحدة، لا يتغير بالنقصان والزيادة، لكنه[1] جعله متغيراً في ساعات النهار المختلفة، وفي الفصول المتعاقبة، ومن ثم اتخذ مقياساً للزمن منذ القِدم، فاتخذ المصريون المسلات، وقاسوا بها أوقات النهار على أوضاع مختلفة، وطرق حكيمة منوعة، واتخذ العرب المزاول لمعرفة أوقات الصلاة، فقالوا: يجب الظهر عند الزوال؛ أي: إذا تحول الظل إلى جانب المشرق، والعصر حين بلوغ ظل كل شيء مثله عند الأئمة عدا أبا حنيفة، فإنه قال: لا يجب إلا إذا بلغ ظل كل شيء مثليه.

والمعنى[2]: ولو شاء الله سبحانه سكونه ودوامه لجعله ساكناً ثابتاً دائماً مستقراً، لا تنسخه الشمس. وقيل: المعنى: لو شاء لمنع الشمس من الطلوع. والأول أولى، والتعبير بالسكون عن الإقامة والاستقرار سائغ، ومنه قولهم: سكن فلان بلد كذا إذا أقام به واستقر فيه. وهذه الجملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه، اعترض بها للتنبيه من أول الأمر على أنه لا مدخل فيما ذكر من المد للأسباب العادية، وإنما المؤثر فيه المشيئة والقدرة.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ معطوف على قوله: ﴿مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾، داخل في حكمه ولم يقل: دالة؛ لأن المراد ضوء الشمس؛ أي: ثم جعلنا طلوع الشمس دليلاً على ظهور الظل، ومشاهدته للحسّ والعيان، والأشياء تستبين بأضدادها، فلولا الشمس لما عرف الظل، ولولا الظلمة ما عرف النور.

والمعنى[3]: جعلناها علامة يستدل بأحوالها المتغيرة على أحواله من غير أن يكون بينهما سببية وتأثير قطعاً حسبما نطقت به الشرطية المعترضة، وذلك لأن

---

(١) المراغي.

(٢) الشوكاني.

(٣) روح البيان.

الظل يتبعها كما يتبع الدليل في الطريق من جهة أنه يزيد بها وينقص، ويمتد ويتقلص. والالتفات إلى نون العظمة؛ لما في جعل المذكور العاري عن التأثير مع ما يشاهد بين الشمس والظل من الدوران المطرد المنبىء عن السببية من مزيد دلالة على عظم القدرة ودقة الحكمة، وهو السر في إيراد كلمة التراخي ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ﴾ معطوف أيضاً على ﴿مَدَّ﴾، داخل في حكمه. و﴿ثُمَّ﴾ للتراخي الزماني؛ أي: ثم أزلنا ذلك الظل الممدود بعدما أنشأناه ممتداً، ومحوناه بمحض قدرتنا ومشيئتنا عند إيقاع شعاع الشمس موقعه، من غير أن يكون له تأثير في ذلك أصلاً، وإنما عبر عنه بالقبض المنبىء عن جمع المنبسط وطيه؛ لما أنه قد عبر عن إحداثه بالمد الذي هو البسط طولاً، وقوله: ﴿إِلَيْنَا﴾ تنصيص على كون مرجعه إلى الله تعالى، كما أن حدوثه عنه عز وجل. وقيل: معنى ﴿إِلَيْنَا﴾: علينا؛ أي: ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾ سهلاً علينا؛ أي: محواً يسيراً؛ أي: على مهل وتدريج قليلاً قليلاً بحسب ارتفاع دليله؛ أي: الشمس يعني أنه كلما ازداد ارتفاع الشمس ازداد نقصان الظل في جانب المغرب، فلو قبضه الله تعالى دفعة.. لتعطلت منافع الظل والشمس، فقبضه يسيراً يسيراً لتبقى منافعهما والمصالح المتعلقة بهما.

والمعنى[1]: أي ثم أزلناه بضوء الشمس يسيراً يسيراً، ومحوناه على مهل جزءاً جزءاً بحسب سير الشمس.

وثاني الأدلة: ما ذكره بقوله: ﴿وَهُوَ﴾؛ أي: الله تعالى وحده ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ﴾ أيها العباد، ﴿الَّيْلَ لِبَاسًا﴾؛ أي: كاللباس يستركم بظلامه كما يستر اللباس لابسه، فشبه ظلامه باللباس في الستر، قال ابن جرير: وصف الليل باللباس تشبيهاً له من حيث إنه يستر الأشياء ويغشاها. واللام متعلق بـ﴿جَعَلَ﴾.

فإن قلت[2]: إذا كانت ظلمة الليل لباساً فلا حاجة إلى ستر العورة في صلاة الليل؟

---

(١) المراغي. (٢) روح البيان.

قلتُ: لا اعتبار لستر الظلمة فإن ستر العورة باللباس ونحوه لحق الصلاة، وهو باق في الظلمة والضوء ﴿و﴾ جعل لكم ﴿النوم سباتا﴾؛ أي: راحة لأبدانكم، وقطعاً لأعمالكم، والنوم: استرخاء أعصاب الدماغ برطوبات البخار الصاعد، والسبت: قطع العمل، ويوم سبتهم: يوم قطعهم للعمل، وسمي يوم السبت لذلك، أو لانقطاع الأيام عنده؛ لأن الله تعالى ابتدأ بخلق السموات والأرض يوم الأحد، فخلقها في ستة أيام، فقطع عمله يوم السبت، كما في «المفردات».

والمعنى[1]: وجعل النوم الذي يقع في الليل غالباً راحة للأبدان بقطع المشاغل والأعمال المختصة بحال اليقظة، أو المعنى: جعل النوم موتاً، فعبر عن القطع بالسبات الذي هو الموت؛ لما بينهما من المشابهة التامة في انقطاع الحياة، وعليه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ﴾ فالموت والنوم من جنس واحد، خلا أن الموت هو الانقطاع الكلي؛ أي: انقطاع ضوء الروح عن ظاهر البدن وباطنه، والنوم هو الانقطاع الناقص؛ أي: انقطاع ضوء الروح عن ظاهره دون باطنه، والمسبوت: الميت لانقطاع الحياة عنه، والمريض: المغشي عليه لزوال عقله وتمييزه، وعليه قولهم: مثل المبطون والمفلوج والمسبوت ينبغي أن لا يبادر إلى دفنه حتى يمضي يوم وليلة ليتحقق موتهم.

﴿وَجَعَلَ﴾ لكم ﴿ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾ والنهار: الوقت الذي ينتشر فيه الضوء، وهو في الشرع ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وفي الأصل ما بين طلوع الشمس إلى غروبها. والنشور؛ إما من الانتشار؛ أي: وجعل النهار ذا نشور؛ أي: انتشار، ينتشر فيه الناس لطلب المعاش وابتغاء الرزق، كما قال: ﴿لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ أو من نشر الميت إذا عاد حيا؛ أي: وجعل النهار زمان بعث من ذلك السبات، والنوم كبعث الموتى، فهو على حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه. وفيه إشارة إلى أن النوم واليقظة أنموذج للموت والنشور،

---

(١) روح البيان.

وعن لقمان الحكيم أنه قال لابنه: يا بني كما تنام فتوقظ، كذلك تموت فتنشر. وفي الآية رخصة للنوم بقدر دفع الضرورة، وهو فتور البدن. قال بعضهم: النوم راحة للبدن، والمجاهدات اتعاب البدن، فيتضادان.

فائدة: والحكمة في النوم أن الروح القدسي، أو اللطيفة الربانية، أو النفس الناطقة غريبة جداً في هذا الجسم السفلي، مشغولة بإصلاحه وجلب منافعه، ودفع مضارّه، محبوسة فيه ما دام المرء يقظان، فإذا نام ذهب إلى مكانه الأصلي ومعدنه الذاتي، فيستريح بواسطة لقاء الأرواح ومعرفة المعاني والغيوب مما يتلقى في حين ذهابه إلى عالم الملكوت من المعاني التي يراها بالأمثلة في عالم الشهادة، وهو السر في تعبير الرؤيا كذا قال في «الروح» والله أعلم.

ومعنى الآية: أي(١) ومن أثار قدرته وروائع رحمته الفائضة على خلقه أن جعل لنفعكم الليل كاللباس، يستركم بظلامه كما يستركم اللباس، وجعل النوم كالموت؛ لتعطيله الحواس ووظائفها المختلفة، وجعل النهار زمان بعث من ذلك الموت.

وثالث الأدلة: ما ذكره بقوله: ﴿وَهُوَ﴾؛ أي: الله سبحانه وحده الإله ﴿الَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾؛ أي: أطلقها وبعثها حالة كونها ﴿بُشۡرَۢا﴾ لكم؛ أي: مبشرات لكم بمجيء المطر؛ أي: أرسلها ﴿بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۚ﴾؛ أي: قدام رحمته ومطره سبحانه وتعالى؛ لأنه أولاً تكون ريح، ثم سحاب، ثم مطر. والإرسال: التسخير. والريح معروفة؛ وهي فيما قيل: الهواء المتحرك، وقيل في الرحمة: رياح بلفظ الجمع؛ لأنها تجمع الجنوب والشمال والصبا، وقيل في العذاب: ريح؛ لأنها واحدة؛ وهي الدبور التي أهلكت عاداً، وهو عقيم لا يلقح، ولذا ورد في الحديث: «اللهم اجعلها لنا رياحاً، ولا تجعلها ريحاً». والمعنى؛ أي: والله الذي أرسل الرياح مبشرات بقدوم الأمطار.

---

(١) المراغي.

(٢) المراح.

وقرأ ابن كثير[1]: ﴿الريح﴾ بالإفراد. وقرأ: ﴿نُشُراً﴾ نافع وابن كثير وأبو عمرو بضم النون والشين؛ أي: ناشرات للسحاب. وقرأ ابن عامر بضم النون وسكون الشين. وقرأه حمزة والكسائي بفتح النون وسكون الشين على أنه مصدر بمعنى اسم الفاعل؛ أي: متفرقة. وقرأه عاصم بالباء الموحدة المضمومة وسكون الشين؛ أي: مبشرات.

وقال ابن عطية[2]: وقراءة الجمع أوجه؛ لأن عرف الريح متى وردت في القرآن مفردة فإنما هي للعذاب، ومتى كانت للمطر والرحمة، فإنما هي رياح؛ لأن ريح المطر تتشعب وتتداءب وتتفرق، وتأتي ليِّنة، وتأتي من ههنا وههنا، وشيئاً إثر شيء، وريح العذاب تخرج لا تتداءب، وإنما تأتي جسداً واحداً، ألا ترى أنها تحطم ما تجد وتهدمه، قال الرماني: جمعت رياح الرحمة؛ لأنها ثلاثة: لواقح الجنوب والصبا والشمال. وأفردت ريح العذاب؛ لأنها واحدة لا تلقح؛ وهي الدبور انتهى. ولا يسوغ أن يقال: هذه القراءة أوجه؛ لأن كلاً من القراءتين متواترة.

﴿وَأَنزَلْنَا﴾ بعظمتنا. والالتفات إلى نون العظمة لإبراز كمال العناية بالإنزال؛ لأنه نتيجة إرسال الرياح ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: من جهة الفوق يعني: من السحاب ﴿مَآءً طَهُورًا﴾؛ أي: بليغاً في الطهارة، وهو الذي يكون طاهراً في نفسه، ومطهراً لغيره من الحدث والنجاسة. والطهور اسم لما يتطهر به كالوقود لما توقد به النار، والوضوء لما يتوضأ به؛ أي: وأنزلنا من السحاب ما تتطهرون به في غسل ملابسكم وأجسامكم، وتنتفعون به في طبخ مطاعمكم، وتشربونه عذباً فراتاً، روي أن النبي ﷺ قال في البحر: «هو الطهور ماؤه، الحل ميتته» أخرجه أبو داود والترمذي.

قال في «فتح الرحمٰن» الطهور: هو الباقي على أصل خلقته من ماء المطر والبحر والعيون والآبار، على أي صفة كان من عذوبة، وملوحة، وحرارة،

---

(١) البحر المحيط.

وبرودة، وغيرها، وما تغير بمكثه أو بطاهر لا يمكن صونه عنه كالتراب والطحلب وورق الشجر ونحوها.. فهو طاهر في نفسه، مطهر لغيره، يرفع الأحداث ويزيل الأنجاس بالاتفاق، فإن تغير عن أصل خلقته بطاهر يغلب على أوصافه يستغني الماء عنه غالباً.. لم يجز التطهير به عند الثلاثة، وجوّز أبو حنيفة رحمه الله الوضوء بالماء المتغير بالزعفران ونحوه من الطاهرات، ما لم تزل رقته، وقال أيضاً: يجوز إزالة النجاسة بالمائعات الطاهرة كالخل وماء الورد ونحوهما، وخالفه الثلاثة ومحمد بن الحسن وزفر كما فصل في الفقه.

فإن قلت: لم[1] وصف الماء بالطهور مع أن وصف الطهارة لا دخل له في ترتيب الأحياء والسقي على إنزال الماء؟

قلتُ: وصفه بالطهارة إشعاراً بزيادة النعمة؛ لأن وصف الطهارة نعمة زائدة على إنزال ذات الماء، وتتميماً للمنّة المستفادة من قوله: ﴿لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ﴾؛ ﴿وَنُسْقِيَهُۥ﴾ فإن الماء الطهور أهنأ وأنفع مما خالطه مما يزيل طهوريته، وتنبيهاً على أن ظواهرهم لما كانت مما ينبغي أن يطهروها كانت بواطنهم بذلك أولى؛ لأن باطن الشيء أولى بالحفظ عن التلوث من ظاهره، وذلك لأن نظر الحق جل جلاله إلى باطن الإنسان، لا ظاهره.

ثم ذكر سبحانه علة الإنزال، فقال ﴿لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ﴾؛ أي: بما أنزلنا من السماء من الماء الطهور ﴿بَلْدَةً مَّيْتًا﴾؛ أي: أرضاً يابسة، لا أشجار فيها ولا ثمار ولامرعى، وإحياؤها: بإنبات النبات من المكان الذي لا نبات فيه. والمراد بالبلدة؛ القطعة من الأرض، عامرة كانت أو غيرها. والتذكير حيث لم يقل: بلدة ميتة؛ لأنه بمعنى البلد، أو الموضع، أو المكان، ولأنه غير جار على الفعل بأن يكون على صيغة اسم الفاعل، أو المفعول، فأجري مجرى الجامد.

وقرأ عيسى وأبو جعفر ﴿ميّتا﴾ بالتشديد ﴿وَنُسْقِيَهُۥ﴾؛ أي: نسقي ذلك الماء

---

(١) روح البيان.

(٢) البحر.

الطهور عند جريانه في الأودية؛ أي: اجتماعه في الحياض، أو المنابع والآبار. وسقى وأسقى لغتان بمعنى، يقال: سقاه الله الغيث وأسقى، والاسم: السقيا كما سيأتي. وقرأ[١] عبد الله وأبو مجلز وأبو رجاء والضحاك وأبو حيوة وابن أبي عبلة والأعمش وعاصم وأبو عمرو في رواية عنهما ﴿ونَسقيه﴾ بفتح النون، ورويت عن عمر بن الخطاب.

والمعنى: أي وأنزلناه لنحيي به أرضاً طال انتظارها للغيث، فهي هامدة لا نبات فيها، وبذلك الماء يزدهر الشجر والنبات والأزهار، وذلك أشبه بالحياة للإنسان والحيوان، وأنزلناه ليشرب منه الحيوان والإنسان.

﴿مِمَّا خَلَقْنَآ﴾ متعلق بـ﴿نسقيه﴾ ﴿أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾ بدل[٢] من محل الجار والمجرور؛ أي: ولنسقي ذلك الماء بعض خلقنا من الأنعام والأناسي، ويجوز أن يكون ﴿أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ﴾ مفعول ﴿نُسقيه﴾، و﴿مِمَّا خَلَقْنَآ﴾ متعلق بمحذوف حال من: ﴿أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ﴾؛ لأنه صفة نكرة قدمت عليها؛ أي: ولنسقيه أنعاماً وأناسي كثيراً كائنات مما خلقنا. والأنعام: جمع نعم؛ وهي الأموال الراعية. والأناسي جمع إنسان كما سيأتي بسطه. و﴿كَثِيرًا﴾: صفة ﴿أناسي﴾؛ لأنه بمعنى بشراً، والمراد بهم أهل البوادي الذين يعيشون بالمطر، ولذا نكر الأنعام والأناسي، يعني: أن التنكير للإفراد النوعي، وتخصيصهم بالذكر؛ لأن أهل المدن والقرى يقيمون بقرب الأنهار والمنابع، فلا يحتاجون إلى سقيا السماء، وسائر الحيوانات من الوحوش والطيور تبعد في طلب الماء، فلا يعوزها الشرب غالباً.

يقال: أعوزه الشيء إذا احتاج إليه فلم يقدر عليه.

وخص الأنعام بالذكر[٣]؛ لأنها قنية للإنسان؛ أي: يقتنيها ويتخذها لنفسه، لا لتجارة، وعامة منافعهم ومعايشهم منوطة بها، فلذا قدّم سقيها على سقيهم،

---

(١) روح البيان.

(٢) روح البيان.

كما قدم على الأنعام إحياءَ الأرض، فإنه سبب لحياتها وتعيّشها، فانظر يا أخي كيف رتب سبحانه ذكر ما هو رزق الإنسان ورزق رزقه، فإن الأنعام رزق الإنسان، والنبات رزق الأنعام، والمطر رزق النبات، فقدم ذكر المطر، ورتّب عليه ذكر حياة الأرض بالنبات، ورتّب عليه ذكر الأنعام.

وفي «المراح»: قوله: ﴿كَثِيرًا﴾ إما راجع لـ﴿أناسي﴾، وذلك لأن أكثر الناس يجتمعون في البلاد القريبة من الأنهار وينابيع الماء، فهم في غنية في شرب الماء عن المطر، وكثير منهم نازلون في البوادي، فلا يجدون المياه للشرب إلاّ عند نزول المطر، وإما راجع إلى ﴿نسقيه﴾، وذلك لأن الحيوان يحتاج الماء حالاً بعد حال ما دام حياً، وهو مخالف للنبات الذي يكفيه من الماء قدر معين، حتى لو زيد عليه بعض ذلك.. لكان أقرب إلى الضرر، اهـ. وقرأ يحيى بن الحارث الذماري وأبو مجلز والضحاك وأبو العالية وعاصم الجحدري[1]: ﴿وأناسِيْ﴾ بتخفيف الياء، ورويت عن الكسائي.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ﴾؛ أي: وعزتي وجلالي لقد كرّرنا هذا القول الذي هو إنشاء السحاب، وإنزال المطر لما مرّ من الغايات الجليلة في القرآن وغيره من الكتب السماوية ﴿بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: بين الناس من المتقدمين والمتأخرين ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾؛ أي: ليتفكروا ويعرفوا كمال القدرة وحق النعمة في ذلك، ويقوموا بشكره حق القيام. وأصله: ﴿ليتذكروا﴾ من التذكر؛ وهو التفكر ﴿فَأَبَىٰ﴾ وامتنع ﴿أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ﴾ ممن سلف وخلف ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾؛ أي: كفران النعمة وقلة المبالاة بشأنها، فإن حقها أن يتفكر فيها، ويستدل بها على وجود الصانع وقدرته وإحسانه، وكفر النعمة وكفرانها سترها بترك أداء شكرها، وأعظم الكفر جحود الوحدانية، أو النبوة، أو الشريعة.

وأكثر المفسرين[2]: على أن الضمير في ﴿صَرَّفْنَٰهُ﴾ راجع إلى نفس الماء

---

(١) البحر المحيط.

(٢) روح البيان.

الطهور الذي هو المطر، فالمعنى عليه؛ أي: وعزتي وجلالي ﴿لقد صرفناه﴾؛ أي: فرقنا المطر بينهم بإنزال له في بعض البلاد والأمكنة دون غيرها، أو في بعض الأوقات دون بعض، أو على صفة دون أخرى بجعله تارة وابلاً وهو المطر الشديد، وأخرى طلا وهو المطر الضعيف، ومرة ديمة وهو المطر الذي يدوم أياماً ﴿فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ﴾ إلاّ جحوداً للنعمة، وكفراً بالله تعالى بأن يقولوا: مطرنا بنوء كذا؛ أي: بسقوط كوكب كذا، كما يقول المنجمون، فجعلهم الله سبحانه بذلك كافرين، حيث لم يذكروا صنع الله تعالى ورحمته، بل أسندوا مثل هذه النعمة إلى الأفلاك والكواكب، فمن لا يرى الأمطار إلاّ من الأنواء فهو كافر بالله بخلاف من يرى أن الكل بخلق الله تعالى.

والأنواء أمارات بجعل الله تعالى، والأنواء النجوم التي يسقط واحد منها في جانب المغرب وقت طلوع الفجر، ويطلع رقيبه في جانب المشرق من ساعته، والعرب كانت تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها، وقيل: إلى الطالع منها؛ لأنّه في سلطانه. وقيل: الضمير راجع إلى القرآن، والمعنى: ولقد كررنا هذا القرآن بإنزال آياته بين الناس ليذكروا به، ويعتبروا بما فيه، فأبى أكثرهم إلاّ كفوراً به. وقيل: راجع إلى الريح. وقرأ عكرمة[1]: ﴿صَرَفناه﴾ مخففاً، وقرأ الباقون بالتثقيل. وقرأ حمزة والكسائي ﴿لِيَذْكُروا﴾ مخففة الذال من الذكر، وقرأ الباقون بالتثقيل من التذكر.

ومعنى الآية: وعزتي وجلالي لقد صرفنا المطر بين الناس على أوضاع شتى، فلا تمر ساعة في ليل ولا نهار إلاّ كان فيه دليل على آثار قدرتنا، فننزله على قوم ونحجبه عن آخرين، فنحن صرفناه بينهم، كما صرّفنا الليل والنهار، فالشمس تجري من عند قوم، وتذهب إلى الآخرين ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍ﴾؛ أي: إلا أن الماء قد يكون جامداً يشبه الحجر، وسائلا يشبه الزيت وسائر المائعات، وحيناً بخارياً يشبه الهواء، وهو أيضاً غاد ورائح في الجو، وفي

---

(١) الشوكاني.

الأنهار، وفي الغدران، وفي أجسام النبات والحيوان والإنسان؛ ليذكورا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيشكروا، ولكن أكثر الناس أبوا إلاّ جحوداً للنعمة، وكفراناً بخالقها.

ثم بين منّته على رسوله، وأنه كلفه الأحمال الثقال من أعباء النبوة؛ ليزداد شرفاً ويعظم قدراً، فقال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا﴾؛ أي: ولو[1] أردنا أن نرسل رسولاً إلى أهل كل قرية ﴿لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾؛ أي: لأرسلنا في كل مصر ومدينة نذيراً؛ أي: نبياً ينذر أهلها، وخفت عنك أعباء النبوة، ولكن بعثناك إلى القرى كلها، وحمّلناك ثقل النذارة؛ لتستوجب بصبرك ما أعددناه لك من الكرامة والمنزلة الرفيعة، فقابل ذلك بشكر النعمة، وبالثبات والاجتهاد في الدعوة وإظهار الحق، كما قال: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾، وثبت في «الصحيحين»: «بعثت إلى الأحمر والأسود»؛ أي: إلى العجم والعرب.

والخلاصة: أنا عظّمناك بهذا الأمر، وجعلناك مثقلاً بأعبائه؛ لتحوز ما ادخر لك من عظيم جزائه وكبير مثوبته، فعليك بالمجاهدة والمصابرة، ولا عليك من تلقيهم الدعوة بالإعراض والمشاكسة ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾؛ أي: لا توافقهم فيما ندبوك إليه من عبادة الآلهة واتباع دين الآباء، وأغلظ عليهم ولا تداهنهم، واثبت على الدعوة وإظهار الحق ﴿وَجَٰهِدْهُم﴾؛ أي: جادلهم ودافعهم عن الدين الحق ﴿بِهِۦ﴾؛ أي: بالقرآن؛ أي: بتلاوة ما في تضاعيفه من المواعظ وتذكير أحوال الأمم المكذبة لرسلها ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾؛ أي: عظيماً تاماً شديداً، لا يخالطه فتور، فإن مجاهدة السفهاء بالحجج أكبر من مجاهدة الأعداء بالسيف. وإنما لم يحمل المجاهدة على القتال بالسيف؛ لأنه إنما ورد الإذن فيه بعد الهجرة بزمان، والسورة مكية، قال بعضهم: ويجوز أن يكون الجهاد بالألسنة بترك المداهنة في حقهم وإغراء الناس على دفع فسادهم، كما أن الجهاد بالأموال بالدفع إلى من يحاربهم ويستأصلهم.

---

(١) المراغي.

والمعنى: أي فلا تطع الكافرين فيما يدعونك إليه من موافقتهم على مذاهبهم وآرائهم، وجاهدهم بالشدة والعنف، لا بالملاينة والمداراة؛ لتكسب ودّهم ومحبتهم، وعظهم بما جاء به القرآن من المواعظ والزواجر، وذكّرهم بأحوال الأمم المكذبة لرسلها، وذلك منتهى الجهاد الذي لا يقادر قدره، ونحو الآية قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾.

والخلاصة: أنك مبعوث إلى الناس كافة لتنذرهم ما بين أيديهم وما خلفهم، فاجتهد في دعوتك، ولا تتوان فيها، ولا تحفل بوعيدهم، فإن الله ناصرك عليهم ومظهر دينك على الدين كله ولو كره المشركون.

ورابع الأدلة: ما ذكره بقوله: ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه وتعالى الإله ﴿ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾؛ أي: خلاهما[1] وأرسلهما، وأجراهما في مجاريهما متلاصقين بحيث لا يتمازجان، ولا يلتبس أحدهما بالآخر.

وجملة قوله: ﴿هَٰذَا عَذْبٌ﴾ إما مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: كيف مرجهما؟ فقيل: هذا عذب، وهذا ملح، أو في محل نصب على الحال من ﴿ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ بتقدير القول؛ أي: هو الذي مرج البحرين حال كونهما مقولاً في حقهما: ﴿هَٰذَا﴾؛ أي: أحدهما ﴿عَذْبٌ﴾؛ أي: حلو طيب ﴿فُرَاتٌ﴾؛ أي: سائغ قاطع للعطش لغاية عذوبته صفة ﴿عَذْبٌ﴾ والتاء فيه أصلية وهذا أي: الآخر ﴿مِلْحٌ﴾؛ أي: مرّ ﴿أُجَاجٌ﴾؛ أي: زعاق بليغ الملوحة، صفة ﴿مِلْحٌ﴾، وقرأ طلحة وقتيبة عن الكسائي ﴿مَلِح﴾ بفتح الميم وكسر اللام، وكذا في فاطر ﴿وَجَعَلَ﴾: عطف على الصلة ﴿بَيْنَهُمَا﴾؛ أي: بين البحرين العذب والملح ﴿بَرْزَخًا﴾؛ أي: حاجزاً وحائلاً من قدرته سبحانه غير مرئي ﴿وَحِجْرًا﴾؛ أي: ستراً ﴿مَّحْجُورًا﴾؛ أي: ممنوعاً به تغيير أحدهما طعم الآخر، وهو صفة مؤكدة لـ﴿حِجْرًا﴾ كليل أليل ويوم أيوم. وقيل: هذه كلمة استفادة كما سبق في هذه السورة. والمعنى ههنا على التشبيه؛ أي: تنافراً بليغاً، كأن كلاً منهما يتعوذ من الآخر

---

(١) روح البيان.

بتلك المقالة، ويقول: حراماً محرماً عليك أن تغلب عليّ، وتزيل صفتي وكيفيتي.

واعلم: أن أكثر المفسرين حمل البحرين على بحري فارس والروم، فإنهما يلتقيان في البحر المحيط، وموضع التقائهما هو مجمع البحرين المذكور في الكهف، ولكن يلزم على هذا أن يكون البحر الأول عذباً، والثاني ملحاً، مع أنهم قالوا: لا وجود للبحر العذب هناك، وذلك لأنهما في الأصل خليجان من المحيط، وهو مرّ، والأوجه أن يمثّل البحران بالنيل المبارك والبحر الأخضر، وهو بحر فارس الذي هو شعبة من البحر الهندي الذي يتصل بالبحر المحيط، وبحر فارس مر، وذلك أن بحر النيل يدخل في البحر الأخضر قبل أن يصل إلى بحيرة الزنج ويختلط به، وهو معنى المرج، ولولا اختلاطه بملوحته.. لما قدر أحد على شربه لشدة حلاوته كما في «إنسان العيون».

والمعنى: أي[1] ومن آثار نعمته على خلقه أن خلى البحرين متجاورين متلاصقين، وجعلهما لا يمتزجان، ومنع الملح من تغيير عذوبة العذب وإفساده إياه، وحجزه عنه بقدرته، فكأن بينهما حاجزاً يمنع أحدهما إفساد الآخر، وكأن بينهما ساتراً يجعله لا يبغي عليه.

والخلاصة[2]: أنه تعالى جعل البحرين مختلطين في مرأى العين، منفصلين في التحقيق بقدرته تعالى بحيث لا يختلط الملح بالعذب ولا العذب بالملح، ولا يتغير طعم أحدهما بالآخر ولا يفسده، ونحو الآية قوله تعالى في سورة الرحمن: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝٢٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢١﴾.

وخامس الأدلة: ما ذكره بقوله: ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه وتعالى الأله ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ وأوجد ﴿مِنَ ٱلْمَآءِ﴾؛ أي[3]: من ماء الذكر والأنثى؛ وهو النطفة، أو من الماء الذي خمّر به طينة آدم عليه السلام ﴿بَشَرًا﴾؛ أي: آدمياً، والبشرة ظاهر

---

(١) المراغي.
(٢) المراغي.
(٣) روح البيان.

الجلد كما أن الأدمة ـ محركة ـ باطنه الذي يلي اللحم، وعبر عن الإنسان بالبشر اعتباراً بظهور جلده من الشعر بخلاف سائر الحيوانات التي عليها الصوف، أو الشعر أو الوبر، كالضأن والمعز والإبل. وخص في القرآن كل موضع اعتبر من الإنسان جثته وظاهره بلفظ البشر، واستوى فيه الواحد والجمع ﴿فَجَعَلَهُۥ﴾؛ أي: البشر أو الماء ﴿نَسَبًا وَصِهْرًا﴾؛ أي: قسمه قسمين ذوي نسب، أي: ذكوراً ينسب إليهم، فيقال: فلان ابن فلان، ووفلانة بنت فلان، وذوات صهر؛ أي: إناثاً يصاهر بهن ويخالط. وقيل: النسب ما لا يحل تزويجه من القرابة. والصهر ما يحل التزويج من القرابة وغيرها. وقيل: النسب ما يوجب الحرمة، والصهر ما لا يوجبها. وقيل: النسب من القرابة، والصهر الخلطة التي تشبه القرابة؛ وهو السبب المحرّم للنكاح، وقد حرّم الله بالنسب سبعاً، وبالسبب سبعاً، ويجمعها قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ...﴾ الآية، وقد تقدم تفسير ذلك وبيانه في تفسير سورة النساء.

﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾؛ أي: مبالغاً في القدرة حيث قدر أن يخلق من مادة واحدة بشراً ذا أعضاء مختلفة وطباع متباعدة عجيبة الصنع، بديع الخلق، كبير العقل، عظيم التفكير، سخر ما على ظاهر الأرض وباطنها لنفعه وفائدته ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾، وجعله قسمين متقابلين، وربما يخلق من مادة واحدة توءمين ذكراً وأنثى.

الإعراب

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾﴾.

﴿وَقَالَ﴾ الواو: استئنافية. ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾: فعل وفاعل ومفعول ومضاف إليه، والجملة الفعلية صلة الموصول. ﴿لَوْلَآ﴾: حرف تحضيض بمعنى هلاّ. ﴿أُنزِلَ﴾: فعل ماض مغير الصيغة. ﴿عَلَيْنَا﴾: متعلق به. ﴿ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾: نائب فاعل لـ﴿أُنزِلَ﴾، والجملة التحضيضية مقول ﴿قال﴾. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿نَرَىٰ رَبَّنَا﴾: فعل

ومفعول به، وفاعل مستتر يعود على المتكلمين، والجملة معطوفة على جملة ﴿أُنزِلَ﴾ على كونها مقول ﴿قال﴾. ﴿لَقَدِ﴾: اللام موطئة للقسم، ﴿قد﴾: حرف تحقيق: ﴿ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة جواب القسم، لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم مستأنفة مسوقة لدرء شبهاتهم وتعنتاتهم بعد قيام الحجة عليهم. ﴿فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾، بمعنى: أنهم لتكبرهم عدّوا أنفسهم كبيرة الشأن، وأصله من استكبره إذا عدّه كبيراً، فنزله منزلة اللازم فعدّاه بـ﴿فِى﴾. ﴿وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾: فعل وفاعل ومفعول مطلق وصفة معطوفة على ﴿ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾.

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾.

﴿يَوْمَ﴾: منصوب على الظرفية الزمانية متعلق بمحذوف تقديره: اذكر لهم أهوال يوم يرون الملائكة، أو يمنعون البشرى يوم يرون الملائكة، وليس متعلقاً بالبشرى؛ لأن المصدر لا يعمل فيما قبله. ﴿يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ﴿يَوْمَ﴾. ﴿لا﴾: نافية للجنس تعمل عمل إنّ. ﴿بُشْرَىٰ﴾: في محل النصب اسمها. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بالاستقرار الذي تعلق به خبر ﴿لا﴾، أو تأكيد لفظي لـ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ﴾ على التقدير الثاني. ﴿لِّلْمُجْرِمِينَ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر ﴿لا﴾، وجملة ﴿لَا﴾ مقول لقول محذوف وقع حالاً من ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾؛ أي: حالة كون الملائكة قائلين: لا بشرى للمجرمين يومئذ. ﴿وَيَقُولُونَ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿يَرَوْنَ﴾، فالضمير فيه للكفار. ﴿حِجْرًا﴾: منصوب على المفعولية المطلقة بفعل محذوف وجوباً تقديره: حجرنا من شركم أيها الملائكة ومنعنا منه حجراً. ﴿مَّحْجُورًا﴾: صفة مؤكدة لـ﴿حِجْرًا﴾. ﴿وَقَدِمْنَآ﴾: الواو: استئنافية. ﴿قدمنا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿إِلَىٰ مَآ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿قدمنا﴾. ﴿عَمِلُوا۟﴾: فعل وفاعل صلة الموصول، والعائد محذوف تقديره: عملوه. ﴿مِنْ عَمَلٍ﴾: جار ومجرور حال من ﴿مَا﴾ الموصولة، أو من العائد المحذوف. ﴿فَجَعَلْنَٰهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول

أول. ﴿هَبَآءً﴾: مفعول ثان. ﴿مَّنثُورًا﴾: صفة ﴿هَبَآءً﴾، والجملة الفعلية معطوفة على جملة ﴿قدمنا﴾.

﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾.

﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾: مبتدأ ومضاف إليه ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: ظرف مكان إلى مثله متعلق بـ ﴿خَيْرٌ﴾. ﴿خَيْرٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿مُّسْتَقَرًّا﴾: تمييز محول عن المبتدأ منصوب باسم التفضيل والجملة مستأنفة ﴿وَأَحْسَنُ﴾: معطوف على ﴿خَيْرٌ﴾. ﴿مَقِيلًا﴾: تمييز محول عن المبتدأ منصوب بـ﴿أحسن﴾. ﴿وَيَوْمَ﴾: منصوب بفعل محذوف تقديره: اذكر يوم، والجملة المحذوفة مستأنفة. ﴿تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محل الجر مضاف إليه لـ﴿يَوْمَ﴾. ﴿بِٱلْغَمَٰمِ﴾: في هذه الباء ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها للسببية؛ أي: بسبب الغمام، يعني: بسبب طلوعه منها، ونحوه قوله تعالى: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾، كأنه الذي تشقق به السماء، فيتعلق الجار والمجرور بـ﴿تَشَقَّقُ﴾.

وثانيها: أنها للملابسة، فيكون الجار والمجرور في موضع نصب على الحال.

والثالث: أنها بمعنى عن؛ أي: عن الغمام كقوله: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ﴾، فتتعلق بـ﴿تَشَقَّقُ﴾ أيضاً اهـ «سمين». ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: فعل ونائب فاعل معطوف على ﴿تَشَقَّقُ﴾. ﴿تَنزِيلًا﴾: مفعول مطلق منصوب بـ﴿نُزِّلَ﴾.

﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾﴾.

﴿ٱلْمُلْكُ﴾: مبتدأ. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: ظرف مضاف لمثله متعلق بـ﴿ٱلْمُلْكُ﴾. ﴿ٱلْحَقُّ﴾: صفة لـ﴿ٱلْمُلْكُ﴾. ﴿لِلرَّحْمَٰنِ﴾ خبر المبتدأ، والجلمة مستأنفة. ﴿وَكَانَ﴾: الواو: عاطفة. ﴿كان﴾: فعل ماض ناقص، واسمها ضمير يعود

على اليوم؛ أي: وكان ذلك اليوم. ﴿يَوْمًا﴾: خبر ﴿كَانَ﴾. ﴿عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾: متعلق بـ﴿عَسِيرًا﴾. ﴿عَسِيرًا﴾: صفة ﴿يَوْمًا﴾، وجملة ﴿كان﴾ معطوفة على الجملة التي قبلها عطف فعلية على اسمية؛ لأنها في الأصل جملة اسمية، أو مستأنفة. ﴿وَيَوْمَ﴾ الواو: عاطفة. ﴿يوم﴾: منصوب باذكر محذوفا، وهو معطوف على قوله: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ﴾، وكذا قوله السابق: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ﴾. ﴿يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ﴿يوم﴾. ﴿عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾: متعلق بـ﴿يَعَضُّ﴾. ﴿يَقُولُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱلظَّالِمُ﴾، والجملة في محل النصب حال من ﴿ٱلظَّالِمُ﴾؛ أي: حالة كونه قائلاً، ﴿يَـٰلَيْتَنِى﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿يا﴾ حرف نداء، والمنادى محذوف تقديره: يا هؤلاء، أو يا قوم، وجملة المنادى في محل النصب مقول ﴿يَقُولُ﴾، أو الياء حرف تنبيه. ﴿ليتني﴾: ﴿ليت﴾: حرف تمن ونصب، والنون للوقاية، والياء ضمير المتكلم في محل النصب اسمها. ﴿ٱتَّخَذْتُ﴾: فعل وفاعل. ﴿مَعَ ٱلرَّسُولِ﴾: ظرف ومضاف إليه في محل المفعول الثاني لـ﴿ٱتَّخَذْتُ﴾. ﴿سَبِيلًا﴾: مفعول أول لـ﴿ٱتَّخَذْتُ﴾، وجملة ﴿ٱتَّخَذْتُ﴾ في محل الرفع خبر ﴿ليت﴾، وجملة ﴿ليت﴾ في محل النصب مقول لـ﴿يَقُولُ﴾.

﴿يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِلْإِنسَـٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾.

﴿يَـٰوَيْلَتَىٰ﴾ ﴿يا﴾: حرف نداء. ﴿ويلتي﴾: منادى مضاف مصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المنقلبة ألفاً للتخفيف، وياء المتكلم المنقلبة ألفاً للتخفيف في محل الجر مضاف، وجملة النداء في محل النصب مقول القول. ﴿لَيْتَنِى﴾: ناصب واسمه ونون وقاية. ﴿لَمْ﴾: حرف نفي وجزم. ﴿أَتَّخِذْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ﴿لَمْ﴾، وفاعله ضمير يعود على المتكلم. ﴿فُلَانًا﴾: مفعول أول. ﴿خَلِيلًا﴾: مفعول ثان، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿ليت﴾، وجملة ﴿ليت﴾ في محل النصب مقول القول على كونها جواب النداء. ﴿لَّقَدْ﴾: ﴿اللام﴾ موطئة للقسم، ﴿قد﴾: حرف تحقيق. ﴿أَضَلَّنِى﴾: فعل

ماض ونون وقاية، وفاعل مستتر يعود على ﴿فُلَانًا﴾ ومفعول به. ﴿عَنِ ٱلذِّكۡرِ﴾ متعلق به، والجملة الفعلية جواب القسم لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم في محل النصب مقول القول على كونها معللة للتمني المذكور. ﴿بَعۡدَ إِذۡ﴾: ظرف مضاف لمثله متعلق بـ﴿أَضَلَّنِي﴾، أو حال من ﴿ٱلذِّكۡرِ﴾. ﴿جَآءَنِيۗ﴾: فعل ماض ونون وقاية، وفاعل مستتر يعود إلى ﴿ٱلذِّكۡرِ﴾، والجملة الفعلية في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إِذۡ﴾. ﴿وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾: فعل ماض ناقص واسمه. ﴿لِلۡإِنسَٰنِ﴾: متعلق بـ﴿خَذُولًا﴾. ﴿خَذُولًا﴾: خبر ﴿كان﴾، وجملة ﴿كان﴾ مستأنفة استئنافاً نحوياً؛ لأنه من كلام الرب سبحانه.

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ﴿٣١﴾﴾.

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة قوله ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾. ﴿يَٰرَبِّ﴾: منادى مضاف، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قال﴾ ﴿إِنَّ قَوۡمِي﴾: ناصب واسمه ومضاف إليه. ﴿ٱتَّخَذُواْ﴾: فعل وفاعل ﴿هَٰذَآ﴾: في محل النصب مفعول أول. ﴿ٱلۡقُرۡءَانَ﴾: بدل من اسم الإشارة ﴿مَهۡجُورٗا﴾: مفعول ثان، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إنّ﴾، وجملة ﴿إنّ﴾ في محل النصب مقول ﴿قال﴾ على كونها جواب النداء. ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: الواو: استئنافية. ﴿كذلك﴾: الكاف اسم بمعنى مثل صفة لمصدر محذوف، ﴿جَعَلۡنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه في محل المفعول الثاني. ﴿عَدُوّٗا﴾: مفعول أول لـ﴿جَعَلۡنَا﴾. ﴿مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ﴾: صفة لـ﴿عَدُوّٗا﴾، والتقدير: وجعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين جعلاً مثل ذلك الجعل الذي جعلنا لك، والجملة الفعلية مستأنفة مسوقة لتسلية رسول الله ﷺ. ﴿وَكَفَىٰ﴾ الواو: عاطفة. ﴿كفى﴾: فعل ماض. ﴿بِرَبِّكَ﴾: فاعل ﴿كفى﴾، والباء زائدة. ﴿هَادِيٗا﴾: حال من ﴿ربك﴾. ﴿وَنَصِيرٗا﴾: معطوف عليه؛ أي: حالة كونه هادياً لك للطريق التي ستنتصر بها عليهم كالغزو. اهـ شيخنا، أو تمييز له، والجملة الفعلية معطوفة على جملة ﴿جَعَلۡنَا﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ

﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ٣٢﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة مسوقة لبيان شبهة منهم. تتعلق بالقرآن. ﴿كَفَرُوا۟﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿لَوْلَآ﴾: تحضيضية بمعنى هلا. ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ﴾: فعل ماض مغير الصيغة، والجار والمجرور متعلق به. ﴿ٱلْقُرْءَانُ﴾: نائب فاعل. ﴿جُمْلَةً﴾: حال من القرآن؛ أي: مجتمعاً. ﴿وَٰحِدَةً﴾: صفة ﴿جُمْلَةً﴾، والجملة التحضيضية في محل النصب مقول ﴿قال﴾. ﴿كَذَٰلِكَ﴾: صفة لمصدر محذوف، والعالم فيه محذوف تقديره: نزلناه عليك تنزيلاً مثل ذلك التنزيل المرتل، والجملة المحذوفة مستأنفة. ﴿لِنُثَبِّتَ﴾: اللام: حرف جر وتعليل، ﴿نثبت﴾: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام كي، وفاعله ضمير يعود على الله تقديره: نحن. ﴿بِهِۦ﴾: متعلق به ﴿فُؤَادَكَ﴾: مفعول به ومضاف إليه، والجملة الفعلية في تأويل مصدر مجرور باللام، الجار والمجرور متعلق بالفعل المحذوف، والتقدير: نزلناه عليه تنزيلاً مثل ذلك التنزيل لتثبيت فؤادك به. ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول به. ﴿تَرْتِيلًا﴾: مفعول مطلق، والجملة معطوفة على الجملة المحذوفة.

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ٣٣﴾.

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة. ﴿لا﴾: نافية. ﴿يَأْتُونَكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به. ﴿بِمَثَلٍ﴾: متعلق به، والجملة معطوفة على الجملة التي قبلها. ﴿إِلَّآ﴾: أداة استثناء مفرغ من أعم الأحوال. ﴿جِئْنَٰكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: متعلق به، والجملة الفعلية في محل النصب حال من مفعول يأتونك؛ أي: ولا يأتونك بمثل في حال من الأحوال إلا في حال إتياننا إياك بالحق وبما هو أحسن تفسيراً. ﴿وَأَحْسَنَ﴾: معطوف على ﴿الحق﴾، مجرور بالفتحة؛ لأنه ممنوع من الصرف للوصفية ووزن الفعل. ﴿تَفْسِيرًا﴾: تمييز.

﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ٣٤﴾.

﴿ٱلَّذِينَ﴾: مبتدأ أول. ﴿يُحْشَرُونَ﴾: فعل ونائب فاعل صلة الموصول،

ويجوز أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف؛ أي: هم الذي يحشرون. ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من نائب فاعل ﴿يُحْشَرُونَ﴾؛ أي: حالة كونهم مقلوبين على وجوههم. ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾: متعلق بـ﴿يُحْشَرُونَ﴾. ﴿أُولَٰئِكَ﴾: مبتدأ ثان. ﴿شَرٌّ﴾: خبر له. ﴿مَكَانًا﴾: منصوب على التمييز. ﴿وَأَضَلُّ﴾: معطوف على ﴿شَرٌّ﴾. ﴿سَبِيلًا﴾: تمييز، والجملة من المبتدأ الثاني وخبره في محل الرفع خبر للمبتدأ الأول، وجملة الأول مستأنفة.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا (٣٥) فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا (٣٦)﴾.

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية، واللام موطئة لقسم محذوف، ﴿قد﴾: حرف تحقيق. ﴿آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾: فعل وفاعل ومفعولان، والجملة جواب القسم لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم مستأنفة. ﴿وَجَعَلْنَا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿آتَيْنَا﴾، والواو لا تفيد ترتيباً كما مر في مبحث التفسير. ﴿مَعَهُ﴾: متعلق بـ﴿جَعَلْنَا﴾. ﴿أَخَاهُ﴾: مفعول أول. ﴿هَارُونَ﴾: بدل من ﴿أَخَاهُ﴾: أو عطف بيان له. ﴿وَزِيرًا﴾: مفعول ثان لـ﴿جَعَلْنَا﴾. ﴿فَقُلْنَا﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿قلنا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿جَعَلْنَا﴾. ﴿اذْهَبَا﴾: فعل وفاعل. ﴿إِلَى الْقَوْمِ﴾: متعلق به، والجملة في محل النصب مقول ﴿قلنا﴾. ﴿الَّذِينَ﴾: صفة لـ﴿الْقَوْمِ﴾. ﴿كَذَّبُوا﴾: فعل وفاعل صلة الموصول ﴿بِآيَاتِنَا﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿كَذَّبُوا﴾. ﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة على محذوف، ﴿دمرناهم﴾: فعل وفاعل ومفعول به. ﴿تَدْمِيرًا﴾: مفعول مطلق، والجملة معطوفة على جملة محذوفة تقديرها: فذهبا إليهم، فكذبوهما، فدمرناهم تدميراً.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (٣٧) وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا (٣٨)﴾.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾: مفعول لفعل محذوف وجوباً يفسره ما بعده، فهو من باب الاشتغال تقديره: وأغرقنا قوم نوح، والجملة معطوفة على جملة ﴿آتَيْنَا﴾، ولك أن تعطفه على الهاء في ﴿دمرناهم﴾؛ أي: ودمرنا قوم نوح. ﴿لَمَّا﴾: حينية في

محل النصب على الظرفية متعلق بـ﴿أغرقنا﴾. ﴿كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ﴿لَّمَّا﴾. ﴿أَغْرَقْنَٰهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية جملة مفسرة لا محل لها من الإعراب. ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول أول. ﴿لِلنَّاسِ﴾: حال من ﴿ءَايَةً﴾، لأنه صفة نكرة قدمت عليها. ﴿ءَايَةً﴾: مفعول ثان لـ﴿جعلنا﴾، والجملة معطوفة على جملة ﴿أَغْرَقْنَٰهُمْ﴾. ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾: متعلق بـ﴿أعتدنا﴾. ﴿عَذَابًا﴾: مفعول به. ﴿أَلِيمًا﴾: صفة ﴿عَذَابًا﴾، والجملة معطوفة على جملة ﴿جعلنا﴾، أو معترضة، وهذه الجملة تحتمل التخصيص، فيكون فيها وضع الظاهر موضع المضمر، وتحتمل العموم، فتكون معترضة. ﴿وَعَادًا﴾: مفعول لفعل محذوف تقديره: وأهلكنا عاداً، أو دمرنا، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ﴾. ﴿وَثَمُودَا۟﴾: معطوف على ﴿عادا﴾، يصرف ولا يصرف كما مر. ﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾: معطوف عليه أيضاً. ﴿وَقُرُونًۢا﴾: معطوف عليه أيضاً. ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: ظرف ومضاف إليه صفة أولى لـ﴿قرونا﴾. ﴿كَثِيرًا﴾: صفة ثانية له.

﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾﴾.

﴿وَكُلًّا﴾: الواو: عاطفة. ﴿كلا﴾: منصوب على الاشتغال بفعل محذوف وجوباً يلاقي ﴿ضَرَبْنَا﴾ في المعنى تقديره: خوفنا كلا، أو أنذرنا كلا، والجملة معطوفة على جملة ﴿وَعَادًا﴾. ﴿ضَرَبْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿لَهُ﴾: متعلق به. ﴿ٱلْأَمْثَٰلَ﴾: مفعول به، والجملة مفسرة لا محل لها من الإعراب. ﴿وَكُلًّا﴾: مفعول مقدم لـ﴿تَبَّرْنَا﴾؛ لأنه فارغ له لم يشتغل بضميره. ﴿تَبَّرْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿تَتْبِيرًا﴾: مفعول مطلق، والجملة معطوفة على جملة ﴿دمرنا﴾.

﴿وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية، و﴿اللام﴾: موطئة للقسم، ﴿قد﴾: حرف

تحقيق. ﴿أَتَوۡا﴾: فعل وفاعل. ﴿عَلَى ٱلۡقَرۡيَةِ﴾: متعلق به، والجملة جواب القسم لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم مستأنفة ﴿ٱلَّتِيٓ﴾: صفة لـ﴿ٱلۡقَرۡيَةِ﴾ ﴿أُمۡطِرَتۡ﴾: فعل ماض مغير الصيغة، ونائب فاعله ضمير يعود على الموصول، والجملة صلة الموصول. ﴿مَطَرَ ٱلسَّوۡءِۚ﴾ مفعول مطلق لـ﴿أُمۡطِرَتۡ﴾: بمعنى: إمطار السوء على حد ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾﴾. ﴿أَفَلَمۡ﴾ ﴿الهمزة﴾: للاستفهام التقريري المضمن للإنكار داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، ﴿لم يكونوا﴾: جازم وفعل ناقص، واسمه مجزوم بحذف النون. ﴿يَرَوۡنَهَاۚ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية في محل النصب خبر ﴿يَكُونُواْ﴾، وجملة ﴿يَكُونُواْ﴾ معطوفة على الجملة المحذوفة، والتقدير: ألم يكونوا ينظرون إليها، فلم يكونوا يرونها، والجملة المحذوفة جملة إنشائية لا محل لها من الإعراب. ﴿بَلۡ﴾: حرف إضراب. ﴿كَانُواْ﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَرۡجُونَ نُشُورٗا﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية في محل النصب خبر ﴿كَانَ﴾ وجملة كان جملة إضرابية مستأنفة لا محل لها من الإعراب.

﴿وَإِذَا رَأَوۡكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾﴾.

﴿وَإِذَا﴾: الواو: استئنافية. ﴿إذا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان. ﴿رَأَوۡكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة في محل الخفض بإضافة إذا إليها على كونها فعل شرط لها، والظرف متعلق بالجواب. ﴿إِن﴾: نافية. ﴿يَتَّخِذُونَكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول أو. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿هُزُوًا﴾: مفعول ثان لـ﴿يَتَّخِذُونَكَ﴾، والجملة جواب ﴿إذا﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿إذا﴾ مستأنفة.

فائدة: ويرد على هذا الجواب بأنه منفي بإن، والجواب المنفي يجب قرنه بالفاء؟ ويجاب بأن إذا اختصت من بين أدوات الشرط بأن جوابها المنفي لا يقترن بالفاء. اهـ. شيخنا، وفي «السمين»: واختصت إذا بأن جوابها إذا كان منفياً بما، أو إن، أو لا يحتاج إلى الفاء، بخلاف غيرها من أدوات الشرط، اهـ.

﴿أَهَٰذَا﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام الإنكاري المضمن للتعجب. ﴿هذا﴾: مبتدأ. ﴿ٱلَّذِى﴾: خبره. ﴿بَعَثَ ٱللَّهُ﴾: فعل وفاعل صلة الموصول، والعائد محذوف تقديره: بعثه الله. ﴿رَسُولًا﴾: حال من الضمير المحذوف مؤكدة لعاملها، والجملة الاسمية مقول لقول محذوف وقع حالاً من الواو في ﴿يَتَّخِذُونَكَ﴾ تقديره: إن يتخذونك إلا هزواً حال كونهم قائلين: أهذا الذي بعثه الله رسولاً.

﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَاۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾.

﴿إِنْ﴾: مخففة من الثقيلة، اسمها محذوف؛ أي: إنه. ﴿كَادَ﴾: فعل ماضٍ ناقص من أفعال المقاربة، واسمها ضمير مستتر يعود على ﴿الرسول﴾. ﴿لَيُضِلُّنَا﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء، ﴿يضلنا﴾: فعل ومفعول، وفاعل مستتر يعود على ﴿الرسول﴾. ﴿عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿يضلنا﴾، وجملة ﴿يضلنا﴾ في محل النصب خبر ﴿كَادَ﴾، وجملة ﴿كَادَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿إِنْ﴾: المخففة، وجملة ﴿إِنْ﴾: المخففة في محل النصب ومن تتمة المقول للقول المحذوف. ﴿لَوْلَآ﴾: حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط. ﴿أَن﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿صَبَرْنَا﴾: فعل وفاعل في محل النصب بـ﴿أَن﴾: المصدرية. ﴿عَلَيْهَاۚ﴾: متعلق بـ﴿صَبَرْنَا﴾، والجملة الفعلية في تأويل مصدر مرفوع على الابتداء، والخبر محذوف وجوباً تقديره: لولا صبرنا عليها موجود. وجواب ﴿لَوْلَآ﴾: محذوف تقديره: لولا صبرنا موجود لصرفنا عنها، وجملة ﴿لَوْلَآ﴾ في محل النصب من تتمة المقول للقول المحذوف. ﴿وَسَوْفَ﴾: الواو: استئنافية. ﴿سوف﴾: حرف تنفيس واستقبال. ﴿يَعْلَمُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة مسوقة للرد عليهم من الله تعالى. ﴿حِينَ﴾: ظرف زمان متعلق بـ﴿يَعْلَمُونَ﴾. ﴿يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة في محل الجر مضاف إليه. لـ﴿حِينَ﴾. ﴿مَنْ﴾: اسم استفهام في محل الرفع مبتدأ. ﴿أَضَلُّ﴾: خبره. ﴿سَبِيلًا﴾: تمييز محول عن المبتدأ منصوب باسم التفضيل، والجملة الاسمية في محل النصب سادة مسد مفعولي ﴿يَعْلَمُونَ﴾ التي علقت بالاستفهام عن العمل في لفظه.

﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾.

﴿أَرَءَيْتَ﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام الاستخباري، ﴿رأيت﴾: فعل وفاعل بمعنى أخبرني. ﴿مَنِ﴾: اسم موصول في محل النصب مفعول أول لـ﴿رأيت﴾. ﴿ٱتَّخَذَ﴾: فعل ماض ناسخ من أخوات ظن وفاعله ضمير يعود على ﴿مَنِ﴾. ﴿إِلَٰهَهُۥ﴾: مفعول ثان لـ﴿ٱتَّخَذَ﴾: قدم على الأول اهتماماً به. ﴿هَوَىٰهُ﴾: مفعول به أول، وجملة ﴿ٱتَّخَذَ﴾ صلة ﴿مَنِ﴾ الموصولة. ﴿أَفَأَنتَ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري للتيئيس من إيمانهم، داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، ﴿أنت﴾: مبتدأ. ﴿تَكُونُ﴾: فعل مضارع ناقص، واسمها ضمير يعود على محمد. ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلق بـ﴿وَكِيلًا﴾. ﴿وَكِيلًا﴾: خبر ﴿تَكُونُ﴾، وجملة تكون في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على الجملة المحذوفة تقديره: أأنت تحرص على إيمانه فأنت تكون عليه وكيلاً، والجملة المحذوفة مع ما عطف عليها في محل النصب مفعول ثان لـ﴿رأيت﴾. ﴿أَمْ﴾ منقطعة بمعنى بل الإضرابية وهمزة الاستفهام الإنكاري. ﴿تَحْسَبُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على محمد، وجملة ﴿تَحْسَبُ﴾: مستأنفة. ﴿أَنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾: ناصب واسمه، وجملة ﴿يَسْمَعُونَ﴾: في محل الرفع خبر ﴿أن﴾. ﴿أَوْ يَعْقِلُونَ﴾: معطوف على ﴿يَسْمَعُونَ﴾، وجملة ﴿أن﴾ في تأويل مصدر ساد مسد مفعولي ﴿تَحْسَبُ﴾. ﴿إِنْ﴾: نافية ﴿هُمْ﴾: مبتدأ. ﴿إِلَّآ﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾: جار ومجرور خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة. ﴿بَلْ﴾: حرف عطف وإضراب وابتداء. ﴿هُمْ أَضَلُّ﴾: مبتدأ وخبر. ﴿سَبِيلًا﴾: تمييز محول عن المبتدأ منصوب باسم التفضيل، والجملة معطوفة على الجملة التي قبلها.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾﴾.

﴿أَلَمْ﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام التقريري، ﴿لم﴾: حرف نفي وجزم. ﴿تَرَ﴾: فعل مضارع، وفاعله مستتر مجزوم بـ﴿لم﴾. ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: متعلق به،

ولكنه على حذف مضاف؛ أي: إلى صنع ربك. و﴿ترى﴾ هنا بصرية. ﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام في محل النصب على الحال من ﴿ٱلظِّلَّ﴾. ﴿مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به، والجملة الفعلية سادة مسد مفعولي ﴿ترى﴾؛ لأنها معلقة عنها باسم الاستفهام؛ أي ألم تر إلى صنع ربك مد الظل في آية حال شاء، وجملة الرؤية مستأنفة مسوقة لبيان أدلة التوحيد ﴿وَلَوْ﴾: الواو: حالية. ﴿لو﴾: حرف شرط. ﴿شَآءَ﴾: فعل ماض وفاعله مستتر، فعل شرط لـ﴿لو﴾. ﴿لَجَعَلَهُۥ﴾: ﴿اللام﴾: رابطة الجواب، ﴿جعله﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول أول. ﴿سَاكِنًا﴾: مفعول ثان، والجملة جواب ﴿لو﴾، وجملة ﴿لو﴾ في محل النصب على الحال من فاعل ﴿مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف للتفاضل بين أوقات ظهور الظل، لا للتراخي الزماني؛ لأنه لا يصح هنا. ﴿جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ﴾: فعل وفاعل ومفعول أول. ﴿عَلَيْهِ﴾: حال من ﴿دَلِيلًا﴾. ﴿دَلِيلًا﴾: مفعول ثان، لـ﴿جعل﴾، والجملة معطوفة على جملة ﴿مَدَّ﴾.

﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْۦِىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾﴾.

﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف للتفاضل بين الأمور الثلاثة، وهي: مد الظل وسكونه وقبضه، كأن الثاني أعظم من الأول، والثالث أعظم منهما. ﴿قَبَضْنَٰهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿جَعَلْنَا﴾. ﴿إِلَيْنَا﴾: متعلق بـ﴿قَبَضْنَٰهُ﴾. ﴿قَبْضًا﴾: مفعول مطلق. ﴿يَسِيرًا﴾: صفة ﴿قَبْضًا﴾. ﴿وَهُوَ﴾: الواو: استئنافية. ﴿هو﴾: مبتدأ. ﴿ٱلَّذِى﴾: خبره، والجملة مستأنفة مسوقة لبيان دليل آخر من أدلة التوحيد. ﴿جَعَلَ﴾: فعل وفاعل مستتر صلة الموصول. ﴿لَكُمُ﴾: حال من ﴿لِبَاسًا﴾. ﴿ٱلَّيْلَ﴾: مفعول أول. ﴿لِبَاسًا﴾: مفعول ثان. ﴿وَٱلنَّوْمَ﴾: معطوف على ﴿ٱلَّيْلَ﴾. ﴿سُبَاتًا﴾: مفعول ثان لـ﴿جَعَلَ﴾. ﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعولان، معطوف على ﴿جَعَلَ﴾ الأول. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى﴾ مبتدأ وخبر معطوف على

جملة قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ﴾. ﴿أَرۡسَلَ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر صلة الموصول. ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾: مفعول به. ﴿بُشۡرًۢا﴾: حال من ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾. ﴿بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۚ﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بـ﴿أَرۡسَلَ﴾. ﴿وَأَنزَلۡنَا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿أَرۡسَلَ﴾. ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: متعلق بـ﴿أنزلنا﴾. ﴿مَآءً﴾: مفعول به. ﴿طَهُورًا﴾: صفة ﴿مَآءً﴾. ﴿لِّنُحۡـِۧىَ﴾: ﴿اللام﴾: حرف جر وتعليل، ﴿نحيي﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر منصوب بأن مضمرة بعد لام كي. ﴿بِهِۦ﴾: متعلق به. ﴿بَلۡدَةً﴾: مفعول به. ﴿مَّيۡتًا﴾: صفة لـ﴿بَلۡدَةً﴾ لأنه بمعنى مكانا، والجملة الفعلية صلة أن المضمرة، أن مع صلتها في تأويل مصدر مجرور باللام، الجار والمجرور متعلق بـ﴿أنزلنا﴾؛ أي: أنزلنا من السماء ماءً طهوراً لإحيائنا به بلدة ميتاً. ﴿وَنُسۡقِيَهُۥ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به، معطوف على ﴿نحيي﴾. ﴿مِمَّا﴾: جار ومجرور حال من ﴿أَنۡعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ﴾. ﴿خَلَقۡنَآ﴾: فعل وفاعل صلة الموصول، والعائد محذوف تقديره: خلقناه. ﴿أَنۡعَٰمًا﴾: مفعول ثان لـ﴿نسقي﴾. ﴿وَأَنَاسِىَّ﴾: معطوف عليه. ﴿كَثِيرًا﴾: صفة لـ﴿أناسي﴾؛ لأنه بمعنى بشراً كما مر.

﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِى كُلِّ قَرۡيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾﴾.

﴿وَلَقَدۡ﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية، واللام موطئة للقسم، ﴿قد﴾: حرف تحقيق. ﴿صَرَّفۡنَٰهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول به. ﴿بَيۡنَهُمۡ﴾: متعلق بـ﴿صرفنا﴾، والجملة جواب القسم لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم مستأنفة. ﴿لِيَذَّكَّرُواْ﴾: ﴿اللام﴾: حرف جر وتعليل، ﴿يذكروا﴾: فعل وفاعل منصوب بأن مضمرة بعد لام كي، والجملة في تأويل مصدر مجرور باللام؛ أي: لتذكرهم، الجار والمجرور متعلق بـ﴿صرفنا﴾. ﴿فَأَبَىٰٓ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿أبى أكثر الناس﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿صرفنا﴾. ﴿إِلَّآ﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿كُفُورًا﴾: مفعول به. ﴿وَلَوۡ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿لو﴾: حرف شرط. ﴿شِئۡنَا﴾: فعل وفاعل فعل شرط لـ﴿لو﴾. ﴿لَبَعَثۡنَا﴾: ﴿اللام﴾: رابطة لجواب ﴿لو﴾. ﴿بعثنا﴾: فعل وفاعل جواب ﴿لو﴾. ﴿فِى كُلِّ قَرۡيَةٍ﴾: جار ومجرور

ومضاف إليه متعلق بـ﴿بعثنا﴾. ﴿نَذِيرًا﴾: مفعول به، وجملة ﴿لو﴾ الشرطية معطوفة على جملة قوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ﴾.

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾.

﴿فَلَا تُطِعِ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفت أدلة التوحيد المذكورة، وبلغتها إليهم، فأبوا عليك، وأردت بيان ما هو اللازم لك.. فأقول لك: ﴿لا تطع﴾: ﴿لا﴾: ناهية جازمة، ﴿تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية، والجملة في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة. ﴿وَجَٰهِدْهُم﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به معطوف على ﴿تُطِعِ﴾. ﴿بِهِۦ﴾: متعلق بجاهد. ﴿جِهَادًا﴾: مفعول مطلق. ﴿كَبِيرًا﴾: صفة لـ﴿جِهَادًا﴾. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى﴾: مبتدأ وخبر، والجملة معطوفة على الجمل السابقة. ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به صلة الموصول. ﴿هَٰذَا عَذْبٌ﴾: مبتدأ وخبر. ﴿فُرَاتٌ﴾: خبر ثان، والجملة في محل النصب مقول لقول محذوف وقع حالاً من ﴿ٱلْبَحْرَيْنِ﴾، تقديره: حالة كونهما مقولاً فيهما: هذا عذب فرات. ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ﴾: مبتدأ وخبر أول. ﴿أُجَاجٌ﴾: خبر ثان، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿هَٰذَا عَذْبٌ﴾. ﴿وَجَعَلَ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر معطوف على ﴿مَرَجَ﴾. ﴿بَيْنَهُمَا﴾: ظرف متعلق بـ﴿جعل﴾ على كونه مفعولاً ثانياً له. ﴿بَرْزَخًا﴾: مفعول أول لـ﴿جَعَلَ﴾. ﴿وَحِجْرًا﴾: معطوف على ﴿بَرْزَخًا﴾. ﴿مَّحْجُورًا﴾: صفة مؤكدة لـ﴿حِجْرًا﴾. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى﴾: مبتدأ وخبر معطوف على الجمل السابقة. ﴿خَلَقَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر صلة الموصول. ﴿مِنَ ٱلْمَآءِ﴾: متعلق بـ﴿خَلَقَ﴾. ﴿بَشَرًا﴾: مفعول به. ﴿فَجَعَلَهُۥ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول أول. ﴿نَسَبًا﴾: مفعول ثان. ﴿وَصِهْرًا﴾: معطوف على ﴿نَسَبًا﴾، والجملة معطوفة على ﴿خَلَقَ﴾. ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾: فعل ناقص واسمه وخبره، والجملة مستأنفة.

التصريف ومفردات اللغة

﴿لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾: أصل الرجاء ظن يقتضي حصول ما فيه مسرة، وملاقاة الله عبارة عن القيامة، وعن المصير إليه تعالى بالبعث؛ أي: الرجوع إلى حيث لا حاكم ولا مالك سواه. وأصل اللقاء: مقابلة الشيء ومصادفته.

﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُواْ﴾: الاستكبار أن يشبع، فيظهر من نفسه ما ليس له. ذكره في «الروح».

﴿وَعَتَوْ عُتُوًّا﴾ وأصل العتو الغلو والنبو عن الطاعة. وأصل عتوا عتووا بواوين أولاهما مضمومة، فيقال: تحركت ﴿الواو﴾ وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً، فالتقى ساكنان، ثم حذفت الألف لبقاء دالها فصار عتوا، فالمحذوفة واو لام الكلمة، وأصل عتيا عتوواً بوزن فعول بواوين الأولى ساكنة، فكسرت التاء، فيقال: سكنت ﴿الواو﴾ إثر كسرة فقلبت ياء فصار عتيو، ثم يقال: اجتمعت ﴿الواو﴾ والياء، وسبقت إحداهما بالسكون، فقلبت ﴿الواو﴾ ياء، وأدغمت الياء في الياء فصارت عتيا. اهـ شيخنا. وأمَّا أصل عتواً عتوواً فكرهوا توالي المثلين، فأدغمت ﴿الواو﴾ في ﴿الواو﴾ فصار عتواً. والعتو هنا معناه: تجاوز الحد في الظلم تجاوزاً بلغ أقصى الغاية حيث كذبوا الرسول الذي جاء بالوحي، ولم يكترثوا بالمعجزات التي أتاهم بها.

﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ الحجر: مصدر حجره إذا منعه، والمحجور: الممنوع، وهو صفة ﴿حِجْرًا﴾ إرادة للتأكيد كيوم أيوم، وهي كلمة تقولها العرب عند لقاء عدو، أو هجوم نازلة هائلة يقصدون بها الاستعاذة من وقوع ذلك الخطب الذي يلحقهم، والمكروه الذي يلم بدارهم؛ أي: نسأل الله أن يمنع ذلك منعاً ويحجره حجراً.

﴿وَقَدِمْنَآ﴾ القدوم: عبارة عن مجيء المسافر بعد مدة كما مر.

﴿هَبَآءً﴾ والهباء: الغبار الذي يرى في شعاع الشمس، يطلع من الكوة من الهبوة؛ وهو الغبار، قال في «القاموس» و «تاج العروس» الهباء: الغبار ودقائق

التراب ساطعة ومنثورة على وجه الأرض، والقلِيلُو العقول من الناس، وفعله هبا يهبو هبواً. وقال الزمخشري: والهباء: ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه الغبار، وفي أمثالهم: أقل من الهباء، قال: ولام الهباء واو بدليل الهبوة. والكوة ـ بفتح الكاف وضمها ـ الطاقة في الحائط.

﴿مَّنثُورًا﴾: صفته، بمعنى مفرقاً.

﴿مُّسْتَقَرًّا﴾ المستقر: اسم مكان من استقر السداسي، والمستقر: المكان الذي يجلس فيه المرء في أكثر الأوقات للجلوس والمحادثة.

﴿مَقِيلًا﴾ المقيل: المكان الذي يؤوى إليه للاستمتاع بالأزواج والتمتع بحديثهن، سمي بذلك؛ لأن التمتع به يكون وقت القائلة غالباً، والمقيل أيضاً: موضع القيلولة، والقيلولة: الاستراحة نصف النهار في الحر، يقال: قلت قيلولة نمت نصف النهار، والمراد هنا المعنى الأول. وفي «السمين»: ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ في أفعل هنا قولان:

أحدهما: أنه على بابه من التفضيل، والمعنى: أن للمؤمنين في الآخرة مستقراً خيراً من مستقر الكفار وأحسن مقيلاً من مقيلهم، لو فرض أن يكون لهم ذلك، أو على أنهم خير في الآخرة منهم في الدنيا.

والثاني: أن يكون لمجرد الوصف من غير مفاضلة، اهـ.

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾ أصله: تتشقق بتاءين، أولاهما تاء المضارعة والثانية تاء المطاوعة، فحذفوا إحدى التاءين كما في تلظى. والغمام هو السحاب، سمي به؛ لكونه ساتراً لضوء الشمس، والغم ستر الشي؛ أي: بسبب طلوع الغمام منها؛ وهو الغمام الذي ذكر في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾.

﴿يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ﴾ وفي «المصباح»: عضضت اللقمة، وبها، وعليها أمسكتها بالأسنان، وهو من باب تعب في الأكثر، لكن المصدر ساكن، ومن باب نفع لغة قليلة، وفي أفعال ابن القطاع: من باب ردّ، اهـ.

﴿يَٰوَيۡلَتَىٰ﴾ ألفه عوض عن ياء المتكلم، أصله: يا ويلتي بكسر التاء وفتح الياء، ثم فتحت التاء فقلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، فهذه الألف اسم لا حرف كما هو معلوم، وبسطت البحث عنها في رسالتي «هدية أولي الإنصاف في إعراب المنادى المضاف» فراجعها إن شئت. وفي «الروح»: والويل والويلة: الهلكة، ويا ويلتا: كلمة جزع وتحسّر، وأصله: يا ويلتي بكسر التاء، فأبدلت الكسرة فتحة، وياء المتكلمة ألفاً فراراً من اجتماع الكسر مع الياء؛ أي: يا هلكتي تعالي واحضري فهذا أوان حضورك. والنداء وإن كان أصله لمن يتأتّى منه الإقبال؛ وهم العقلاء، إلاّ أن العرب تتجوّز وتنادي ما لا يعقل إظهاراً للتحسّر كما مرّ.

﴿خَذُولًا﴾ يقال: يخذله بوزن نصره ينصره، وهو في المعنى ضده، والمصدر الخذلان، وهو ترك النصرة بعد الموالاة والمعاونة.

﴿مَهۡجُورًا﴾؛ أي: متروكاً؛ أي: تركوه وصدّوا عن الإيمان به. وقيل: هو من هجر إذا هذى؛ أي: جعلوه مهجوراً فيه، فحذف الجار، وهو يحتمل بهذا المعنى وجهين:

أحدهما: أنهم زعموا أنه هذيان وباطل وأساطير الأولين.

وثانيهما: أنهم كانوا إذا سمعوه هجروا فيه، فهو إما من الهجر بالفتح؛ أي: ضد الوصل وإما من الهجر بالضم، وهو الهذيان وفحش القول، ثم المهجور إما اسم مفعول، وإما مصدر بمعنى الهجر، أطلق على القرآن على طريق التسمية بالمصدر كالمجلود والمعقول والميسور والمعسر بمعنى الجلد والعقل واليسر والإعسار.

﴿جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ﴾؛ أي: دفعة واحدة. ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ﴾؛ أي: لنقوّي به قلبك. ﴿وَرَتَّلۡنَٰهُ﴾؛ أي: أتينا ببعضه إثر بعض على تؤدة ومهل لنيسّر حفظه وفهمه، من قولهم: ثغر مرتل؛ أي: متفلج الأسنان.

﴿بِمَثَلٍ﴾؛ أي: بنوع من الكلام، جار مجرى المثل في تنميقه وتحسينه،

ورشاقة لفظه وصدق معناه. ﴿تَفْسِيرًا﴾؛ أي: بياناً وإيضاحاً، والتفسير تفعيل من الفسر، وهو كشق ما غطّي وإظهاره. ﴿وَزِيرًا﴾ وفي «القاموس»: الوزر ـ بالكسر ـ الثقل والحمل الثقيل، والوزير حبأ الملك الذي يحمل ثقله، ويعينه برأيه، وحاله الوزارة بالكسر ويفتح. والجمع وزراء. والحبأ ـ محركة ـ جليس الملك وخاصته. وقال بعضهم: الوزير الذي يرجع إليه، ويتحصن برأيه، من الوزر ـ بالتحريك ـ وهو ما يلتجأ إليه ويعتصم به من الجبل، ومنه قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾﴾؛ أي: لا ملجأ يوم القيامة. والوزر ـ بالكسر ـ الثقل تشبيهاً بوزر الجبل، ويعبر بذلك عن الإثم، كما يعبر عنه بالثقل لقوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ﴾، وقوله: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾.

﴿فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا﴾ التدمير: إدخال الهلاك على الشيء، والدمار الاستئصال بالهلاك، والدمور الدخول بالمكروه. ﴿أَغْرَقْنَٰهُمْ﴾والإغراق والغرق الرسوب في الماء؛ أي: السفول فيه إلى قعره كما مر. ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ أي: هيأنا، أصله أعددنا، قلبت الدال الأولى تاء.

﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾ الرس: البئر، وكل ركية لم تطو بالحجارة والآجرّ فهو رس، كما قال في «الكشاف»: الرس: البئر الغير المطوية؛ أي: المبنية انتهى. وفي «القاموس»: «الرس: بئر كانت لبقية من ثمود، كذبوا نبيهم ورسّوه في بئر» انتهى. أي: دسّوه وأخفوه فيها، فنسبوا إلى فعلهم بنبيهم، فالرس مصدر، ونبيهم هو حنظلة بن صفوان، كان قبل موسى على ما ذكره ابن كثير، وحين دسوه فيها غار ماؤها وعطشوا بعد ريهم، ويبست أشجارهم وانقطعت ثمارهم، بعد أن كان ماؤها يرويهم ويكفي أرضهم جميعاً، وتبدلوا بعد الأنس الوحشة، وبعد الاجتماع الفرقة، لأنهم كانوا ممن يعبد الأصنام.

﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا﴾؛ أي: فتّتنا، من التتبير، وهو التفتيت والتكسير والتقطيع. قال الزجاج: كل شيء كسرته وفتته فقد تبرته، ومنه التبر لفتات الذهب والفضة قبل أن يصاغا، فإذا صيغا فهما ذهب وفضة.

﴿مَطَرَ ٱلسَّوْءِ﴾ مصدر مؤكد بحذف الزوائد كما قيل في: أنبته الله نباتا؛ أي: إمطار السوء. والسوء ـ بفتح السين وضمها ـ كل ما يسوء الإنسان ويغمّه من البلاء والآفة. وفي «القاموس»: «وساء سوءاً ـ بالفتح ـ: فعل به ما يكره، والسوء ـ بالضم ـ اسم منه» اهـ.

﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾؛ أي: لا يتوقعون بعثاً للحساب والجزاء. وحقيقة الرجاء انتظار الخير، وظن حصول ما فيه مسرة، وليس النشور ـ أي: إحياء الميت ـ خيراً مؤدياً إلى المسرة في حق الكافر، فهو مجاز عن التوقع، والتوقع يستعمل في الخير والشر، فأمكن أن يتصور النسبة بين الكافر وتوقع النشور.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾؛ أي: لم تنظر ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾؛ أي: إلى صنعه ﴿كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾؛ أي: بسطه، أصل المد الجزء من المدة للوقت الممتد، والظل ما يحدث من مقابلة جسم كثيف كجبل، أو بناء، أو شجر للشمس من حين ابتداء طلوعها حتى غروبها. ﴿سَاكِنًا﴾؛ أي: ثابتاً على حاله في الطول والامتداد بحيث لا يزول ولا تذهبه الشمس. ﴿دَلِيلًا﴾؛ أي: علامة. ﴿قَبَضْنَٰهُ﴾؛ أي: محوناه. ﴿يَسِيرًا﴾؛ أي: على مهل قليلاً قليلاً بحسب سير الشمس في فلكها. ﴿لِبَاسًا﴾ وأصل اللبس ستر الشيء؛ أي: ساتراً لكم بظلامه.

﴿وَٱلنَّوْمَ﴾ النوم استرخاء أعصاب الدماغ برطوبات البخار الصاعد كما مر بسطه. ﴿سُبَاتًا﴾ والسبات: الموت لما في النوم من زوال الإحساس، وفي «المصباح»: والسبات ـ وزان غراب ـ: النوم الثقيل، وأصله الراحة، يقال منه: سبت يسبت من باب قتل، اهـ. وفي «القاموس»: أنه من بابي قتل وضرب، ثم قال: والسبات النوم، أو خفيفه، أو ابتداؤه في الرأس حتى يبلغ القلب، اهـ. وسبت الرأس إذا حلقه، والسبت مصدر ويوم من أيام الأسبوع بين الجمعة والأحد، وجمعه أسبت وسبوت، والسبت أيضاً النوّام، والفرس الجواد، والرجل الداهية.

﴿نُشُورًا﴾؛ أي: ذا نشور؛ أي: انتشار، ينتشر الناس فيه للمعاش، اهـ

«بيضاوي» والنشور: مصدر من باب قعد كما في «المصباح و «المختار».

﴿أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾؛ أي: المبشرات؛ وهي الصبا والجنوب والشمال، بخلاف الدبور؛ فإنها ريح العذاب التي أهلكت بها عاد، اهـ شيخنا. يقال: أرسلت الطائر، وأرسلت الكلب المعلّم. وفي «الفردات»: قد يكون الإرسال للتسخير كإرسال الريح، والريح معروفة، وهي فيما قيل الهواء المتحرك. وفي «المصباح»: والريح أربع:

الأولى: الشمال وتأتي من ناحية الشام.

والثانية: الجنوب تقابلها وهي الريح اليمانية.

والثالثة: الصبا وتأتي من مطلع الشمس، وهي القبول أيضاً.

والرابعة: الدبور وتأتي من ناحية المغرب. والريح مؤنثة على الأكثر، فيقال: هي الريح، وقد تذكر على معنى الهواء، فيقال: هو الريح وهب الريح، نقله أبو زيد. وقال ابن الأنباري: «الريح مؤنثة لا علامة فيها، وكذلك سائر أسمائها إلاّ الإعصار فإنه مذكر.

﴿طَهُورٗا﴾ الطهور له استعمالان في العربية: صفة واسم غير صفة، فالصفة قولك: ماء طهور كقولك: طاهر. والاسم قولك لما يتطهر به: طهور كالوضوء لما يتوضأ به، والوقود لما توقد به النار، كقولك: وضوءاً حسناً؛ ذكره سيبويه.

﴿وَنُسۡقِيَهُۥ﴾ وسقى وأسقى لغتان بمعنى. قال الإمام الراغب: السقي والسقيا أن تعطيه ماء ليشربه، والإسقاء أن تعجل له ذلك حتى يتناوله كيف يشاء، والإسقاء أبلغ من السقي؛ لأن الإسقاء هو أن تجعل له ماء يستقي منه ويشرب، كقوله: أسقيته نهراً. فالمعنى: مكناهم من أن يشربوه ويسقوا منه أنعامهم.

﴿أَنۡعَٰمٗا﴾ جمع نعم، وهي الإبل والبقر والغنم، وأكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل. وقال في «المغرب»: الأنعام: الأزواج الثمانية في قوله تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا

ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾.

﴿وَأَنَاسِيَّ﴾: جمع إنسان عند سيبويه على أن أصله: أناسين، أبدلت النون ياءً وأدغمت فيها الياء التي قبلها. وقال الفرّاء والمبرد والزجاج: إنَّه جمع إنسي. وفيه نظر؛ لأن فعاليّ إنما يكون جمعاً لما فيه ياء مشددة لا تدل على نسب نحو كراسيّ في جمع كرسي، فلو أريد بكرسي النسب لم يجز جمعه على كراسي، ويبعد أن يقال: إن الياء في إنسي ليست للنسب، وكان حقه أن يجمع على أناسية نحو مهالية في جمع المهلي، كذا في «حواشي ابن الشيخ». وقال الراغب: الإنسي منسوب إلى الأنس، يقال ذلك لمن كثر أنسه، ولكل ما يؤنس به، وجمع الإنسي أناسي. وقال في الكرسي: «إنه في الأصل منسوب إلى الكرسي؛ أي: التلبد، ومنه الكراسة للمتلبد من الأوراق»، انتهى.

قوله: ﴿كَثِيرًا﴾: صفة ﴿أناسي﴾؛ لأنه بمعنى بشر كما سبق. ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾ أصله: ليتذكّروا، والتذكّر التفكر. ﴿فَأَبَىٰ﴾ الإباء: شدة الامتناع، ورجل أبيّ ممتنع من تحمل الضيم. ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾ والكفران في جحود النعمة أكثر استعمالاً، والكفر في الدين أكثر، والكفور فيهما جميعاً كما في «المفردات»، والمعنى؛ أي: إلاّ كفرناً للنعمة، وإنكاراً لها. ﴿لَبَعَثْنَا﴾ قال الراغب: البعث: إثارة الشيء وتوجيهه.

﴿فِى كُلِّ قَرْيَةٍ﴾ القرية: اسم للموضع الذي يجتمع فيه الناس. ﴿نَّذِيرًا﴾؛ أي: منذراً، والإنذار: إخبار فيه تخويف. ﴿وَجَـٰهِدْهُم﴾ والجهاد والمجاهدة: استفراغ الوسع في مدافعة العدو. ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ من مرج الدابة خلاها وأرسلها ترعى، ومرج أمرهم اختلط. والبحر: الماء الكثير الذي لا قعر له، عذباً كان أو ملحاً عند الأكثر. وأصله: المكان الواسع الجامع للماء الكثير كما في «المفردات». وفي «المصباح»: المرج: أرض ذات نبات ومرعى، والجمع

مروج، مثل فلس وفلوس، ومرجت الدابة مرجاً ـ من باب قتل ـ رعت في المرج، ومرّجتها مرجاً أرسلتها ترعى في المرج.

﴿عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ عذب؛ أي: طيب حلو من عذب الماء ـ من باب ظرف ـ إذا حلا، ولم يكن ذا ملوحة. فرات؛ أي: شديد العذوبة حتى يضرب إلى الحلاوة. والتاء فيه أصلية لام الكلمة، ووزنه فعال كغراب، وبعض العرب يقف عليها هاء، ويقال: سمي الماء العذب فراتاً؛ لأنه يفرت العطش؛ أي: يشقه ويقطعه. وفي «المصباح»: الفرات: الماء العذب، يقال: فرت الماء فروته ـ وزان سهل سهولة ـ إذا عذب ولا يجمع إلاّ نادراً على فرتان كغربان. والفرات أيضاً: نهر عظيم بالكوفة، عذب طيب، مخرجه من أرمينية. وفي «الملكوت»: أصله في قرية من جابلقا ينحدر إلى الكوفة، وآخر مصبّه بعضاً في دجلة، وبعضاً في بحر فارس، اهـ من الروح».

﴿مِلْحٌ﴾ قال الراغب: الملح الماء الذي تغير طعمه التغير المعروف وتجمد، ويقال: ملح إذا تغير طعمه وإن لم يتجمد، فيقال: ماء ملح، وقلما تقول العرب: ماء مالح.

﴿أُجَاجٌ﴾: بليغ الملوحة، صفة الملح. وقيل: البالغ في الحرارة. وقيل: البالغ في المرارة. وفي الأساس: وماء أجاج يحرق بملوحته. وفي «القاموس»: أجّ الماء يؤجّ صار أجاجاً؛ أي: ملحاً مرّا.

قالوا: إن الله تعالى خلق ماء البحر مرّا زعاقا؛ أي: مرّا غليظا بحيث لا يطاق شربه، وأنزل من السماء ماء عذباً، فكل ماء عذب من بئر أو نهر أو عين فمن ذلك المنزل من السماء، وإذا اقتربت الساعة بعث الله ملكاً معه طست لا يعلم عظمه إلاّ الله تعالى، جمع تلك المياه، فردها إلى الجنة.

واختلفوا في سبب ملوحة ماء البحر: فزعم قوم أنه لما طال مكثه وأحرقته الشمس صار مراً ملحاً، واجتذب الهواء ما لطف من أجزائه فهو بقية صفته الأرض من الرطوبة، فغلظ لذلك. وزعم آخرون أن في البحر عروقاً تغير ماء

البحر، ولذلك صار مراً زعاقاً، اهـ من «روح البيان».

﴿بَرْزَخًا﴾؛ أي: حاجزاً خلفياً لا يحس، بل بمحض قدرة الله تعالى يمنع من اختلاط أحدهما بالآخر. ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾: تقدم تفسيرهما.

﴿نَسَبًا﴾ قال الإمام الراغب: النسب اشتراك من جهة الأبوين، وذلك ضربان: نسب بالطول كالاشتراك بين الآباء والأبناء. ونسب بالعرض كالنسبة بين الإخوة وبني العم. وقيل: فلان نسيب فلان؛ أي: قريبه، انتهى.

﴿وَصِهْرًا﴾ الصِهر - بالكسر - القرابة كما في «القاموس» والختن. وجمعه: أصهار. وفي «المصباح»: الصهر جمعه أصهار. قال الخليل: الصهر أهل بيت المرأة. وقال: ومن العرب من يجعل الأحماء والأختان جميعاً أصهاراً. وقال الأزهري: الصهر يشتمل على قرابات النساء ذوي المحارم وذوات المحارم، كالأبوين والإخوة وأولادهم والأعمام والأخوال والخالات، فهؤلاء أصهار زوج المرأة، ومن كان من قبل الزوج من ذوي قرابته المحارم فهم أصهار المرأة أيضاً. وقال ابن السكيت: كل من كان من قبل الزوج من أبيه أو أخيه أو عمه فهم الأحماء، ومن كان من قبل المرأة فهم الأختان، ويجمع الصنفين الأصهار. وصاهرت إليهم، ولهم، وفيهم إذا تزوجت منهم.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: التحضيض في قوله: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾؛ أي: هلاّ أنزل علينا.

ومنها: جناس الاشتقاق في قوله: ﴿وَعَتَوْ عُتُوًّا﴾، وقوله: ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾.

ومنها: المبالغة بنفي الجنس في قوله: ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ ومعناه: لا يبشر يومئذ المجرمون، وإنما عدل عنه للمبالغة.

ومنها: وضع الظاهر موضع المضمر في قوله: ﴿لِلْمُجْرِمِينَ﴾؛ لأن مقتضى السياق أن يقال لهم تسجيلاً عليهم بالإجرام مع ما هم عليه من الكفر.

ومنها: تكرير ﴿يَوْمَئِذٍ﴾؛ لتأكيد ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ﴾.

ومنها: الاستعارة التصريحية التبعية في قوله: ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾؛ لأن الإجرام في الأصل قطع الثمرة من الشجرة، ثم استعير لاكتساب كل مكروه.

ومنها: التأكيد في قوله: ﴿حِجْرًا مَحْجُورًا﴾؛ لأنه وصف الحجر بالمحجور؛ لقصد التأكيد كيوم أيوم.

ومنها: الاستعارة التمثيلية في قوله: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا (٢٣)﴾ مثل سبحانه وتعالى حالهم وحال أعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا من صلة رحم، وإغاثة ملهوف مثلاً بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه، فقصد إلى ما تحت أيديهم من الدور والعقار ونحوهما، فمزّقها وأبطلها ـ اهـ «روح» بالكلية، ولم يبق لها أثراً.

ومنها: التشبيه البليغ في قوله: ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾؛ أي: كالغبار المنثور في الجو، شبّه أعمالهم المحبطة بالغبار في الحقارة وعدم الجدوى، ثم بالمنثور منه في الانتشار بحيث لا يمكن نظمه، فحذف منه أداة التشبيه ووجه الشبه، فصار بليغاً.

ومنها: الكناية في قوله: ﴿خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ كنى بالمستقر عن أحاديث العشايا والبكر التي يتبادلونها، وهي أحاديث كانت في الدنيا تدور بين المترفين وأصحاب النعيم واليسار، وكنى بالمقيل وهو وقت استراحة نصف النهار عن قضائهم وقت الاستجمام، والاستراحة مع أزواجهم.

ومنها: الكناية اللطيفة في قوله: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ فإنه كناية عن الندم والحسرة، كما أن لفظة فلان كناية عن الخليل الذي أضله.

ومنها: جناس الاشتقاق في قوله: ﴿وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾.

ومنها: تقديم المعمول على عامله في قوله: ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ لرعاية الفاصلة.

ومنها: تنزيل غير العاقل منزلة العاقل وندائه إظهاراً للتحسر والندامة.

ومنها: جناس الاشتقاق في قوله: ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾.

ومنها: الإسناد المجازي في قوله: ﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾؛ لأنَّ الضلال لا ينسب إلى المكان، ولكن إلى أهله.

ومنها: قوة اللفظ لقوة المعنى في قوله: ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾؛ لأن: لفظة رتّل على وزن فعل الدال على التكثير نظير قتل، ومع هذا ليست دالة على كثرة القراءة، وإنما المراد بها أن تكون القراءة على هيئة التأني والتدبر، وسبب ذلك أن هذه اللفظة لا ثلاثي لها حتى تنقل عنه إلى رباعي، وإنما هي رباعية موضوعة لهذه الهيئة الحسنة المخصوصة من القراءة، كذا في إعراب القرآن.

ومنها: الاستعارة التصريحية في قوله: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ شبه السؤال بالمثل بجامع البطلان في كل؛ لأن أكثر الأمثال أمور متخيلة.

ومنها: المجاز بالحذف في قوله: ﴿فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ﴾ إلى قوله: ﴿فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا﴾؛ لأن تقدير الكلام: فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا، فذهبا إليهم فكذبوهما، فدمرناهم تدميراً، وفيه أيضاً جناس الاشتقاق أعني في قوله: ﴿فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا﴾.

ومنها: الإظهار في مقام الإضمار في قوله: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾. للتسجيل بظلمهم، والإيذان بتجاوزهم الحد في الكفر والتكذيب.

ومنها: التجوز بالرجاء عن التوقع في قوله: ﴿لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾؛ لأن حقيقة الرجاء انتظار الخير وما فيه سرور، والكفار ليس لهم خير في نشورهم فينتظرونه.

ومنها: الاستفهام للتهكم والاستهزاء والاستحقار، في قوله: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى

بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾.

ومنها: الاستفهام التعجيزي في قوله: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾، وفيه أيضاً تقديم المفعول الثاني على الأول اعتناءً بالأمر المتعجب منه، والأصل: اتخذ هواه إلهاً له.

ومنها: التمثيل في قوله: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ وهو أن يذكر الشيء ليكون مثالاً للمعنى المراد وإن كان معناه ولفظه غير المعنى المراد ولفظه، كأنهم لثبوتهم على الضلالة بمنزلة الأنعام والبهائم، بل أضل سبيلاً؛ لأن البهائم تنقاد لمن يتعهدها، وتميز من يحسن إليها ممن يسيء إليها، أما هؤلاء فقد أسفوا إلى أبعد من هذا الدرك.

ومنها: التشبيه البليغ في قوله: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ أي: كاللباس الذي يغطي البدن ويستره، حذف منه الأداة ووجه الشبه، فأصبح بليغاً.

ومنها: المقابلة اللطيفة بين الليل والنهار، والنوم والانتشار، في قوله: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾.

ومنها: الاستعارة التصريحية في قوله: ﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ استعار اليدين لما يكون أمام الشيء وقدامه، كما تقول: بين يدي الموضوع أو السورة.

ومنها: الالتفات من الغيبة إلى التكلم للتعظيم في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ بعد قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾.

ومنها: المقابلة اللطيفة في قوله: ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾؛ أي: نهاية في الحلاوة، ونهاية في الملوحة.

ومنها: الاستعارة التصريحية التبعية في قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا﴾، وقوله: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ﴾ أستعير فيها لفظة المشبه به، وهو البعد والتراخي للمشبه، وهو تفاضل الأمور.

ومنها: الاستعارة التصريحية في قوله: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ فقد شبه بهما الماءين الكثيرين الواسعين.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلّ وعلا:

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا (٥٥) وَمَآ
أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٥٦) قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ
سَبِيلًا (٥٧) وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا (٥٨)
ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ
خَبِيرًا (٥٩) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ (٦٠)
تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا (٦١) وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ
وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا (٦٢) وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى
ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا (٦٣) وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا
(٦٤) وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَآءَتْ
مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٦٦) وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا (٦٧)
وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ
وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَن
تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا
رَّحِيمًا (٧٠) وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا (٧١) وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ
وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا (٧٢) وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا
وَعُمْيَانًا (٧٣) وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا
لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤) أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا
(٧٥) خَٰلِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٧٦) قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ
كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا (٧٧)﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما بسط[1] أدلة التوحيد،

---

(١) المراغي.

وأرشد إلى ما في الكون من باهر الآيات وعظيم المشاهدات التي تدل على بديع قدرته وجليل حكمته.. أعاد الكرّة مرة أخرى، وبيّن شناعة أقوالهم وقبيح أفعالهم؛ إذ هم مع كل ما يشاهدون لا يرعوون عن غيهم، بل هم عن ذكر ربهم معرضون، فلا يعظمون إلا الأحجار والأوثان، وما لا نفع فيه إن عبد، وما لا ضر فيه إن ترك، إلى أنهم يظاهرون أولياء الشيطان، ويناوئون أولياء الرحمن، وإن تعجب لشيء فاعجب لأمرهم، فقد بلغ من جهلهم أنهم يضارّون من جاء لنفعهم؛ وهو الرسول الذي يبشرهم بالخير العميم إذا هم أطاعوا ربهم، وينذرهم بالويل والثبور إذا هم عصوه، ثم هو على ذلك لا يبتغي أجراً، ثم أمر رسوله بأن لا يرهب وعيدهم، ولا يخشى بأسهم، بل يتوكل على ربه ويسبح بحمده، ويسبحه عما لا يليق به من صفات النقص كالشريك والولد، وهو الخبير بأفعال عباده، فيجازيهم بما يستحقون.

قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما[1] وصف الكافرين بالإعراض عن عبادته، والنفور من طاعته، والسجود له سبحانه.. ذكر هنا أوصاف خلّص عباده المؤمنين، وبيّن ما لهم من فاضل الصفات وكامل الأخلاق التي لأجلها استحقوا جزيل الثواب من ربهم، وأكرم لأجلها مثواهم، وقد عدّ من ذلك تسع صفات مما تشرئبّ إليها أعناق العاملين، وتتطلع إليها نفوس الصالحين الذين يبتغون المثوبة، ونيل النعيم كفاء ما اتصفوا من كريم الخلال، وأتوا به من جليل الأعمال.

أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ...﴾ الآية، سبب نزول هذه الآية: ما أخرجه الشيخان عن ابن مسعود قال[2]: سألت رسول الله ﷺ: أي الذنب أعظم؟ قال: «أن

---

(١) المراغي.

(٢) لباب النقول.

تجعل لله نداً وهو خلقك»، قلت: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك»، قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك»، فأنزل الله تصديقها: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ...﴾ الآية.

وأخرج الشيخان وغيرهما أيضاً عن ابن عباس أن ناساً من أهل الشرك قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا، ثم أتوا محمداً ﷺ، فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أنا لما عملنا كفارة، فنزلت: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾، ونزل: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ...﴾ الآية، ولا مانع أن تكون الآية نزلت للسببين معاً، والله أعلم.

وأخرج البخاري وغيره عن ابن عباس قال: لما أنزلت في الفرقان: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ...﴾ الآية، قال مشركوا مكة: قد قتلنا النفس بغير حق، ودعونا مع الله إلهاً آخر، وأتينا الفواحش، فنزلت: ﴿إِلَّا مَن تَابَ...﴾ الآية.

وأخرج البخاري بسنده عن سعيد بن جبير قال: أمرني عبد الرحمن بن أبزي قال: سئل ابن عباس عن هاتين الآيتين ما أمرهما؟ ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾، ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ فسألت ابن عباس، فقال: لما أنزلت التي في الفرقان قال مشركوا أهل مكة: فقد قتلنا النفس التي حرم الله، ودعونا مع الله إلهاً آخر، وقد أتينا الفواحش، فأنزل الله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾، وأما التي في «النساء»: أن الرجل إذا عرف الإسلام وشرائعه، ثم قتل فجزاؤه جهنم خالداً فيها، فذكرته لمجاهد، فقال: إلاّ من ندم.

التفسير وأوجه القراءة

ولما ذكر سبحانه وتعالى دلائل التوحيد عاد إلى ذكر قبائح الكفار وفضائح سيرتهم، فقال: ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾؛ أي: ويعبد هؤلاء المشركون حالة كونهم ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ سبحانه؛ أي: متجاوزين عبادة الله تعالى: ﴿مَا لَا يَنفَعُهُمْ﴾ في الدنيا، ولا

في الآخرة إن عبدوه، مفعول ﴿يَعۡبُدُونَ﴾. والنفع[1]: ما يستعان به في الوصول إلى الخيرات، وما يتوصل به إلى الخير فهو خير، والنفع الخير، وضده الضر ﴿وَلَا يَضُرُّهُمۡۗ﴾ فيهما إن لم يعبدوه، وما ليس من شأنه النفع والضر أصلا وهو الأصنام وما في حكمها من المخلوقات؛ إذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر فلا فائدة في عبادته، والاعتماد عليه واتباعه.

والمعنى: أي[2] ويعبد هؤلاء المشركون من دون الله آلهة لا تنفعهم إذا هم عبدوها، ولا تضرهم إن تركوا عبادتها، فهم عبدوها لمجرد التشهي والهوى، وتركوا عبادة من أنعم عليهم بهذه النعم التي لا كفاء لأدناها، ومن ذلك ما ذكره قبل بقوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ...﴾ إلى آخر الآيات.

ثم ذكر لهم جرماً آخر، فقال: ﴿وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ﴾ بشركه وعدوانه للحق ﴿عَلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ الذي رباه بنعمته، متعلق بقوله: ﴿ظَهِيرًا﴾؛ أي: عوناً للشيطان، فالظهير بمعنى المظاهر؛ أي: المعين، والمظاهرة على الرب هي المظاهرة على رسوله أو على دينه، قال الزجاج: لأنه يتابع الشيطان ويعاونه على معصية الله تعالى؛ لأن عبادتهم للأصنام معاونة للشيطان. والمراد[3] بالكافر الجنس، أو أبو جهل، فإنه أعان الشيطان على الرحمن في إظهار المعاصي، والإصرار على عداوة الرسول، وتشجيع الناس على محاربته ونحوها. وقال أبو عبيدة: المعنى: وكان الكافر على ربه هيناً ذليلاً.

والمعنى: أي وكانوا مظاهرين للشيطان على معصية الرحمن، وذلك دأبهم وديدنهم، فهم يعاونون المشركين، ويكونون أولياء لهم على رسوله، وعلى المؤمنين بمساعدتهم على الفجور وارتكاب الآثام، وخذلان المؤمنين إذا أرادوا منعها والتنفر منها كما قال: ﴿وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ﴾.

---

(١) روح البيان.
(٢) المراغي.
(٣) روح البيان.

وقد يكون المعنى: وكان الكافر على ربه هيناً ذليلاً، لا قدر له ولا وزن له عنده، كما مر عن أبي عبيدة من قول العرب: ظهرت به؛ أي: جعلته خلف ظهرك، ولم تلتفت إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾ وقول الفرزدق:

تَمِيْمَ ٱبْنَ قَيْسٍ لاَ تَكُونَنَّ حَاجَتِيْ بِظَهْرٍ فَلاَ يَعْيَا عَلَيَّ جَوَابُهَا

قال ابن عباس: نزلت الآية في أبي الحكم بن هشام الذي سماه رسول الله ﷺ أبا جهل بن هشام.

ثم بين عظم حمقهم ونفورهم ممن جاء لجلب الخير لهم، ودفع الأذى عنهم فقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ يا محمد في حال من الأحوال ﴿إِلَّا﴾ حال كونك ﴿مُبَشِّرًا﴾ للمؤمنين بالجنة والرحمة. والتبشير: إخبار فيه سرور ﴿ونذيرا﴾ أي: منذراً ومخوفاً للكافرين بالنار والغضب. والإنذار: إخبار فيه تخويف.

والمعنى: أي كيف تطلبون العون على الله ورسوله، والله قد أرسل رسوله لنفعكم؛ إذ قد بعثه ليبشركم على فعل الطاعات، وينذركم على فعل المعاصي، فتستحقوا الثواب، وتبتعدوا عن العقاب.

وخلاصة ذلك: لا جهل أعظم من جهل من استفرغ جهده في إيذاء من يرجو نفعه في دينه ودنياه، وفي هذا تسلية لرسوله حتى لا يحزن على عدم إيمانهم.

ثم أمر رسوله أن يبين لهم أنه مع كونه يريد نفعهم لا يبغي لنفسه نفعاً، فقال: ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿مَآ أَسْـَٔلُكُمْ﴾ أيها المشركون ﴿عَلَيْهِ﴾؛ أي: على تبليغ الرسالة التي ينبىء عنها الإرسال، أو على التبشير والإنذار، أو على القرآن، أقوال ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ وجعل من جهتكم، فتقولوا: إنما يطلب محمد أموالنا بما يدعونا إليه، فلا نتبعه، والأجر ما يعود من ثواب العمل دنيوياً كان أو أخروياً ﴿إِلَّا مَن شَآءَ﴾؛ أي: إلا فعل من يريد ﴿أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾؛ أي: أن يجعل لنفسه سبيلاً موصلاً إلى ربه؛ أي: يريد أن يتقرب إلى ربه ويطلب الزلفى عنده

بالإيمان والطاعة والإنفاق حسبما أدعوكم إليه، يعني[١]: إن أعطيتم لي أجراً فأعطوني ذلك الفعل، فإني لا أسأل غيره.

والظاهر: أن الاستثناء منقطع، والمعنى عليه: لا أطلب من أموالكم جعلاً لنفسي، لكن من شاء إنفاقه لوجه الله تعالى فليفعل، فإني لا أمنعه عنه. وقيل: هو متصل، والمعنى عليه: إلا من شاء أن يتقرب إليه سبحانه بالطاعة، وصور ذلك بصورة الأجر من حيث إنه مقصود الحصول.

وفي «الفتوحات المكية»: مذهبنا أن للواعظ أخذ الأجرة على وعظ الناس، وهو من أحل ما يأكل، وإن كان ترك ذلك أفضل. وإيضاح ذلك أن مقام الدعوة إلى الله يقتضي الإجارة، فإن ما من نبي دعا إلى الله إلا قال: إن أجرى إلاّ على الله، فأثبت الأجر على الدعاء، ولكن اختار أن يأخذه من الله، لا من المخلوق انتهى.

وأفتى المتأخرون بصحة الأجرة للأذان والإقامة، والتذكير والتدريس والحج والغزو، وتعليم القرآن والفقه وقراءتهما؛ لفتور الرغبات اليوم، ولو كانت الإجارة على أمر واجب، كما إذا كان المعلم والإمام والمفتي واحداً، فإنها لا تصح إجماعاً كما في الكرماني وغيره. وكذا إذا كان الغسّال في القرية واحداً، فإنه يتعين عليه غسل الميت، ولا يجوز له طلب الأجرة.

والمعنى: أي[٢] قل يا محمد لمن أرسلت إليهم: لا أسألكم على ما جئت به من عند ربي أجراً، فتقولوا إنما يدعونا ليأخذ أموالنا، ومن ثم لا نتبعه حتى لا يكون له في أموالنا مطمع ﴿إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾؛ أي: لكن من شاء منكم أن يتقرب إلى الله بالإنفاق في الجهاد وغيره، ويتخذ ذلك سبيلاً إلى رحمته ونيل ثوابه فليفعل.

وخلاصة ذلك: لا أسألكم عليه أجراً لنفسي، وأسألكم أن تطلبوا الأجر لأنفسكم باتخاذ السبيل إلى ربكم لنيل مثوبته ومغفرته.

---

(١) روح البيان.　　(٢) المراغي.

ولما بين سبحانه أن الكفار متظاهرون على رسول الله، وأمره أن لا يطلب منهم أجراً البتة أمره أن يتوكل عليه في دفع المضار وجلب المنافع، فقال: ﴿وَتَوَكَّلْ﴾؛ أي: واعتمد يا محمد في الاستكفاء عن شرورهم، والإغناء عن أجورهم ﴿عَلَى﴾ الإله ﴿ٱلْحَيِّ﴾؛ أي: المتصف بالحياة الدائمة أزلاً وأبداً ﴿ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾؛ أي: لا يطرأ عليه الموت الذي هو ضد الحياة، فإنه الحقيق بأن يتوكل عليه دون الأحياء الذين من شأنهم الموت، فإنهم إذا ماتوا ضاع من توكل عليهم.

وأصل التوكل[1]: أن يعلم العبد بأن الحادثات كلها صادرة من الله تعالى، ولا يقدر أحد على الإيجاد غيره تعالى، فيفوض أمره إلى الله تعالى فيما يحتاج إليه، وهذا القدر فرض، وهو من شرط الإيمان، قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ وما زاد على هذا القدر من سكون القلب وزوال الانزعاج والاضطراب فهي أحوال تلحق بالتوكل على وجه الكمال. كذا في «التأويلات النجمية».

والحاصل: أن معنى التوكل اعتماد العبد على الله في كل الأمور، والأسباب وسائط أمرنا باتباعها من غير اعتماد عليها، ومثل الآية قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾.

﴿وَسَبِّحْ﴾؛ أي: نزّهه تعالى عن صفات النقصان، وعن كل ما يرد على الوهم والخيال حال كونك متلبساً ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾ تعالى؛ أي: مثنياً عليه بنعوت الكمال طالباً لمزيد الإنعام بالشكر على سوابقه، وفي الحديث: «من قال كل يوم: سبحان الله وبحمده مئة مرة غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر»، وهما الكلمتان الخفيفتان على اللسان، الثقيلتان في الميزان. وقيل: معنى ﴿سبحْ﴾ صلّ، والصلاة تسمى تسبيحاً.

والمعنى: أي وتوكل على ربك الدائم الباقي رب كل شيء ومليكه، واجعله

---

(١) روح البيان.

ملجأك وذخرك، وفوض إليه أمرك، واستسلم له، واصبر على ما نابك فيه، فإنه كافيك وناصرك ومبلغك ما تريد، ونزّهه عما يقوله هؤلاء المشركون من الصاحبة والولد، فهو الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد، كما تنزهه عن الأنداد والشركاء من الأصنام والأوثان، فهو لا كفء له ولا ند، ولم يكن له كفواً أحد.

وفي قوله: ﴿ٱلْحَيِّ﴾ إيماء إلى أنه لا ينبغي أن يتوكل على من لم يتصف بالحياة من صنم أو وثن، ولا على من لا بقاء له ممن يموت؛ لأنه إذا مات ضاع من توكل عليه، وحكي عن بعض السلف أنه قرأ هذه الآية فقال: لا ينبغي لذي لب أن يثق بعدها بمخلوق.

ثم أنذرهم وحذّرهم بأن ربهم محص أعمالهم عليهم، ومجازيهم عليها يوم القيامة، فقال: ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ﴾ سبحانه. الباء زائدة للتأكيد؛ أي: حسبك الحي الذي لا يموت، وقوله: ﴿بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ﴾ ما ظهر منها وما بطن متعلق بقوله: ﴿خَبِيرًا﴾؛ أي: مطلعاً عليها بحيث لا يخفى عليه شيء منها، فيجزيهم جزاء وافياً، أراد أنه ليس إليه من أمور عباده شيء آمنوا أم كفروا، وأنه خبير بأحوالهم كاف في جزاء أعمالهم.

والمعنى: أي وحسبك بالحي الذي لا يموت حالة كونه خبيراً بذنوب خلقه ما ظهر منها وما بطن، فهو لا يخفى عليه شيء منها، وهو محصيها عليهم، ومجازيهم عليها، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، فلا عليك إن آمنوا أو كفروا، وفي هذا تسلية لرسوله ﷺ ووعيد لأولئك الكافرين على سوء أفعالهم وإعراضهم عن اتباع رسوله ومناصبته العداء، وكأنه قيل: إذا أقدمتم على مخالفة أمره كفاكم علمه في مجازاتكم بما تستحقون من العقوبة، وفي «الأخبار»: كفى بك ظفراً أن يكون عدوك عاصياً. وهي كلمة يراد بها المبالغة، تقول: كفى بالعلم جمالاً، وكفى بالأدب مالاً؛ أي: هو حسبك لا تحتاج معه إلى غيره؛ لأنه خبير بأحوالهم، قادر على مكافأتهم.

ولما أمره بالتوكل والتسبيح، وذكر صفة الحياة الدائمة.. ذكر ما دل على القدرة التامة؛ وهو إيجاد هذا العالم، فقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ محل

الموصول الجر على أنه صفة ثانية لـ﴿ٱلْحَيِّ﴾، ولعل ذكره زيادة تقرير لكونه حقيقاً بأن يتوكل عليه من حيث إنه الخالق للكل والمتصرف فيه، وتحريض على الثبات والتأني في الأمر، فإنه تعالى مع كمال قدرته وسرعة نفاذ أمره في كل مراد خلق الأشياء على تؤدة وتدرج. ذكره «البيضاوي»؛ أي: وتوكل على الحي الذي أوجد السموات والأرض على غير مثال سابق ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾؛ أي: وأوجد ما بينهما من الأركان والمواليد. وقال: ﴿بَيْنَهُمَا﴾، ولم يقل: بينهن؛ لأنه أراد النوعين كما قال القطامي:

أَلَـمْ يُـحْـزِنْـكَ أَنَّ جِـبَـالَ قَـيْـسٍ ... وَتَـغْـلِـبَ قَـدْ تَـبَـايَـنَـتَـا ٱنْـقِـطَـاعَـا

﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾؛ أي[1]: في مقدار ستة أيام من أيام الدنيا؛ لأنه لم يكن ثمة شمس ولا قمر، فخلق الأرض في يومي الأحد والاثنين، وما بينهما في يومي الثلاثاء والأربعاء، والسموات في يومي الخميس والجمعة، وفرغ من آخر ساعة من يوم الجمعة، وذلك مع قدرته على خلقهن في أسرع لمحة؛ ليعلم العباد أن التأني مستحب في الأمور.

فائدة: وأيام الأسبوع سبعة، وأسماؤها الجارية على الألسنة تسمية إسلامية، وقد كان لها أسماء عند العرب؛ وهي الأحد: الأَوْهَلُ، والاثنين: أَوْهَنُ، والثلاثاء: جَبَارُ، والأربعاء: دَبَارُ، والخميس: مُؤْنِسْ، والجمعة: عَرُوبَةُ، والسبت: شَيَارُ.

﴿ثُمَّ﴾ بعد فراغه من خلق السموات والأرض وما بينهما ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ وارتفع سبحانه استواء يليق به، نثبته ونعتقده، لا نكيّفه ولا نمثله ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ العظيم الذي هو أعظم المخلوقات. فإن قيل[2]: يلزم من نظم القرآن أن يكون خلق العرش بعد خلق السموات والأرض كما تفيده ﴿ثُمَّ﴾؟ يقال: إن كلمة ﴿ثُمَّ﴾ لم تدخل على خلق العرش، بل على استوائه سبحانه على العرش. والأولى أن يقال: إن ﴿ثُمَّ﴾ هنا لا تفيد الترتيب الزماني.

---

(١) المراح.

(٢) الشوكاني بتصرف.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هو الرحمن؛ أي: الذي خلق الأجرام العلوية والسفلية وما بينهما هو الرحمن، وهو تمهيد لما يأتي من قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ﴾، وبيان أن المراد من الاستواء المذكور في الحقيقة تعيين مرتبة الرحمانية، فالوقف[١] على العرش تام إن أعرب الرحمن على المدح خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هو الرحمن الذي لا ينبغي السجود إلا له، وهو في الحقيقة صفة ثالثة لـ﴿ٱلۡحَيِّ﴾، كما قرأ زيد بن علي بالجر؛ لأن المنصوب، والمرفوع على سبيل المدح وإن خرجا عن التبعية لما قبلهما لفظاً، فهما تابعان له معنى، ولا يوقف على العرش إن أعرب ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ بدلاً من الضمير المستكن في ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾، فحينئذ فالوقف على ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾؛ وهو وقف كاف. وفي «البيضاوي»: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾: خبر للذي خلق السموات إن جعلته مبتدأ، أو خبر لمحذوف إن جعلت الموصول صفة لـ﴿ٱلۡحَيِّ﴾، أو بدل من المستكن في ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾ انتهى. وفي «تنوير المقياس»: قوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾: فيه تقديم وتأخير؛ أي: ثم استوى الرحمن على العرش اهـ. قرأ زيد بن علي ﴿الرحمن﴾ بالجر، والجمهور بالرفع.

﴿فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ﴾: متعلق بما بعده، وهو ﴿خَبِيرٗا﴾ كما في قوله: ﴿إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ ونظائره، والباء على معناه، والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ يعود إلى ما ذكر من خلق السموات والأرض والاستواء على العرش؛ أي: فاسأل يا محمد خبيراً بما ذكر من الخلق والاستواء. والمراد بالخبير الله سبحانه؛ لأنه لا يعلم تفاصيل تلك المخلوقات إلا هو، كما قال: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ﴾ وقيل: الباء بمعنى عن، متعلقة بالسؤال. والضمير أيضاً يعود إلى ما ذكر من الخلق والاستواء. أي[٢]: فاسأل يا محمد عما ذكر من الخلق والاستواء خبيراً يخبرك بحقيقته، وهو الله تعالى، أو جبريل، أو من وجده في الكتب المتقدمة؛ ليصدقك فيه.

وقيل: الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ للرحمن، والباء بمعنى عن؛ أي: إن أنكر هؤلاء

---

(١) المراح.

(٢) البيضاوي.

المشركون إطلاق الرحمن على الله فاسأل عنه؛ أي: عن إطلاقه على الله خبيراً من أهل الكتاب يخبرك؛ ليعرفوا؛ أي المشركون، مجيء ما يرادفه في كتبهم؛ أي: أهل الكتاب، وعلى هذا يجوز أن يكون ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾: مبتدأ، والخبر ما بعده، والسؤال كما يعدى بعن لتضمنه معنى التفتيش يعدى بالباء؛ لتضمنه معنى الاعتناء.

قال ابن جرير: يجوز أن تكون الباء في ﴿بِهِۦ﴾ زائدة، والضمير للرحمن، و﴿خَبِيرًا﴾ حال من الضمير؛ أي: فاسأل الرحمن عما ذكر من الخلق والاستواء حال كونه خبيراً بما ذكر. وقال الشوكاني: وأقرب هذه الوجوه الأول. وفي الصاوي: قوله: ﴿فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ ﴿بِهِۦ﴾: متعلق بـ﴿خَبِيرًا﴾، قدم[1] لرعاية الفاصلة، والمعنى: اسأل يا محمد خبيراً بصفاته تعالى، وليس خبيراً بصفاته إلا هو سبحانه وتعالى. ويصح أن يكون الجار والمجرور متعلقاً بـ﴿اسأل﴾، والباء بمعنى عن، والمعنى: اسأل عنه خبيراً؛ أي: عالماً بصفاته يطلعك على ما خفي عليك، والخبير حينئذ يختلف باختلاف السائل، فإن كان السائل النبي ﷺ فالخبير هو الله تعالى، وإن كان السائل أصحابه فالخبير هو النبي ﷺ، وإن كان السائل التابعين فالخبير هو الصحابة، وإن كان السائل العوام فالخبير هو العلماء، والمعنى: فاسأل يا محمد، أو فاسأل أيها الإنسان.

وخلاصة ذلك[2]: توكلوا على من لا يموت؛ وهو رب كل شيء، وخالقه وخالق السموات السبع على ارتفاعها واتساعها، وما فيها من عوالم لا يعلم كنهها إلا هو، وخالق الأرضين السبع على ذلك الوضع البديع في ستة أيام، ثم استوى على العرش، يدبر الأمر ويقضي الحق ﴿فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرًا﴾؛ أي: فاسأل عن خلق ما ذكر خبيراً به يخبرك بحقيقته، وهو الله سبحانه؛ لأنه لا يعلم تفاصيل تلك المخلوقات إلا هو، فالأيام التي تم فيها الخلق إنما هي أطوار ستة، سار عليها طوراً بعد طور، وحالاً بعد حال، كما يرشد إلى ذلك قوله: ﴿وَإِنَّ يَوۡمًا

(١) الصاوي.

(٢) المراغي.

﴿عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾.

وفي «الفتوحات المكية»[1]: لما كان الحق تعالى هو السلطان الأعظم، ولا بد للسلطان من مكان يكون فيه، حتى يقصد بالحاجات مع أنه تعالى لا يقبل المكان اقتضت المرتبة أن يخلق عرشاً، ثم ذكر أنه استوى عليه حتى يقصد بالدعاء وطلب الحوائج منه، كل ذلك رحمة للعباد، وتنزلاً لعقولهم، ولولا ذلك لبقي العبد حائراً، لا يدري أين يتوجه بقلبه، وقد خلق الله تعالى القلب ذا جهة فلا يقبل إلا ما كان له جهة، وقد نسب الحق تعالى لنفسه الفوقية من سماء وعرش، وإحاطة بالجهات كلها بقوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ وبقوله عليه السلام: «ينزل ربنا إلى سماء الدنيا»، وبقوله: «إن الله في قبلة أحدكم».

وحاصله: أن الله تعالى خلق الأمور كلها للمراتب، لا للأعيان انتهى.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾؛ أي: لهؤلاء المشركين؛ أي: إذا قال لهم محمد ﷺ ﴿اسْجُدُوا﴾؛ أي: صلوا، وعبر عن الصلاة بالسجدة؛ لأنها من أعظم أركانها ﴿لِلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي برحمته أوجد الموجودات ﴿قالوا﴾؛ أي: قال المشركون لمحمد ﷺ: ﴿وما الرحمن﴾؛ أي:[2] أي شيء هو، أو من هو؟؛ لأن وضع ﴿ما﴾ أعم، وهو سؤال عن المسمى بهذا الاسم؛ لأنهم ما كانوا يطلقونه على الله، ولا يعرفون كونه تعالى مسمى بهذا الاسم، وإن كان مذكوراً في الكتب المتقدمة أنه من أسمائه تعالى، أو لأنهم كانوا يعرفون كونه تعالى مسمى بهذا الاسم، إلا أنهم يزعمون أنه قد يراد به غيره تعالى؛ وهو مسيلمة الكذاب باليمامة، فإنه يقال له: رحمان اليمامة، وكان المشركون يكذّبونه، ولذلك غالطوا بذلك وقالوا: إن محمداً يأمرنا بعبادة رحمان اليمامة.

أي: وما نعرف الرحمان إلا مسيلمة الكذاب؛ أي: فإنهم اعترفوا بالله لكنهم جهلوا أن هذا الاسم من أسماء الله تعالى؛ أي: وإذا قيل لهؤلاء الذين

---

(١) روح البيان.
(٢) روح البيان.

يعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم: اجعلوا خضوعكم وتعظيمكم للرحمن خالصاً دون الآلهة والأوثان.. قالوا على طريق التجاهل: وما الرحمن؟ أي: نحن لا نعرف الرحمن فنسجد له، ونحو هذا قول فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ حين قال له موسى عليه السلام: ﴿إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وهو قد كان عليماً به كما يؤذن بذلك قول موسى له: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾.

ثم عجبوا أن يأمرهم بذلك، وأنكروه عليه بقوله: ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾؛ أي: أنسجد للذي تأمرنا بالسجود له من غير أن نعرف أن المسجود له ماذا هو، وهو استفهام إنكاري؛ أي: لا نسجد للرحمن الذي تأمرنا بسجودنا له. وقرأ[1] ابن مسعود والأسود بن يزيد وحمزة والكسائي ﴿يأمرنا﴾ بالياء من تحت؛ أي: يأمرنا محمد بالسجود له، وقرأ باقي السبعة بالتاء، خطاباً للرسول ﷺ.

ثم بين أنه كلما أمرهم بعبادته ازدادوا عناداً واستكباراً، فقال: ﴿وَزَادَهُمْ﴾؛ أي: وزاد أولئك المشركين هذا الأمر بالسجود للرحمن ﴿نُفُورًا﴾ وبعداً مما دعوا إليه من الإيمان، وقد كان من حقه أن يكون باعثاً لهم على القبول ثم الفعل. روى الضحاك أن أصحاب رسول الله ﷺ سجدوا، فلما رآهم المشركون يسجدون تباعدوا في ناحية المسجد مستهزئين.

فمن[2] جهل وجود الرحمن أو علم وجوده، وفعل فعلاً، أو قال قولاً لا يصدر إلا من كافر فكافر بالاتفاق، كما في «فتح الرحمن»، وذلك كما إذا سجد للصنم، أو ألقى المصحف في المزابل، أو تكلم بالكفر يكفر بلا خلاف لكونه علامة التكذيب.

فصل

وهذه السجدة من عزائم السجدات، فيسن للقارىء والمستمع أن يسجد عند

(١) البحر المحيط. (٢) روح البيان.

سماعها وقراءتها، وهي سنة عقب التلاوة فوراً، وإذا أخرت عن وقت القراءة تكون قضاء.

واختلفوا في سجود الشكر عند تجدد النعمة أو اندفاع النقمة، فقال: أبو حنيفة ومالك: يكره، فيقتصر على الحمد والشكر باللسان. وقال الشافعي وأحمد: يسن، وحكمه عندهما كسجود التلاوة، لكنه لا يفعل في الصلاة. كذا في «فتح الرحمن». قال الشافعي: فيكبر مستقبل القبلة، ويسجد فيحمد الله تعالى ويشكره ويسبح، ثم يكبر فيرفع رأسه، أما السجود بغير سبب فليس بقربة ولا مكروه؛ وأما ما يفعل عقب الصلاة فمكروه؛ لأن الجهال يعتقدونها سنة أو واجبة، وكل مباح يؤدي إليه فمكروه، انتهى.

قال السرخسي(١): السجود لغير الله تعالى على وجه التعظيم كفر، وما يفعلونه من تقبيل الأرض بين يدي العلماء فحرام. وذكر الصدر الشهيد: لا يكفر بهذا السجود؛ لأنه يريد به التحية، انتهى. لكنه يلزم عليه أن لا يفعل ذلك؛ لأنه شريعة منسوخة، وهي شريعة يعقوب عليه السلام، فإن السجود في ذلك الزمان كان يجري مجرى التحية كالتكرمة بالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها من عادات الناس الناشئة في التعظيم والتوقير، ويدل عليه قوله تعالى في حق إخوة يوسف وأبيه: ﴿وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا﴾، وأما الانحناء للسلطان أو لغيره فمكروه؛ لأنه يشبه فعل اليهود، كما أن تقبيل يد نفسه بعد المصافحة فعل المجوس.

ثم ذكر سبحانه ما لو تفكروا فيه لعرفوا وجوب السجود للرحمن، فقال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى﴾؛ أي: تكاثر خير الإله الفياض. قال في «برهان القرآن»: خص هذا الموضع بذكر ﴿تَبَارَكَ﴾ لأنه من عظائم الأمور، حيث ذكر البروج والسيارات والشمس والقمر والليل والنهار، ولولاها ما وجد في الأرض حيوان ولا نبات ﴿جَعَلَ﴾ بقدرته الكاملة ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾؛ أي: منازل وطرقاً تسير فيها الكواكب السبعة السيارة المنظومة في قول بعضهم:

---

(١) روح البيان.

زُحَلٌ شَرَىٰ مَرِّيْخَهُ مِنْ شَمْسِهِ   فَتَزَاهَرَتْ لِعُطَارِدَ ٱلأَقْمَارُ

وتلك البروج اثنا عشر برجاً منظومة في قول بعضهم:

حَمَلَ ٱلثَّوْرُ جَوْزَةَ ٱلسَّرَطَانِ   وَرَعَىٰ ٱللَّيْثُ سُنْبُلَ ٱلْمِيْزَانِ
وَرَمَىٰ عَقْرَبٌ بِقَوْسٍ لِجَدْيٍ   نَزَحَ ٱلدَّلْوُ بُرْكَةَ ٱلْحِيْتَانِ

وسميت هذه المنازل بالبروج، وهي القصور العالية؛ لأنها للكواكب السيارة كالمنازل الرفيعة لسكانها، واشتقاقها من التبرج؛ وهو الظهور وهذه البروج لكل واحد منه منزلتان وثلث منزلة من منازل القمر ـ وهي ثمانية وعشرون نجماً ـ مجموعة في قول بعضهم:

أَوَّلُهَا ٱلشَّرَطَيْنُ ثُمَّ ٱلْبُطَيْنُ   ثُمَّ ٱلثُّرَيَّا ٱلْوَاضِحُ ٱلْمُسْتَبِيْنُ
وَدَبْرَانِ هَقْعَةٌ وَهَنْعَةْ   ذِرَاعُ نَثْرَةٍ وَطَرْفُ جَبْهَةْ
وَٱلْخَرْتَانِ زُبْرَةٌ تُسَمَّىٰ   وَٱلصَّرْفَةُ ٱلْعَواْ ٱلسِّمَاكُ ثُمَا
غَفْرُ زُبَانَا إِكْلِيلٌ قَلْبُ بَعْدَهْ   وَشَوْلَةٌ نَعَايِمُ وَبَلْدَةْ
سَعْدٌ ذَابِحٌ سَعْدُ بَلْعَةْ   سَعْدٌ سُعُودٌ سَعْدُ ٱلأَخْبِيَةْ
وَٱلْفَرْعُ ذُو ٱلتَّقْدِيمِ وَٱلْفَرْعُ الأَخِيْرُ   وَبَطْنُ حُوْتٍ وَٱلرِّشَا فِيْهِ شَهِيْرُ

وتستمر الشمس في كل منزلة من هذه المنازل ثلاثة عشر يوماً إلا الجبهة، فتكون عنده أربعة عشر يوماً، كما هو مقرر في علم الميقات.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾؛ أي[1]: في تلك البروج، لا في السماء؛ لأن البروج أقرب مذكور، فعود الضمير إليها أولى ﴿سِرَاجًا﴾؛ أي: شمساً، ومثله قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾.

وقرأ الجمهور[2]: ﴿سِرَاجًا﴾ بالإفراد؛ وهو الشمس. وقرأ عبد الله وعلقمة والأعمش وحمزة والكسائي ﴿سُرُجا﴾ ـ بضمتين بالجمع ـ؛ أي: النجوم العظام الوقادة. ورجح القراءة الأولى أبو عبيد. قال الزجاج في تأويل قراءة حمزة

---

(١) روح البيان.   (٢) البحر المحيط.

والكسائي: أراد الشمس والكوكب. وقرأ الأعمش أيضاً والنخعي وابن وثاب كذلك بسكون الراء للتخفيف. وأصل السراج المصباح المضيء بفتيلة شبهت الشمس به في الإنارة والإشراق، كما سيأتي في مبحث المفردات.

﴿وَقَمَرًا﴾؛ أي: وجعل فيها كوكباً يسمى قمراً، وهو الهلال بعد ثلاث ليال سمي قمراً لبياضه كما في «المختار»، أو لابيضاض الأرض به، والأقمر: الأبيض كما في «كشف الأسرار». وقرأ الحسن والأعمش والنخعي وعصمة عن عاصم ﴿وقُمْرا﴾ ـ بضم القاف وسكون الميم ـ وهي قراءة ضعيفة شاذة، فالظاهر أنه لغة في القمر، كالرشد والرشد، والعَرب والعرب ﴿مُّنِيرًا﴾؛ أي: مضيئاً بالليل. قال في «نفائس المجالس»: في الآية دلالة على كمال قدرته تعالى، فإن هذه الأجرام العظام والنيرات من آثار قدرته سبحانه. ومعنى الآية؛ أي[1]: تقدس ربنا الذي جعل في السماء نجوماً كباراً، عدَّها المتقدمون نحو ألف، وعدها علماء العصر الحاضر بعد كشف آلات الرصد الحديث ـ التلسكوبات ـ أكثر من مئتي ألفِ ألفٍ، ولا يزال البحث يكشف كل حين منها جديداً. وجعل فيها شمساً متوقدة وقمراً مضيئاً.

ثم ذكر آية أخرى من آيات قدرته، وفيها الدليل على وحدانيته تعالى، فقال: ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه الإله ﴿الَّذِى جَعَلَ﴾ بحكمته التامة ﴿الَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ الخلفة[2]: مصدر للنوع، فلا يصلح أن يكون مفعولاً ثانياً لـ﴿جعل﴾، ولا حالاً من مفعوله، فلا بد من تقدير المضاف، ويستعمل بمعنى كان خليفته، أو بمعنى جاء بعده:

فالمعنى على الأول: جعلهما ذوي خلفة يخلف كل واحد منهما عن الآخر بأن يقوم مقامه فيما ينبغي أن يعمل فيه، فمن فرط في عمل أحدهما قضاه الآخر، فيكون توسعة على العباد في نوافل العبادات والطاعات، ويؤيد هذا المعنى قول النبي ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد فاتته قراءة القرآن: «يا ابن الخطاب لقد أنزل تعالى فيك آية قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ

---

(١) المراغي. (٢) روح البيان.

﴿خِلْفَةً...﴾ الآية، ما فاتك من النوافل بالليل فاقضه في نهارك، وما فاتك في النهار فاقضه بالليل».

والمعنى على الثاني: وهو الذي جعلهما ذوي اعتقاب يجيء الليل ويذهب النهار، ويجيء النهار ويذهب الليل، ولم يجعل نهاراً لا ليل له، وليلاً لا نهار له؛ ليعلم الناس عدد السنين والحساب، وليكون للانتشار في المعاش وقت معلوم، وللاستقرار والاستراحة وقت معلوم. وقيل: يتعاقبان في الضياء والظلام، والزيادة والنقصان، ففي الآية تذكير لنعمته، وتنبيه على كمال حكمته وقدرته.

﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾؛ أي[1]: أن يتذكر آلاء الله ويتفكر في صنعه، فيعلم أن لا بد له من صانع حكيم واجب بالذات، رحيم على العباد، فالمراد بـ﴿من﴾ هو الكافر. ثم أشار إلى المؤمن بقوله: ﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ ـ بضم الشين ـ مصدر بمعنى الشكر؛ أي: أراد أن يشكر الله بطاعته على ما فيهما من النعم، فتكون ﴿أَوْ﴾ على حالها، فتكون للتقسيم والتنويع، وهي مانعة خلوٌّ، فتجوّز الجمع، اهـ شيخنا. ويجوز أن تكون بمعنى ﴿الواو﴾، فالمعنى: جعلناهما خلفة ليكونا وقتين للذاكرين والشاكرين، من فاته ورده في أحدهما تداركه في الآخر، ووجه التعبير بـ (أو) التنبيه على استقلال كل واحد منهما بكونه مطلوباً من الجعل المذكور، ولو عطف بالواو؛ لتوهم أن المطلوب مجموع الأمرين. وقرأ النخعي وابن وثاب وزيد بن علي وطلحة وحمزة: ﴿يذْكر﴾ ـ خفيفة الذال، مضمومة الكاف ـ مضارع ذكر الثلاثي، وهو في معنى يتذكر.

واعلم: أن الشكر ثلاثة أضرب: شكر بالقلب وهو تصور النعمة، وشكر باللسان وهو الثناء على النعمة، وشكر سائر الجوارح وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقها.

والمعنى: أي وهو الذي جعل الليل والنهار متعاقبين، يخلف أحدهما الآخر، فيكون في ذلك عظة لمن أراد أن يتّعظ باختلافهما، ويتذكر آلاء الله

---

(١) روح البيان.

فيهما، ويتفكر في صنعه، أو أراد أن يشكر نعمة ربه ليجني ثمار كل منهما؛ إذ لو جعل أحدهما دائماً لفاتت فوائد الآخر، ولحصلت السآمة والملل، وفتر العزم الذي يثيره دخول وقت الآخر إلى نحو أولئك من الحكم التي أحكمها العلي الكبير، وفي الحديث الصحيح: «إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل»، وعن الحسن: من فاته عمل من التذكر والشكر بالنهار كان له في الليل مستعتب، ومن فاته بالليل كان له في النهار مستعتب. روي أن عمر بن الخطاب أطال صلاة الضحى، فقيل له: صنعت اليوم شيئاً لم تكن تصنعه؟ فقال: إنه بقي عليّ من وردي شيء فأحببت أن أتمه، أو قال: أقضيه، وتلا هذه الآية ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ...﴾ الخ.

ثم وصف الله سبحانه عباده المخلصين بصفات تسع:

الأولى: ما ذكره بقوله: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ هذا كلام مستأنف مسوق لبيان صالحي عباد الله سبحانه، دون عباد الدنيا والشيطان والنفس والهوى، فإنهم وإن كانوا عباداً بالإيجاد، لكنهم ليسوا بأهل لإضافة التشريف والتفضيل من حيث عدم اتصافهم بالصفات الآتية التي هي آثار رحمته تعالى الخاصة المفاضة على خواص العباد، والمعنى: وعباد الرحمن المقبولون؛ وهو مبتدأ، خبره قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ﴾؛ أي: هم الذين يمشون ﴿عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ التي هي غاية في الطمأنينة والسكون والتحمل، حال كونهم ﴿هَوْنًا﴾؛ أي: هيّنين ليّني الجانب من غير فظاظة، أو يمشون مشياً هيناً على أنه مصدر وصف به، والمعنى: أنهم يمشون بسكينة وتواضع، لا بفخر وفرح ورياء وتجبر، ولا يضربون بأقدامهم الأرض، ولا يخفقون بنعالهم، وذلك لما طالعوا من عظمة الحق وهيبته، وشاهدوا من كبريائه وجلاله، فخشعت لذلك أرواحهم، وخضعت نفوسهم وأبدانهم.

والمعنى: أي[1] وعباد الله الذين حق لهم الجزاء والمثوبة من ربهم هم الذين يمشون في سكينة ووقار، لا يضربون بأقدامهم، ولا يخفقون بنعالهم أشراً

---

(١) المراغي.

وبطراً. روي أن عمر رأى غلاماً يتبختر في مشيته، فقال: إن البخترة مشية تكره إلاّ في سبيل الله، وقد مدح الله أقواماً، فقال: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ فاقصد في مشيتك. وقال ابن عباس: هم المؤمنون الذين يمشون علماء حلماء ذوي وقار وعفة. وفي الحديث: إن النبي ﷺ قال: «أيها الناس عليكم بالسكينة، فإن البر ليس في الإيضاع». السير السريع. وفي صفته ﷺ: (أنه إذا زال.. زال تقلعاً، ويخطو تكفؤا، ويمشي هوناً ذريع المشية، إذا مشى كأنما ينحطّ من صبب).

التقلّع رفع الرجل بقوة، والتكفؤ الميل إلى سنن القصد، والهون الرفق والوقار، والذريع الواسع الخطا؛ أي: أنه كان يرفع رجله بسرعة في مشيه، ويمد خطوه خلاف مشية المختال، وكل ذلك برفق وتثبّت دون عجلة، ومن ثم قيل: كأنما ينحط من صبب، قاله القاضي عياض في «الشفاء». وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسرع في مشيه جبلة لا تكلّفاً.

وخلاصة هذا: أنهم لا يتكبرون، ولا يتجبرون، ولا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً.

وثاني الصفات: ما ذكره بقوله: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ﴾؛ أي: وإذا كلّمهم السفهاء مواجهة بالكلام القبيح ﴿قَالُوا۟﴾ في جوابهم قولاً ﴿سَلَٰمًا﴾؛ أي: سداداً يسلمون فيه من الأذى والإثم، فسلاماً صفة لمصدر محذوف، وعليه أكثر المفسرين، ذكر سبحانه أنهم يتحملون ما يرد عليهم من أذى أهل الجهل والسفه، فلا يجهلون مع من يجهل، ولا يسافهون أهل السفه، أو منصوب بفعل مضمر كما في «المفردات». أي: نطلب منكم سلامة، أو إنا سلمنا من إثمكم، وأنتم سلمتم من شرنا كما في «إحياء العلوم». والمعنى؛ أي: وإذا سفه عليهم السفهاء بالقول السيء لم يقابلوهم بمثله، بل يعفون ويصفحون، ولا يقولون إلا خيراً، وكان رسول الله ﷺلا تزيده شدة الجاهل عليه إلاّ حلماً. وعن الحسن البصري: هم حلماء لا يجهلون، وإن جهل عليهم حلموا ولم يسفهوا، هذا نهارهم فكيف ليلهم؟ خير ليل، صفوا أقدامهم، وأجروا دموعهم، يطلبون إلى الله جل ثناؤه

فكاك رقابهم. قال النحاس: ليس هذا السلام من التسليم، إنما هو من التسلم، تقول العرب: سلاماً؛ أي: تسلما منك؛ أي: براءة منك. ولما ذكر تعالى ما بينهم وبين الخلق.. ذكر ما بينهم وبينه.

وثالث الصفات: ما ذكره بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ﴾ عطف على الموصول الأول ﴿لِرَبِّهِمْ﴾ لا لحظ أنفسهم، وهو متعلق بما بعده، والتقديم للتخصيص مع مراعاة الفاصلة ﴿سُجَّدًا﴾ جمع ساجد؛ أي: ساجدين على وجوههم. وقرأ أبو البرهشيم: ﴿سجوداً﴾ على وزن قعود ﴿وَقِيَامًا﴾ جمع[1] قائم مثل نيام ونائم، أو مصدر أجري مجراه؛ أي: قائمين على أقدامهم. وتقديم السجود على القيام مع أنه مؤخر طبعاً لرعاية الفواصل، وليعلم أن القيام في الصلاة مقدّم مع أن السجدة أحق بالتقديم لما ورد: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»، والكفرة يستكبرون عنها، حتى قال بعضهم: لا أفعلها لأني لا أحب أن تعلو رأسي أستيَ. والمعنى: والذين يكونون في الليل ساجدين لربهم على وجوههم، وقائمين على أقدامهم طلباً لرضاه سبحانه؛ أي: يحيون الليل كلاً أو بعضاً بالصلاة، كما قال في حق المتقين: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾.

وتخصيص البيتوتة؛ لأن العبادة بالليل أشقّ وأبعد من الرياء، وهو بيان لحالهم في معاملتهم مع ربهم، ووصف ليلهم بعد وصف نهارهم. قال ابن عباس: من صلى بعد العشاء الأخيرة ركعتين أو أكثر فقد بات لله ساجداً وقائماً. وروى مسلم عن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى العشاء في جماعة كان كقيام نصف الليل، ومن صلى الفجر في جماعة كان كقيام ليلة».

فإن قلت: ما معنى هذا الحديث، فإنه يرفع مؤنة قيام الليل؟

قلت: هذا الحديث ترغيب في الجماعة، وبيان للرخصة وتأثير النية، فإن من نوى وقت العشاء أن يقيم الفجر بجماعة كان كمن انتظرها في المسجد، فرب همة عالية تسبق الأقدام، ولكن العمل مع النية أفضل من النية المجردة، والعزيمة

---

(١) روح البيان.

فوق الرخصة.

ومن حرم قيام الليل كسلاً وفتوراً في العزيمة، أو تهاوناً بقلة الاعتداد بذلك، أو اغتراراً بحاله.. فليبك عليه، فقد قطع عليه طريق كثير من الخير، والذي يخل بقيام الليل كثرة الاهتمام بأمور الدنيا، وكثرة أشغال الدنيا، وإتعاب الجوارح، والامتلاء من الطعام، وكثرة الحديث واللهو واللغط، وإهمال القيلولة، والموفق من يغتنم وقته، ويعرف داءه ودواءه، ولا يهمل فيهمل، واعلم أن الأصل في كل عمل هو تحقيق النية وتصحيح الإخلاص، وجهنا الله وإياكم إلى وجهه.

ورابع الصفات: ما ذكره بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ في أعقاب صلواتهم وأدبارها، أو في عامة أوقاتهم ﴿رَبَّنَا ٱصْرِفْ﴾ واردد ﴿عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾ وشديد آلامها ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾؛ أي: شراً دائماً، وهلاكاً لازماً غير مفارق لمن عذب به من الكفار، والعذاب الإيجاع الشديد. قال محمد بن كعب القرظي: إن الله سبحانه سأل الكفار شكر نعمته فلم يؤدّوها إليه فأغرقهم، فأدخلهم النار، وقال: كل غريم مفارق غريمه إلاّ جهنم؛ أي: والذين يدعون ربهم أن يصرف عنهم عذاب جهنم وشديد آلامها.

وقوله: ﴿إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ تعليل لاستدعائهم المذكور بسوء حالها في أنفسها إثر تعليله بسوء حال عذابها، فهو من تمام كلامهم، ويجوز أن يكون من كلامه تعالى. وانتصاب[1] ﴿مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ على الحال، أو التمييز، قيل: هما مترادفان، وإنما عطف أحدهما لاختلاف لفظيهما. وقيل: بل هما مختلفان معنى، فالمستقر للعصاة، فإنهم يخرجون، والمقام للكفار، فإنهم يخلدون فيها. وساءت من أفعال الذم بمعنى: بئست. والضمير[2] فيها لا يعود إلى اسم ﴿إن﴾ وهو جهنم، ولا إلى شيء آخر بعينه، بل هو ضمير مبهم يفسّره ما بعده من التمييز، وهو ﴿مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾، وذلك لأن فاعل أفعال الذم يجب أن

---

(١) الشوكاني.
(٢) روح البيان.

يكون معرّفاً باللام، أو مضافاً إلى المعرّف، أو مضمراً مميزاً بنكرة منصوبة، والمعنى: إن جهنم بئست هي من جهة كونها موضع قرار وإقامة لهم، والمخصوص بالذم هي.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿مقاما﴾ بضم الميم، وقرأت فرقة بفتحها وفي «السمين»: يجوز أن يكون ﴿سَآءَتۡ﴾ بمعنى: أحزنت، فتكون متصرفة ناصبة للمفعول، وهو هنا محذوف؛ أي: أنها؛ أي: جهنم أحزنت أصحابها وداخليها حالة كونها مستقراً ومقاماً لهم، أو من جهة كونها مستقراً ومقاماً لهم. وفي الآية إيذان بأنهم مع حسن معاملتهم من الخلق، واجتهادهم في عبادة الخالق وحده لا شريك له يخافون عذابه، ويبتهلون إليه في صرفه عنهم غير محتفلين بأعمالهم كما قال في شأنهم: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠﴾.

يعني يجتهدون غاية الجهد، ويستفرغون نهاية الوسع، ثم عند السؤال ينزلون منزلة العصاة، ويقفون موقف أهل الاعتذار، ويخاطبون بلسان التذلل كما قيل:

وَمَا رُمْتُ ٱلدُّخُوْلَ عَلَيْهِ حَتَّىٰ ... حَلَلْتُ مَحِلَّةَ ٱلْعَبْدِ ٱلذَّلِيْلِ

وذلك لعدم اعتدادهم بأعمالهم، ووثوقهم على استمرار أحوالهم. قال[2] ابن نجيد: لا يصْفُ لأحد قدم في العبودية حتى تكون أفعاله عنده كلها رياء، وأحواله كلها دعاوى. وقال النهر جوري: من علامة من تولاه الله أن يشهد التقصير في إخلاصه، والغفلة في أذكاره، والنقصان في صدقه، والفتور في مجاهدته، وقلة المراعاة في فقره، فتكون جميع أحواله عنده غير مرضية، ويزداد فقراً إلى الله تعالى في فقره ويسره حتى يفنى عن كل ما دونه. ودلت الآية على مشروعية الدعاء مطلقاً، خصوصاً في أعقاب الصلوات، وهو مخ العبادة، فليدع المصلي منفرداً، وفي الجماعة، إماماً كان أو مأموماً.

وخامس الصفات: ما ذكره بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ﴾ أموالهم على أنفسهم

---

(١) البحر المحيط. (٢) روح البيان.

وعلى أهاليهم، أو في جميع مصارف الخير ﴿لَمْ يُسْرِفُوا﴾؛ أي: لم يجاوزوا الحد المشروع في ذلك الإنفاق ﴿وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾؛ أي: ولم يضيّقوا تضييق الشحيح. وقرأ[1] الحسن وطلحة والأعمش وحمزة والكسائي وعاصم: ﴿ولم يقتروا﴾ بفتح الياء وضم التاء، وقرأ مجاهد وابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء وكسر التاء، وقرأ نافع وابن عامر بضم الياء وكسر التاء مشددة، وكلها لغات في التضييق، وأنكر أبو حاتم لغة ﴿أقتر﴾ رباعياً هنا، وقال: أقتر إذا افتقر، ومنه ﴿وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ﴾، وغاب عنه ما حكاه الأصمعي وغيره من أقتر بمعنى ضيّق.

﴿وَكَانَ﴾ إنفاقهم[2] المدلول عليه بقوله: أنفقوا كائناً ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾؛ أي: بين ما ذكر من الإسراف والتقتير، وهو خبر ﴿كان﴾ كما قدرنا، وقوله: ﴿قَوَامًا﴾ خبر بعد خبر، أو هو الخبر، و﴿بين ذلك﴾ ظرف لغو لـ﴿كان﴾ على رأي من يرى إعمالها في الظرف؛ أي: وسطاً عدلاً، سمي به لاستقامة الطرفين واعتدالهما بحيث لا ترجح لأحدهما على الآخر بالنسبة إليه لكونه وسطاً بينهما كمركز الدائرة، فإنه يكون نسبة جميع الدائرة إليه على السواء. وقرأ[3] حسان بن عبد الرحمن: ﴿قواما﴾ بكسر القاف، وقرأ الباقون بفتحها، فقيل: هما بمعنى، وقيل: القوام بالكسر ما يدوم عليه الشيء ويستقر، وبالفتح العدل والاستقامة، قاله ثعلب، وقيل: بالفتح العدل بين الشيئين، وبالكسر ما يقام به الشيء، لا يفضل عنه ولا ينقص، وقيل: بالكسر السداد والمبلغ.

والمعنى: أي[4] والذين هم ليسوا بالمبذرين في إنفاقهم، فلا ينفقون فوق الحاجة، ولا ببخلاء على أنفسهم وأهليهم، فيقصّرون فيما يجب نحوهم، بل ينفقون عدلاً وسطاً، وخير الأمور أوسطها. وقد قيل:

وَلاَ تَغْلُ فِيْ شَيْءٍ مِنَ ٱلأَمْرِ وَٱقْتَصِدْ ... كِلاَ طَرَفَيْ قَصْدِ الأُمُورِ ذَمِيْمُ

وقد قيل:

---

(١) البحر المحيط.
(٢) روح البيان.
(٣) الشوكاني.
(٤) المراغي.

إِذَا ٱلْمَرْءُ أَعْطَىٰ نَفْسَهُ كُلَّ مَا ٱشْتَهَتْ   وَلَمْ يَنْهَهَا تَاقَتْ إِلَىٰ كُلِّ بَاطِلِ
وَسَاقَتْ إِلَيْهِ ٱلإِثْمَ وَٱلْعَارَ بِٱلَّذِي   دَعَتْهُ إِلَيْهِ مِنْ حَلاَوَةِ عَاجِلِ

قال يزيد بن أبي حبيب: أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا لا يأكلون طعاماً للتنعم واللذة، ولا يلبسون ثياباً للجمال، ولكن كانوا يريدون من الطعام ما يسد عنهم الجوع، ويقوّيهم على عبادة ربهم، ومن اللباس ما يستر عوراتهم، ويقيهم من الحرّ والبرد. وقال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز حين زوجه ابنته فاطمة: ما نفقتك؟ قال عمر: الحسنة بين سيئتين، ثم تلا هذه الآية. وقال لابنه عاصم: يا بني كل في نصف بطنك، ولا تطرح ثوباً حتى تستخلقه، ولا تكن من قوم يجعلون ما رزقهم الله تعالى في بطونهم، وعلى ظهورهم. قال عمر بن الخطاب: كفى سرفاً أن لا يشتهي شيئاً إلاّ اشتراه فأكله.

وسادس الصفات: ما ذكره بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ﴾ ولا يعبدون ﴿مَعَ ٱللَّهِ﴾ سبحانه ﴿إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ كالصنم فيجعلونه شريكاً له تعالى؛ أي: والذين لا يعبدون مع الله سبحانه إلهاً آخر، فيشركون في عبادتهم إياه، بل يخلصون له العبادة، ويفردونه بالطاعة.

يقال: الشرك ثلاثة(١):

أولها: أن يعبد غيره تعالى.

والثاني: أن يطيع مخلوقاً بما يأمره من المعصية.

والثالث: أن يعمل لغير وجه الله تعالى. فالأول كفر، والآخران معصية.

وفي «التأويلات النجمية»: يعني لا يرفعون حوائجهم إلى الأغيار، ولا يتوهمون منهم المسارّ والمضارّ، وأيضاً لا يشوبون أعمالهم بالرياء والسمعة، ولا يطلبون مع الله مطلوباً، ولا يحبون معه محبوباً، بل يطلبون الله من الله، ويحبونه به.

---

(١) روح البيان.

﴿وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ﴾ها ﴿ٱللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى؛ أي[١]: حرَّم قتلها. فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه مبالغة في التحريم، والمراد نفس المؤمن والمعاهد ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ المبيح لقتلها؛ أي: لا يقتلونها بسبب من الأسباب إلاّ بسبب الحق المزيل لحرمتها وعصمتها، كما إذا قتل أحدا فيقتصّ به، أو زنى وهو محصن فيرجم، أو ارتدّ أو سعى في الأرض بالفساد فيقتل ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾؛ أي: ولا يطؤون في قبل المرأة بغير عقد شرعي أو ملك يمين، وكذا اللواط وإتيان البهيمة.

وقد نفى[٢] عنهم هذه القبائح مع أن وصفهم بالصفات السالفة من حسن معاملتهم للناس، ومزيد خوفهم من الله، وإحياء الليل يقتضي نفيها عنهم تعريضاً بما كان عليه أعداؤهم من قريش وغيرهم، وتنبيهاً إلى الفرق بين سيرة المؤمنين وسيرة المشركين، فكأنه قيل: وعباد الرحمن الذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر وأنتم تدعون، ولا يقتلون وأنتم تقتلون الموءودة، ولا يزنون وأنتم تزنون.

ثم توعد سبحانه من يفعل مثل هذه الأفعال بشديد العقاب، فقال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: ما ذكر من الثلاثة كما هو دأب الكفرة المذكورين؛ أي: فعل شيئاً من الأفعال الثلاثة: عبادة غير الله تعالى، والقتل، والزنا ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾؛ أي[٣]: جزاء إثمه وعقوبته، والأثام كالوبال والنكال وزناً ومعنى، يقال: أثمه يأثمه أثاماً جازاه على ذنبه وعاقبه عليه. وفي «القاموس»: الأثام كسحاب، واد في جنهم، والعقوبة. وقال أبو مسلم: الأثام الإثم والذنب. ومعناه: يلق جزاء آثامه، فأطلق اسم الشيء على جزائه.

وقرِىء[٤]: ﴿يُلَقَّ﴾ بضم الياء وفتح اللام والقاف المشددة، وقرأ ابن مسعود وأبو رجاء ﴿يلقى﴾ بألف، كأنه نوى حذف الضمة المقدرة على الألف فأقرّ الألف، وقرأ ابن مسعود ﴿أيّاما﴾ جمع يوم يعني شدائد، يقال: يوم ذو أيام لليوم العصيب.

---

(١) روح البيان.
(٢) المراغي.
(٣) روح البيان.
(٤) البحر المحيط.

﴿يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾؛ أي: يزاد له العذاب يوم القيامة بقدر معاصيه، وذلك لانضمام المعاصي إلى الكفر، فلا يعارض قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾، أو المعنى: يتزايد عذابه وقتاً بعد وقت، فهو كناية عن كونه مؤبدا. وفي «التأويلات النجمية»: يكون معذباً بعذابين، على كل ذنب عذاب دركات النيران، وعذاب فوات درجات الجنان، وقربات الرحمن. والضعف تركب قدرين متساويين كما سيأتي في مبحث المفردات، والجملة بدل من ﴿يَلۡقَ﴾ لاتحادهما في المعنى؛ لأن مضاعفة العذاب نفس لقي الآثام فلذلك جزمت، كما قال الشاعر:

مَتَىٰ تَأْتِنَا تُلْمِمْ بِنَا فِيْ دِيَارِنَا ... تَجِدْ حَطَباً جَزْلاً وَنَاراً تَأَجَّجَا

لأن الإلمام هو نفس الإتيان، فجزم تلمم؛ لأنه بمعنى تأتي.

والضمير في قوله: ﴿وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ﴾ عائد إلى العذاب المضاعف؛ أي: يخلد في العذاب المضاعف حالة كونه ﴿مُهَانًا﴾؛ أي: ذليلاً حقيراً، جامعاً للعذاب الجسماني والروحاني لا يغاث. وقرأ[1] نافع وابن عامر وحمزة والكسائي: ﴿يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ﴾ مبنياً للمفعول وبألف ﴿وَيَخۡلُدۡ﴾ مبنيا للفاعل. وقرأ الحسن وأبو جعفر وابن كثير كذلك، إلاّ أنهم شددوا العين، وطرحوا الألف، وقرأ أبو جعفر أيضاً وشيبة وطلحة بن مصرف ﴿يضاعِف﴾ بالياء مبنياً للفاعل ﴿العذاب﴾ بالنصب وقرأ طلحة بن سليمان ﴿نضعّف﴾ بضم النون والعين المشددة بالجزم ﴿وتخلد﴾ بتاء الخطاب على الالتفات مرفوعاً؛ أي: وتخلد أيها الكافر، وقرأ أبو حيوة ﴿ويخلّد﴾ مبنياً للمفعول مشدد اللام مجزوماً، ورويت عن أبي عمرو، وعنه كذلك مخففاً، وقرأ أبو بكر عن عاصم ﴿يضاعف ويخلد﴾ بالرفع فيهما، وكذا ابن عامر، والمفضّل عن عاصم ﴿يضاعف ويخلد﴾ مبنياً للمفعول مرفوعاً مخففاً، وقرأ الأعمش بضم الياء مبنياً للمفعول مشدداً مرفوعاً، فالرفع على الاستئناف،

---

(١) البحر المحيط.

كأنّ قائلاً قال: ما لقي الآثام؟ فقيل: يضاعف للإثم العذاب. أو على الحال، والجزم على البدل من ﴿يلق﴾، وقرأ ابن كثير وحفص: ﴿فيهي مهانا﴾ بإشباع كسرة الياء، ووصلها بالياء في الوصل.

والمعنى[1]: ومن يفعل خصلة من خصال الفجور السالفة يلق في الآخرة جزاء إثمه وذنبه الذي ارتكبه، بل يضاعف له ربه العذاب يوم القيامة، ويجعله خالداً أبداً في النار مع المهانة والاحتقار، فيجتمع له العذاب الجسمي والعذاب الروحي.

وبعد أن أتم تهديد الفجار على هذه الأوزار أتبعه بترغيب الأبرار في التوبة والرجوع إلى حظيرة المتقين، فيفوزون بجنات النعيم، فقال: ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ من الشرك والقتل والزنا ﴿وَءَامَنَ﴾؛ أي: صدّق بوحدانية الله تعالى، ورسالة رسوله ﷺ: ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ ذكر[2] الموصوف هنا مع جريان الصالح والصالحات مجرى الاسم للاعتناء به، وللتنصيص على مغايرته للأعمال السابقة. والاستثناء من الجنس؛ لأن المقصود الإخبار بأن من فعل ذلك فإنه يحل به ما ذكر إلاّ أن يتوب، وأما إصابة أصل العذاب وعدمها فلا تعرض لها في الأية. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بالتوبة والإيمان والعمل الصالح ﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى ﴿سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾ الثلاثة المذكورة في الدنيا ﴿حَسَنَٰتٖ﴾؛ أي: يبدلهم الإيمان عن الشرك، وقتل الكافرين عن قتل المؤمنين، والعفة والإحصان عن الزنا، أو[3] يوفّقهم للمحاسن بعد القبائح، أو يمحوها بالتوبة، ويثبت مكانها الحسنات الإيمان والطاعة، ولم يرد به أن السيئة بعينها تكون حسنة، ولكن المراد ما ذكرنا.

قال الزجاج: ليس المراد أن السيئة بعينها تصير حسنة، ولكن المراد أن السيئة تمحى بالتوبة، وتكتب الحسنة مع التوبة. انتهى. وعبارة «أبي السعود»:

---

(١) المراغي.
(٢) روح البيان.
(٣) النسفي.

قوله: ﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ﴾ بأن يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة، ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم، أو يبدّل ملكة المعصية ودواعيها في النفس بملكة الطاعة، بأن يزيل الأولى ويأتي بالثانية مكانها. وقيل: يبدّل بالشرك إيماناً، وبقتل المؤمن قتل الكافر، وبالزنا عفة وإحصانا. اهـ. فعلى هذا يكون التبديل في الدنيا.

وفي «القرطبي» قال النحاس: من أحسن ما قيل في التبديل أنه يكتب موضع كافر مؤمن، وموضع عاص مطيع، قال الحسن: وقوم يقولون: التبديل في الآخرة. وليس كذلك، إنما التبديل في الدنيا، يبدلهم الله إيماناً من الشرك، وإخلاصاً من الشك، وإحصاناً من الفجور. وقيل: التبديل عبارة عن الغفران؛ أي: يغفر الله لهم تلك السيئات، لا أنه يبدلها حسنات. قلت: ولا يبعد في كرم الله تعالى إذا صحّت توبة العبد أن يضع مكان كل سيئة حسنة، وقد قال ﷺ لمعاذ: «وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»، اهـ. وقرأ[1] البرجمي ﴿يُبْدِلُ﴾ مخففاً.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى: ﴿غَفُورًا﴾ لمن تاب من الشرك والمعاصي، ولذلك بدل السيئات حسنات، ﴿رَّحِيمًا﴾ له، ولذلك أثاب على الحسنات، وهذه الجملة مقرّرة لما قبلها من التبديل.

﴿وَمَن تَابَ﴾؛ أي رجع عن المعاصي مطلقاً بتركها بالكلية والندم عليها ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ بتدارك به ما فرّط منه، أو المعنى: ومن تاب؛ أي: خرج عن المعاصي، وعمل صالحاً؛ أي: دخل في الطاعات ﴿فَإِنَّهُۥ﴾ بما فعل ﴿يَتُوبُ﴾ ويرجع ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ سبحانه وتعالى بعد الموت ﴿مَتَابًا﴾؛ أي: رجوعاً حسناً، عظيم الشأن، مرضياً عنده تعالى، ماحياً للعقاب، محصّلاً للثواب، فلا يتحد الشرط والجزاء؛ لأن في الجزاء معنى زائداً على ما في الشرط، فإن الشرط هو التوبة بمعنى الرجوع عن المعاصي، والجزاء هو الرجوع إلى الله تعالى بعد

(١) النسفي.

الموت رجوعاً مرضياً، وهذا تعميم بعد التخصيص؛ لأن متعلق التوبة في الآية الأولى الشرك والقتل والزنا فقط، وههنا مطلق المعاصي.

والتوبة في الشرع: ترك الذنب لقبحه، والندم على ما فرّط، والعزيمة على ترك المعاودة، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الإعادة، فمتى اجتمعت هذه الأربع فقد كملت شرائط التوبة، قال ابن عطاء: التوبة الرجوع من كل خلق مذموم، والدخول في كل خلق محمود، وهي توبة الخواص. وقال بعضهم: التوبة أن يتوب من كل شيء سوى الله تعالى، وهي توبة الأخص، فعليكم أيها الإخوان بالتوبة والاستغفار، فإنها صابون الأوزار.

والمعنى: أي ومن تاب عن المعاصي التي فعلها، وندم على ما فرط منه، وزكّى نفسه بصالح الأعمال، فإنه يتوب إلى الله توبة نصوحاً مقبولة لديه، ماحية للعقاب، محصّلة لجزيل الثواب، إلى أنه ينير قلبه بنور من عنده يهديه إلى سواء السبيل، ويوفقه للخير، ويبعده عن الضير، وفي هذا تعميم لقبول التوبة من جميع المعاصي بعد أن ذكر قبولها من أمهاتها، نسأل الله تعالى توبة نصوحا ومن آثار رحمته فيضاً ونوالاً وفتوحاً.

وسابع الصفات: ما ذكره بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾؛ أي[1]: لا يحضرون مواضع الكذب، فإن حضور مجامع الفسّاق مشاركة لهم في تلك المعصية، ولأن النظر إليها دليل الرضا بها. وقيل: معنى ﴿لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ لا يشهدون[2] أعياد المشركين واليهود والنصاى. وقيل: لا يشهدون مواضع النوح والندب. وقيل: لا يساعدون أهل الباطل على باطلهم. وقيل: لا يشهدون مواضع اللهو واللعب والغناء. قال ابن مسعود: الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع. والأولى التعميم، فيقال: لا يشهدون مواضع المعاصي كلها، أياً كانت. أو المعنى: لا يشهدون الشهادة الكاذبة.

والحاصل: أنَّ ﴿يَشْهَدُونَ﴾ إن كان من الشهادة بمعنى الإخبار.. ففي

---

(١) المراح. (٢) الخازن.

الكلام حذف مضاف؛ أي: لا يشهدون شهادة الزور، وإن كان من الشهود بمعنى الحضور، كما ذهب إليه الجمهور.. فقد اختلفوا في معناه على الأقوال التي ذكرناها أولاً.

واختلف الأئمة في عقوبة شاهد الزور[1]: فقال أبو حنيفة: لا يعزّر، بل يوقف في قومه، ويقال لهم: إنه شاهد زور. وقال الثلاثة: يعزّر ويوقف في قومه، ويعرّفون أنه شاهد زور. وقال مالك: يشهر في الجوامع والأسواق والمجامع. وقال أحمد: يطاف به في المواضع التي يشتهر فيها، فيقال: إنا وجدنا هذا شاهد زور فاجتنبوه. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يجلد شاهد الزور أربعين جلدة، ويسخم وجهه ـ أي: يطليه بمادة سوداء ـ ويحلق رأسه، ويطوف به في الأسواق كما في «كشف الأسرار». وعن أبي بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر»؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين ـ وكان متكئاً فجلس، فقال ـ: ألا وقول الزور، أو شهادة الزور»، فما زال يكررها، حتى قلنا: ليته سكت. متفق عليه.

﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾؛ أي: بمجالس اللغو واللهو والباطل ﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾؛ أي: مروا بها معرضين عنها، مسرعين مكرمين أنفسهم بترك الالتفات إليها، منزّهين لها عن هذه المجالس السيئة، يقال: فلان يكرم نفسه عما يشينه؛ أي: يتنزه عن الدخول في اللغو والاختلاط بأهله. واللغو: كل ساقط من قول أو فعل. قال الحسن: اللغو المعاصي كلها. والمعنى: مرّوا معرضين عنه، مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه، والخوض فيه، ومن ذلك الإغضاء عن الفواحش، والصفح عن الذنوب، والكناية عما يستهجن التصريح به.

وحاصل معنى الآية: أي والذين لا يؤدّون الشهادات الكاذبة، ولا يساعدون أهل الباطل على باطلهم، ويكرمون أنفسهم عن سماع اللغو وما لا خير فيهِ كاللغو في القرآن، وشتم الرسول، والخوض فيما لا ينبغي. ونحو الآية قوله:

---

(١) روح البيان.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾.

وثامن الصفات: ما ذكره بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟﴾؛ أي: وعظوا ﴿بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ المشتملة على المواعظ والأحكام ﴿لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا﴾؛ أي[1]: لم يسقطوا، ولم يقعوا ولم يقفوا عليها حالة كونهم ﴿صُمًّا﴾ عن استماعها وإصغائها. جمع أصم وهو فاقد حاسة السمع وبه يشبه من لا يصغي إلى الحق ولا يقبله ﴿و﴾ حالة كونهم ﴿عميانا﴾ عن رؤية تاليها. جمع أعمى؛ وهو فاقد حاسة البصر.

والمعنى: أي[2] والذين إذا وعظوا بالآيات المشتملة على الأحكام والمواعظ أكبوا على تلك الآيات حرصاً على استماعها، وأقبلوا على المذكر بها، وهم في إكبابهم عليها سامعون بآذان واعية، مبصرون بعيون راعية، وانتفعوا بها، لا كالذين يظهرون الحرص الشديد على استماعها، وهم كالصم والعيمان كالمنافقين والكفرة كأبي جهل والأخنس بن شريق، فالمراد من النفي نفي الصمم والعمى، لا نفي الخرور وإن دخلت الأداة عليه، فالنفي متوجه إلى القيد الذي هو ﴿صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾، لا إلى المقيد الذي هو الخرور الداخل عليه. وفي هذا تعريض بما عليه الكفرة والمنافقون الذي إذا سمعوا كلام الله لم يتأثروا به، ولم يتحولوا عما كانوا عليه، بل يستمرون على كفرهم وعصيانهم وجهلهم وضلالهم، فكأنهم صم لا يسمعون، وعمي لا يبصرون.

وتاسع الصفات: ما ذكره بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ في دعائهم لربهم ﴿رَبَّنَا﴾ ويا مالك أمرنا ﴿هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾؛ أي: بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل؛ أي: اجعل لنا ما يحصل به سرور أعين من أزواجنا وأولادنا بأن نراهم صالحين مطيعين لله. وعن محمد بن كعب: ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده يطيعون الله تعالى. وقرة العين

---

(١) الخازن. (٢) المراح.

سرورها، والمراد به ما يحصل به السرور، فـ﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنْ أَزْوَٰجِنَا﴾ إما[1] بيانية كما فسّرنا، كأنه قيل: هب لنا قرة أعين، ثم بينت القرة وفسرت بقوله: ﴿مِنْ أَزْوَٰجِنَا﴾، أو ابتدائية على معنى: هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح، وإنما قيل: ﴿أَعْيُنٍ﴾ على وزن القلة، دون عيون؛ لأن المراد أعين المتقين وهي قليلة بالنسبة إلى عيون غيرهم، قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾، ويجوز أن يقال في تنكير أعين: إنها أعين خاصة وهي أعين المتقين. والمعنى أنهم سألوا ربهم أن يرزقهم أزواجاً وأعقاباً علماء لله تعالى، يسرون بمكانهم، وتقرّ بهم عيونهم.

﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾؛ أي: اجعلنا أئمة لهم بحيث يقتدون بنا في إقامة مراسم الدين بإفاضة العلم علينا، وبالتوفيق للعمل الصالح. ولفظ ﴿إمام﴾ يستوي فيه الجمع وغيره، فالمطابقة حاصلة. اهـ شيخنا.

وفي «البيضاوي»[2]: وتوحيد ﴿إِمَامًا﴾ لدلالته على الجنس وعدم اللبس، كقوله: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾، أو لأنه مصدر في أصله، أو لأن المراد: واجعل كل واحد منا إماماً، أو لأنهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم. وقيل: جمع آثم كصائم وصيام، فيكون من المقلوب، والمعنى: واجعل المتقين لنا إماماً، واجعلنا مقتدين مؤتمين بهم. قال بعضهم: وفي هذا دليل على أن الرئاسة في الدين مطلوبة مرغوب فيها. والمعنى؛ أي[3]: والذين يسألون الله أن يخرج من أصلابهم من يطيعه ويعبده وحده لا شريك له، وصادق الإيمان إذا رأى أهله قد شاركوه في الطاعة قرت بهم عينه، وسر قلبه، وتوقع نفعهم له في الدنيا حياً وميتاً، وكانوا من اللاحقين به في الآخرة، ويسألون أيضاً أن يجعلهم أئمة يقتدى بهم في إقامة مراسم الدين بما يفيض عليهم من واسع العلم، وبما يوفقهم إليه من صالح العمل. روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال

---

(١) النسفي.

(٢) البيضاوي.

(٣) المراغي.

رسول الله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: ولد صالح يدعو له، وعلم ينتفع به من بعده، وصدقة جارية».

والخلاصة: أنهم طلبوا من ربهم أمرين: أن يكون لهم من أزواجهم وذرياتهم من يعبدونه، فتقرّ بهم أعينهم في الدنيا والآخرة، وأن يكونوا هداة مهتدين، دعاة إلى الخير، آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر.

وقرأ ابن عامر وابن كثير ونافع وحفص عن عاصم[1]: ﴿وَذُرِّيَّـٰتِنَا﴾ على الجمع، وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو بكر وطلحة: ﴿وذريتنا﴾: على الإفراد، وقرأ ابن مسعود وأبو حيوة وأبو الدرداء وأبو هريرة: ﴿قُرّات﴾: على الجمع، والجمهور على الإفراد.

تنبيه[2]: وإعادة الموصول في المواضع السبعة مع كفاية ذكر الصلات بطريق العطف على صلة الموصول الأول للإيذان بأن كل واحد مما ذكر في حيز صلة الموصولات المذكورة وصف جليل على حدته، له شأن خطير حقيق بأن يفرد له موصوف مستقل، ولا يجعل شيء من ذلك تتمة لذلك، وتوسط العاطف بين الصفة والموصوف لتنزيل الاختلاف العنواني منزلة الاختلاف الذاتي.

ولما بين سبحانه صفات المتقين المخلصين.. ذكر إحسانه إليهم بقوله: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بالصفات الثمانية السابقة، والمستجمعون لتلك الخصال الفاضلة ﴿يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ﴾؛ أي: يثابون أعلى منازل الجنة، والجزاء ما فيه الكفاية من المقابلة، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، والغرفة: الدرجة العالية من كل بناء مرتفع، وهي اسم جنس أريد به الجمع، كقوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَـٰتِ ءَامِنُونَ﴾، ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾؛ أي: بسبب صبرهم على مشاق التكاليف، وقمع الشهوات، وتحمل المجاهدات. فـ﴿ما﴾ مصدرية، و﴿الباء﴾: سببية ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا﴾؛ أي: في الغرفة من جهة الملائكة؛ أي: يستقبلون فيها، ويجدون من الملائكة ﴿تَحِيَّةً﴾؛ أي: دعاء بطول حياة ﴿وَسَلَـٰمًا﴾؛ أي: دعاء بسلامة من

---

(١) البحر المحيط.
(٢) روح البيان.

الآفات؛ أي: يستقبلون فيها بالتحية وبالسلام؛ أي: تحييهم الملائكة، ويدعون لهم بطول الحياة، والسلامة من الآفات، فإن التحية هي الدعاء بالتعمير، والسلام هو الدعاء بالسلامة.

وقال شيخ الإسلام: جمع بين التحية والسلام مع أنهما بمعنى واحد لقوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾، ولخبر: «تحية أهل الجنة في الجنة السلام»؛ لأن المراد هنا بالتحية سلام بعضهم على بعض، أو سلام الملائكة عليهم، وبالسلام سلام الله عليهم لقوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾، أو المراد بالتحية إكرام الله لهم بالهدايا والتحف، وبالسلام سلامه عليهم بالقول، ولو سلم أنهما بمعنى واحد لساغ الجمع بينهما لاختلافهما لفظاً «فتح الرحمن».

حالة كونهم ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾؛ أي: في تلك الغرفة لا يموتون ولا يخرجون منها ﴿حَسُنَتْ﴾ تلك الغرفة من جهة كونها ﴿مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ لهم؛ أي: موضع قرار ودوام وإقامة واستراحة لهم، وهو مقابل قوله في جهنم: ﴿سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ معنى، ومثله إعرابا. فعلى العاقل أن يتهيأ لمثل هذه الغرفة العالية الحسنة بما سبق من الأعمال الفاضلة المستحسنة، ولا يقع في مجرد الأماني والآمال، فإن الأمنية كالموت بلا إشكال:

بِقَدْرِ ٱلْكَدِّ تُكْتَسَبُ ٱلْمَعَالِيْ وَمَنْ طَلَبَ ٱلْعُلاَ سَهِرَ ٱللَّيَالِيْ

والمعنى: أي[1] أولئك المتصفون بصفات الكمال، الموسومون بفضائل الأخلاق والآداب، يجزون المنازل الرفيعة والدرجات العالية بصبرهم على فعل الطاعات، واجتنابهم للمنكرات، ويبتدرون فيها بالتحية والإكرام، ويلقون التوقير والاحترام، فلهم السلام وعليهم السلام، ونحو الآية: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾﴾، ثم بين أن هذا النعيم دائم لهم لا ينقطع، فقال: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾؛ أي: مقيمين فيها، لا يظعنون، ولا يموتون، حسنت منظراً وطابت مقيلاً ومنزلاً.

---

(١) المراغي.

وقرأ[1] ابن كثير ونافع وأبو عمرو، وحفص عن عاصم، والحسن وشيبة وأبو جعفر وأبو بكر ﴿يلقون﴾ بضم الياء وفتح اللام والقاف المشددة، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم وطلحة ومحمد اليماني ﴿يَلْقون﴾ بفتح الياء وسكون اللام وتخفيف القاف.

ولما شرح صفات المتقين وأثنى عليهم.. أمر رسوله أن يقول لهم بقوله: ﴿قُلْ﴾ يا محمد للناس كافة ﴿مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي﴾ و﴿ما﴾: إما استفهامية محلها النصب على المصدر؛ أي[2]: ما يصنع بأجسامكم، وما يفعل بصوركم ربي، أو أي وزن ومقدار لكم عنده ﴿لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾؛ أي: لولا عبادتكم إياه، كقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾. وقيل: لولا إيمانكم. وقيل: لولا دعاؤه إياكم إلى الإيمان، فإذا آمنتم ظهر لكم عنده قدر، وإما نافية؛ أي: لا يبالي بكم ربي لولا دعاؤكم واستغاثتكم إياه في الشدائد، فقوله: ﴿لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ بيان لحال المؤمنين، وجواب ﴿لَوْلَآ﴾ معلوم مما قبله، تقديره: لولا دعاؤكم لم يعبأ بكم. والمعنى[3] على الاستفهامية: أي عبء يعبأ بكم ربي، وأي مبالاة يبالي بكم ربي، وأي اعتبار يعتبركم ربي، وأي اعتناء يعتني بشأنكم ربي لولا عبادتكم وطاعتكم له تعالى؟ فإن شرف الإنسان وكرامته عند الله تعالى بالمعرفة والطاعة، وإلا فهو وسائر الحيوانات سواء، هذا وفي الآية معان أخر، والأظهر عند المحققين ما ذكرناه.

وقوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ بيان لحال الكفرة من الناس؛ أي: فقد كذبتم أيها الكفرة بما أخبرتكم به حيث خالفتموه وخرجتم عن أن يكون لكم عند الله اعتناء بشأنكم واعتبار، أو وزن ومقدار ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ﴾ جزاء تكذيبكم ﴿لِزَامًا﴾؛ أي: لازماً لكم يحيق بكم لا محالة، حتى يكبكم في النار؛ أي: يصرعكم على وجوهكم في النار، كما يعرف عنه الفاء الدالة على لزوم ما بعدها لما قبلها،

---

(١) البحر المحيط.
(٢) الخازن بزيادة.
(٣) روح البيان.

وإنما أضمر اسم ﴿يَكُونُ﴾ من غير ذكر للإيذان بغاية ظهوره وتهويل أمره، للتنبيه على أنه مما لا يكتنهه الوصف والبيان، وعن بعضهم: أن المراد بالجزاء جزاء الدنيا، وهو ما وقع يوم بدر، قتل منهم سبعون، وأسر منهم سبعون، ثم اتصل به عذاب الآخرة لازماً لهم.

وقال الزمخشري في هذه الآية[1]: لما وصف الله سبحانه عبادة العباد، وعدد صالحاتهم وحسناتهم، وأثنى عليهم من أجلها، ووعدهم رفع الدرجات.. أتبع ذلك ببيان أنه إنما اكترث بأولئك، وعبأ بهم، وأعلى ذكرهم لأجل عبادتهم، فأمر رسوله بأن يقول لهم: إن الاكتراث بهم عند ربهم إنما هو لأجل عبادتهم وحدها، لا لمعنى آخر، ولولا عبادتهم لم يكترث بهم البتة، ولم يعتد بهم، ولم يكونوا عنده شيئاً يبالي به اهـ «كشاف».

وقال زاده: أي إن مبالاة الله تعالى واعتناءه بشأنهم حيث خلق السموات والأرض وما بينهما إرادة للانتظام إنما هو ليعرفوا حق المنعم، ويطيعوه فيما كلفهم به اهـ.

ومعنى الآية: أي[2] قل لهؤلاء الذين أرسلت إليهم: إن الفائزين بتلك النعم الجليلة التي يتنافس فيها المتنافسون إنما نالوها بما ذكر من تلك المحاسن، ولولاها لم يعتد بهم ربهم، ومن ثم لا يعبأ بكم إذا لم تعبدوه، فما خلق الإنسان إلا ليعبد ربه، ويطيعه وحده لا شريك له، كما قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾، ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ أما أنتم إذ خالفتم حكمي، وعصيتم أمري، ولم تعملوا عمل أولئك الذين ذكروا من قبل، وكذبتم رسولي.. فسوف يلزمكم أثر تكذيبكم، وهو العقاب الذي لا مناص منه، فاستعدوا له، وتهيؤوا لذلك اليوم، فكل آت قريب.

وخلاصة ذلك: لا يعتد بكم ربي لولا عبادتكم إياه، أما الكافرون منكم

---

(١) الكشاف.
(٢) المراغي.

الذين قصروا في العبادة فسيكون تكذيبهم مفضياً لعذابهم وهلاكهم في الدنيا والآخرة.

وقال أبو حيان[1]: والذي يظهر أن قوله: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي﴾ خطاب لكفار قريش القائلين: أنسجد لما تأمرنا؟ أي: لا يحفل بكم ربي لولا تضرعكم إليه واستغاثتكم إياه عند الشدائد، فقد كذبتم بما جاء به الرسول ﷺ، فتستحقون العقاب، فسوف يكون العقاب لزاماً؛ أي: لازماً لكم لا تنفكون منه، ونفس لهم في حلوله بلفظة ﴿فَسَوْفَ﴾، وقرأ عبد الله وابن عباس وابن الزبير: ﴿فقد كذب الكافرون﴾ فهو محمول على أنه تفسير لا قرآن، وفي هذه القراءة دليل[2] بين على أن الخطاب لجميع الناس.

وقرأ ابن جريج ﴿فسوف تكون﴾ بتاء التأنيث؛ أي: فسوف تكون العاقبة، وقرأ الجمهور: ﴿لِزَامًا﴾ بكسر اللام، وقرأ[3] المنهال وأبان بن تغلب وأبو السماك بفتحها مصدراً، تقول: لزم لزوماً ولزاماً مثل ثبت ثبوتاً وثباتاً، وأنشد أبو عبيدة على كسر اللام لصخر الغي:

فَإِمَّا يَنْجُ مِنْ حَتْفِ أَرْضٍ فَقَدْ لَقِيَا حُتُوْفَهُمَا لِزَامَا

ونقل ابن خالويه عن أبي السماك أنه قرأ: ﴿لزام﴾ على وزن حذام، جعله مصدراً معدولاً عن اللزمة، كفجار معدول عن الفجرة.

فائدة: قال الإمام الراغب[4]: الإنسان في هذه الدار الدنيا كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: الناس سفر، والدار دار ممر، لا دار مقر، وبطن أمه مبدأ سفره، والآخرة مقصده، وزمان حياته مقدار مسافته، وسنوه منازله، وشهوره فراسخه، وأيامه أمياله، وأنفاسه خطاه، ويسار به سير السفينة براكبها، كما قال الشاعر:

رَأَيْتُ أَخَا ٱلدُّنْيَا وَإِنْ كَانَ ثَاوِيَا أَخَا سَفَرٍ يُسْرَىٰ بِهِ وَهُوَ لاَ يَدْرِيْ

---

(١) البحر المحيط.
(٢) الشوكاني.
(٣) البحر المحيط.
(٤) روح البيان.

وقد دعي إلى دار السلام، لكن لما كان الطريق إليها مشكلة مظلمة جعل الله لنا من العقل الذي ركبه فينا، وكتبه التي أنزلها علينا نوراً هادياً، ومن عبادته التي كتبها علينا، وأمرنا بها حصناً واقياً، فمن قال: هذه الطاعات جعلها الله عذاباً علينا من غير تأويل فقد كفر، فإن أول مراده بالتعب فلا يكفر، ولو قال: لو لم يفرض الله تعالى علينا كان خيراً لنا بلا تأويل فقد كفر؛ لأن الخير فميا اختاره الله، إلا أن يُؤوِّل ويريد بالخير الأهون والأسهل. نسأل الله تعالى أن يسهلها علينا في الباطن والظاهر، والأول والآخر بمنّه وكرمه، وجوده وإحسانه، إنه خير مسؤول وأفضل مأمول.

الإعراب

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾﴾.

﴿وَيَعْبُدُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة مسوقة لبيان قبائح المشركين. ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه، متعلقان بـ﴿يعبدون﴾. ﴿مَا﴾: اسم موصول في محل النصب مفعول به. ﴿لا﴾: نافية. ﴿يَنفَعُهُمْ﴾: فعل ومفعول به، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَا﴾، والجملة صلة الموصول. ﴿وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾: فعل ومفعول وفاعل مستتر يعود على ﴿مَا﴾، والجملة معطوفة على جملة ﴿يَنفَعُهُمْ﴾. ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿عَلَىٰ رَبِّهِۦ﴾: متعلق بـ﴿ظَهِيرًا﴾. ﴿ظَهِيرًا﴾: خبر ﴿كَانَ﴾، وجملة ﴿كَانَ﴾ معطوفة على جملة ﴿يَعْبُدُونَ﴾.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾﴾.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿أَرْسَلْنَٰكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير حال رسوله ﷺ. ﴿إِلَّآ﴾: أداة استثناء مفرغ من أعم الأحوال. ﴿مُبَشِّرًا﴾: حال من ضمير المفعول. ﴿وَنَذِيرًا﴾: معطوف عليه، والتقدير: أي: وما أرسلناك في حال من الأحوال إلاّ حال كونك

مبشراً ونذيراً. ﴿قُلْ﴾: فعل أمر وفاعل مستتر يعود على محمد، والجملة مستأنفة. ﴿مَآ﴾: نافية. ﴿أَسْـَٔلُكُمْ﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر يعود على محمد ومفعول أول. ﴿عَلَيْهِ﴾: حال من ﴿أَجْرٍ﴾؛ لأنه كان في الأصل صفة لـ﴿أَجْرٍ﴾ قدمت عليه. ﴿مِنْ﴾: زائدة ﴿أَجْرٍ﴾: مفعول ثان لسأل، وجملة سأل في محل النصب مقول القول. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿مَن﴾: اسم موصول في محل النصب على الاستثناء من ضمير المخاطبين. ﴿شَآءَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على ﴿مَن﴾، والجملة صلة الموصول. ﴿أَن﴾: حرف نصب. ﴿يَتَّخِذَ﴾ فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على ﴿مَن﴾. ﴿إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾: في محل المفعول الثاني لـ﴿يَتَّخِذَ﴾. ﴿سَبِيلًا﴾: مفعول أول له، وجملة ﴿يَتَّخِذَ﴾ في تأويل منصوب على المفعولية لـ﴿شَآءَ﴾، تقديره: إلا من شاء اتخاذه سبيلاً إلى ربه.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾.

﴿وَتَوَكَّلْ﴾: فعل أمر وفاعل مستتر يعود على محمد، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ﴾، وهذه الجملة متصلة في المعنى بقوله: ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾. ﴿عَلَى ٱلْحَىِّ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿توكل﴾. ﴿ٱلَّذِى﴾: صفة أولى لـ﴿ٱلْحَىِّ﴾. ﴿لَا يَمُوتُ﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر يعود على الموصول، والجملة صلة الموصول. ﴿وَسَبِّحْ﴾: فعل أمر وفاعل مستتر يعود على محمد، والجملة معطوفة على جملة ﴿توكل﴾. ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بمحذوف حال من فاعل ﴿سبح﴾؛ أي: حالة كونك متلبساً بحمده. ﴿وَكَفَىٰ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿كفى﴾: فعل ماض. ﴿بِهِۦ﴾: الباء زائدة في فاعل ﴿كفى﴾، والهاء ضمير للمفرد المنزه عن الذكورة والأنوثة والغيبة، مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه فاعل ﴿كفى﴾، والجملة معطوفة على جملة ﴿توكل﴾، أو مستأنفة. ﴿بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿خَبِيرًا﴾. ﴿خَبِيرًا﴾: تمييز لفاعل ﴿كفىٰ﴾، أو حال منه.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾.

﴿ٱلَّذِى﴾: صفة ثانية لـ﴿ٱلْحَيِّ﴾، أو نعت، أو بدل من قوله: ﴿بِهِۦ﴾، أو مبتدأ خبره ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ الآتي. ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به. ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾: معطوف على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، والجملة صلة الموصول. ﴿وَمَا﴾: في محل النصب معطوف على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾. ﴿بَيْنَهُمَا﴾ ظرف ومضاف إليه صلة ﴿ما﴾ الموصولة. ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿خَلَقَ﴾. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف وترتيب. ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على الموصول معطوف على ﴿خَلَقَ﴾. ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِۚ﴾: متعلق بـ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾. ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾: بالرفع، في إعرابه أوجه: أحدها أنه خبر ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾، أو خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هو الرحمن، أو بدل من الضميرفي ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾، أو مبتدأ خبره جملة قوله: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ على رأي الأخفش، أو صفة لـ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ إذا قلنا إنه مرفوع، وأما على قراءة زيد بن علي بالجر، فيتعين أن يكون نعتاً لـ﴿ٱلْحَيِّ﴾. ﴿فَسْـَٔلْ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفت ما ذكرته من الخلق والاستواء، وأردت بيان تفاصيله.. فأقول لك: ﴿اسأل﴾: فعل أمر، وفاعل مستتر يعود على محمد. ﴿بِهِۦ﴾: ﴿الباء﴾: حرف جر بمعنى عن، ﴿والهاء﴾: ضمير الغائب عائد على ما ذكر من الخلق والاستواء، ولكنه على تقدير مضاف، تقديره: فاسأل عن تفاصيل ما ذكر متعلق بـ﴿اسأل﴾ على كونه مفعولاً ثانياً لـ﴿اسأل﴾. ﴿خَبِيرًا﴾: مفعول أول لـ﴿اسأل﴾؛ أي: فاسأل رباً خبيراً عن تفاصيله، والجملة الفعلية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة، وفي المقام أوجه آخر من الإعراب على اختلاف تفاسيره، فأجر عليه تلك الأوجه بحسب المعنى، والله أعلم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا۩ ﴿٦٠﴾﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿إذا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان مضمن معنى الشرط. ﴿قِيلَ﴾: فعل ماض مغير الصيغة. ﴿لَهُمُ﴾: متعلق به. ﴿ٱسْجُدُواْ﴾: فعل أمر وفاعل ﴿لِلرَّحْمَٰنِ﴾: متعلق به، والجملة الفعلية في محل الرفع نائب فاعل لـ﴿قِيلَ﴾ على كونها مقولاً له، وجملة ﴿قِيلَ﴾ في محل الخفض بإضافة إذا إليها على كونها فعل شرط لها، والظرف متعلق بالجواب. ﴿قَالُواْ﴾: فعل وفاعل جواب إذا لا محل لها من الإعراب، وجملة إذا مستأنفة. ﴿وَمَا﴾ ﴿الواو﴾: زائدة. ﴿ما﴾: اسم استفهام في محل الرفع خبر مقدم. ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾: مبتدأ مؤخر، أو بالعكس، والجملة الاستفهامية في محل النصب مقول ﴿قَالُواْ﴾. ﴿أَنَسْجُدُ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري ﴿نسجد﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر يعود على المتكلمين ﴿لِمَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿نسجد﴾ والجملة الفعلية في محل النصب مقول ﴿قَالُواْ﴾. ﴿تَأْمُرُنَا﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على محمد و ﴿نا﴾: مفعول به، والجملة صلة ﴿ما﴾ الموصولة، والعائد محذوف تقديره: لما تأمرنا السجود له، ويجوز أن تكون ﴿ما﴾ مصدرية؛ أي: نسجد لأجل أمرك إيانا. ﴿وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾: فعل ماض ومفعولان، وفاعله ضمير يعود على القول المذكور، والجملة الفعلية معطوفة على جملة ﴿قَالُواْ﴾ على كونها جواب إذا لا محل لها من الإعراب.

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾.

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿جَعَلَ﴾: فعل ماض بمعنى أوجد، يتعدى لمفعول واحد، وفاعله ضمير مستتر يعود على الموصول، والجملة صلة الموصول. ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾: متعلق بـ﴿جَعَلَ﴾. ﴿بُرُوجًا﴾: مفعول به. ﴿وَجَعَلَ﴾: معطوف على ﴿جَعَلَ﴾ الأول. ﴿فِيهَا﴾: متعلق به. ﴿سِرَٰجًا﴾: مفعول ﴿جَعَلَ﴾. ﴿وَقَمَرًا﴾: معطوف على ﴿سِرَٰجًا﴾. ﴿مُّنِيرًا﴾: صفة ﴿قمرا﴾. ﴿وَهُوَ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿هو﴾: مبتدأ. ﴿ٱلَّذِى﴾: خبر، والجملة معطوفة على جملة ﴿تَبَارَكَ﴾. ﴿جَعَلَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر، والجملة صلة

الموصول. ﴿ٱلَّيۡلَ﴾: مفعول أول. . ﴿وَٱلنَّهَارَ﴾: معطوف على ﴿ٱلَّيۡلَ﴾. ﴿خِلۡفَةً﴾: مفعول ثان لـ﴿جَعَلَ﴾ إن كان بمعنى صير، أو حال من المفعول به إن كان بمعنى خلق، وأفرده لأن المعنى: يخلف أحدهما الآخر، فلا يتحقق هذا إلا منهما. قيل: ولا بد من تقدير مضاف؛ أي: ذوي خلفة. ﴿لِمَنۡ﴾: جار ومجرور صفة لـ﴿خِلۡفَةً﴾. ﴿أَرَادَ﴾: فعل وفاعل مستتر يعود على ﴿من﴾، والجملة صلة ﴿من﴾ الموصولة. ﴿أَن يَذَّكَّرَ﴾: ناصب وفعل مضارع وفاعل مستتر يعود على ﴿من﴾، والجملة في تأويل مصدر منصوب على المفعولية لـ﴿أَرَادَ﴾؛ أي: لمن أراد تذكرة. ﴿أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به معطوف على ﴿أَرَادَ﴾ الأول.

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾﴾.

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾: مبتدأ ومضاف إليه. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: خبره، والجملة الاسمية مستأنفة مسوقة لبيان الأوصاف التي تميز بها عباد الرحمن المخلصون. ﴿يَمۡشُونَ﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿عَلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾: متعلق بـ﴿يَمۡشُونَ﴾. ﴿هَوۡنٗا﴾: إما مصدر واقع موقع الحال من فاعل ﴿يَمۡشُونَ﴾؛ أي: حالة كونهم هينين لينين، أو منصوب على المفعولية المطلقة؛ أي: مشياً مطلقاً. ﴿وَإِذَا﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان. ﴿خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ﴾: فعل ومفعول به وفاعل، والجملة في محل الخفض بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها على كونها فعل شرط لها، والظرف متعلق بالجواب. ﴿قَالُواْ﴾: فعل وفاعل جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها من الإعراب. ﴿سَلَٰمٗا﴾: منصوب على المفعولية المطلقة؛ لأنه صفة لمصدر محذوف؛ أي: قولاً سلاماً، وجملة ﴿إِذَا﴾ معطوفة على جملة قوله: ﴿يَمۡشُونَ﴾ على كونها صلة الموصول. ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: معطوف على الموصول الأول على كونه خبر المبتدأ. ﴿يَبِيتُونَ﴾: فعل مضارع ناقص، والواو: اسمها. ﴿لِرَبِّهِمۡ﴾: متعلق بـ﴿سُجَّدٗا﴾. ﴿سُجَّدٗا﴾: خبر ﴿يَبِيتُونَ﴾، والجملة

صلة الموصول. ﴿وَقِيَٰمًا﴾: معطوف على ﴿سُجَّدًا﴾. ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: معطوف على الموصول الأول أيضاً. ﴿يَقُولُونَ﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿رَبَّنَا﴾ منادى مضاف حذف منه حرف النداء، وجملة النداء في محل النصب مقول يقولون: ﴿ٱصْرِفْ﴾: فعل دعاء، وفاعله ضمير مستتر يعود على الله. ﴿عَنَّا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿ٱصْرِفْ﴾. ﴿عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾: مفعول به ومضاف إليه، والجملة الفعلية في محل النصب مقول القول على كونها جواب النداء. ﴿إِنَّ عَذَابَهَا﴾: ناصب واسمه. ﴿كَانَ﴾: فعل ناقص، واسمها ضمير يعود على العذاب، وجملة ﴿كَانَ غَرَامًا﴾ في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ في محل النصب مقول القول على كونها معللة لقولهم: ﴿رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾. ﴿إِنَّهَا﴾: ناصب واسمه. ﴿سَآءَتْ﴾: فعل ماض من أفعال الذم، وفاعله ضمير مستتر مبهم مفسر بنكرة. ﴿مُسْتَقَرًّا﴾: تمييز لفاعل ﴿سَآءَتْ﴾. ﴿وَمُقَامًا﴾: معطوف عليه، والمخصوص بالذم محذوف تقديره: هي، وهو مبتدأ، خبره جملة ﴿سَآءَتْ﴾، والجملة الاسمية في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ معطوفة على جملة ﴿إِنَّ﴾ الأولى، ويجوز أن تكون ﴿سَآءَتْ﴾ بمعنى أحزنت، فلا تكون حينئذ من أفعال الذم، كما مر في مبحث التفسير.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ﴾: في محل الرفع معطوف على الموصول الأول. ﴿إِذَآ﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان. ﴿أَنفَقُواْ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل الخفض بإضافة ﴿إِذَآ﴾ إليها على كونها فعل شرط لها، والظرف متعلق بالجواب. ﴿لَمْ يُسْرِفُواْ﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ﴿لَمْ﴾، والجملة جواب ﴿إِذَآ﴾، وجملة ﴿إِذَآ﴾ صلة الموصول. ﴿وَلَمْ يَقْتُرُواْ﴾: جازم وفعل وفاعل معطوف على قوله: ﴿لَمْ يُسْرِفُواْ﴾. ﴿وَكَانَ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة، أو حالية. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص، واسمها ضمير يعود على الإنفاق. ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بمحذوف حال من ﴿قَوَامًا﴾؛ لأنه صفة نكرة قدمت عليها. ﴿قَوَامًا﴾: خبر ﴿كَانَ﴾؛ أي: وكان انفاقهم قواماً كائناً بين ذلك. قال الزمخشري: ويجوز أن

يكون المنصوبان خبرين لـ﴿كَانَ﴾، أعني ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ و﴿قَوَامًا﴾، وأن يكون ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: ظرفاً لغواً متعلق بـ﴿كَانَ﴾، و﴿قَوَامًا﴾: خبر ﴿كَانَ﴾، وأن يكون الظرف خبراً، و﴿قَوَامًا﴾: حالاً مؤكدة، وجملة ﴿كَانَ﴾ إما معطوفة على جملة الصلة، أو حال من واو ﴿يُسْرِفُوا﴾.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩)﴾.

﴿وَالَّذِينَ﴾: اسم موصول في محل الرفع معطوف على الموصول الأول. ﴿لا﴾: نافية. ﴿يَدْعُونَ﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿مَعَ اللَّهِ﴾: متعلق بـ﴿يَدْعُونَ﴾. ﴿إِلَٰهًا﴾: مفعول به. ﴿آخَرَ﴾: صفة له. ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به معطوف على ﴿يَدْعُونَ﴾. ﴿الَّتِي﴾: اسم موصول في محل النصب صفة لـ﴿النَّفْسَ﴾. ﴿حَرَّمَ اللَّهُ﴾: فعل وفاعل صلة الموصول، والعائد محذوف تقديره: حرمها الله. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿بِالْحَقِّ﴾: متعلق بـ﴿يَقْتُلُونَ﴾، أو بمحذوف حال، فالاستثناء من أعم الأحوال؛ أي: إلا متلبسين بالحق. ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿يَقْتُلُونَ﴾. ﴿وَمَن﴾: ﴿الواو﴾: اعتراضية ﴿من﴾: اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط، أو الجواب، أو هما. ﴿يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به مجزوم بـ﴿من﴾ الشرطية على كونه فعل شرط لها. ﴿يَلْقَ﴾ فعل مضارع وفاعل مستتر مجزوم بـ﴿من﴾ الشرطية على كونه جواب شرط لها. ﴿أَثَامًا﴾: مفعول به، وجملة ﴿من﴾ الشرطية جملة معترضة لا محل لها من الإعراب. ﴿يُضَاعَفْ﴾: فعل مضارع مغير الصيغة بدل من ﴿يَلْقَ﴾ بدل كل من كل؛ لأن مضاعفة العذاب نفس لقي الآثام. ﴿لَهُ﴾: متعلق بـ﴿يُضَاعَفْ﴾. ﴿الْعَذَابُ﴾: نائب فاعل. ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: ظرف متعلق بـ﴿يُضَاعَفْ﴾ أيضاً. ﴿وَيَخْلُدْ﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر يعود على ﴿من﴾ معطوف على ﴿يُضَاعَفْ﴾. ﴿فِيهِ﴾: متعلق بـ﴿يخلد﴾. ﴿مُهَانًا﴾: حال من فاعل ﴿يخلد﴾.

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء ﴿مَن﴾: اسم موصول في محل النصب على الاستثناء، فهو مستثنى متصل من فاعل ﴿يَلْقَ﴾. ﴿تَابَ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على ﴿مَن﴾، والجملة صلة ﴿مَن﴾ الموصولة. ﴿وَءَامَنَ وَعَمِلَ﴾: معطوفان على ﴿تَابَ﴾. ﴿عَمَلًا﴾: مفعول مطلق أو مفعول به. ﴿صَٰلِحًا﴾: صفة له. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾: ﴿الفاء﴾: تعليلية جرياً على القاعدة المطردة من أن الفاء بعد الاستثناء للتعليل. ﴿أولئك﴾: مبتدأ. ﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول أول. ﴿حَسَنَٰتٍۗ﴾: مفعول ثان، أو منصوب بنزع الخافض، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل الجر بلام التعليل المقدرة المدلول عليها بالفاء التعللية، وتلك اللام متعلقة بمعلول محذوف، تقديره: وإنما قلنا: إلا من تاب لتبديل الله سيئاتهم إلخ. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾: فعل ناقص واسمه وخبره. ﴿رَّحِيمًا﴾: خبر ثان له، وجملة ﴿كَانَ﴾ معترضة، أو مستأنفة لا محل لها من الإعراب. ﴿وَمَن﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية، أو اعتراضية. ﴿مَنْ﴾: اسم شرط في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط، أو الجواب. ﴿تَابَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على ﴿مَنْ﴾ في محل الجزم بـ﴿مَنْ﴾ الشرطية على كونه فعل شرط لها. ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به، أو مطلق معطوف على ﴿تَابَ﴾. ﴿فَإِنَّهُۥ﴾ الفاء رابطة الجواب ﴿إنه﴾ ناصب واسمه. ﴿يَتُوبُ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر. ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ متعلق به. ﴿مَتَابًا﴾: مفعول مطلق لأنه مصدر ميمي، وجملة يتوب في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ في محل الجزم بمن الشرطية على كونها جواباً لها، وجملة ﴿من﴾ الشرطية معترضة أو مستأنفة لا محل لها من الإعراب.

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ

أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٖ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول في محل الرفع، معطوف على الموصول الأول. ﴿لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به صلة الموصول. ﴿وإذا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان. ﴿مَرُّواْ﴾: فعل وفاعل. ﴿بِٱللَّغْوِ﴾: متعلق بـ﴿مَرُّواْ﴾، والجملة في محل الخفض بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها على كونها فعل شرط لها. ﴿مَرُّواْ﴾: فعل وفاعل. ﴿كِرَامًا﴾: حال من فاعل ﴿مَرُّواْ﴾، والجملة جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿إِذَا﴾ معطوفة على جملة الصلة. ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: معطوف على الموصول الأول. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان. ﴿ذُكِّرُواْ﴾: فعل ونائب فاعل. ﴿بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿ذُكِّرُواْ﴾، والجملة في محل الخفض بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها على كونها فعل شرط لها. ﴿لَمْ يَخِرُّواْ﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ﴿لَمْ﴾. ﴿عَلَيْهَا﴾ متعلق به. ﴿صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾: حالان من فاعل ﴿يَخِرُّواْ﴾، جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها من الإعراب. ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: معطوف على الموصول الأول. ﴿يَقُولُونَ﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿رَبَّنَا﴾: منادى مضاف حذف منه حرف النداء، وجملة النداء في محل النصب مقول لـ﴿يَقُولُونَ﴾. ﴿هَبْ﴾: فعل دعاء وفاعل مستتر. ﴿لَنَا﴾: متعلق به، والجملة الفعلية في محل النصب مقول ﴿يَقُولُونَ﴾ على كونها جواب النداء. ﴿مِنْ أَزْوَٰجِنَا﴾: جار ومجرور حال من ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٖ﴾؛ لأنه صفة نكرة قدمت عليها. ﴿وَذُرِّيَّٰتِنَا﴾: معطوف على ﴿أَزْوَٰجِنَا﴾. ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٖ﴾: مفعول به لـ﴿هَبْ﴾. ﴿وَٱجْعَلْنَا﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول أول. ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾: حال من ﴿إِمَامًا﴾؛ لأنه صفة نكرة قدمت عليها. ﴿إِمَامًا﴾: مفعول ثان لـ﴿اجعلنا﴾، وجملة ﴿اجعلنا﴾ معطوفة على جملة ﴿هَبْ لَنَا﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: مبتدأ. ﴿يُجْزَوْنَ﴾: فعل مغير ونائب فاعل. ﴿ٱلْغُرْفَةَ﴾: مفعول ثان لـ﴿يُجْزَوْنَ﴾. ﴿بِمَا﴾ ﴿الباء﴾: حرف جر وسبب ﴿ما﴾: مصدرية،

وجملة ﴿صَبَرُوا۟﴾ صلة ﴿ما﴾ المصدرية؛ أي: بسبب صبرهم، الجار والمجرور متعلق بـ﴿صَبَرُوا۟﴾، وجملة ﴿يُجْزَوْنَ﴾ في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة استئنافاً بيانياً، أو الجملة خبر ﴿عِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ كما مرت الإشارة إليه. ﴿وَيُلَقَّوْنَ﴾: فعل ونائب فاعل معطوف على ﴿يُجْزَوْنَ﴾. ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور حال من ما بعده. ﴿تَحِيَّةً﴾: مفعول ثان لـ﴿يلقون﴾. ﴿وَسَلَٰمًا﴾: معطوف عليه.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴿٧٧﴾﴾.

﴿خَٰلِدِينَ﴾: حال من واو ﴿يُجْزَوْنَ﴾. ﴿فِيهَا﴾: متعلق بـ﴿خَٰلِدِينَ﴾. ﴿حَسُنَتْ﴾: فعل ماض من أفعال المدح، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً مبهم مفسر بما بعده. ﴿مُسْتَقَرًّا﴾: تمييز لفاعل ﴿حسن﴾. ﴿وَمُقَامًا﴾: معطوف عليه، والمخصوص بالمدح محذوف تقديره: هي يعود على الغرفة، وهو مبتدأ خبره جملة ﴿حَسُنَتْ﴾، والجملة الاسمية جملة إنشائية لا محل لها من الإعراب. ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعل مستتر يعود على محمد، والجملة مستأنفة. ﴿ما﴾: اسم استفهام في محل النصب على المفعولية المطلقة. ﴿يَعْبَؤُا۟﴾: فعل مضارع. ﴿بِكُمْ﴾: متعلق به. ﴿رَبِّى﴾: فاعل؛ أي: أي عبء يعبأ بكم ربي، أو ﴿ما﴾ نافية، والجملة الفعلية في محل النصب مقول لـ﴿قُلْ﴾. ﴿لَوْلَا﴾: حرف امتناع لوجود. ﴿دُعَآؤُكُمْ﴾: مبتدأ ومضاف إليه، والخبر محذوف وجوباً تقديره: لولا دعاؤكم موجود، وجواب ﴿لَوْلَا﴾ معلوم مما قبلها تقديره: لولا دعاؤكم موجود ما يعبأ بكم ربي، وجملة ﴿لَوْلَا﴾ في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾. ﴿فَقَدْ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة لمحذوف تقديره: فكيف يعبأ بكم ربي وقد كذبتم، والجملة المحذوفة معطوفة على جملة قوله: ﴿مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى﴾ على كونها مقولاً لـ﴿قُلْ﴾، وصحّ عطفها؛ لأنها بمعنى النفي؛ لأن الاستفهام فيها إنكاري. ﴿فَقَدْ﴾: حرف تحقيق. ﴿كَذَّبْتُمْ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل النصب حال من ضمير المخاطبين في قوله: فكيف يعبأ بكم، أو الفاء عاطفة على جملة ﴿مَا يَعْبَؤُا۟

﴿يكن﴾، أو الفاء فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفتم أنه لا يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم، وأردتم بيان حالكم ومآل أمركم.. فأقول لكم: ﴿قد كذبتم فسوف يكون لزاماً﴾، وجملة إذا المقدرة في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾. ﴿فَسَوْفَ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿سوف﴾: حرف تنفيس. ﴿يَكُونُ﴾: فعل مضارع ناقص، واسمه ضمير يعود على العذاب. ﴿لِزَامًا﴾: خبر ﴿يَكُونُ﴾، وجملة ﴿يَكُونُ﴾ معطوفة على جملة ﴿كَذَّبْتُمْ﴾.

التصريف ومفردات اللغة

﴿ظَهِيرًا﴾ الظهير والمظاهر: المعاون، فهو يعاون الشيطان على ربه؛ أي: على رسوله وإطفاء نوره بالعداوة، أو المعنى: هيناً مهيناً، لا وقع له عند الله ولا قدر، من قولهم: ظهرت به إذا نبذته خلف ظهرك، فيكون كقوله: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾، اهـ «بيضاوي». ومنه قوله: ﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾؛ أي: هيناً. وقيل: إن المعنى: وكان الكافر على ربه الذي يعبده ـ وهو الصنم ـ قوياً غالباً يعمل به ما يشاء؛ لأن الجماد لا قدرة له على دفع ولا نفع، ويجوز أن يكون الظهير جمعاً كقوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ والمعنى: أن بعض الكفرة مظاهر لبعض على رسول الله ﷺ، أو على دينه. والمراد بالكافر الجنس، ولا ينافيه كون سبب النزول كافراً معيناً كما قيل: إنه أبو جهل، اهـ «شوكاني».

﴿إِلَّا مُبَشِّرًا﴾: من التبشير، والتبشير: إخبار فيه سرور. ﴿وَنَذِيرًا﴾ والإنذار: إخبار فيه تخويف، واقتصر على صيغة المبالغة في الإنذار لتخصصه بالكافرين إذ الكلام فيهم، والإنذار الكامل لهم، ولو قيل: إن المبالغة باعتبار الكم لشموله للعصاة جاز، اهـ «شهاب» باختصار.

﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ والأجر: ما يعود من ثواب العمل دنيوياً كان أو أخروياً. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾؛ أي: نزهه عن صفات النقصان مثنياً عليه بأوصاف الكمال، طالباً لمزيد الإنعام بالشكر على سوابغه، اهـ «بيضاوي».

﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ﴾ يقال: كفى بالعلم جمالاً؛ أي: حسبك فلا تحتاج معه إلى غيره.

﴿خَبِيرًا﴾ والخبير بالشيء: العليم بظاهره وباطنه وبكل ما يتصل به. ﴿وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ والنفور: الإنزعاج عن الشيء والتباعد عنه. ﴿بُرُوجًا﴾؛ أي: طرقاً ومنازل للسبعة السيارة، سميت بروجاً؛ لاستنارتها وحسنها وضوئها، والأبرج الواسع ما بين الحاجبين. ﴿سِرَاجًا﴾ قال الراغب: السراج الزاهر بفتيلة، ويعبر به عن كل شيء مضيء، والمراد به ههنا الشمس لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ شبهت الشمس والكواكب الكبار بالسرج والمصابيح، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ في الإنارة والإشراق ﴿قمرا﴾ سمي قمراً؛ لبياضه كما في «المختار».

﴿خِلْفَةً﴾؛ أي: يخلف كل واحد منهما الآخر، فالخلفة مصدر هيئة. وعبارة «القرطبي»: قال أبو عبيدة: الخلفة كل شيء بعد شيء، فكل واحد من الليل والنهار يخلف صاحبه، ويقال للمبطون: أصابه خلفة؛ أي: قيام وقعود يخلف هذا ذاك، ومنه خلفة النبات وهو ورق يخرج بعد الورق الأول في الصعيد. وقال مجاهد: خلفة من الخلاف، هذا أبيض وهذا أسود، والأول أقوى. وقيل: يتعاقبان في الضياء والظلام، والزيادة والنقصان. ﴿يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ المشي: الانتقال من مكان إلى مكان بإرادة.

﴿هَوْنًا﴾ والهون: الرفق والسكينة والوقار، كما في «القاموس»، وهو مصدر وضع موضع الصفة للمبالغة، وتذلل الإنسان في نفسه بما لا يلحق به غضاضة، كما في «المفردات». وهين لين، وقد يخففان.

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ الجهل: خلو النفس من العلم، واعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه، وفعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل، سواء اعتقد فيه اعتقاداً صحيحاً أو فاسداً، اهـ «روح».

﴿يَبِيتُونَ﴾: من بات يبيت بيتوتة، والبيتوتة خلاف الظلول، وهي أن

يدركك الليل نمت أو لم تنم، ولذلك يقال: بات فلانٌ قلقاً؛ أي: مضطرباً.

﴿سُجَّدًا﴾: جمع ساجد، كركع جمع راكع. ﴿وَقِيَٰمًا﴾: جمع قائم كصيام جمع صائم. غراماً: أي: هلاكاً وخسراناً وعذاباً لازماً. وفي «المختار»: الغرام: الشر الدائم والعذاب، قال بشر بن أبي خازم:

وَيَوْمَ ٱلنِّسَارِ وَيَوْمَ ٱلْفِجَا رِ كَانَا عَذَاباً وَكَانَا غَرَامَا

والنسار ماء لبني عامر، والفجار ماء لبني تميم، وقد جرت فيهما هاتان الواقعتان، وكانتا عذاباً على أهلهما وهلاكاً دائماً. قال الراغب: مأخوذ من قولهم: هو مغرم بالنساء؛ أي: يلازمهن ملازمة الغريم؛ أي: ملازمة من له الدين لغريمه؛ أي: من عليه الدين، فكلاهما غريم.

﴿لَمْ يُسْرِفُوا۟﴾ الإسراف: مجاوزة الحد في الإنفاق.

﴿وَلَمْ يَقْتُرُوا۟﴾ من الإقتار، والقتر والتقتر والإقتار هو التضييق الذي هو ضد الإسراف، وفي «المختار»: وقتر على عياله؛ أي: ضيق عليهم في النفقة، وبابه ضرب ودخل، وقتر تقتيراً وأقتر أيضاً ثلاث لغات.

﴿قَوَامًا﴾ - بفتح القاف وكسرها - وقد قرىء بهما، والقوام - بالفتح - العدل بين الشيئين لاستقامة الطرفين، ونظير القوام من الاستقامة السواء من الاستواء، والقوام - بالكسر - ما يقام به الشيء يقال: أنت قوامنا بمعنى ما تقام به الحاجة لا يزيد عنها ولا ينقص.

﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾ الزنا: وطء المرأة من غير عقد شرعي، أو ملك يمين كما مر، اهـ روح.

﴿أَثَامًا﴾ الآثام كالوبال والنكال وزناً ومعنى، وجزاء الإثم الذي هو الذنب نفسه، قال الشاعر:

جَزَىٰ ٱللَّهُ ٱبْنَ عُرْوَةَ حَيْثُ أَمْسَىٰ عُقُوقاً وَٱلْعُقُوقُ لَهُ أَثَامُ

وفي «المختار»: أثمه الله في كذا بالقصر يأثمه بضم الثاء وكسرها أثاما عده عليه إثماً فهو مأثوم. وقال الفراء: أثمه الله يأثمه إثماً وأثاماً جازاه جزاء الإثم فهو مأثوم؛ أي: مجزى جزاء إثمه.

﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾ قال الراغب: التبديل جعل الشيء مكان آخر، وهو أعم من العوض، فإن العوض أن يصير لك الثاني بإعطاء الأول، والتبديل يقال للتغيير وإن لم تأت ببدله، اهـ «روح».

﴿مَتَابٗا﴾ قال الراغب: متاباً مصدر ميمي؛ أي: التوبة التامة، وهي الجمع بين ترك القبيح وتحري الجميل، اهـ.

﴿لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ والزور: الكذب، وأصله تمويه الباطل بما يوهم أنه حق. وقال الراغب: الأزور المائل الزور؛ أي: الصدر. وقيل للكذب زور؛ لكونه مائلاً عن جهته.

﴿بِٱللَّغۡوِ﴾ وقال الراغب: اللغو من الكلام ما لا يعتد به، هو يعد ذلاقه روية وفكرٍ فيجري مجرى اللغا، وهو صوت العصافير نحوها من الطيور ﴿كِرَامٗا﴾: جمع كريم، يقال: تكرم فلان عما يشينه إذا تنزه وأكرم نفسه عنه. قال الراغب: الكرم إذا وصف الله به فهو اسم لإحسانه وإنعامه المتظاهر، وإذا وصف به الإنسان فهو اسم للأخلاق والأفعال المحمودة التي تظهر منه، ولا يقال هو كريم حتى يظهر ذلك منه.

﴿لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا﴾ يقال: خر إذا سقط سقوطاً يسمع منه خرير، والخرير يقال لصوت الماء والريح وغير ذلك مما يسقط من علو. ﴿صُمّٗا﴾: جمع أصم، وهو فاقد حاسة السمع. ﴿وَعُمۡيَانٗا﴾: جمع أعمى، وهو فاقد حاسة البصر. ﴿هَبۡ لَنَا﴾: وهو أمر من وهب يهب وهباً وهبة، والهبة ضابطها أن تجعل ملكك لغيرك بغير عوض، ويوصف الله بالواهب والوهاب بمعنى أنه يعطي كلاً على قدر استحقاقه.

﴿مِنْ أَزْوَٰجِنَا﴾: جمع زوج، يقال لكل ما يقترن بآخر مماثلاً له أو مضاداً زوج، وأما زوجة فلغة رديئة كما في «المفردات».

﴿وَذُرِّيَّٰتِنَا﴾: جمع ذرية، أصلها صغار الأولاد، ثم صار عرفاً في الكبار أيضاً. قال في «القاموس»: ذرأ الشيء كثره، ومنه الذرية ـ مثلثة ـ لنسل الثقلين.

﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ منصوب على أنه مفعول ﴿هَبْ﴾، وهي إما من القرار ومعناه أن يصادف قلبه من يرضاه، فتقر عينه عن النظر إلى غيره، ولا تطمح إلى ما فوقه، وإما من القر بالضم؛ وهو البرد، والعرب تتأذى من الحر، وتستريح إلى البرد، فقرور العين على هذا يكون كناية عن الفرح والسرور فإن دمع العين عند السرور بارد، وعند الحزن حار، فالمراد بالقرور المسؤول تفضيلهم بالفضائل الدينية، لا بالمال والجاه والجمال ونحوها، اهـ «روح».

﴿لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ والإمام المؤتم به إنساناً كان يقتدى بقوله وفعله، أو كتاباً، أو غير ذلك، محقاً كان أو مبطلاً، كما في «المفردات» وفي صيغته أربعة أوجه:

الأول: أنه مصدر مثل قيام وصيام، فلم يجمع لذلك، والتقدير هنا: ذوي إمام.

والثاني: أنه جمع إمامة مثل قلادة وقلاد.

والثالث: أنه جمع آم من أم يؤم.

والرابع: أنه واحد أكتفي به عن أئمة، كما قال تعالى: ﴿نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾، اهـ «إعراب القرآن».

﴿يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾ قال القرطبي: الغرفة الدرجة الرفيعة؛ وهي أعلى منازل الجنة وأفضلها، كما أن الغرفة أعلى مساكن الدنيا، حكاه ابن شجرة. وقال الضحاك: الغرفة الجنة، اهـ. والغرف: رفع الشيء أو تناوله، يقال: غرفت الماء والمرق، وهي هنا اسم جنس أريد به الجمع؛ أي: يثابون أعلى منازل الجنة.

﴿وَيُلَقَّوْنَ﴾ يقرأ بالتشديد، ومعناه يعطون، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَّنٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾، وبالتخفيف، ومعناه: يجدون ويصادفون، ففي «المصباح»: لقيته ألقاه، من باب تعب لقيا، والأصل فعول، ولقى بالضم مع القصر، ولِقاً بالكسر مع المد والقصر، وكل شيء استقبل شيئاً أو صادفه فقد لقيه، اهـ.

﴿تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا﴾ والفرق بين التحية والسلام أن التحية الدعاء بالتعمير، والسلام الدعاء بالسلامة من الآفات، اهـ «زكريا». وعبارة «الشهاب»: قوله: الدعاء بالتعمير؛ أي: طول العمر والبقاء؛ لأن التحية أصل معناها قول حياك الله وأبقاك، وهي مشتقة من الحياة، والمراد من الدعاء به التكريم وإلقاء السرور، وإلا فهو متحقق لهم، اهـ. وعبارة «أبي السعود»: معنى يلقون فيها تحية وسلاماً؛ أي: تحييهم الملائكة، ويدعون لهم بطول الحياة والسلامة من الآفات، اهـ.

﴿مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي﴾ وفي المختار: عبأ الطيب والمتاع هيأه، وبابه قطع، وعبأه تعبئة مثله، والعبء - بالكسر - الحمل، وجمعه أعباء، وما عبأ به؛ أي: ما بالى به، وبابه قطع»، اهـ.

﴿لِزَامًا﴾ مصدر لازم الرباعي كقاتل قتالاً، والمراد به هنا اسم الفاعل، فهو مصدر أقيم مقام الفاعل، كما أقيم العدل مقام العادل.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: طباق السلب في قوله: ﴿مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾.

ومنها: الحصر في قوله: ﴿إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾.

ومنها: الاستعارة المكنية في قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ وسماها القدامي استعارة تخييلية، فالمستعار الاستواء، والمستعار منه كل جسم مستو، والمستعار له الحق عز وجل ليتخيل السامع عند سماع هذه اللفظة ملكاً فرغ من ترتيب

ممالكه، وتشييد ملكه، وجميع ما تحتاج إليه رعاياه، وجنده من عمارة بلاده، وتدبير أحوال عباده، استوى على سرير ملكه استيلاء عظمة، فيقيس السامع ما غاب عن حسه من أمر الإلهية على ما هو متخيله من أمر المملكة الدنيوية عند سماع هذا الكلام، ولهذا لا يقع ذكر الاستواء على العرش إلا بعد الإخبار بالفراغ من خلق السموات والأرض وما بينهما، وإن لم يكن ثم سرير منصوب، ولا جلوس محسوس، ولا استواء معقول لنا.

فائدة: في الاستواء مذهبان:

أحدهما: مذهب السلف، وهو لا يفسر الاستواء، بل يقول: إنه استواء يليق به سبحانه، لا نكيفه، ولا نمثله، وهو الأسلم الأعلم.

وثانيهما: مذهب الخلف، وهو يفسره بالاستيلاء عليه بالتصرف فيه، وفي سائر المخلوقات.

ومنها: الاستعارة التصريحية في قوله: ﴿بُرُوجًا﴾؛ لأنها في الأصل القصور العالية، استعيرت لمنازل الكواكب السيارة بجامع الارتفاع في كل.

ومنها: الإضافة للتشريف في قوله: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾.

ومنها: تقديم السجود على القيام في قوله: ﴿سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾؛ لرعاية الفاصلة مع أن السجود مؤخر عنه طبعاً، وليعلم أن القيام في الصلاة مقدم مع أن السجدة أحق بالتقديم.

ومنها: الإظهار في مقام الإضمار في قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾؛ لإفادة التهويل.

ومنها: جناس الاشتقاق في قوله: ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا﴾، وفي قوله: ﴿فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾.

ومنها: الاستعارة البديعة في قوله: ﴿لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾؛ لأن

المراد أنهم لم يتغافلوا من قوارع النذر حتى يكونوا بمنزلة من لا يسمع ولا يبصر، وهذا من أحسن الاستعارات. وفيها التقريع والتعريض للكافرين بأنهم صم عمي، لا ينتفعون بما يقرؤون، ولا يعتبرون بما يشاهدون، ولا يتجاوز آذانهم ما يسمعون.

ومنها: الكناية في قوله: ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ فإنه كناية عن الفرحة والمسرة، كما أن ﴿ٱلْغُرْفَةَ﴾ كناية عن الدرجات العالية في الجنة، وفيها أيضاً نكتتان:

الأولى: تنكير ﴿أَعْيُنٍ﴾، وإنما جنح إلى تنكيره لأجل تنكير ﴿قُرَّةَ﴾، والمضاف لا يمكن تنكيره إلا بتنكير المضاف إليه؛ ليكون السرور غير متناه ولا محدود.

الثانية: تقليل ﴿أَعْيُنٍ﴾؛ أي: جمعها جمع قلة، وإنما قللها؛ لأن أعين المتقين قليلة بالنسبة إلى غيرهم، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾.

ومنها: المقابلة اللطيفة بين نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار في قوله: ﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ مقابل قوله في أهل النار ﴿سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

خلاصة ما اشتملت عليه السورة الكريمة من الأحكام

اشتملت هذه السورة على عدة مقاصد:

١. إثبات النبوة والوحدانية والنعي على عبدة الأوثان والأصنام، وإثبات البعث والنشور وجزاء المكذبين بذاك، مع ذكر شبهاتهم التي قالوها في النبي ﷺ وفي القرآن، ثم تفنيدها.

٢. قصص بعض الأنبياء السالفين، وتكذيب أممهم لهم ثم أخذهم أخذ عزيز مقتدر.

٣. العجائب الكونية من مد الظل، وجعل الليل لباسا، وجعل النهار معاشاً، وإرسال الرياح مبشرات بالأمطار، ومروج البحرين العذب الفرات والملح الأجاج، وجعل البروج في السماء، وجعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يتذكر أو أراد شكوراً.

٤. الأخلاق والآداب من قوله: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ...﴾ إلى آخر السورة[١].

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

---

(١) وقد تم تفسير سورة الفرقان بحمده وعونه في الساعة الخامسة من ليلة الجمعة المباركة من شهور سنة ١٤١٣/٢/٢٣ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية.

سورة الشعراء

سورة الشعراء مكية كلها عند الجمهور، إلا أربع آيات من آخرها نزلت بالمدينة؛ وهي قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾﴾ إلى آخر السورة.

وهي[1] مئتان وسبع وعشرون آية، وألف ومئتان وتسع وسبعون كلمة، وخمسة آلاف وخمس مئة واثنان وأربعون حرفاً.

التسمية: واسمها سورة الشعراء، سميت باسم بعضها على عادته سبحانه وتعالى في كتابه الكريم أنه يسمي كل سورة ببعض ما فيها من الكلمات.

فضلها: وورد في فضلها أحاديث[2]:

منها: ما أخرجه القرطبي في تفسيره عن البراء ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «إن الله أعطاني السبع الطوال مكان التوراة، وأعطاني المئين مكان الإنجيل، وأعطاني الطواسين مكان الزبور، وفضلني بالحواميم والمفصَّل، ما قرأهن نبي قبلي».

وأخرج أيضاً عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: «أعطيت السورة التي تذكر فيها البقرة من الذكر الأول، وأعطيت فواتح القرآن وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش، وأعطيت المفصَّل نافلة». قال ابن كثير في تفسيره: ووقع في تفسير مالك المروي عنه تسميتها بسورة الجمعة.

وعن النبي ﷺ: «من قرأ سورة الشعراء[3]. . كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب، وهود، وصالح، وشعيب، وإبراهيم، وبعدد من كذب بعيسى، وصدق بمحمد» صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين. ولكنه ضعيف.

---

(١) الخازن.

(٢) الشوكاني.

(٣) البيضاوي.

المناسبة: ومناسبتها لما قبلها من وجوه[1]:

١. أن فيها بسطاً وتفصيلاً لبعض ما ذكر في موضوعات سالفتها.

٢. أن كلتيهما قد بدئت بمدح الكتاب الكريم.

٣. أن كلتيهما ختمت بإيعاد المكذبين.

وقال أبو حيان[2]: ومناسبة أول هذه السورة لآخر ما قبلها: أنه تعالى قال في آخر السابقة: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ ففيه إيعاد المكذبين، وقال في أول هذه إثر إخباره بتكذيبهم: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾﴾، وفيه أيضاً إيعاد الكفرة المكذبين.

الناسخ والمنسوخ: وقال أبو عبد الله محمد بن حزم ـ رحمه الله ـ في كتابه: «الناسخ والمنسوخ»: جميع[3] هذه السورة محكم إلا قوله تعالى: ﴿وَالشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾، ثم نسخ في شعراء المسلمين، فاستثناهم بقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ الآية، فصارت ناسخة للآيات التي قبلها، ومن الذكر ههنا الشعر في الطاعة انتهى.

والله أعلم

* * *

(١) المراغي.

(٢) البحر المحيط بتصرف.

(٣) الناسخ والمنسوخ.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طسٓمٓ (١) تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ (٢) لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ (٣) إِن نَّشَأۡ
نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ (٤) وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ إِلَّا
كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ (٥) فَقَدۡ كَذَّبُواْ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ (٦) أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ
كَمۡ أَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ (٧) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ (٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (٩) وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٠) قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ (١١) قَالَ
رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ (١٢) وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ (١٣) وَلَهُمۡ عَلَيَّ
ذَنۢبٞ فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ (١٤) قَالَ كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ (١٥) فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ
إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (١٦) أَنۡ أَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ (١٧) قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ
عُمُرِكَ سِنِينَ (١٨) وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ (١٩) قَالَ فَعَلۡتُهَآ إِذٗا وَأَنَا۠ مِنَ
ٱلضَّآلِّينَ (٢٠) فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ لَمَّا خِفۡتُكُمۡ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكۡمٗا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ (٢١) وَتِلۡكَ نِعۡمَةٞ تَمُنُّهَا
عَلَيَّ أَنۡ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ (٢٢) قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا
بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ (٢٤) قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ (٢٦)
قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ (٢٧) قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ
(٢٨) قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ (٢٩) قَالَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكَ بِشَيۡءٖ مُّبِينٖ (٣٠)
قَالَ فَأۡتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (٣١) فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ (٣٢) وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ
بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ (٣٣) قَالَ لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ (٣٤) يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم
بِسِحۡرِهِۦ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ (٣٥) قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ (٣٦) يَأۡتُوكَ بِكُلِّ
سَحَّارٍ عَلِيمٖ (٣٧)﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لمّا ذكر سوء حال المشركين، وشدة عنادهم، وقبيح

لجاجهم.. سلّى رسوله ﷺ على ذلك بأن قومه ليسوا ببدع في الأمم، وأنه ليس بالأوحد في الأنبياء المكذبين، فقد كذّب موسى من قبلك على ما أتى به من باهر الآيات وعظيم المعجزات، ولم تغن الآيات والنذر، فحاق بالمكذبين ما كانوا به يستهزئون، وأخذهم الله بذنوبهم، وأغرقهم في اليم جزاء اجتراحهم للسيئات، وتكذيبهم بعد ظهور المعجزات ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.

التفسير وأوجه القراءة

﴿طسٓمٓ ①﴾ الحروف المقطعة[1] في أوائل السور يجمعها قولك: سر حصين قطع كلامه، وأول ما قال أهل التفسير في حق هذه الحروف: الله أعلم بمراده؛ لأنها من الأسرار الغامضة كما قال أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ: إن لكل كتاب سراً، وسرّ القرآن في المقطعات.

في «رياض الأذكار»: والمعاني المتعلقة بالأسرار والحقائق لا يعلمها إلا الله ومن أطلعه الله عليها من الراسخين في العلم، وهم العلماء بالله، فلا معنى للبحث عن مرتبة ليس للسان حظٌّ منها، ولا للقلم نصيب، وقيل: أقسم الله تعالى به.

وقال أهل الإشارة[2]: هو إشارة إلى طاء طَوْله تعالى في كمال عظمته، وإلى سين سلامته عن كل عيب ونقص، وهو منفرد في تنزهه عنه، وإلى ميم مجده في عزة كرم لا نهاية لها، وإشارة أيضاً إلى طاء طهارة قلب نبيه محمد ﷺ عن تعلقات الكونين، وإلى سين سيادته على الأنبياء والمرسلين، وإلى ميم مشاهدته لجمال رب العالمين، وإشارة أيضاً إلى طاء طيران الطائرين بالله، وإلى سين سير السائرين إلى الله، وإلى ميم مشي الماشين لله مشي العبودية، لا مشي التفخر والتكبر.

---

(١) روح البيان.

(٢) المراح.

ومحله الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف إن كان اسماً للسورة كما ذهب إليه الأكثر، أو على أنه مبتدأ خبره محذوف، ويجوز أن يكون في محل نصب بتقدير: اذكر، أو اقرأ. وأما إن كان مسروداً على نمط التعديد بطريق التحدي فلا محل له من الإعراب.

وقرأ الأعمش ويحيى بن وثاب وأبو بكر والمفضّل وحمزة والكسائي وخلف وأبان[1]: ﴿طسٓمٓ ①﴾ و﴿طس﴾ النمل بإمالة الطاء فيهما، وقرأ نافع وأبو جعفر وشيبة والزهري بين اللفظين، واختار هذه القراءة أبو عبيد وأبو حاتم، وقرأ الباقون بفتح الطاء مشبعاً، وقرأ المدنيون وأبو عمرو وعاصم والكسائي بإدغام النون من هجاء سين ﴿طسٓمٓ ①﴾ في الميم، وقرأ الأعمش وحمزة بإظهارها، قال الثعلبي: الإدغام اختيار أبي عبيد وأبي حاتم، قال النحاس: وحكى الزجاج في كتابه فيما يجري وما لا يجري: أنه يجوز أن يقال: ﴿طاسين ميم﴾ بفتح النون وضم الميم، كما يقال: هذا معدي كرب، وقرأ عيسى ويروى عن نافع بكسر الميم على البناء، وفي مصحف عبد الله بن مسعود: ﴿ط س م﴾ هكذا حروفاً مقطعة، فيوقف على كل حرف وقفة يتميز بها عن غيره، وكذلك قرأ أبو جعفر.

﴿تِلْكَ﴾ مبتدأ، والإشارة به إلى السورة ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ خبر المبتدأ؛ أي[2]: هذه السورة التي نحن بصددها آيات القرآن الظاهر إعجازه، وصحة أنه كلام الله سبحانه، ولو لم يكن كذلك لقدروا على الإتيان بمثله، ولما عجزوا عن المعارضة، فهو من أبان بمعنى بان أوظهر، أو المبين للأحكام الشرعية وما يتعلق بها؛ أي: هذه آيات القرآن البيّن الواضح الذي يفصل بين الحق والباطل، والغيّ والرشاد.

و﴿لعل﴾ في قوله: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ للاستفهام[3] الذ يراد به الإنكار؛

---

(١) الشوكاني.
(٢) روح البيان.
(٣) المراغي.

أي: أقاتل أنت نفسك يا محمد أسفاً وحزناً على ﴿أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤۡمِنِينَ﴾ بهذا الكتاب المبين. وقال العسكري: إنها للنهي، والمعنى على هذا: لا تبخع نفسك يا محمد ولا تهلكها أسى وحسرة على عدم إيمانهم.

وقيل: إنها على معناها الأصلي؛ أي: للإشفاق؛ أي: الخوف، والله تعالى منزه عنه، فهو بالنسبة إلى النبي ﷺ، ولكن الإشفاق هنا بمعنى الأمر. والبخع في الأصل أن يبلغ بالذبح النخاع ـ بالنون كما في «القاموس» ـ وهو عرق مستبطن في فقار القفا، والمعنى عليه: أشفق يا محمد على نفسك، وخف أن تقتلها بالحزن بلا فائدة، وهو حث على ترك التأسف، وتصبير وتسلية له ﷺ.

وقوله: ﴿أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤۡمِنِينَ﴾ مفعول له بحذف المضاف؛ أي: خيفة أن لا يؤمن قريش بذلك الكتاب المبين، فإن الخوف والحزن لا ينفع في إيمان من سبق حكم الله بعدم إيمانه، كما أن الكتاب المبين لم ينفع في إيمانه، فلا تهتمّ فقد بلّغت. والمعنى: لعلك قاتل نفسك لتركهم الإيمان؛ لأنه كان حريصاً على إيمان قومه، شديد الأسف لما يراه من إعراضهم.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى تأديب النبي ﷺ؛ لئلا يكون مفرطاً في الرحمة والشفقة على الأمة، فإنه يؤدي إلى الركون إليهم، وأن التفريط في ذلك يؤدي إلى الفظاظة وغلظ القلب، بل يكون مع الله مع المقبل والمدبر.

وقرأ قتادة وزيد بن علي[1]: ﴿باخع نفسك﴾ على الإضافة، وقرأ الباقون بالقطع. ونحو الآية قوله: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ﴾، وقوله: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦﴾.

ثم بيّن[2]: أن إيمانهم ليس مما تعلقت به مشيئة الله تعالى، فقال: ﴿إِن نَّشَأۡ﴾ إيمانهم، أي: لو شئنا إيمانهم، وتعلقت به إرادتنا أزلاً ﴿نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم﴾؛ أي: على مشركي قومك ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ﴾ دالة على كمال قدرتنا، ملجئة لهم إلى الإيمان كإنزال الملائكة، أو بليّة قاسرة عليه كآية من آيات القيامة، ولكن سبق

---

(١) البحر المحيط.
(٢) روح البيان.

القضاء بأنّا لا ننزل ذلك ﴿فَظَلَّتْ﴾؛ أي: فصارت؛ أي: فتظل ﴿أَعْنَٰقُهُمْ﴾؛ أي: رقابهم ﴿لَهَا﴾؛ أي: لتلك الآية ﴿خَٰضِعِينَ﴾؛ أي: منقادين، فلا يكون أحد منهم يميل عنقه إلى معصية الله تعالى، ولكن لم نفعل؛ لأنه لا عبرة بالإيمان المبني على القسر والإلجاء كالإيمان يوم القيامة. وأصله: فظلوا لها خاضعين، فإن الخضوع صفة أصحاب الأعناق حقيقة، فأقحمت الأعناق لزيادة التقرير ببيان موضع الخضوع، وترك الخبر على حاله. وفيه بيان أن الإيمان والمعرفة موهبة خاصة خارجة عن اكتساب الخلق في الحقيقة، فإذا حصلت الموهبة نفع الإنذار والتبشير، وإلاّ فلا، فليبك على نفسه من جبل على الشقاوة.

وقرأ أبو رزين وأبو المتوكل وأبو عمرو في رواية هارون عنه[1]: ﴿إن يشأ ينزل﴾ على الغيبة؛ أي: إن يشأ الله ينزل، وفي بعض المصاحف: ﴿لو شئنا لأنزلنا﴾ وقرأ الجمهور: ﴿فَظَلَّتْ﴾ ماضياً بمعنى المستقبل؛ لأنه معطوف على ﴿نُنَزِّلْ﴾ وقرأ طلحة ﴿فتظلل﴾.

وقال مجاهد وابن زيد والأخفش: معنى ﴿أَعْنَٰقُهُمْ﴾: جماعاتهم، يقال: جاءني عنق من الناس؛ أي: جماعة، وقيل: أعناق الناس رؤساؤهم ومقدّموهم شبّهوا بالأعناق، وقيل: أريد به الجارحة، فقال ابن عيسى: هو حينئذ على حذف مضاف؛ أي: أصحاب الأعناق حيث قال: ﴿خَٰضِعِينَ﴾، ولم يقل: خاضعة، وقرأ عيسى وابن أبي عبلة: ﴿خاضعة﴾.

ومعنى الآية: أي لو شئنا أن ننزل عليهم من السماء آية تلجئهم إلى الإيمان وتقسرهم عليه، كما نتقنا الجبل فوق قوم موسى حتى صار كالظلة فصار جماعاتهم خاضعين منقادين لها كرها.. لفعلنا، ولكن جرت سنتنا أن يكون الإيمان اختيارياً لا قسرياً، كما قال: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾.

ومن ثم نفذ قدرنا، ومضت حكمتنا، وقامت حجتنا على الخلق بإرسال

(١) البحر المحيط وزاد المسير.

الرسل إليهم، وإنزال الكتب عليهم.

والخلاصة: أن القرآن، وإن بلغ في البيان الغاية، غير موصل لهم إلى الإيمان، فلا تبالغ في الأسى والحزن، فإنك إن فعلت ذلك كنت كمن يقتل نفسه، ثم لا ينتفع بذلك، فكما أن الكتاب على وضوحه لم يفدهم شيئاً فحزنك عليهم لا يجدي نفعاً، وقد كان في مقدورنا أن نلجئهم إلى الإيمان إلجاء، ولكن جرت سنتنا أن يكون الإيمان طوعاً لا كرهاً، ومن جرّاء هذا أرسلنا رسلنا بالعظات والزواجر، وأنزلنا الكتب لتهديهم إلى سواء السبيل، لكنهم ضلوا وأضلوا، وما ربك بظلام للعبيد.

ثم بين شدة شكيمتهم وعدم ارعوائهم عما هم عليه من الكفر والضلال بغير الآيات الملجئة تأكيداً لصرف رسول الله ﷺ عن الحرص على إسلامهم، فقال: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم﴾؛ أي: أهل مكة وما يجيئهم ﴿مِّن ذِكْرٍ﴾: ﴿من﴾: زائدة لتأكيد العموم، وفي قوله: ﴿مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ ابتدائية؛ أي: بوحيه إلى نبيه، دل[1] هذا الاسم الجليل على أن إتيان الذكر من آثار رحمة الله تعالى على عباده؛ أي: وما يأتي أهل مكة تذكير وموعظة من المواعظ القرآنية مبتدأ مجيئه من الرحمَن ﴿مُحْدَثٍ﴾؛ أي: مجدّد إنزاله لتكرير التذكير وتنويع التقرير، فلا يلزم حدوث القرآن؛ أي: فهو محدث التنزيل، وكلما نزل شيء من القرآن بعد شيء فهو أحدث من الأول، ﴿إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾؛ أي: إلاّ جدّدوا إعراضاً عن ذلك الذكر، وعن الإيمان به، وإصراراً على ما كانوا عليه؛ أي[2]: وما يجدد الله سبحانه لهم بوحيه موعظة وتذكيراً إلاّ جدّدوا إعراضاً عنه، وكفراً به. والاستثناء مفرغ من أعم الأحوال، محله النصب على الحالية من مفعول ﴿يَأْتِيهِم﴾ بإضمار قد، وبدونه على الخلاف المشهور في محله؛ أي: ما يأتيهم من ذكر في حال من الأحوال إلاّ حال كونهم معرضين عنه.

وقد سبق نظير هذه الآية في سورة الأنبياء. فإن قلت: لم قال هناك ﴿مِّن

---

(١) روح البيان. (٢) النسفي.

ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ﴾، وقال هنا ﴿مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ﴾؟

قلت: غاير بينهما ليوافق كل ما في سياقه؛ لأنه ذكر هناك: ﴿مِّن رَّبِّهِمۡ﴾ لموافقة قوله بعد ذلك: ﴿قَالَ رَبِّي يَعۡلَمُ ٱلۡقَوۡلَ﴾، وقال هنا: ﴿مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ ليوافق قوله فيما بعد: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾؛ لأن الرحمٰن والرحيم من مادة واحدة، فهما أخوان، اهـ من «فتح الرحمٰن» بتصرف.

والمعنى: أي[1] وما يجيء هؤلاء المشركون الذين يكذبونك، ويجحدون ما أتيتهم به ذكر من عند ربك لتذكرهم به إلاّ أعرضوا عن استماعه، وتركوا إعمال الفكر فيه، ولم يوجهوا هممهم إلى تدبره وفهم أسراره ومغازيه، وما كان أحراهم بذلك، وهم أهل الذكن والفطنة، ولكن طمس الله على قلوبهم فأكثرهم لا يعقلون، وخلاصة ذلك أنه لا يجدّد لهم موعظة وتذكيراً إلاّ جدّدوا ما هو نقيض ذلك من إعراض وتكذيب واستهزاء.

ثم أكد إعراضهم بقوله: ﴿فَقَدۡ كَذَّبُواْ﴾ بالذكر عقب الإعراض، فالفاء للإفصاح؛ أي: جعلوه تارة سحرا، وأخرى شعراً، ومرة أساطير الأولين؛ أي[2]: فقد كذبوا بالذكر الذي جاءهم تكذيباً صريحاً، ولم يكتفوا بمجرد الإعراض. وقيل: إن الإعراض بمعنى التكذيب؛ لأن من أعرض عن شيء ولم يقبله فقد كذبه، وعلى هذا فيكون ذكر التكذيب للدلالة على صدور ذلك منهم على وجه التصريح، والأول أولى، فالإعراض عن الشيء عدم الالتفات إليه، ثم انتقلوا عن هذا إلى ما هو أشد منه؛ وهو التصريح بالتكذيب، ثم انتقلوا عن التكذيب إلى ما هو أشد منه؛ وهو الاستهزاء، كما يدل عليه قوله: ﴿فَسَيَأۡتِيهِمۡ﴾ البتة من غير تخلف أصلاً، والفاء للتفريع؛ أي: لإعراضهم المؤدي إلى التكذيب المؤدّي إلى الاستهزاء يأتيهم ﴿أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾؛ أي: أخبار[3] الذكر الذي كانوا يستهزئون به، ومآله وعواقبه من العقوبات العاجلة والآجلة التي بمشاهدتها يقفون

---

(١) المراغي.

(٢) الشوكاني.

(٣) روح البيان.

على حقيقة حال القرآن بأنه كان حقاً أو باطلاً، وكان حقيقاً بأن يصدق ويعظم قدره، أو يكذب فيستخف أمره، كما يقفون على الأحوال الخافية عنهم باستماع الأنباء، وفيه تهويل له؛ لأن النبأ لا يطلق إلاّ على خبر خطير له وقع عظيم.

أي: فقد كذب هؤلاء المشركون بالذكر الذي أتاهم من عند الله تعالى، ثم انتقلوا من التكذيب إلى الاستهزاء، وسيحل بهم عاجل العذاب وآجله في الدنيا والآخرة، كما قال ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾، وقال: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾، ونحو الآية قوله: ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾﴾، وقصارى ذلك أنهم كذبوا بما جئتهم به من الحق، وأنه سيأتيهم لا محالة صدق ما كانوا يستهزئون به من قبل، بلا تدبر ولا تفكير في العاقبة.

وبعد أن بين أنهم أعرضوا عن الآيات المنزلة من عند ربهم.. ذكر أنهم أعرضوا عن الآيات التي يشاهدونها في الآفاق، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ الهمزة[1] فيه للإنكار التوبيخي، داخلة على محذوف، والواو عاطفة على ذلك المحذوف؛ أي: أفعل المكذبون من قريش ما فعلوا من الإعراض عن الآيات والتكذيب والاستهزاء بها ولم ينظروا ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: إلى عجائبها الزاجرة عما فعلوا، الداعية إلى الإقبال إلى ما أعرضوا ﴿كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا﴾ بعد أن لم يكن فيها نبات ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾؛ أي: جنس ونوع وصنف ﴿كَرِيمٍ﴾؛ أي: حسن من النبات مما يأكل الناس والأنعام.

قال أهل التفسير: ﴿كَمْ﴾: خبرية منصوبة بما بعدها على المفعولية، والجمع بينها وبين ﴿كُلِّ﴾؛ لأن ﴿كُلِّ﴾ للإحاطة بجميع أزواج النبات، و﴿كَمْ﴾ لكثرة المحاط به من الأزواج. و﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾؛ أي: صنف تمييز، والكريم من كل شيء مرضيه ومَحْمُودُه، والمعنى: كثيراً من كل صنف مرضي كثير المنافع أنبتنا فيها، وتخصيص النبات النافع بالذكر دون ما عداه من أصناف الضارّ، وإن

---

(١) روح البيان.

كان كل نبت متضمنا لفائدة وحكمة؛ لاختصاصه بالدلالة على القدرة والنعمة معاً.

واعلم: أنه سبحانه كما أنبت من أرض الظاهر كل صنف ونوع من النبات الحسن الكريم، كذلك أنبت في أرض قلوب العارفين كل نبت من الإيمان والتوكل واليقين والإخلاص والأخلاق الكريمة، كما قال عليه السلام: «لا إله إلاّ الله ينبت الإيمان كما ينبت البقل»، قال أبو بكر بن طاهر: أكرم زوج من نبات الأرض آدم وحواء، فإنهما كانا سبباً في إظهار الرسل والأنبياء والأولياء والعارفين. اهـ. وقال الشعبي: الناس من نبات الأرض، فمن دخل الجنة فهو كريم، ومن دخل النار فهو لئيم.

والمعنى: أغفل هؤلاء المشركون وأصروا على ما هم عليه من الكفر بالله، وتكذيب رسوله، ولم يتأملوا في الأرض وكثرة ما فيها من أصناف النبات المختلفة الأشكال والألوان مما يدل على باهر القدرة وعظيم سلطان ذلك العلي الكبير؟!

والخلاصة: كيف اجترؤوا على مخالفة الرسول وتكذيب كتابه، وإلٰهه هو الذي خلق الأرض، وأنبت فيها الزرع والثمار والكروم على ضروب شتى وأشكال مختلفة تبهر الناظرين، وتسترعي أنظار الغافلين.

ثم بيّن أنهم قوم فقدوا وسائل الفكر، وعدموا التأمل والنظر في الأكوان، ومن ثم فهم جاحدون، فقال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ الإنبات المذكور، أو في كل واحد من تلك الأصناف ﴿لَآيَةً﴾ عظيمة دالة على كمال قدرة منبتها، وغاية وفور علمه، ونهاية سعة رحمته، موجبة للإيمان، زاجرة عن الكفر ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم﴾؛ أي: أكثر قوم النبي ﷺ ﴿مُّؤْمِنِينَ﴾ مع ذلك؛ لغاية تماديهم في الكفر والضلال وانهماكهم في الغي والجهالة.

و﴿كَانَ﴾[1] صلة عند سيبويه؛ لأنه لو حمل على معنى ما كان أكثرهم في

---

(١) روح البيان.

علم الله وقضائه لتوهم كونهم معذورين في الكفر بحسب الظاهر، وبيان موجبات الإيمان من جهته تعالى يخالف ذلك.

قال بعضهم: قوله تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم...﴾ الآية، ونظائره يدل على المعنى الثاني، ولا يلزم من ذلك المعذورية؛ لأنهم صرفوا اختياراً إلى جانب الكفر والمعصية، وكانوا في العلم الأزلي غير مؤمنين بحسب اختيارهم ونسبة عدم الإيمان إلى أكثرهم؛ لأن منهم من سيؤمن.

والمعنى[1]: أنّ في ذلك الإنبات على هذه الأوضاع البديعة لدلالات لأولي الألباب على قدرة خالقه على البعث والنشور، فإن من أنبت الأرض بعد جدبها، وجعل فيها الحدائق الغنّاء والأشجار الفيحاء لن يعجزه أن ينشر فيها الخلائق من قبورهم، ويعيدهم سيرتهم الأولى، ولكن أكثر الناس غفلوا عن هذا، فجحدوا بها وكذبوا بالله ورسله وكتبه، وخالفوا أوامره، واجترحوا معاصيه، ولله درّ القائل:

تَـأَمَّـلْ فِـيْ رِيَـاضِ ٱلْـوَرْدِ وَٱنْـظُـرْ   إِلَـىٰ آثَـارِ مَـا صَـنَـعَ ٱلْـمَـلِـيْـكُ
عُـيُـوْنٌ مِـنْ لُـجَـيْـنٍ شَـاخِـصَـاتٌ   عَـلَـىٰ أَهْـدَابِـهَـا ذَهَـبٌ سَـبِـيْـكُ
عَـلَـىٰ قُـضُـبِ ٱلـزَّبَـرْجَـدِ شَـاهِـدَاتٌ   بِـأَنَّ ٱلـلَّـهَ لَـيْـسَ لَـهُ شَـرِيْـكُ

والخلاصة: أن في هذا وأمثاله لآية عظيمة، وعبرة جليلة دالة على ما يجب الإيمان به، ولكن ما آمن أكثرهم مع موجبات الإيمان، بل تمادوا في الكفر والضلالة، وانهمكوا في الغي والضلالة، وفي هذا ما لا يخفى من تقبيح حالهم، وبيان سوء مآلهم.

ثم بشّره بنصره وتأييده وغلبته لأعدائه، وإظهاره عليهم، فقال: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب القادر على الانتقام من الكفرة ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ المبالغ في الرحمة، ولذلك يمهلهم، ولا يأخذهم بغتة. وقال في «كشف الأسرار»: يرحم المؤمنين الذين هم الأقل بعد الأكثر. وفي «التأويلات النجمية»: بعزته قهر الأعداء العتاة، وبرحمته ولطفه أدرك أولياءه بجذبات العناية. اهـ.

---

(١) المراغي.

والمعنى: أي وإن ربك أيها الرسول الكريم لهو الغالب على أمره، والقادر على كل ما يريد وسينتقم لك من هؤلاء المكذبين على تكذيبهم بك، وإشراكهم بي، وعبادتهم للأوثان والأصنام، وهو ذو الرحمة الواسعة بمن تاب من كفره ومعصيته، فلا يعاقبه على ما سلف من جرمه بعد توبته، بل يغفر له حوبته.

والخلاصة: أن ربك عزَّ كل شيء وقهره، ورحم خلقه، فلا يعجل بعقاب من عصاه، بل يؤجله وينظره لعله يرعوي عن غيه، فإن تمادى أخذه أخذ عزيز مقتدر.

وهذه الآية كرّرها[١] في ثمانية مواضع: أولها في قصة موسى، ثم إبراهيم، ثم نوح، ثم هود، ثم صالح، ثم لوط، ثم شعيب، ثم في ذكر نبينا ﷺ، وإن لم يذكر صريحاً إشارة إلى أنه منتقم من أعدائه، ورحيم بأوليائه في كل زمان، وفي كل أمة من الأمم السالفة واللاحقة.

قصص موسى عليه السلام

وجملة قوله: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ...﴾ إلخ مستأنفة مسوقة لتقرير ما قبلها من الإعراض والتكذيب والاستهزاء، والعامل في الظرف محذوف تقديره: واذكر يا محمد لقومك قصة وقت ندائه تعالى وكلامه موسى؛ أي: ليلة رأي الشجرة والنار حين رجع من مدين، وذكرهم يا محمد بما جرى مع قوم فرعون بسبب تكذيبهم إياه، وحذّرهم أن يصيبهم مثل ما أصابهم.

و﴿أَنِ﴾ في قوله: ﴿أَنِ ٱئْتِ﴾ مفسرة بمعنى: أي، والإتيان[٢]: المجيء بسهولة، والمعنى: وإذ قال ربك يا موسى ائت ﴿ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أنفسهم بالكفر والمعاصي، واستعباد بني إسرائيل وذبح أبنائهم، وكان بنو إسرائيل في ذلك الوقت ست مئة ألف وثلاثين ألفاً، ومدة استعبادهم أربع مئة سنة ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ بدل من ﴿ٱلْقَوْمَ﴾، أو عطف بيان له، والاقتصار على القوم؛ للإيذان بشهرة أن

(١) فتح الرحمن.
(٢) روح البيان.

فرعون أول داخل في الحكم.

والمعنى[1]: واذكر يا محمد لأولئك المعرضين المكذبين وقت ندائه تعالى موسى عليه السلام من جانب الطور الأيمن، وأمره له بالذهاب إلى أولئك القوم الظالمين لأنفسهم بالكفر والمعاصي، والظالمين لبني إسرائيل باستعبادهم وذبح أبنائهم، قوم فرعون ذي الجبروت والطغيان والعتوّ والبهتان؛ ليكون لهم في ذلك عبرة، لو تذكروا فيرعووا عن غيهم، ويثوبوا إلى رشدهم حتى لا يحيق بهم ما حاق بأولئك المكذبين من قبلهم؛ إذ ابتلعهم اليمّ، وأغرقوا جميعاً، ولا شك أن الأمر بذكر الوقت إنما هو ذكر لما جرى فيه من القصة كما أشرنا إليه آنفاً.

ثم اتبع ذكر إرساله عليه السلام بإنذارهم وتسجيل الظلم عليهم، وتعجيب موسى من حالهم التي بلغت غاية الشناعة، ومن أمنهم العواقب، وقلة خوفهم وحذرهم من أيام الله تعالى، فقال: ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾؛ أي: قال الله سبحانه لموسى: ألا يتقي هؤلاء القوم ربهم، ويحذرون عاقبة بغيهم وكفرهم به. وهذا[2] استئناف لا محل له من الإعراب. و﴿أَلاَ﴾: حرف تحضيض على الفعل؛ أعني: التقوى، أتبعه إرساله إليهم إنذاراً لهم، وتعجيباً من غلوهم في الظلم وإفراطهم في العدوان؛ أي: ألا يخافون الله، ويصرفون عن أنفسهم عقابهم بالإيمان والطاعة. وقيل: المعنى: قل لهم: ألا تتقون. وجاء بالياء التحتية؛ لأنهم غيبٌ وقت الخطاب.

وقرأ الجمهور[3]: ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾ بالياء على الغيبة، وقرأ عبد الله بن مسلم بن يسار وشقيق بن سلمة وحماد بن سلمة وأبو قلابة وعبيد بن عمير وأبو حازم بتاء الخطاب على طريقة الالتفات إليهم إنكاراً وغضباً عليهم وإن لم يكونوا حاضرين؛ لأنه مبلغهم ذلك ومكافحهم، قال ابن عطية: معناه: قل لهم، فجمع في هذه العبارة من المعاني نفي التقوى عنهم، وأمرهم بالتقوى اهـ.

---

(١) المراغي.

(٢) روح البيان.

(٣) البحر المحيط.

﴿قَالَ﴾؛ أي: موسى إظهاراً لعجزه، وطلباً للمعونة، وهذا[1] استئناف بياني، كأنه قيل: فماذا قال موسى؟ فقيل: قال موسى تضرعاً إلى الله تعالى يا ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ﴾ والخوف توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة ﴿أَن يُكَذِّبُونِ﴾؛ أي: أن ينكروا نبوتي وما أقول من أول الأمر. قال بعضهم: خوفه كان شفقة عليهم، وأصله يكذبونني، فحذفت ياء المتكلم استغناء بكسر نون الوقاية، ومثلها[2]: ﴿أَن يَقْتُلُونِ﴾، ﴿سَيَهْدِينِ﴾، ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨]، ﴿وَيَسْقِينِ﴾ [الشعراء: ٧٩]، ﴿فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]، ﴿ثُمَّ يُحْيِينِ﴾، ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء: ١٠٨]، ﴿كَذَّبُونِ﴾ [الشعراء: ١١٧]، فهذه ثمان آيات أثبت الياء في جميعها يعقوب في الحالين.

﴿وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى﴾ معطوفان على ﴿أَخَافُ﴾؛ أي: يضيق صدري لتكذيبهم إياي، ولا ينطلق لساني بتأدية الرسالة، واللسان: الجارحة وقوّتها. قال تعالى: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾﴾ يعني من قوة لساني، فإن العقدة لم تكن في الجارحة، وإنما كانت في قوّتها التي هي النطق بها كما في «المفردات»، والمراد هنا القوّة التي هي النطق.

وقرأ الجمهور[3]: ﴿وَيَضِيقُ﴾ و﴿لا ينطلق﴾ بالرفع فيهما عطفاً على ﴿أَخَافُ﴾، فالمعنى: أنه يفيد ثلاث علل: خوف التكذيب، وضيق الصدر، وامتناع انطلاق اللسان، أو على الاستئناف، وقرأ الأعرج وطلحة وعيسى وزيد بن علي وأبو حيوة وزائدة عن الأعمش ويعقوب بنصبهما عطفاً على ﴿يُكَذِّبُونِ﴾، فيكون التكذيب وما بعده يتعلق بالخوف، قال الفرّاء: كلا القراءتين له وجه، قال النحاس: الوجه الرفع؛ لأن النصب عطف على ﴿يُكَذِّبُونِ﴾، وهذا بعيد اهـ. وحكى أبو عمرو الداني عن الأعرج أنه قرأ بنصب ﴿وَيَضِيقُ﴾ ورفع ﴿وَلَا يَنطَلِقُ﴾، وعدم انطلاق اللسان هو بما يحصل من الخوف وضيق الصدر؛ لأن اللسان إذ

---

(١) روح البيان.
(٢) زاد المسير.
(٣) البحر المحيط.

ذاك يتلجلج، ولا يكاد يبين عن مقصود الإنسان. وقال ابن عطية: وقد يكون عدم انطلاق اللسان بالقول لغموض المعاني التي تطلب لها ألفاظ محررة، فإذا كان هذا في وقت ضيق الصدر لم ينطلق اللسان.

ومعنى الآية: أي[1] قال موسى: رب إني أخاف تكذيبهم إياي، فيضيق صدري تأثراً منه، ولا ينطلق لساني بأداء الرسالة، بل يتلجلج بسبب ذلك كما يرى كثيراً من ذوي اللسن والبلاغة إذا اشتدّ بهم الغمّ، وضاق منهم الصدر. تلجلجت ألسنتهم حتى لا تكاد تبين عن مقصدهم.

وفي هذا[2]: تمهيد العذر في استدعاء عون له على الامتثال وإقامة الدعوة على أتم وجه، فإن ما ذكر ربما أوجب الإخلال بالدعوة، وعدم إلزام الحجة، ومن ثم قال: ﴿فَأَرْسِلْ﴾ جبريل ﴿إِلَىٰ﴾ أخي ﴿هَٰرُونَ﴾ ليكون رسولاً مصاحباً لي في دعوة فرعون وقومه، فإنه أفصح مني لساناً، وكان هارون إذ ذاك بمصر، وموسى في المناجاة في الطور.

ثم ذكر سبباً آخر في الحاجة إلى طلب العون، وهو خوفه أن يقتل قبل تبليغ الرسالة، فقال: ﴿وَلَهُمْ﴾؛ أي: لقوم فرعون ﴿عَلَيَّ﴾؛ أي: بذمتي ﴿ذَنْبٌ﴾؛ أي: جزاء ذنب وموجبه، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، والمراد به: قتل القبطي الذي هو خبّاز فرعون بالوكزة التي وكزها دفعاً عن القبطي، وإنما سماه ذنباً على زعمهم ﴿فَأَخَافُ﴾ إن أتيتهم وحدي ﴿أَن يَقْتُلُونِ﴾ بمقابلته قبل أداء الرسالة كما ينبغي، فيفوت المقصود من الرسالة، وأما هارون فليس له هذا الذنب، وفيه دليل على أن الخوف قد يحصل مع الأنبياء فضلاً عن الفضلاء.

قال بعضهم[3]: ليس بعجب طريان خوف الطبيعة وصفات البشرية على الأنبياء، فالقلب ثابت على المعرفة. واعلم أن هذا وما قبله ليس تعللاً وتوقفاً من جانب موسى، وتركاً للمسارعة إلى الامتثال، بل هو استدفاع للبلية المتوقعة قبل

---

(١) المراغي.

(٢) المراغي.

(٣) روح البيان.

وقوعها، واستظهار في أمر الدعوة، وحقيقته: أن موسى عليه السلام أظهر التلوين من نفسه ليجد التمكين من ربه وقد أمنه الله، وأزال عنه كل كلفة حيث ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿كَلَّا﴾؛ أي: ارتدع عما تظن يا موسى، فإنهم لا يقدرون على قتلك به؛ لأني لا أسلطهم عليك، بل أسلطك عليهم ﴿فَاذْهَبَا﴾؛ أي: اذهب أنت والذي طلبت وهو هارون، فالخطاب إليهما على تغليب الحاضر، وفي ضمن هذا الجواب دليل على إجابة موسى إلى ما طلبه من ضم أخيه إليه؛ أي: اذهبا ولا تخافا من القبط حال كونكما متلبسين ﴿بِآيَاتِنَا﴾ التسع التي هي دلائل القدرة، وحجة النبوة، وهو رمز إلى دفع ما يخافه ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ تعليل للردع عن الخوف، ومزيد تسلية لهما بضمان كمال الحفظ والنصرة، وأجراهما مجرى الجمع حيث قال: ﴿مَعَكُم﴾؛ لكون الاثنين أقل الجمع على ما ذهب إليه بعض الأئمة، أو لكونه أراد موسى وهارون وفرعون وقومه، فمع موسى وهارون بالنصر والعون، ومع فرعون بالقهر والكسر، أو لكون المراد هما مع بني إسرائيل. و﴿مَعَكُم﴾ خبر أول لـ﴿إن﴾ ﴿مُّسْتَمِعُونَ﴾؛ خبر ثان لها، أو هو الخبر وحده، و﴿مَعَكُم﴾ ظرف لغو متعلق به، وحقيقة الاستماع طلب السمع بالإصغاء، وهو تعالى منزه عن ذلك، فاستعير للسمع الذي هو مطلق إدراك الحروف والأصوات من غير إصغاء.

والمعنى: سامعون لما يجري بينكما وبينه، فأظهركما عليه. مثَّل حاله سبحانه بحال ذي شوكة قد حضر مجادلة قوم يسمع ما يجري بينهم؛ ليمدّ الأولياء منهم، ويظهرهم على الأعداء مبالغة في الوعد بالإعانة، وجعل الكلام استعارة تمثيلية؛ لكون وجه الشبه هيئة منتزعة من عدة أمور، كما سيأتي في مبحث البلاغة.

﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ﴾؛ أي: فائت أنت وأخوك هارون فرعون اللعين؛ وهو[1] الوليد بن مصعب، وكنيته أبو العباس. وقيل: اسمه مغيث، وكنيته أبو مرّة. قيل: إنه عاش أربع مئة وستين سنة. وقيل فوق ذلك ﴿فَقُولَا لَهُ﴾؛ أي: لفرعون ﴿إِنَّا﴾؛ أي: إنّ كل واحد منا ﴿رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إليك وإلى قومك. وإفراد الرسول لاتحادهما بسبب الأخوة واتفاقهما على شريعة واحدة، أو لأن المعنى:

---

(١) روح البيان.

أن كل واحد منا رسول رب العالمين. وعبارة «النسفي» هنا[1]: ولم يثنّ الرسول هنا كما ثنّى في قوله: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾؛ لأن الرسول يكون بمعنى المرسل، وبمعنى الرسالة، فجعل ثمة بمعنى المرسل، فلم يكن بدّ من تثنيته، وجعل هنا بمعنى الرسالة، فيستوي في الوصف به الواحد والتثنية والجمع، كقول الساعر:

لَقَدْ كَذَبَ ٱلْوَاشُوْنَ مَا فُهْتُ عِنْدَهُمْ   بِسِرٍّ وَلاَ أَرْسَلْتُهُمْ بِرَسُوْلِ

أي: برسالة، ولكن لا بد من تقدير مضاف على هذا التأويل، والتقدير: إنّا ذووا رسالة رب العالمين، أو لأنهما لاتحادهما واتفاقهما على شريعة واحدة كأنهما رسول واحد، أو أريد أن كل واحد منا. اهـ انتهت بزيادة من «البيضاوي».

و﴿أَنْ﴾ في قوله: ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾﴾ مفسرة بمعنى: أي؛ لتضمن[2] الإرسال المفهوم من الرسول معنى القول، والإرسال هنا التخلية والإطلاق، أي: أطلقهم وخلّ سبيلهم حتى يسيروا معنا إلى فلسطين، وكانت مسكن آبائهم، وكان فرعون استعبدهم أربع مئة سنة، وكانوا في ذلك الوقت ست مئة وثلاثين ألفاً، فانطلق موسى من محل المناجاة جبل الطور إلى مصر، وهارون كان بها، فلما تلاقيا ذهبا إلى باب فرعون ليلاً، ودقّ موسى الباب بعصاه، ففزع البوابون، وقالوا: من بالباب؟ فقال موسى: أنا رسول رب العاليمن، فذهب البواب إلى فرعون، فقال: إن مجنوناً بالباب يزعم أنه رسول رب العالمين، فأذن له في الدخول من ساعته - كما قاله السدي - أو ترك حتى أصبح ثم دعاهما، فدخلا عليه، وأدّيا رسالة رب العالمين.

وقال قتادة: إنهما انطلقا إلى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة، حتى قال البوّاب: ههنا إنسان يزعم أنه رسول رب العالمين، فقال: ائذن له حتى نضحك منه، فأدّيا إليه الرسالة.

وروى وهب وغيره[3]: أنهما لـمّا دخلا على فرعون وجداه وقد أخرج

---

(١) النسفي.
(٢) روح البيان.
(٣) القرطبي.

سباعاً من أسد ونمور وفهود يتفرج عليها، فخاف سوّاسها أن تبطش بموسى وهارون، فأسرعوا إليها، وأسرعت السباع إلى موسى وهارون، فأقبلت تلحس أقدامهما، وتُبصبِصُ إليهما بأذنابها، وتلصق خدودها بفخذيهما، فعجب فرعون من ذلك. فقال: من أنتما؟ قالا: إنّا رسول رب العالمين، فعرف موسى؛ لأنه نشأ في بيته، فشتمه، فعند ذلك ﴿قَالَ﴾ فرعون لموسى على سبيل الامتنان: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا﴾؛ أي: في منازلنا وحجرنا حالة كونك ﴿وَلِيدًا﴾؛ أي: طفلاً صغيراً، سمّي الصبي وليداً لقربه من الولادة، وهو فعيل بمعنى مفعول، والاستفهام فيه للتقرير؛ أي: ألم تكن صغيراً، فربّيناك في منازلنا وبيوتنا، ولم نقتلك في جملة من قتلنا ﴿وَلَبِثْتَ﴾؛ أي: جلست ﴿فِينَا﴾؛ أي: بيوتنا ﴿مِنْ عُمُرِكَ﴾ حال من ﴿سِنِينَ﴾؛ أي: جلست في بيوتنا سنين من عمرك وحياتك، وأنعمنا عليك ردحاً من الزمن، ثم تقابل الإحسان بكفران النعمة، وتواجهنا بمثل تلك المقالة، فمتى هذا الذي تدّعيه.

روي[1]: أنه لبث فيهم ثماني عشرة سنة، وقيل: ثلاثين سنة، ثم خرج إلى مدين وأقام بها عشر سنين، ثم عاد إليهم يدعوهم إلى الله تعالى ثلاثين سنة، ثم بقي بعد الغرق خمسين سنة، فيكون عمر موسى مئة وعشرين سنة. قال الراغب: العمر اسم لمدة عمارة البدن بالحياة قليلة أو كثيرة كما سيأتي.

وقرأ أبو عمرو في رواية: ﴿من عمرك﴾ بإسكان الميم.

ثم قرر بقتل القبطي، فقال: ﴿وَفَعَلْتَ﴾ يا موسى ﴿فَعْلَتَكَ﴾ القبيحة ﴿الَّتِي فَعَلْتَ﴾ ببعض خواصي. والفعلة ـ بالفتح ـ المرة الواحدة. يعني: قتل القبطي الذي كان خباز فرعون، واسمه: فاتون.

وبعدما عدد نعمته عليه من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال.. نبهه بما جرى عليه من قتل خبازه وعظمه. قال ابن الشيخ: تعظيم تلك الفعلة يستفاد من عدم التصريح باسمها الخاص، فإن تنكير الشيء وإبهامه قد يقصد به التعظيم، وقوله:

---

(١) روح البيان.

﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ حال من إحدى التاءين؛ أي: والحال أنك من المنكرين لنعمتي، والجاحدين لحق تربيتي، حيث عمدت إلى رجل من خواصي، والمعنى: فجازيتنا على أن ربيناك أن كفرت نعمتنا، وقتلت منا نفساً.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿فَعْلَتَكَ﴾ - بفتح الفاء؛ - إذ كانت وكزة واحدة، وقرأ الشعبي بكسر الفاء يريد الهيئة؛ لأن الوكزة نوع من القتل.

وخلاصة ما سلف[2]: أنه عدد نعماءه عليه أولاً من تربيته وإبلاغه مبلغ الرجال، ثم بتوبيخه بما جرى على يديه من قتل خبازه، وهو من خواصه، وهو بهذا أيضاً يكون قد كفر نعمته وجحد فضله، فأجاب موسى عن الأمر الثاني، وترك أمر التربية؛ لأنها معلومة مشهورة، ولا دخل لها في توجيه الرسالة، فإن الرسول إذا كان معه حجة ظاهرة على رسالته تقدم بها إلى المرسل إليهم سواء أكانوا أنعموا عليه أم لم ينعموا ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿فَعَلْتُهَآ﴾؛ أي: تلك الفعلة ﴿إِذًا﴾؛ أي: حين فعلت، وهو حرف جواب فقط؛ لأن ملاحظة المجازاة ههنا بعيدة؛ أي: قال موسى مجيباً لفرعون: فعلت هذه الفعلة التي ذكرت، وهي قتل القبطي وأنا إذ ذاك ﴿مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾؛ أي: من الجاهلين بأن وكزتي تأتي على نفسه، فإني إنما تعمدت الوكز للتأديب، لا القتل، فأدى ذلك إلى القتل. وقيل: ﴿مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ عن طريق الصواب، وقيل: من المخطئين.

وقرىء[3]: ﴿من الجاهلين﴾ والمعنى: من الفاعلين فعل أولي الجهل والسفه، أو من المخطئين؛ لأنه لم يتعمد قتله، أو من الذاهلين عما يؤول إليه الوكز؛ لأنه أراد به التأديب، أو الناسين، نظير قوله: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾. وقيل: المعنى: من الضالين عما أتاني الله بعدها من العلم والرسالة، وربأ بمحل النبوة عن تلك الصفة التي أطلقها عليه فرعون، وهي قوله له: ﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، فقال: ﴿مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾؛ أي: من المخطئين كمن يقتل خطأ من غير تعمد للقتل.

---

(١) البحر المحيط.

(٢) المراغي.

(٣) البيضاوي.

﴿فَفَرَرْتُ﴾؛ أي: ذهبت من بيتكم هارباً ﴿مِنكُمْ﴾ إلى مدين حذراً على نفسي ﴿لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ أن تصيبوني بمضرة، وتؤاخذوني بما لا أستحقه بجنايتي من العقاب؛ لأني قتلت القتيل خطأ، وأنا ابن اثنتي عشرة سنة مع كونه كافراً، وروي عن حمزة: ﴿لما خفتكم﴾ ـ بكسر اللام، وبما المصدرية ـ أي: لتخوفي منكم، وقرأ الجمهور بتشديد الميم ظرفاً بمعنى حين.

﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي﴾ حين رجعت من مدين ﴿حُكْمًا﴾؛ أي: علماً وفهماً، أو نبوةً، وقال الزجاج: المراد بالحكم تعليمه التوراة التي فيها حكم الله ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ إليكم بعد تلك الفعلة. وفي «فتح الرحمن» ﴿حُكْمًا﴾؛ أي: نبوة، ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ درجة ثانية للنبوة، ـرب نبي ليس برسول، وقرأ عيسى: ﴿حُكُماً﴾ ـ بضم الكاف ـ والجمهور بالإسكان، والحكم: النبوة.

والمعنى: أي فخرجت هارباً منكم حين توقعت مكروهاً يصيبني حين قيل لي: ﴿إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ فوهب لي ربي علماً بالأشياء على وجه الصواب، وجعلني من المرسلين من قبله لهداية عباده، وإرشادهم إلى النجاة من العذاب.

وخلاصة ما قال(١): إن القتل الذي توبخني به لم يكن مقصوداً لي، بل كنت أريد بوكزه التأديب فحسب، فلا أستحق التخويف الذي أوجب فراري، وإن أنتم أسأتم إلي فقد أحسن إلي ربي فوهب لي فهم الأمور على حقائقها، وجعلني من زمرة عباده المخلصين.

ثم بين له أنه وإن أسدى النعمة إليه فقد أساء إلى شعبه عامة، فقال: ﴿وَتِلْكَ﴾؛ أي: التربية المدلول عليها بقوله: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ﴾ ﴿نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾؛ أي: تمن بها عليّ ظاهراً، وهي في الحقيقة ﴿أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾؛ أي: وسبب(٢) تلك النعمة في الحقيقة تعبيدك بني إسرائيل، وقصدك إياهم بذبح أبنائهم؛ أي: فإن السبب في وقوعي عندك، وحصولي في تربيتك تعبيدك بني إسرائيل، يعني:

---

(١) المراغي. (٢) روح البيان.

لو لم يفعل فرعون ذلك؛ أي: قهر بني إسرائيل وذبح أبناءهم.. لتكفلت أم موسى بتربيته، ولما قذفته في اليم، حتى يصل إلى فرعون، ويربى بتربيته، فكيف يمتن عليه بما كان بلاؤه سبباً له، فقوله: ﴿تِلْكَ﴾: مبتدأ، و﴿نِعْمَةٌ﴾: خبرها، و﴿تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾: صفة، و﴿أَنْ عَبَّدتَّ﴾: خبر مبتدأ محذوف؛ أي: وهي في الحقيقة تعبيد قومي، يقال: عبدته إذا أخذته وقهرته وذللته.

رد موسى عليه السلام أولاً ما وبخه فرعون قدحاً في نبوته، ثم يرجع إلى ما عده عليه نعمة، ولم يصرح برده حيث كان صدقاً غير قادح في دعواه، بل نبه على أن ذلك كان في الحقيقة نقمة لكونه مسبباً عنها، وهي تعبيد بني إسرائيل وذبح أبنائهم.

وقرأ الضحاك[١]: ﴿وتلك نعمة ما لك أن تمنها﴾، وهذه قراءة تؤيد هذا التأويل، وهذا التأويل فيه مخالفة لفرعون، ونقض كلامه كله. وقيل: هذا الكلام إقرار من موسى عليه السلام بالنعمة، كأنه يقول: وتربيتك لي نعمة علي من حيث أن عبدت غيري، وتركتني واتخذتني ولداً، ولكن لا يدفع ذلك رسالتي، وإلى هذا التأويل ذهب السدي والطبري. وقيل: الكلام على تقدير[٢] همزة الاستفهام الإنكاري، والمعنى: أتمن علي أن ربيتني، وتنسى جنايتك على بني إسرائيل بالاستعباد والمعاملات القبيحة، أو يريد: كيف تمن علي بالتربية وقد استعبدت قومي، ومن أهين قومه فقد ذل، فتعبيد بني إسرائيل قد أحبط حسناتك إلي؛ ولو لم تستعبدهم، ولم تقتل أولادهم.. لم أرفع إليك حتى تربيني وتكفلني، ولكان من أهلي من يربيني، ولم يلقوني في اليم.

وخلاصة ذلك[٣]: أفي إحسانك إلى رجل منهم بما أسألت به إلى مجموعهم؟ فهو ليس بشيء إذا قيس بما فعلته بالشعب أجمع، وكأنه قال: إن هذا ليس بنعمة؛ لأن الواجب عليك أن لا تقتلهم، ولا تستعبدهم، فإنهم قومي،

(١) البحر المحيط.
(٢) البيضاوي.
(٣) المراغي.

فكيف تذكر إحسانك إليّ على الخصوص، وتنسى استعباد الشعب كله.

ولما دخل موسى وهارون على فرعون، وقالا له: إنا رسولا رب العالمين، أرسلنا إليك لهدايتك إلى الحق، وإرشادك إلى طريق الرشد، وغلباه بالحجة.. رجع فرعون إلى معارضة موسى في قوله: ﴿رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ كما بينه سبحانه بقوله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ لموسى: إنك تدعي أنك رسول رب العالمين ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ ﴿ما﴾: استفهامية؛ أي: أي شيء رب العالمين الذي تزعم أنك رسوله، وما حقيقته الخاصة، ومن أي جنس هو؟ منكراً لأن يكون للعالمين رب سواه؛ إذ كان قد قال لقومه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى﴾، ولم يقل فرعون: ومن رب العالمين؛ لأنه كان منكراً لوجود الرب، فلا ينكر عليه التعبير بـ﴿مَا﴾؛ أي[1]: يستوصفه إلهه الذي أرسله إليه، وهو سؤال عن جنس الشيء، والله تعالى منزه عن الجنسية والماهية، فلهذا عدل موسى عن جوابه، وأجابه بذكر أفعاله وآثار قدرته التي تعجز الخلائق عن الإتيان بمثلها، كما بينه سبحانه بقوله: ﴿قَالَ﴾ موسى مجيباً له بما يصح في وصفه تعالى رب العالمين الذي أرسلني هو سبحانه ﴿رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾؛ أي: وما بين النوعين من الهواء؛ أي: هو خالق العالم العلوي، وما فيه من الكواكب الثوابت والسيارات النيرات والعالم السفلي، وما فيه من بحار وقفار، وجبال وأشجار، وحيوان ونبات، وما بين ذلك من هواء وطير ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ أنه خالقهما، فاعرفوا أنه لا يمكن تعريفه إلا بما ذكرته لكم، فإن أيقنتم بذلك لزمكم أن تقطعوا أنه لا جواب لكم عن هذا السؤال إلا ما ذكرته من الجواب.

والإيقان[2]: العلم الذي يستفاد بالاستدلال، ولذا لا يقال: الله موقن، فمعنى العلم بالله العلم به من حيث الارتباط بينه وبين الخلق، وإنشاء العالم منه بقدر الطاقة البشرية؛ إذ منه ما لا توفيه الطاقة البشرية، وهو ما وقع فيه الكمَّل في ورطة الحيرة، وأقروا بالعجز عن حق المعرفة. فإن قلت: كيف علق كونه رب

---

(١) الخازن.   (٢) النسفي.

السموات والأرض بكون فرعون وقومه موقنين، مع أن هذا الشرط منتف والربوبية ثابتة؟

قلت: معناه: إن كنتم موقنين أن السموات والأرض موجودات، وهذا الشرط موجود. أو المعنى[1]: إن كنتم موقنين بالأشياء المحققين لها بالنظر الصحيح الذي يؤدّي إلى الإيقان.. علمتم أن العالم عبارة عن كل ما يعلم به الصانع من السموات والأرض وما بينهما، وأن ربها هو الذي خلقها، ورزق من فيها، ودبر أمورها، فهذا تعريفه، وجواب سؤالكم لا غير، والخطاب في ﴿كُنتُم﴾ لفرعون وأشراف قومه الحاضرين؛ وهم القبط.

فلما قال ذلك موسى عجب فرعون من كلام موسى، والتفت إلى الملأ حوله معجباً لهم من ذلك المقال، ومتحيراً فيه، كما بيّنه سبحانه بقوله: ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ﴾ من أشراف قومه القبطيين، قال ابن عباس: كانوا خمس مئة رجل، عليهم الأساور التي لا يلبسها إلا السلاطين ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ ما يقول في جوابه، فقد سألته عن حقيقته، وهو يذكر أفعاله وآثاره، أو[2] لأنهم يزعمون قدمهما، وينكرون حدوثهما، وأن لهما رباً، فاحتاج موسى إلى أن يستدل بما شاهدوا حدوثه وفناءه، فاستدل به ف﴿قَالَ﴾ موسى ـ زيادة في البيان، وحطاً له عن مرتبة الربوبية إلى مرتبة المربوبية؛ لأنه كان يدّعي الربوبية ـ: رب العالمين هو ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾؛ أي: خالقكم وخالق آبائكم الأولين. قيل[3]: إن فرعون كان يدّعي الربوبية على أهل عصره وزمانه، فلم يدع ذلك على من كان قبله، فبين بهذه الآية أن المستحق للربوبية هو رب كل عصر وزمان.

وقد انتقل[4] بهم موسى من النظر في الآفاق وما فيها من باهر الأدلة إلى النظر في الأنفس وما فيها من عجيب الصنع، فإن التناسل المستمر في النبات

---

(١) روح البيان.

(٢) النسفي.

(٣) روح البيان.

(٤) المراغي.

والحيوان والإنسان وما فيها من العجائب لأوضح دلالة من النظر في الآفاق.

ولما لم يستطع رداً لما جاء به، وخاف من قومه تأثراً بما يقول موسى أورد ما يشكك قومه في حسن تقديره للأمور، وفهمه لما يقول، فـ﴿قَالَ﴾؛ أي: فرعون من سفاهته، وصرفاً لقومه عن قبول الحق، مخاطباً لخاصة قومه، وعليهم أقبية الديباج مخوصة بالذهب: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾؛ أي: لا عقل له؛ إذ يقول قولاً لا نعرفه ولا نفهمه، فهو يدعي أن ثمة إلهاً غيري، وسماه رسولاً على السخرية، وأضافه إلى مخاطبيه ترفعاً من أن يكون مرسلاً إلى نفسه.

وقرأ مجاهد وحميد الأعرج: ﴿أَرسل إليكم﴾ بالبناء للفاعل؛ أي: أرسله ربه إليكم.

ثم وصف موسى الإله بأنه خالق الأكوان، ورب الزمان والمكان حيث ﴿قَالَ﴾؛ أي: موسى: رب العالمين هو ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾؛ أي: هو خالق موضع طلوع الشمس وغروبها ووقتهما وما بينهما، فتشاهدون في كل يوم أنه يأتي بالشمس من المشرق إلى المغرب على وجه نافع، تنتظم به أمور الكائنات، وكل ذلك أمور حادثة مفتقرة إلى محدث قادر عليم حكيم ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ شيئاً من الأشياء، أو من جملة من له عقل وتمييز.. علمتم أن الأمر كما قلته، وأن لا جواب فوقه، واستدللتم بالأثر على المؤثر، وفيه تلويح بأنهم بمعزل من دائرة العقل، متصفون بما رموه بِهِ عليه السلام من الجنون، فمن كمال ضدّية موسى وفرعون، وكذا القلب والنفس، يعد كل منهما ما يصدر من الآخر من الجنون، والمعنى: إن كنت يا فرعون أنت ومن معك من العقلاء.. عرفت وعرفوا أنه لا جواب لسؤالك إلا ما ذكرت لك.

وقرأ عبد الله وأصحابه والأعمش: ﴿رب المشارق والمغارب﴾ على الجمع فيهما.

فإن قلت[1]: ذكر السموات والأرض مستوعب جميع المخلوقات، فما

---

(١) فتح الرحمن.

فائدة قوله: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، وقوله: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾؟

قلتُ: فائدتهما تمييزهما في الاستدلال على وجود الصانع، أما الأول: فإن أقرب ما للإنسان نفسه وما يشاهده من تغييراته وانتقاله من ابتداء ولادته، وأما الثاني: فلما تضمنه ذكر المشرق والمغرب وما بينهما من بديع الحكمة في تصريف الليل والنهار واختلافهما، وتغيير الفصول بطلوع الشمس من المشرق، وغروبها في المغرب على تقدير مستقيم في فصول السنة.

فإن قلت[1]: لمَ قال أولاً: ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾، وقال ثانياً: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾؟

قلتُ: لاطفهم أولاً بقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾، فلما رأى عنادهم وشدة شكيمتهم خاشنهم وأغلظ عليهم في الرد، وعارضهم بمثل مقالهم بقوله: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾؛ لأنه أوفق بما قبله من رد نسبة الجنون إليه في قول فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾.

ولما قامت الحجة على فرعون.. عدل إلى القهر واستعمال القوة، فتوعده بالسجن، ولم يقل: ما دليلك على أن هذا الإله أرسلك؛ لأن فيه اعترافاً بأن ثم إلٰهاً غيره، كما بينه سبحانه بقوله: ﴿قَالَ﴾ فرعون لشدة تمرده، وميلاً إلى العقوبة كما يفعله الجبابرة، وعدولاً إلى التهديد عن المحاجة بعد الانقطاع، وغيظاً على نسبة الربوبية إلى غيره، ولعله[2] كان دهرياً، أعتقد أن من ملك قطراً، وتولى أمره بقوة طالعه.. استحق العبادة من أهله، فبألوهيتي وربوبيتي ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ﴾ وجعلت لنفسك ﴿إِلَٰهًا غَيْرِى﴾؛ أي: معبوداً غيري كما تدعيه ﴿لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ اللام فيه للعهد؛ أي: لأجعلنك من الذين عرفت أحوالهم في سجوني، فإنه كان يطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا، ولذلك لم يقل: لأسجنك. وعبارة شيخ الإسلام هنا[3]: فإن قلت: لم عدل إلى هذه العبارة عن قوله: لأسجنك، مع أنه

---

(١) فتح الرحمن.
(٢) روح البيان.
(٣) فتح الرحمن.

أخصر منه؟

قلتُ: عدل إليه لإرادة تعريف العهد؛ أي: لأجعلنك ممن عرفت حالهم في سجني، وكان إذا سجن إنساناً طرحه في هوة عميقة مظلمة، لا يبصر فيها ولا يسمع، انتهت.

والمعنى: أي: قال له: لأجعلنك في زمرة الذين في سجوني على ما تعلم من فظاعة أحوالها وشديد أهوالها، وكانت سجونه أشد من القتل؛ لأنه إذا سجن أحداً لم يخرجه حتى يموت، وكان يطرحه في هوة عميقة تحت الأرض وحده، وفي توعده بالسجن ضعف منه؛ لما يروى أنه كان يفزع من موسى فزعاً شديداً، حتى كان اللعين لا يمسك بوله بعد ذلك.

وحينئذ اضطر موسى أن يترك الأدلة العقلية وراءه ظهرياً، ويلجأ إلى المعجزات وخوارق العادات فـ﴿قَالَ﴾؛ أي: موسى لفرعون حين توعده بالسجن ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿الهمزة﴾: للاستفهام الإنكاري، داخلة على محذوف، والواو للحال؛ أي: أتفعل بي ذلك السجن، ولو جئتك بشيء موضح لصدق دعواي، يعني: المعجزة، فإنها الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع، والدلالة على صدق مدعي نبوته؛ أي: أتفعل بي ذلك حالة كوني آتياً بشيء مبين. وجعلها بعضهم للعطف على فعل محذوف؛ أي: أتفعل بي ذلك لو لم أجيء بشيء مبين، ولو جئتك به؛ أي: أتفعل به على كل حال من عدم المجيء والمجيء، وتقدم لنا الكلام على هذه ﴿الواو﴾ الداخلية على لو في مثل هذا السياق في قوله: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ فأغنى عن بسطه.

وقال الحوفي[1]: واو العطف دخلت عليها همزة الاستفهام للتقرير، والمعنى: أتسجنني حتى في هذه الحالة التي لا تناسب أن أسجن وأنا ملتبس بها، اهـ والمعنى؛ أي: أتفعل هذا ولو جئتك بحجة بينة واضحة على صدق دعواي، وهي المعجزة الدالة على وجود الإله القادر وحكمته، وعلى صدق

---

(١) البحر المحيط.

دعوى من ظهرت على يديه.

ولما سمع فرعون هذا من موسى.. طمع أن يجد موضع معارضة من موسى فـ﴿قَالَ﴾؛ أي: فرعون لموسى ﴿فَأْتِ بِهِۦٓ﴾؛ أي: بذلك الشيء ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في دعوى الرسالة، وأن لك برهاناً عليها، وكان[1] في يد موسى عصاً من شجر الآس من الجنة، وكان آدم جاء بها من الجنة، فلما مات قبضها جبريل، ودفعها إلى موسى وقت الرسالة، فقال موسى لفرعون: ما هذه التي بيدي؟ قال فرعون: هذه عصا ﴿فَأَلْقَىٰ﴾ موسى من يده ﴿عَصَاهُ﴾ قال ابن عباس: عصا موسى اسمها ماشا. وقيل: نبعة؛ أي: طرح موسى عصاه من يده ﴿فَإِذَا هِىَ﴾؛ أي: تلك العصا ﴿ثُعْبَانٌ﴾؛ أي: حية عظيمة صفراء ذكر ﴿مُّبِينٌ﴾؛ أي: ظاهر الثعبانية للناظرين بحركاته، وبسائر العلامات، وليس بتمويه كما يفعله السحرة.

وروي: أنها لما صارت حية ارتفعت في السماء قدر ميل، ثم انحطت مقبلة إلى فرعون، فقال: بالذي أرسلك إلا أخذتها، فأخذها موسى، فعادت عصاً كما كانت، ولا تناقض بين قوله هنا: ﴿ثُعْبَانٌ﴾، وبين قوله في موضع آخر: ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾، وهو الصغير من الحيات؛ لأن خلقها خلق الثعبان العظيم، وحركتها وخفتها كالجان، والحية جنس يشمل الصغير والكبير، كما في قوله: ﴿فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾.

وروي: أن فرعون لما رأى الآية الأولى قال: فهل لك غيرها؟ فأخرج موسى يده، فقال لفرعون. ما هذه؟ قال فرعون: هذه يدك فما فيها؟ فأدخلها في إبطه، ثم نزعها ﴿فَإِذَا هِىَ﴾؛ أي: تلك اليد ﴿بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾ إليها؛ ذات بياض من غير برص، تضيء الوادي من شدة بياضها، لها شعاع كشعاع الشمس، كاد يغشي الأبصار وسد الأفق، تعجب الناظرين إليها.

---

(١) روح البيان.

ولما رأى فرعون هذه الحجج بادر بالتكذيب والعناد، وذكر لأشراف قومه أموراً ثلاثة:

١. ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿لِلْمَلَإِ﴾؛ أي: لأشراف قومه حال كونه مستقرين ﴿حَوْلَهُۥٓ﴾ فهو ظرف وضع موضع الحال، وحول الشيء جانبه الذي يمكنه أن يحول إليه وينقلب كما سيأتي ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الرجل يعني موسى ﴿لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾؛ أي: فائق في علم السحر، والسحر تخيلات لا حقيقة لها، فالساحر المحتال المخيل بما لا حقيقة له.

فإن قلت: أسند القول هنا إلى فرعون حيث قال: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ﴾ وأسند في سورة الأعراف إلى الملأ حيث قال: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ فبين الآيتين معارضة، فما وجه الجمع بينهما؟

قلتُ: وجه الجمع بينهما أن فرعون قاله للحاضرين عنده، والحاضرون قالوه للغائبين عنه، فنظر هنا إلى قوله للحاضرين، وهناك إلى قول الحاضرين للغائبين، فبهذا يزول الإشكال. كما في «كشف الأسرار».

والمعنى: أي قال فرعون لرؤساء دولته وأشراف قومه الذين حوله ليروج عليهم بطلان ما يدعيه موسى: إن هذا الرجل لبارع في السحر، حاذق في الشعوذة، ومراده من هذا: أن ما ظهر على يديه إنما هو من قبيل السحر، لا من وادي المعجزات، ثم هيجهم وحرضهم على مخالفته، والكفر به، والتنفير منه بقوله:

٢. ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم﴾؛ أي: من أرض مصر، ويتغلب عليكم ﴿بِسِحْرِهِۦ﴾؛ أي: يريد أن يذهب بقلوب الناس معه بسبب هذا السحر، فيكثر أعوانه وأتباعه، ويغلبكم على دولتكم، فيأخذ البلاد منكم.

٣. ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾؛ أي: فماذا تشيرون به علي في دفعه ومنعه، أو فأي شيء تأمرونني به في شأنه؟ قهره سلطان المعجزة، وحيره حتى حطه عن دعوى الربوبية إلى مقام مشاورة عبيده بعدما كان مستقلاً بالرأي والتدبير، وأظهر

استشعار الخوف من استيلائه على ملكه. ونسبة الإخراج والأرض إليهم لأجل تنفيرهم عن موسى ﴿قَالُوٓا۟﴾؛ أي: الملأ لفرعون ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾؛ أي: أخر أمر موسى وأخيه هارون حتى تنظر، ولا تعجل بقتلهما قبل أن يظهر كذبهما، حتى لا يسيء عبيدك الظن بك، وتصير معذوراً في القتل. من أرجأته إذا أخرته. وقيل: المعنى: احبسهما.

وقرأ قالون: ﴿أَرْجِهْ﴾ بغير همز، وباختلاس كسر الهاء، وورش والكسائي بإشباع كسرة الهاء، وابن كثير وهشام بالهمزة الساكنة وبصلة الهاء المضمومة، أبو عمرو بضم الهاء مع الاختلاس، وابن ذكوان بالهمز وكسر الهاء مع الاختلاس، وعاصم وحمزة بغير همز وإسكان الهاء.

﴿وَٱبْعَثْ﴾؛ أي: وأرسل ﴿فِى ٱلْمَدَآئِنِ﴾؛ أي: في الأمصار والبلدان وأقطار مملكتكم، وفي «فتح الرحمن»: هي مدائن الصعيد من نواحي مصر ﴿حَٰشِرِينَ﴾؛ أي: شُرَطاً يحشرون الناس، ويجمعونهم إليك. فـ﴿حَٰشِرِينَ﴾: صفة لموصوف محذوف هو مفعول ﴿ابعث﴾ كما قدرنا. والشُرَط ـ بضم أوله وفتح ثانيه ـ جمع شُرْطة ـ بالضم وسكون الراء وفتحها، ـ، وهم طائفة من أعوان الولاة معروفة كما في «القاموس»، والشَّرط ـ بالفتح ـ العلامة، ومنه سمى الشرط، لأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها.

وذلك لظنهم أن السحرة إذا كثرت غلبوا موسى عليه السلام وكشفوا حاله ﴿يَأْتُوكَ﴾؛ أي: الحاشرون ﴿بِكُلِّ سَحَّارٍ﴾؛ أي: بليغ في صناعة السحر ﴿عَلِيمٍ﴾؛ أي: فائق في معرفتها، يعارضوا موسى بمثل سحره، بل يفضلوا عليه، ويتضح للعامة كذبه، فتقتله حينئذ، وهذا تدبير النفس وإلقاء الشيطان في دفع الحق الصريح، وكل تدبير هكذا في كل عصر فصاحبه مدمَّر البتة، وإنما يجيء خبث القول والفعل لمن خبث النفس؛ إذ كل إناء يترشح بما فيه، ولو ترك فرعون وقومه التدبير في أمر موسى، وقابلوه بالقبول.. لسلموا من كل آفة، لكن منعهم حب الجاه عن الانتباه، وحبك الشيء يعمي ويصم.

وقرأ الأعمش وعاصم في رواية: ﴿بكل ساحر﴾، وأمال ﴿سحار﴾ ابن

عامر والكسائي وأبو عمرو.

ومعنى الآية: أي[1] قالوا له: أخر البت في أمرهما، ولا تعاجلهما بالعقوبة، حتى تجمع لهما من مدائن مملكتك وأقاليم دولتك كل سحار عليم، ثم تقابلهم به وجهاً لوجه، ويأتون من ضروب السحر ما يستطيعون به التغلب عليه، فتكون قد قابلت الحجة بالحجة، وقرعت الدليل بمثله، ويكون لك النصر والتأييد عليه، وتجتذب قلوب الشعب إليك.

وقد كان هذا من تسخير الله تعالى له؛ ليجتمع الناس في صعيد واحد، وتظهر آيات الله تعالى وحججه للناس في وضح الهار جهرة. روي أن فرعون أراد قتله، فقال له الملأ: لا تفعل فإنك إن قتلته أدخلت على الناس شبهة في أمره، وأشاروا عليه بإنفاذ حاشرين يجمعون له كل سحار عليم ظناً منهم أنهم إذا كثروا غلبوه على أمره، وتم لفرعون الغلب فأخذ بمشورتهم وأجابهم إلى طلبتهم.

الإعراب

﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾﴾.

﴿طسٓمٓ ﴿١﴾﴾: خبر لمبتدأ محذوف إن قلنا: إنه علم للسورة، تقديره: هذه طسٓمٓ؛ أي: سورة اسمها طسٓمٓ، والخبر مرفوع بالمبتدأ، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الأخير، منع من ظهورها اشتغال المحل بسكون الوقف، والجملة مستأنفة استئنافاً نحوياً لا محل لها من الإعراب، وتقدمت فيه أوجه أخرى في مبحث التفسير فراجعها. ﴿تِلۡكَ﴾ مبتدأ. ﴿ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: خبر ومضاف إليه. ﴿ٱلۡمُبِينِ﴾: صفة لـ﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾، والجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً. ﴿لَعَلَّكَ﴾: لعل حرف نصب

(١) المراغي.

وترجّ وإشفاق، و﴿الكاف﴾: ضمير المخاطب في محل النصب اسمها. ﴿بَٰخِعٌ﴾: خبرها. ﴿نَّفْسَكَ﴾: مفعول به لـ﴿بَٰخِعٌ﴾، وجملة ﴿لعل﴾ مستأنفة. ﴿أَلَّا﴾ ﴿أَن﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَكُونُوا﴾: فعل ناقص، واسمه منصوب بـ﴿أن﴾ المصدرية. ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ خبره، وجملة يكون مع ﴿أن﴾ المصدرية في تأويل مصدر مجرور بإضافة المصدر المحذوف إليه المنصوب على أنه مفعول لأجله، تقديره: لعلك باخع نفسك خيفة عدم إيمانهم بهذا الكاتب، وبما جئت به من ربك. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿نَّشَأْ﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر يعود على الله مجزوم بـ﴿إن﴾ على كونه فعل شرط لها، ومفعول المشيئة محذوف تقديره: إيمانهم. ﴿نُنَزِّلْ﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر يعود على الله مجزوم بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونه جواباً لها. ﴿عَلَيْهِم﴾: متعلق بـ﴿نُنَزِّلْ﴾. ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: حال من ﴿ءَايَةً﴾؛ لأنه صفة نكرة قدمت عليها. ﴿ءَايَةً﴾: مفعول به لـ﴿نُنَزِّلْ﴾، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية مستأنفة مسوقة لتعليل الأمر بإشفاقه على نفسه من الاسترسال في التحسّر والغم على عدم إيمانهم. ﴿فَظَلَّتْ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿ظلت﴾: فعل ماضٍ ناقص من أخوات كان. ﴿أَعْنَٰقُهُمْ﴾: اسمها. ﴿لَهَا﴾: متعلق بـ﴿خَٰضِعِينَ﴾، و﴿خَٰضِعِينَ﴾: خبر ﴿ظلت﴾، وجملة ﴿ظلت﴾ معطوفة على جملة ﴿نُنَزِّلْ﴾، وهي بمعنى فتظل أعناقهم.

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا مَا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾﴾.

﴿وَمَا يَأْتِيهِم﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿ما﴾: نافية. ﴿يَأْتِيهِم﴾: فعل مضارع ومفعول به. ﴿مِّن﴾ زائدة. ﴿ذِكْرٍ﴾: فاعل مرفوع بضمة مقدرة. ﴿مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: جار ومجرور صفة أولى لـ﴿ذِكْرٍ﴾. ﴿مُّحْدَثٍ﴾: صفة ثانية له، والجملة الفعلية معطوفة على جملة ﴿إن﴾ الشرطية، أو مستأنفة. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ من أعم الأحوال. ﴿كَانُوا﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿عَنْهُ﴾: متعلق بـ﴿مُعْرِضِينَ﴾. ﴿مُعْرِضِينَ﴾: خبر ﴿كان﴾، وجملة ﴿كَانَ﴾ في محل النصب حال من مفعول ﴿يَأْتِيهِم﴾، والتقدير: وما يأتيهم من ذكر من الرحمن في حال من الأحوال إلاّ

حالة كونهم معرضين عنه. ﴿فَقَدْ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفت إعراضهم عن الذكر، وأردت بيان موقفهم بعد الإعراض.. فأقول لك. ﴿قد كذبوا﴾: ﴿قد﴾: حرف تحقيق. ﴿كَذَّبُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة وجملة ﴿إذا﴾ المقدرة مستأنفة. ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ﴾: ﴿الفاء﴾ حرف عطف وتعقيب، و﴿السين﴾: حرف تنفيس، ﴿يأتيهم﴾: فعل ومفعول ﴿أَنبَٰٓؤُاْ مَا﴾: فاعل ومضاف إليه، والجملة الفعلية في محل النصب معطوفة على جملة ﴿كَذَّبُوا﴾ ﴿كَانُوا﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿بِهِۦ﴾: متعلق بـ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾. ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل النصب خبر ﴿كان﴾، وجملة ﴿كان﴾ صلة ﴿مَا﴾ الموصولة.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام الإنكاري المضمّن للتعجب، داخلة على محذوف، والواو عاطفة على ذلك المحذوف، ﴿لم﴾: حرف نفي وجزم. ﴿يَرَوْا﴾: فعل مضارع وفاعل، من رأى البصرية، مجزوم بـ﴿لم﴾. ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾: متعلق بـ﴿يَرَوْا﴾، وهو في محل المفعول، والجملة الفعلية معطوفة على تلك المحذوفة، والتقدير: أفعل المكذبون من أهل مكة ما فعلوا، ولم يروا إلى الأرض، والجملة المحذوفة مستأنفة. ﴿كَمْ﴾: خبرية بمعنى عدد كثير في محل النصب مفعول مقدم لـ﴿أَنبَتْنَا﴾. ﴿أَنبَتْنَا﴾: فعل وفاعل، ﴿أنبت﴾: فعل ماض مبني على السكون. ﴿فِيهَا﴾: متعلق بـ﴿أَنبَتْنَا﴾. ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾: تمييز لـ﴿كَمْ﴾ الخبرية، و﴿مِن﴾: زائدة. ﴿كَرِيمٍ﴾: صفة ﴿زَوْجٍ﴾، وجملة ﴿أَنبَتْنَا﴾ في محل النصب حال من ﴿الْأَرْضِ﴾، والتقدير: ألم يروا إلى الأرض حالة كونها أنبتنا فيها كثيراً من كل زوج كريم. ﴿إِنَّ﴾: حرف نصب. ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾ جار ومجرور خبر مقدم لـ﴿إِنَّ﴾. ﴿لَآيَةً﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء، ﴿آية﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾ مؤخر، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها. ﴿وَمَا﴾ ﴿الواو﴾: حالية. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾: فعل ناقص واسمه وخبره، وجملة ﴿كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾: فعل ناقص واسمه وخبره، وجملة ﴿كَانَ﴾ في محل النصب حال من واو ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾،

وقيل ﴿كَانَ﴾ زائدة عند سيبويه كما مر. ﴿وَإِنَّ﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿إِنَّ ربك﴾: ناصب واسمه. ﴿لَهُوَ﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء، ﴿هو﴾: ضمير فصل. ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: خبر ثان لها، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة.

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾﴾.

﴿وَإِذْ﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى متعلق بمحذوف تقديره: واذكر إذ نادى، والجملة المحذوفة مستأنفة. ﴿نَادَىٰ رَبُّكَ﴾: فعل وفاعل. ﴿مُوسَىٰٓ﴾: مفعول به، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إِذْ﴾ ﴿أَنِ﴾: مفسرة بمعنى أي، ويجوز أن تكون مصدرية؛ أي: بأن. ﴿ٱئْتِ﴾: فعل أمر، وفاعل مستتر يعود إلى ﴿مُوسَىٰٓ﴾، مبني على حذف حرف العلة. ﴿ٱلْقَوْمَ﴾: مفعول به. ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: صفة لـ﴿ٱلْقَوْمَ﴾، والجملة الفعلية جملة مفسرة لـ﴿نَادَىٰ﴾ لا محل لها من الإعراب. ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾: بدل من ﴿ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، أو عطف بيان منه، ولعله أولى؛ لأنهما عبارتان تعتقبان على مدلول واحد، ولما كان القوم الظالمين يوهم الاشتراك.. أتى بعطف البيان لإزالته. ﴿أَلَا﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام التعجبي. ﴿لا﴾: نافية. ﴿يَتَّقُونَ﴾: فعل وفاعل، ومفعول ﴿يَتَّقُونَ﴾: محذوف؛ أي: ألا يتقون عقاب الله، والجملة مستأنفة. وقيل: ﴿أَلَا﴾: حرف تحضيض. وقيل: حرف عرض. وقيل: حرف تنبيه. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰٓ﴾، والجملة مستأنفة. ﴿رَبِّ﴾ منادى مضاف حذف منه حرف النداء للتخفيف، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿إِنِّىٓ﴾: ناصب واسمه. ﴿أَخَافُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰٓ﴾، وجملة ﴿أَخَافُ﴾ في محل الرفع خبر ﴿إنّ﴾، وجملة ﴿إنّ﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها جواب النداء. ﴿أَن﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿يُكَذِّبُونِ﴾: فعل وفاعل منصوب بـ﴿أَنْ﴾، وعلامة نصبه حذف النون، والنون نون الوقاية، وياء المتكلم المحذوفة لرعاية الفواصل في محل النصب مفعول به، والجملة الفعلية في تأويل مصدر منصوب على المفعولية، تقديره: إني أخاف تكذيبهم إياي. ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِى﴾:

فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿أَخَافُ﴾، فهو مرفوع مثله، ويجوز عطفه على ﴿يُكَذِّبُونِ﴾، فهو منصوب مثله، وقد قرىء به، والفرق بين المعنيين أن الرفع يفيد فيه ثلاث علل أو معاذير، وهو خوف التكذيب وضيق الصدر وامتناع انطلاق اللسان، وأما النصب فيفيد أن خوفه متعلق بهذه الثلاثة. ﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿أَخَافُ﴾، أو على ﴿يُكَذِّبُونِ﴾. ﴿فَأَرْسِلْ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا سمعت اعتذاري إليك، وأردت فعل ما هو الأصلح لهم.. فأقول لك. ﴿أرسل إلى هارون﴾: ﴿أرسل﴾ فعل أمر معناه الالتماس، وفاعله ضمير يعود على الله ﴿إِلَىٰ هَـٰرُونَ﴾: متعلق بـ﴿أرسل﴾، والجملة في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾، ﴿وَلَهُمْ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿لهم﴾ خبر مقدم. ﴿عَلَيَّ﴾: حال من ﴿ذَنۢبٌ﴾؛ لأنه صفة نكرة قدمت. ﴿ذَنۢبٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ﴾ على كونها مقولا لـ﴿قَالَ﴾. ﴿فَأَخَافُ﴾: ﴿الفاء﴾: حرف عطف وتفريع، ﴿أخاف﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر. ﴿أَن يَقْتُلُونِ﴾: ناصب وفعل وفاعل ونون وقاية، وياء المتكلم المحذوفة لرعاية الفواصل في محل النصب مفعول به، والجملة في تأويل مصدر منصوب على المفعولية؛ أي: فأخاف قتلهم إياي، وجملة ﴿أخاف﴾ معطوفة على الجملة الاسمية قبلها مفرّعة عليها.

﴿قَالَ كَلَّا ۖ فَاذْهَبَا بِـَٔايَـٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض. ﴿كَلَّا﴾: حرف ردع وزجر نابت عن الفعل، وهو ارتدع يا موسى، ولذلك عطف عليها بالفاء في قوله: ﴿فَاذْهَبَا﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والألف ضمير التثنية في محل الرفع فاعل، والجملة معطوفة على الجملة التي دلت عليها حرف الردع، كأنه قيل: ارتدع عما تظن يا موسى فاذهب أنت وأخوك، وجملة ارتدع مستأنفة. ﴿بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿اذهبا﴾. ﴿إِنَّا﴾: ناصب واسمه. ﴿مَعَكُم﴾: حال من اسم ﴿إنّ﴾،

أو متعلق بـ﴿مُّسْتَمِعُونَ﴾، أو خبر ثان لـ﴿إن﴾ ﴿مُّسْتَمِعُونَ﴾: خبر ﴿إن﴾، ومعفول ﴿مُّسْتَمِعُونَ﴾ محذوف تقديره: مستمعون ما يدور بينكما وبين فرعون وقومه، وجملة ﴿إنّ﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها. ﴿فَأْتِيَا﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿ائتيا﴾: فعل أمر وفاعل. ﴿فِرْعَوْنَ﴾: مفعول به، والجملة معطوفة على جملة ﴿اذهبا﴾. ﴿فَقُولَآ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة. ﴿قولا﴾: فعل أمر وفاعل معطوف على ﴿ائتيا﴾. ﴿إِنَّا﴾: ناصب واسمه. ﴿رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: خبره ومضاف إليه، وجملة ﴿إنّ﴾ في محل النصب مقول لـ﴿قولا﴾. ﴿أَنْ﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿أَرْسِلْ﴾: فعل أمر في محل النصب بـ﴿أَنْ﴾ المصدرية، وفاعله ضمير يعود على ﴿فِرْعَوْنَ﴾، ويجوز أن تكون ﴿أَنْ﴾ مفسرة. ﴿مَعَنَا﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بـ﴿أَرْسِلْ﴾ ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: مفعول به ومضاف إليه، والجملة الفعلية صلة ﴿أَنْ﴾ المصدرية، ﴿أَنْ﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بحرف جر محذوف تقديره: فقولا: إنّا رسول رب العالمين بإرسالك معنا بني إسرائيل.

﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿فِرْعَوْنَ﴾، والجملة مستأنفة. ﴿أَلَمْ﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام التقريري، ﴿لم﴾: حرف نفي وجزم. ﴿نُرَبِّكَ﴾: فعل مضارع ومفعول به مجزوم بـ﴿لَمْ﴾، وعلامة جزمه حذف حرف العلة، وفاعله ضمير مستتر تقديره: نحن، والجملة الفعلية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿فِينَا﴾: متعلق بـ﴿نُرَبِّكَ﴾. ﴿وَلِيدًا﴾: حال من مفعول ﴿نُرَبِّكَ﴾. ﴿وَلَبِثْتَ﴾: فعل وفاعل. ﴿فِينَا﴾: متعلق بـ﴿لبثت﴾. ﴿مِنْ عُمُرِكَ﴾: حال من ﴿سِنِينَ﴾. و﴿سِنِينَ﴾: ظرف متعلق بـ﴿لبثت﴾ أيضاً، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة الاستفهام على كونها مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَفَعَلْتَ﴾: فعل وفاعل معطوف على الجملة التي قبلها. ﴿فَعْلَتَكَ﴾: مفعول به ومضاف إليه، أو مفعول مطلق. ﴿ٱلَّتِى﴾: صفة لـ﴿فَعْلَتَكَ﴾، وجملة ﴿فَعَلْتَ﴾ صلة الموصول، والعائد محذوف تقديره: فعلتها. ﴿وَأَنتَ﴾: مبتدأ. ﴿مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: خبر، والجملة في محل النصب حال من فاعل

﴿فَعَلْتَ﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾، والجملة مستأنفة. ﴿فَعَلْتُهَآ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿إِذًا﴾: حرف جواب مهملة لا عمل لها. ﴿وَأَنَا۠﴾: مبتدأ. ﴿مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾: خبر، والجملة في محل النصب حال من فاعل ﴿فَعَلْتُهَآ﴾؛ أي: من الضالين عما أتاني الله بعدها من الرسالة والعلم.

﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿فَفَرَرْتُ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿فررت﴾: فعل وفاعل. ﴿مِنكُمْ﴾: متعلق بـ﴿فررت﴾، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة ﴿فَعَلْتُهَآ﴾. ﴿لَمَّا﴾: ظرف بمعنى حين في محل النصب مبني على السكون، والظرف متعلق بـ﴿فررت﴾، وقال سيبويه: إنها رابطة. ﴿خِفْتُكُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ﴿لَمَّا﴾. ﴿فَوَهَبَ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة. ﴿وهب﴾: فعل ماض. ﴿لِى﴾: متعلق به. ﴿رَبِّى﴾: فاعل ومضاف إليه. ﴿حُكْمًا﴾: مفعول به، والجملة معطوفة على جملة ﴿فررت﴾. ﴿وَجَعَلَنِى﴾: فعل وفاعل مستتر ونون وقاية ومفعول به أول معطوف على ﴿وهب﴾. ﴿مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: جار ومجرور في محل المفعول الثاني لـ﴿جَعَلَ﴾. ﴿وَتِلْكَ﴾: مبتدأ. ﴿نِعْمَةٌ﴾: خبر، والجملة مستأنفة. ﴿تَمُنُّهَا﴾: فعل وفاعل مستتر يعود على ﴿فِرْعَوْنَ﴾ ومفعول به. ﴿عَلَىَّ﴾: متعلق به، والجملة في محل الرفع صفة لـ﴿نِعْمَةٌ﴾. ﴿أَنْ﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿عَبَّدتَّ﴾: فعل وفاعل في محل النصب بـ﴿أن﴾ المصدرية. ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: مفعول به ومضاف إليه، والجملة الفعلية في تأويل مصدر مرفوع على كونه خبراً لمبتدأ محذوف تقديره: سببها تعبيدك بني إسرائيل، والجملة من المبتدأ المحذوف وخبره في محل الرفع صفة ثانية لـ﴿نِعْمَةٌ﴾ و﴿تمن﴾ يتعدى بالباء، فقيل: هي محذوفة؛ أي: تمنُّ بها، وقيل: ضمِّن تمنُّ فمعنىٰ تذكر كما في «السمين».

وفي «السمين»: قوله: ﴿أَنْ عَبَّدتَّ﴾ فيه سبعة أوجه:

أحدها: أنه في محل رفع عطف بيان لـ﴿تِلْكَ﴾، موضح له، فتلك إشارة إلى

شيء مبهم، وقد وضّح وبيّن بقوله: ﴿أَنْ عَبَّدتَّ﴾، نظير قوله: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾.

والثاني: أنه في محل نصب مفعولاً من أجله.

والثالث: أنه بدل من ﴿نِعْمَةٌ﴾.

والرابع: أنه بدل من الهاء في ﴿تَمُنُّهَا﴾.

والخامس: أنه مجرور بباء مقدرة؛ أي: بأن عبّدت.

والسادس: أنه خبر مبتدأ مضمر؛ أي: هي.

والسابع: أنه منصوب بإضمار أعني.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة تعطف قول فرعون على قول موسى: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، أو زائدة، أو استئنافية. ﴿مَا﴾: اسم استفهام في محل الرفع مبتدأ. ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: خبر ومضاف إليه، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾، وإنما عبر بما؛ لأنه سأل عن صفاته وأفعاله، ولو أراد عينه.. لقال: ومن رب العالمين. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾، والجملة مستأنفة. ﴿رَبُّ﴾: خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هو رب السموات، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مضاف إليه. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف عليه. ﴿وَمَا﴾: معطوفة على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾. ﴿بَيْنَهُمَآ﴾: ظرف ومضاف إليه صلة لـ﴿ما﴾. ﴿إِن﴾: حرف شرط. ﴿كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾: فعل ناقص واسمه وخبره في محل الجزم بـ﴿إن﴾ على كونه فعل شرط لها، وجواب ﴿إن﴾ الشرطية محذوف، تقديره: إن كنتم موقنين هذا الجواب، فهو كاف لكم في جواب سؤالكم، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾.

﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على ﴿فِرْعَوْنُ﴾، والجملة مستأنفة. ﴿لِمَنْ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿قَالَ﴾. ﴿حَوْلَهُۥٓ﴾: ظرف ومضاف إليه صلة ﴿من﴾ الموصولة ﴿أَلَا﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام التعجبي، ﴿لا﴾: نافية، أو ﴿أَلَا﴾: حرف عرض، أو تحضيض. ﴿تَسْتَمِعُونَ﴾: فعل وفاعل ومفعول محذوف تقديره: جوابه الذي لا يطابق السؤال، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾، والجملة مستأنفة. ﴿رَبُّكُمْ﴾: خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هو ربكم، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَرَبُّ﴾: معطوف على ﴿رَبُّكُمْ﴾. ﴿ءَابَآئِكُمُ﴾: مضاف إليه. ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾: صفة لـ﴿ءَابَآئِكُمُ﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على ﴿فِرْعَوْنُ﴾، والجملة مستأنفة. ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ﴾: ناصب واسمه. ﴿ٱلَّذِىٓ﴾: صفة لـ﴿رَسُولَكُمُ﴾. ﴿أُرْسِلَ﴾: فعل ماض مغير الصيغة، ونائب فاعل ضمير يعود على الموصول. ﴿إِلَيْكُمْ﴾: متعلق به، والجملة صلة الموصول. ﴿لَمَجْنُونٌ﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء زحلقت إلى خبر ﴿إِنَّ﴾ ﴿مجنون﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة ﴿إِنَّ﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾.

﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾، والجملة مستأنفة. ﴿رَبُّ﴾: خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هو رب، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿ٱلْمَشْرِقِ﴾: مضاف إليه. ﴿وَٱلْمَغْرِبِ﴾: معطوف على ﴿ٱلْمَشْرِقِ﴾. ﴿وَمَا﴾: معطوف على ﴿ٱلْمَشْرِقِ﴾. ﴿بَيْنَهُمَآ﴾: ظرف ومضاف إليه صلة لـ﴿ما﴾. ﴿إِن﴾: حرف شرط. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ناقص واسمه في محل الجزم بـ﴿إن﴾ على كونه فعل شرط لها، وجملة ﴿تَعْقِلُونَ﴾ خبر كان، وجواب ﴿إن﴾ الشرطية محذوف تقديره: إن كنتم تعقلون علمتم أن الأمر كما قلته، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية في محل النصب

مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على ﴿فِرْعَوْنُ﴾، والجملة مستأنفة. ﴿لَئِنِ﴾: ﴿اللام﴾: موطئة للقسم، ﴿إن﴾: حرف شرط. ﴿ٱتَّخَذْتَ﴾: فعل وفاعل في محل الجزم بـ﴿إن﴾ على كونه فعل شرط لها. ﴿إِلَٰهًا﴾: مفعول به. ﴿غَيْرِى﴾: صفة له، أو ﴿غَيْرِى﴾: مفعول أول ﴿إِلَٰهًا﴾: مفعول ثان قدّمه اعتناء به، والتقدير: لئن اتخذت غيري إلهاً. ﴿لَأَجْعَلَنَّكَ﴾ ﴿اللام﴾: موطئة للقسم مؤكدة للأولى، ﴿أجعلنك﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول أول، ونون توكيد في محل الرفع لتجرده من الناصب والجازم مبني على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة. ﴿مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾: جار ومجرور في محل المفعول الثاني لجعل، والجملة الفعلية جواب القسم لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾، وجواب الشرط محذوف تقديره: أسجنك، وجملة الشرط في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها معترضة بين القسم وجوابه.

﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾، والجملة مستأنفة. ﴿أَوَلَوْ﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام الإنكاري، داخلة على محذوف تقديره: أتفعل ذلك. والواو: حالية، ﴿لو﴾: حرف شرط. ﴿جِئْتُكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول. ﴿بِشَىْءٍ﴾: متعلق بـ﴿جِئْتُكَ﴾. ﴿مُّبِينٍ﴾: صفة، وجواب ﴿لو﴾ الشرطية محذوف تقديره: ولو جئتك بشيء مبين تسجنني، وجملة ﴿لو﴾ الشرطية في محل النصب حال من مفعول الفعل المحذوف الداخل عليه همزة الاستفهام، والتقدير: أتسجنني حالة كوني جائياً بشيء مبين على صدقي، والجملة المحذوفة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾.

﴿قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على ﴿فِرْعَوْنُ﴾، والجملة مستأنفة. ﴿فَأْتِ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفت توعدي لك بالسجن، وأردت بيان ما هو المخلص لك.. فأقول لك:

ائت. ﴿ائت﴾: فعل أمر، فاعل مستتر يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾ مبني على حذف حرف العلة. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلق به، والجملة في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿إِن﴾: حرف شرط. ﴿كُنتَ﴾: فعل ناقص واسمه، في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونه فعل شرط لها. ﴿مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: خبر كان، وجواب الشرط محذوف تقديره: إن كنت من الصادقين فائت به، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾.

﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾.

﴿فَأَلْقَىٰ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفت ما قاله فرعون لموسى، وأردت بيان ما فعله موسى فأقول لك: ألقى عصاه. ﴿ألقى﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾. ﴿عَصَاهُ﴾: مفعول به ومضاف إليه، والجملة في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة. ﴿فَإِذَا﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة. ﴿إذا﴾: فجائية، حرف لا محل لها من الإعراب. ﴿هِىَ ثُعْبَانٌ﴾: مبتدأ وخبر ﴿مُّبِينٌ﴾: صفة ﴿ثُعْبَانٌ﴾، والجملة الاسمية في محل النصب معطوفة على جملة ﴿ألقى﴾. ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾: فعل ومفعول وفاعل مستتر يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾، والجملة معطوفة على جملة ﴿ألقى﴾. ﴿فَإِذَا﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿إذا﴾: فجائية. ﴿هِىَ بَيْضَآءُ﴾: مبتدأ وخبر. ﴿لِلنَّٰظِرِينَ﴾: جار ومجرور صفة لـ﴿بَيْضَآءُ﴾، تقديره: بيضاء معجبة للناظرين، والجملة الاسمية معطوفة على جملة ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على ﴿فِرْعَوْنَ﴾، والجملة مستأنفة. ﴿لِلْمَلَإِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿قَالَ﴾. ﴿حَوْلَهُۥٓ﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بمحذوف حال من ﴿الملأ﴾؛ أي: حالة كونهم كائنين حوله. ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾: ناصب واسمه. ﴿لَسَٰحِرٌ﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء. ﴿لَسَٰحِرٌ﴾: خبر ﴿إن﴾. ﴿عَلِيمٌ﴾: صفة لـ﴿ساحر﴾، وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾.

﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿يُرِيدُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾، والجملة في محل الرفع صفة ثانية لـ﴿ساحر﴾. ﴿أَن يُخْرِجَكُم﴾: ناصب وفعل مضارع، وفاعل مستتر يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾ ومفعول به. ﴿مِّنْ أَرْضِكُم﴾: متعلق بـ﴿يُخْرِجَكُم﴾. ﴿بِسِحْرِهِۦ﴾: متعلق به أيضاً، والجملة الفعلية في تأويل مصدر منصوب على المفعولية تقديره: يريد إخراجه إياكم من أرضكم بسحره، وهذه الجملة بيت كامل من مجزوء الرجز، وليس شعراً لانتفاء القصد. ﴿فَمَاذَا﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿ما﴾: اسم استفهام في محل الرفع مبتدأ، ﴿ذا﴾: اسم موصول بمعنى الذي في محل الرفع خبر. ﴿تَأْمُرُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة المصول، والعائد محذوف تقديره: فما الذي تأمرونني به، والجملة من المبتدأ والخبر في محل النصب معطوفة على جملة قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ على كونها مقولا لـ﴿قَالَ﴾، أو ﴿فَمَاذَا﴾ اسم استفهام مركب في محل النصب مفعول لـ﴿تَأْمُرُونَ﴾، والجملة الفعلية معطوفة على جملة ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾.

﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿قَالُوٓا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿أَرْجِهْ﴾: فعل أمر، وفاعل مستتر يعود على ﴿فِرْعَوْنَ﴾ ومفعول به مبني على حذف حرف العلة؛ وهي الياء، والكسرة قبلها دليل عليها؛ لأنه من أرجيت. ﴿وَأَخَاهُ﴾: معطوف على ضمير المفعول، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓا۟﴾. ﴿وَٱبْعَثْ﴾: فعل أمر، وفاعل مستتر يعود على ﴿فِرْعَوْنَ﴾ معطوف على ﴿أَرْجِهْ﴾. ﴿فِى ٱلْمَدَآئِنِ﴾: متعلق بـ﴿وَٱبْعَثْ﴾. ﴿حَٰشِرِينَ﴾: مفعول به. ﴿يَأْتُوكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به مجزوم بالطلب السابق، وعلامة جزمه حذف النون. ﴿بِكُلِّ سَحَّارٍ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿يَأْتُوكَ﴾. ﴿عَلِيمٍ﴾: صفة ﴿سَحَّارٍ﴾.

التصريف ومفردات اللغة

﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ﴾ لعل هنا للاستفهام الذي يراد به الإنكار، وقال العسكري: إنها للنهي، ﴿بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ﴾؛ أي: مهلكها من شدة الحزن، قال ذو الرمة.

ألاَ أيُّهَا البَاخِعُ الوُجْدِ نَفْسَهُ لِشَيْءٍ نَحَتَهُ عن يديهِ المَقَادِيرُ

وأصل البخع: أن يبلغ بالذبح البخاع، وذلك أقصى حد الذبح، والبخاع - بكسر الباء -: عرق في الصلب غير النخاع - بالنون مثلثة، - فإنه الخيط الذي في جوف الفقار، ينحدر من الدماغ، ويتشعب منه شعب في الجسم. وفي «المصباح»: وبخع نفسه بخعا من باب نفع قتلها من وجد أو غيظ، وبخع لي بالحق بخوعاً انقاد وبذله.

﴿أَعۡنَٰقُهُمۡ﴾ والأعناق: الجماعة، يقال: جاءت أعناق الناس؛ أي: جماعة منهم. ﴿ذِكۡرٍ﴾؛ أي: موعظة. ﴿أَنۢبَٰٓؤُاْ﴾ والمراد بالأنباء: ما سيحل بهم من العذاب. ﴿مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ﴾ والكريم من كل شيء مرضيه ومحموده، يقال: وجه كريم؛ أي: مرضي في حسنه وجماله، وكتاب كريم مرضي في معانيه وفوائده، وفارس كريم مرضي في شجاعته وبأسه.

﴿وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾ والمناداة والنداء: رفع الصوت، وأصله من الندى؛ وهو الرطوبة، واستعارته للصوت من حيث إنّ من تكثر رطوبة فمه حسن كلامه، ولهذا يوصف الفصيح بكثرة الريق. ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ﴾ أمر من الأتيان، والإتيان: المجيء بسهولة. ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ﴾ والخوف: توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة، كما أن الرجاء والطمع توقع محبوب عن أمارة مظنونة أو معلومة.

﴿مُّسۡتَمِعُونَ﴾؛ أي: سامعون، والفرق بين السماع والاستماع أن السماع وكذا السمع مطلق إدراك الحروف والأصوات، فيوصف به سبحانه، والاستماع طلب السمع بالإصغاء بالأذن، وهو محال عليه تعالى؛ لأن سمعه ليس بالجارحة.

﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾﴾ والإرسال ههنا: التخلية والإطلاق، كما تقول: أرسلت الكلب إلى الصيد؛ أي: خلّهم وشأنهم ليذهبوا إلى أرض الشام مسكن آبائهم.

﴿مِنْ عُمُرِكَ﴾ والعمر - بضمتين - مصدر عمر؛ أي: عاش وحيي، قال الراغب: العمر: اسم لمدة عمارة البدن بالحياة، قليلة كانت أو كثيرة.

﴿فَعْلَتَكَ﴾ الفعلة - بالفتح -: المرّة الواحدة، والفِعلة - بالكسر - الهيئة، كما قال ابن مالك:

لِـمَـرَّةٍ فَـعْـلَـةٌ، وَفِـعْـلَـةٌ وَضَـعُـوْا ... لِـهَـيْـئَـةٍ غَـالِـباً، كَـمِـشْـيَـةِ ٱلْـخُـيَـلاَ

﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ يقال: ضل فلان الطريق أخطأه؛ أي: ضللت طريق الصواب وأخطأته من غير تعمّد، كمن رمى سهماً إلى طائر وأصاب آدمياً، وذلك لأن مراد موسى كان تأديبه، لا قتله.

﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ﴾؛ أي: ذهبت من بينكم إلى مدين، وهو من المضاعف اللازم، يجب كسر عين مضارعة، كما قال ابن مالك:

ذَا ٱلْـوَاوَ فَـاءً أَوِ ٱلْـيَـا عَـيْـنَـاً أَوْ كَـأَتَـىٰ ... كَـذَا ٱلْـمُـضَـاعَـفُ لاَزِمـاً كَـحَـنَّ طَـلاَ

تقول: فرّ يفرّ فراراً، ودبّ يدبّ دبيباً، وحنّ يحنّ حنيناً.

﴿أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ يقال: عبّدته إذا أخذته عبداً وقهرته وذللته.

﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ والرب: المربي والمتكفل لمصلحة الموجودات، والعالم اسم لما سوى الله تعالى من الجواهر والأعراض، سمّي عالماً؛ لأنه علامة على وجود صانعه وخالقه.

﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ والجنون: مرض حائل بين النفس والعقل، كما في «المفردات».

﴿مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾؛ أي: من المحبوسين عندي، وفي «المصباح»: سجنته

سجناً - من باب قتل - حبسته، والسِجن - بالكسر -: الحبس، والجمع سجون مثل حمل وحمول، اهـ.

﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ﴾ والإلقاء: طرح الشيء حيث تلقاه وتراه، ثم صار في التعارف اسماً لكل طرح.

﴿ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾؛ أي: ظاهر الثعبانية حقيقة، لا متخيلاً بالسحر، كما تفعله السحرة، والثعبان أعظم الحيات، وهو مشتق من ثعب بمعنى جرى لجريه بسرعة من غير رجل، كأنه ماء سائل، وأما كونه من ثعبت الماء فانثعب إذا فجرته فانفجر، وإن كان مآله ذلك فليس بمراد، اهـ «شهاب»، والثعبان يطلق على الذكر والأنثى، ويجمع على ثعابين. ﴿بَيْضَآءُ﴾؛ أي: ذات بياض ونور من غير برص. ﴿لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ﴾ وحول الشيء: جانبه الذي يمكنه أن يحول إليه وينقلب، والملأ جماعة يجتمعون على رأي يملؤون العيون رواء، والنفوس جلالة وبهاء. ﴿لَسَٰحِرٌ﴾ والسحر: تخيلات لا حقيقة لها، فالساحر المحتال المخيل بما لا حقيقة له. ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾: من المؤامرة، لا من الأمر؛ وهي المشاورة، وقيل للتشاور: ائتمار؛ لقبول بعضهم أمر بعض فيما أشار به.

﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ يقال: أرجأته وأرجيته إذا أخّرته، ومنه المرجئة، وهما لغتان، أي أخر أمرهما، ولا تباغتهما بالقتل خيفة الفتنة قبل أن يظهر كذبهما.

﴿فِى ٱلْمَدَآئِنِ﴾: جمع مدينة؛ أي: في الأمصار والبلدان، وأقطار مملكتك.

﴿حَٰشِرِينَ﴾؛ أي: شرطاً يحشرون الناس ويجمعونهم.

﴿بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ ولما قال فرعون أولاً: إن هذا لساحر عليم عارضوا بقولهم: بكل سحار عليم، فجاء بكلمة الاستغراق والبناء الذي للمبالغة؛ لينفسوا عنه بعض ما لحقه من الكرب، ذكره أبو حيان.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: الكناية اللطيفة في قوله: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾؛ لأنه كناية عن الذل والهوان الذي يلحقهم بعد العز والكبرياء.

ومنها: المجاز العقلي في إسناد الخضوع للأعناق، فقد يقال: كيف صح مجيء خاضعين خبراً عن الأعناق، والخضوع من خصائص العقلاء، وقد كان أصل الكلام: فظلوا لها خاضعين؟ والسر في ذلك أنه لما وصفت بالخضوع الذي هو للعقلاء. . قيل: خاضعين، كما تقدم في قوله: ﴿لِي سَٰجِدِينَ﴾، وههنا أقوال أخرى أوصلها علماء البيان إلى سبعة نلخصها فيما يلي:

١. المراد الرؤساء، كما قيل: لهم وجوه وصدور، يقال لهم: أعناق.

٢. أنه على حذف مضاف؛ أي: فظل أصحاب الأعناق، ثم حذف وبقي الخبر على ما كان عليه قبل الحذف مراعاة للمحذوف.

٣. أنه لما أضيف إلى العقلاء اكتسب منهم هذا الحكم، كما يكتسب التأنيث بالإضافة.

٤. أن الأعناق جمع عنق من الناس؛ وهم الجماعة، يقال: جاءنا عنق من الناس؛ أي: فوج، وليس المراد الجارحة المعلومة.

٥. إقحام الأعناق لبيان موضع الخضوع، وترك الكلام على أصله.

٦. ما ذكرناه من أنها عوملت معاملة العقلاء لما أسند إليها ما يكون عادة من أفعال العقلاء على طريق المجاز العقلي.

٧. أنه لما أضاف الأعناق إلى المذكورين، وكانت الأعناق متصلة بهم في الخلقة والتكوين. . أجرى عليها حكمهم.

ومنها: التتميم في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ⑦﴾ حيث جمع بين ﴿كَمْ﴾ و﴿كُلِّ﴾، مع إغناء أحدهما عن الآخر، وضابط التتميم أن تأتي في الكلام كلمة إذا طرحت من الكلام نقص معناه في ذاته أو في

صفاته، ولفظه تام، والمقصود من الآية آحاد الأزواج، ولو أسقطت ﴿كلاً﴾، فقلت: انظروا إلى الأرض كم أنبت الله فيها من الصنف الفلاني.. لكنت مكنياً عن آحاد ذلك الصنف المشار إليه، فإذا أدخلت كلاً فقد أديت بذكره آحاد كل صنف، وفائدة الجمع بين ﴿كُلِّ﴾ و﴿كَمْ﴾ أن ﴿كلاً﴾ إنما دخلت للإحاطة بأزواج النبات، و﴿كَمْ﴾ دلت على أن هذا المحاط مفرط بالكثرة، وفي ذلك تنبيه على تمام القدرة وكمالها، وهذا هو مقتضى التتميم الذي تقدمت الإشارة إليه.

ومنها: الوعيد والتهديد في قوله: ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

ومنها: التوبيخ والإنكار في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾؛ لأن الاستفهام فيه للتوبيخ على تركهم النظر بعين الاعتبار.

ومنها: الاستعارة في قوله: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾؛ لأن النداء رفع الصوت مأخوذ من الندى؛ وهو الرطوبة، فاستعيرت للصوت من حيث إن من تكثر رطوبة فمه حسن كلامه، ولهذا يوصف الفصيح بكثرة الريق، ذكره في «روح البيان».

ومنها: المقابلة اللطيفة بين قوله: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِى﴾ وقوله: ﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى﴾.

ومنها: الاستعارة التمثيلية في قوله: ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ حيث استعار الاستماع الذي هو طلب السمع بالإصغاء بالأذن للسمع الذي هو مطلق إدراك الحروف والأصوات من غير إصغاء. والمعنى: إنا سامعون لما يجري بينكما وبينه، فأظهركما عليه. مثل حاله تعالى بحال ذي شوكة قد حضر مجادلة قوم يسمع ما يجري بينهم، ليمد الأولياء منهم، ويظهرهم على الأعداء مبالغة في الوعد بالإعانة، وجعل الكلام استعارة تمثيلية؛ لكون وجه الشبه هيئة منتزعة من عدة أمور اهـ «روح».

ومنها: جناس الاشتقاق بين ﴿رَسُولُ﴾ و﴿أَرْسِلْ﴾.

ومنها: الإبهام في قوله: ﴿فَعَلْتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ﴾ يعني: قتل القبطي؛ لإفادة التعظيم والتفخيم، فإن في عدم التصريح باسمها الخاص تعظيم تلك الفعلة، فإن قوله: ﴿ٱلَّتِي فَعَلْتَ﴾ يذهب فيها الوهم كل مذهب، ويحتمل الكثير من المعاني، وهو كثير شائع في القرآن الكريم.

ومنها: الجناس الناقص بين ﴿فَعَلْتَ﴾ و: ﴿فَعْلَتَكَ﴾ فقد اتفقت الحروف فيهما، واختلف الشكل، فصار جناساً غير تام.

ومنها: الإيجاز بالحذف في قوله: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ دل على هذا الحذف السياق، تقديره: فأتيا فرعون فقولا له ذلك، فقال لموسى: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾.

ومنها: إفادة التعجيب في قوله: ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾، فكأنه قال: استمعوا ما يقول، وتعجبوا منه.

ومنها: التخصيص في قوله: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ بعد التعميم في قوله: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ فإنه استوعب به الخلائق كلها، ثم عاد إلى التخصيص بذكرهم وذكر آبائهم.

ومنها: التأكيد بـ ﴿إنّ﴾ واللام واسمية الجملة في قوله: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾؛ لأن السامع متشكك ومتردد.

ومنها: الطباق بين ﴿ٱلْمَشْرِقِ﴾ ﴿وَٱلْمَغْرِبُ﴾ في قوله: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾.

ومنها: لام العهد في قوله: ﴿لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾؛ أي: لأجعلنك من الذين عرفت أحوالهم في سجوني، فإنه كان يطرحهم في هوة عميقة، ويتركهم حتى يموتوا، ولم يقل: لأسجننك للإشارة إلى أن ذلك ديدنه وعادته.

ومنها: الاستغراق والمبالغة في قوله: ﴿بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾؛ لأن كلمة ﴿كل﴾ تفيد الإحاطة والاستغراق، وكلمتي ﴿سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ يفيدان المبالغة؛

لأنهما من أوزان المبالغة.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ٣٨ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ ٣٩ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ
ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ٤٠ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ
٤١ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٤٢ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ٤٣ فَأَلۡقَوۡاْ حِبَالَهُمۡ
وَعِصِيَّهُمۡ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ٤٤ فَأَلۡقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ
٤٥ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ٤٦ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٧ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٤٨ قَالَ ءَامَنتُمۡ
لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَ فَلَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ
خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ٤٩ قَالُواْ لَا ضَيۡرَۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ٥٠ إِنَّا نَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لَنَا رَبُّنَا
خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٥١ ۞ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ٥٢ فَأَرۡسَلَ
فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ٥٣ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ٥٤ وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ ٥٥ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ
٥٦ فَأَخۡرَجۡنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٥٧ وَكُنُوزٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ٥٨ كَذَٰلِكَ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٥٩
فَأَتۡبَعُوهُم مُّشۡرِقِينَ ٦٠ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ
رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٦٢ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ
ٱلۡعَظِيمِ ٦٣ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٤ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ٦٥ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ
٦٦ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ٦٧ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦٨ وَٱتۡلُ
عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ٧٠ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ
٧١ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ٧٢ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ٧٣ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ
يَفۡعَلُونَ ٧٤ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ٧٥ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ٧٦ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا
رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٧ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ
يَشۡفِينِ ٨٠ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ٨١ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ
٨٢﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه لما ذكر في أول السورة شدة حزنه ﷺ على كفر قومه

وعدم استجابتهم دعوته، ثم ذكر قصص موسى عليه السلام ليكون في ذلك تسلية له، وليعلم أنه ليس ببدع في الرسل، وأن قومه ليسوا بأول الأمم عناداً واستكباراً، فقد أتى موسى بباهر المعجزات وعظيم الآيات، ولم يؤمن به من قومه إلا القليل، ولم يؤمن به من المصريين إلاّ النذر اليسير.. أردف ذلك بقصص إبراهيم أبي الأنبياء، وخليل الرحمن؛ ليعلم أن حزنه لكفران قومه كان أشد، وآلامه كانت أمضىٰ، فهو كان يرى أن أباه وقومه صائرون إلى النار، وهو ليس بمستطيع إنقاذهم، وقد أكثر حجاجهم حتى حجهم، ولم يجد ذلك فيهم شيئاً، بل ركنوا إلى التقليد بما ورثوه عن الآباء والأجداد، وقد أبان لهم أثناء حجاجه أن أصنامهم لا تغني عنهم شيئاً، فهي لا تسمع دعاءهم ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ﴾، ولو سمعت لم تغن عنهم شيئاً، ثم ذكر لهم صفات الرب الذي ينبغي أن يعبد، وفصلها أتم التفصيل.

التفسير وأوجه القراءة

﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ﴾؛ أي: بعث فرعون الشرط في المدائن لجمع السحرة، فجمعوا وهم اثنان وسبعون، أو سبعون ألفاً كما يدل عليه كثرة الحبال والعصي التي خيلوها، وكان اجتماعهم بالإسكندرية على ما رواه الطبري. ﴿لِمِيقَٰتِ﴾ وميعاد ﴿يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ عندهم. والميقات(١): الوقت المضروب للشيء؛ أي: اجتمعت السحرة في الوقت الذي وقت به موسى، وعين لهم من ساعات يوم معين، وذلك الوقت وقت الضحى من يوم الزينة، وهو يوم عيد لهم، كانوا يتزينون ويجتمعون فيه كل سنة، روي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه وافق يوم السبت في أول يوم من السنة؛ وهو يوم النيروز، وهو أول يوم من فرودين ماه، ومعنى نيروز بلغة القبط: طلع الماء؛ أي: علا ماء النيل، وبلغة العجم نوروز؛ أي: اليوم الجديد، وهو أول السنة المستأنفة عندهم.

وإنما وقت لهم موسى وقت الضحى من يوم الزينة في قوله: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ

---

(١) روح البيان.

﴿يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ﴾، ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤوس الأشهاد، ويشيع ذلك في الأقطار، واختاره فرعون أيضاً، ليظهر كذب موسى بمحضر الجمع العظيم، فكان ما كان.

﴿وَقِيلَ﴾ من طرف فرعون ﴿لِلنَّاسِ﴾؛ أي: لأهل مصر وغيرهم ممن يمكن حضوره ﴿هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ﴾ لتنظروا ما يفعل الفريقان، ولمن تكون له الغلبة، وليس المراد بـ﴿هَلْ﴾ حقيقة الاستفهام بقرينة عدم الجواب، بل المراد بالاستفهام الحث على المبادرة إلى الاجتماع والترجي للغلبة، لا لاتباع السحرة؛ لأنه مقطوع به. والمعنى؛ أي[1]: احضروا لتشاهدوا ما يكون من الجانبين ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ﴾ في دينهم ﴿إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ لموسى، لا لموسى؛ أي: فإنا نرجو أن تكون الغلبة للسحرة، فنتبعهم في دينهم، لا نتبع موسى. قال ابن جرير: ﴿لعل﴾ هنا بمعنى كي. والمراد[2] باتباع السحرة في دينهم: هو البقاء على ما كانوا عليه؛ لأن دين السحرة إذ ذاك هو دينهم، والمقصود المخالفة لما دعاهم إليه موسى. وقيل[3]: أرادوا بالسحرة موسى وهارون، وقالوا ذلك على طريقة الاستهزاء.

والمعنى: ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ . . .﴾ إلخ؛ أي[4]: إن الملأ بعد أن أشاروا على فرعون بتأخير البت في أمر موسى، وبأن من الخير له أن يجمع السحرة؛ ليظهر عند حضورهم فساد قوله. . رضي بما أشاروا به واستقروا عليه، وأحب أن تقع المناظرة في يوم عيد لهم؛ لتكون بمحضر الجمّ الغفير من الناس، ويتم الله نوره، ويظهر الحق على الباطل بلطفه وفضله ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ﴾ حثاً لهم على المبادرة إلى الاجتماع، ومشاهدة ما يكون من الجانبين ﴿هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ﴾ في ذلك الميقات لتروا ما سيكون في ذلك اليوم المشهود، وكان ذلك ثقة من فرعون بالظهور، وقد طلب أن يكون بمجمع من الناس؛ لئلا يؤمن بموسى أحد منهم، فوقع من موسى الموقع الذي يريده؛ لأنه يعلم أن حجة الله هي الغالبة، وحجة الكافرين هي

---

(١) المراح.
(٢) الشوكاني.
(٣) الخازن.
(٤) المراغي.

الداحضة، وفي ظهور حجة الله بمجمع من الناس زيادة في الاستظهار للمحقين، وقهر للمبطلين ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾﴾؛ أي: إنا نرجوا أن يكون لهم الغلبة فنتبعهم ونستمر على دينهم، ولا نتبع دين موسى ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ﴾ فرعون ﴿قَالُوٓا۟﴾؛ أي: السحرة ﴿لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾؛ أي: جعلاً عظيماً، أو لجزاء تجزينا به من مال أو جاه، وقيل: أرادوا إن لنا ثواباً عظيماً، ثم قيدوا ذلك بظهور غلبتهم لموسى، فقالوا: ﴿إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ لا موسى، ووافقهم فرعون على ذلك، و﴿قَالَ نَعَمْ﴾ نعم ذلك عندي. وقرأ[1] الكسائي ﴿نعم﴾ بكسر العين، وهما لغتان. اهـ «بيضاوي». ﴿وَإِنَّكُمْ﴾ مع ذلك ﴿إِذًا﴾؛ أي: إذا غلبتم ﴿لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ عندي، تكونون أول من يدخل علي، وآخر من يخرج من عندي. وكان[2] ذلك من أعظم المراتب عندهم، وهكذا حال أرباب الدنيا في حب قربة السلطان ونحوه، وهو من أعظم المصائب عند العقلاء.

فلما تقابلوا مع موسى ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟﴾؛ أي: اطرحوا ﴿مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾؛ أي: ما أنتم تريدون إلقاءه، لم يرد به أمرهم بالسحر والتمويه؛ لأن ذلك غير جائز، بل الإذن في تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلاً به إلى إظهار الحق وإبطال الباطل، قال في «كشف الأسرار»: ظاهر الكلام أمر، ومعناه التهاون في الأمر، وترك المبالاة بهم وبأفعالهم، وتهديد لهم. وعبارة «الكرخي»: هذا[3] جواب سؤال صورته: كيف يجوز على النبي المعصوم الأمر بالكفر؟

وحاصل الجواب: أن صيغة الأمر ليست على حقيقتها، بل هي مجاز عن الإذن، فإن قيل: الإذن يستلزم الرضا فيعود الإشكال؟ فالجواب: أن الممتنع هو الرضا في حال كونه مستحسناً، ولا يلزم ذلك هنا، بل اللازم هو الرضا به للتوسل إلى إبطاله، وهذا عين استقباحه، فليس فيه محظور، اهـ.

---

(١) البيضاوي.
(٢) روح البيان.
(٣) الفتوحات.

فإن قلت: إن ما هنا يدل على أن البادىء بالكلام هو موسى عليه السلام، وفي سورة طه: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾﴾، فيدل على أن البادىء هم السحرة، فبين الآيتين معارضة في تعيين البادىء، فبين وجه الجمع بينهما؟

قلتُ: يجمع بينهما بحمل ما هنا على أنه قال لهم: ألقوا، بعد أن قالوا هذا القول، فحينئذ البادىء بالكلام هم السحرة.

﴿فـ﴾ بعد أن قال لهم موسى ألقوا ﴿ألقوا حبالهم﴾: جمع حبل ﴿وَعِصِيَّهُمْ﴾: جمع عصا، اثنين وسبعين ألف حبل، واثنتين وسبعين ألف عصا ﴿وَقَالُواْ﴾ عند الإلقاء حالفين ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾ وعظمته ﴿إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ على موسى وهارون. أقسموا[1] بعزته على أن الغلبة لهم لفرط اعتقادهم في أنفسهم وإتيانهم بأقصى ما يمكن أن يؤتى من السحر، والقسم بغير الله من أيمان الجاهلية، وفي الحديث: «لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالطواغيت، ولا تحلفوا إلا بالله إلا وأنتم صادقون».

وقال الشوكاني: قولهم: ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾ يحتمل وجهين:

الأول: أنه قسم، وجوابه: ﴿إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾.

والثاني: أنه متعلق بمحذوف، والباء للسببية؛ أي: نغلب بسبب عزته. قال بعضم[2]: رأوا كثرة تمويهاتهم وقلة العصا، فنظروا إليها بنظر الحقارة، وظنوا غلبة الكثير على القليل، وما علموا أن القليل من الحق يبطل الكثير من الباطل، كما أن قليلاً من النور يمحو كثيراً من الظلمة، اهـ.

قال أبو حيان[3]: وعدلوا عن الخطاب إلى اسم الغيبة، في قولهم: ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾ تعظيماً له، كما يقال للملوك: أمروا بكذا، فيخبر عنه إخبار الغائب، وهذا من نوع أيمان الجاهلية، وقد سلك كثير من المسلمين في الأيمان ما هو

---

(١) روح البيان.
(٢) روح البيان.
(٣) البحر المحيط.

أشنع من أيمان الجاهلية، لا يرضون بالقسم بالله، ولا يعتدون به، حتى يحلف أحدهم بنعمة السلطان، وبإغاثة شيخه، وبرأس المحلف، فحينئذ يستوثق منه.
وقال ابن عطية: بعد أن ذكر أنه قسم قال: والأحسن أن يكون على جهة التعظيم والتبرك باسمه إذ كانوا يعبدونه، كما تقول إذا ابتدأت بعمل شيء: بسم الله وعلى بركة الله، ونحو هذا.

والمعنى: أي[1] قال لهم موسى: ألقوا ما تريدون إلقاءه مما يكون حجة لكم على إبطال ما أدعيه من المعجزات، فألقوا ما معهم من الحبال والعصي، وقد كانت مطلية بالزئبق، والعصي مجوفة مملوءة به، وقالوا: بقوة فرعون وجبروته إنا لنحن الغالبون، فلما حميت حرارة الشمس اشتدت حركتها، وصارت كأنها حيات تدب من كل جانب، وسحروا أعين الناس واسترهبوهم، وجاؤوا بسحر عظيم، وجاء في سورة طه: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾﴾، وقد استفرغوا الوسع، وقاموا بما ظنوا أن فيه الكفاية، بل ما فوقها، وأن النصر قد كتب لهم ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ﴾ بالأمر الإلهي ﴿فَإِذَا هِيَ﴾؛ أي: عصاه ﴿تَلْقَفُ﴾؛ أي: تبتلع بسرعة. وقرأ حفص: ﴿تَلْقَفُ﴾ بالتخفيف، اهـ. «بيضاوي» ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾؛ أي: ما يقلبونه؛ أي: وحين ألقى موسى عصاه ابتلعت ما كانوا يقلبون ويغيرون صورته وحاله الأولى من الجمادية بتمويههم وتخييل الحبال والعصي أنها حيات تسعى، وجاء في آية أخرى: ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾﴾.

والمأخوذ عند بعض المحققين[2]: أنها التقفت صور الحيات من حبال السحرة وعصيهم، حتى بدت للناس حبالاً وعصياً كما هي في نفس الأمر، كما يبطل الخصم بالحق حجة خصمه، فيظهر بطلانها، لا نفس الحبال والعصي كما هو عند الجمهور، وإلا لدخل على السحرة الشبهة في عصا موسى، والتبس عليهم الأمر، فكانوا لم يؤمنوا، وكان الذي جاء به موسى حينئذ من قبيل ما

---

(١) المراغي. (٢) روح البيان.

جاءت به السحرة، إلا أنه أقوى منهم سحراً، ويدل على ما قلنا قوله تعالى: ﴿تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ ﴿تلقف ما صنعوا﴾، وما أفكوا الحبال وما صنعوا العصي بسحرهم، وإنما صنعوا وأفكوا في أعين الناظرين صور الحيات، وهي التي تلقفته عصا موسى، ذكره الإمام الشعراني في «الكبريت الأحمر».

﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ﴾ على وجوههم حالة كونهم ﴿سَٰجِدِينَ﴾ لله تعالى؛ أي: ألقوا إثر ما شاهدوا ذلك من غير تردد غير متمالكين، كأن ملقياً ألقاهم لعلمهم بأن مثل ذلك خارج عن حدود السحر، وأنه أمر إلهي قد ظهر على يده لتصديقه.

قال الزمخشري[1]: فإن قلت: فاعل الإلقاء ما هو لو صرّح به؟

قلت: هو الله عز وجل بما خولهم من التوفيق وإيمانهم، أو بما عاينوا من المعجزة الباهرة، انتهى.

وفي هذا[2]: دليل على أن التبحر في كل فن نافع، فإن السحرة ما تيقنوا بأن ما فعل موسى معجزهم إلا بمهارتهم في فن السحر، وعلى أن منتهى السحر تمويه وتزوير وتخييل شيء لا حقيقة له، وجه الدلالة أن حقيقة الشيء لو انقلبت إلى حقيقة شيء آخر بالسحر.. لما عدوا انقلاب العصا حية من قبيل المعجزة الخارجة عن حد السحر، ولما خروا ساجدين عند مشاهدته، وقد سبق تفصيل السحر في سورة طه.

قال بعضهم: السِّحر: مأخوذ من السَّحر، وهو ما بين الفجر الأول والفجر الثاني، وحقيقته اختلاط الضوء والظلمة، فما هو بليل لما خالطه من ضوء الصبح، ولا هو بنهار لعدم طلوع الشمس للأبصار، فكذلك ما فعله السحرة ما هو باطل محقق فيكون عدماً، فإن العين أدركت أمراً لا تشك فيه، وما هو حق محض فيكون له وجود في عينه، فإنه ليس هو في نفسه كما تشهد العين ويظنه الرائي. قال الشعراني بعدما نقله: هو كلام نفيس ما سمعنا مثله قط.

---

(١) الكشاف.

(٢) روح البيان.

والمعنى: أي فخروا سجداً لله؛ لأنهم قد علموا أن هذا الذي فعلوه هو منتهى التخييل السحري، فلما ابتلعت الحية ما زوروه أيقنوا أن هذا من قدرة فوق ما عرفوا، وما هو إلا من قوة آتية من السماء لتأييد موسى، وحينئذ خروا سجداً لله القوي القاهر فوق عباده.

وفي التعبير بالإلقاء إشارة إلى أنهم لم يتمالكوا أنفسهم من الدهش حتى كأنهم أخذوا فطرحوا، ثم فاهوا بما يجيش في صدورهم، وتنطوي عليه جوانحهم ﴿قَالُوٓا۟﴾؛ أي: السحرة، بدل اشتمال من ﴿فَأُلْقِىَ﴾، فلذلك لم يتخلل بينهما عاطف، أو[1] حال بإضمار قد ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الذي دعا إليه موسى أول ما تكلم مع فرعون، انظر كيف أصبحوا سحرة، وأمسوا شهداء مسلمين مؤمنين، فالمغرور من اعتمد على شيء من أعماله وأقواله وأحواله، وقوله: ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ بدل من[2] ﴿بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ لدفع توهم إرادة فرعون حيث كان قومه الجهلة يسمونه بذلك، ولو وقفوا على رب العالمين.. لقال فرعون: أنا رب العالمين؛ إياي عنوا، فزادوا ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾، فارتفع الإشكال، وفي هذا إيماء إلى عزل فرعون عن الربوبية، وأن سبب إيمانهم ما أجراه الله تعالى على يدي موسى وهارون من المعجزات، وأضافوه سبحانه إليهما؛ لأنهما القائمان بالدعوة في تلك الحال، وفيه تبكيت لفرعون بأنه ليس برب، وأن الرب في الحقيقة هو هذا.

وبعد أن حصحص الحق، ووضح الصبح لذي عينين.. لجأ فرعون إلى العناد والمكابرة، وشرع يهدد ويتوعد، ولكن ذلك لم يجد في السحرة شيئاً، ولم يزدهم إلا إيماناً وتسليماً إذ كان حجاب الكفرة قد انكشف، واستبان لهم نور الحق وعلمهم ما جهل قومهم، وأن القوة التي تؤيد موسى قوة غيبية، قد أيده الله بها وجعلها دليلاً على صدق ما يدعي.

فلما سمع فرعون ذلك منهم، ورأى سجودهم لله.. ﴿قَالَ﴾؛ أي: فرعون

---

(١) بيضاوي. (٢) روح البيان.

للسحرة ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾؛ أي: لموسى، وصدقتم به بصيغة الخبر، ويجوز تقدير همزة الاستفهام كما في الأعراف. وقرأ[1] حمزة والكسائي وأبو بكر وروح: ﴿أأمنتم﴾ بهمزتين أولاهما للاستفهام التقريري المضمن للتهديد ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾؛ أي[2]: بغير إذن لكم من جانبي، كما في قوله تعالى: ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾ لا أن إذن الإيمان ممكن أو متوقع، ثم قال مغالطاً للسحرة الذين آمنوا، وموهماً للناس أن فعل موسى سحر من جنس ذلك السحر ﴿إِنَّهُۥ﴾؛ أي: إن موسى ﴿لَكَبِيرُكُمُ﴾؛ أي: لعالمكم وأستاذكم ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ فعلمكم شيئاً دون شيء، ولذلك غلبكم أو فوادعكم على ما فعلتم وتواطأتم عليه قبل أن تخرجوا إلى هذا الموضع، كما قال في الأعراف: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ أراد بذلك التلبيس على قومه كيلا يعتقدوا أنهم آمنوا على بصيرة وظهور حق. وإنما[3] اعترف له بكونه كبيرهم مع كونه لا يحب الاعتراف بشيء يرتفع به شأن موسى؛ لأنه قد علم كل من حضر أن ما جاء به موسى أبهر مما جاء به السحرة، فأراد أن يشكك على الناس بأن هذا الذي شاهدتم وإن كان قد فاق على ما فعله هؤلاء السحرة.. فهو فعل كبيرهم ومن هو أستاذهم الذي أخذوا عنه هذه الصناعة، فلا تظنوا أنه فعل لا يقدر عليه البشر، وأنه من فعل الرب الذي يدعو إليه موسى، ثم توعد أولئك السحرة الذين آمنوا بالله لما قهرتهم حجة الله، فقال: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾؛ أي: وبال ما فعلتم، واللام[4] للتأكيد، لا للقسم، ولا للحال، فلذلك اجتمعت بحرف الاستقبال أجمل ما أوعدهم أولاً للتهويل، ثم فصله، فقال: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾؛ أي: أقسمت لكم بقهري وسلطاني لأقطعن منكم أكفكم وأقدامكم حالة كونها من خلاف؛ أي: متخالفات من كل شق طرفاً، وهو أن يقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى، وذلك زمانة من جانبي البدن، كما في «كشف الأسرار». وهو أول من قطع من خلاف وصلب كما في «فتح الرحمن».

---

(١) البيضاوي.

(٢) روح البيان.

(٣) الشوكاني.

(٤) روح البيان.

وصيغة التفعيل وهو التقطيع لكثرة الأيدي والأرجل، كما تقول: فتحت الباب، وفتحت الأبواب. وقال بعضهم: من للتعليل؛ أي: من أجل[1] خلاف ظهر منكم، وذلك[2] لأن القطع المذكور لكونه تخفيفاً للعقوبة، واحترازاً عن تفويت منفعة البطش على الجاني لا يناسب حال فرعون ولما هو بصدده، إلا أن يحمل على حمقه حيث أوعد لهم في موضع التغليظ بما وضع للتخفيف، انتهى. وذلك وهم محض؛ لأنه يدفعه قوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾ على شاطىء البحر كلكم ﴿أَجْمَعِينَ﴾ قال في «الكشف»؛ أي: أجمع عليكم التقطيع والصلب، روي أنه علقهم على جذوع النخل حتى ماتوا، ولكن ليس في الآية ما يدل على أن فرعون فعل ذلك أو لم يفعل، وفي الأعراف ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾ فأوقع المهلة؛ ليكون هذا التصليب بعذابهم أشد. ويجمع بين ما في الموضعين بجعل ﴿الواو﴾ هنا بمعنى ثم؛ لأن المهلة أغلظ في التعذيب.

وحاصل معنى الآية: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾؛ أي[3]: قال لهم فرعون: أتؤمنون به قبل أن تستأذنوني، وقد كان ينبغي أن تفعلوا ذلك، وأن لا تفتاتوا علي، فإني أنا الحاكم المطاع، ثم التمس لايمانهم عذراً آخر غير انبلاج الحق؛ ليعمي على العامة، ويصرفهم عن وجه الحق، فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾، فأنتم فعلتم ذلك عن مواطأة بينكم وبينه، ولا شك أن هذا تضليل لقومه، ومكابرة ظاهرة البطلان، فإنهم لم يجتمعوا بموسى قبل ذلك اليوم، فكيف يكون هو كبيرهم الذي أفادهم صناعة السحر، ثم توعدهم، فقال: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وبال ما فعلتم، وسوء عاقبة ما اجترحتم، ثم بين ذلك بقوله: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم﴾ الخ؛ أي: لأقطعن اليد اليمنى من كل منكم، والرجل اليسرى، ثم لأصلبنكم أجمعين بعد ذلك.

فأجابوه غير مكترثين بقوله، ولا عابئين بتهديده بأمرين كل منهما دليل على

---

(١) النسفي.

(٢) روح البيان.

(٣) المراغي.

اطمئنان النفس وبرد اليقين:

١. ﴿قَالُوا﴾؛ أي: السحرة المؤمنون ﴿لَا ضَيْرَ﴾؛ أي: لا ضرر علينا في تنفيذ وعيدك، ولا نبالي به؛ لأن كل حي لا محالة ميت:

وَمَنْ لَمْ يَمُتْ بِٱلسَّيْفِ مَاتَ بِغَيْرِهِ   تَعَدَّدَتِ ٱلأَسْبَابُ وَٱلْمَوْتُ وَاحِدُ

ونحو ذلك قول علي ـ كرم الله وجهه ـ: لا أبالي أوقعت على الموت، أم وقع الموت عليّ ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾؛ أي: راجعون فيثيبنا بالصبر على ما فعلت، ويجازينا على الثبات على التوحيد، وفي الآية دلالة على أن للإنسان أن يظهر الحق وإن خاف القتل.

والمعنى: أي[1] لا ضرر علينا فيما يلحقنا من عذاب الدنيا، فإن ذلك يزول ويذهب، وننقلب بعده إلى ربنا فيعطينا من النعيم الدائم ما لا يحد ولا يوصف، قال الهروي: لا ضير، ولا ضرر، ولا ضرّ بمعنى واحد، وأنشد أبو عبيدة:

فَإِنَّكَ لاَ يَضُرُّكَ بَعْدَ حَوْلٍ   أَظَبْيٌ كَانَ أُمَّكَ أَمْ حِمَارُ

قال الجوهري: ضاره يضوره ويضيره ضيراً وضوراً؛ أي: ضره، قال الكسائي: سمعت بعضهم يقول: لا ينفعني ذلك ولا يضورني.

٢. ﴿إِنَّا نَطْمَعُ﴾ ونرجوا ﴿أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ﴾ السالفة من الشرك وغيره، ثم عللوا هذا بقولهم: ﴿أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بفتح همزة ﴿أَن﴾، والجملة في المعنى تعليل ثان لنفي الضير، أو تعليل للعلة المتقدمة كما في «البيضاوي»؛ أي: لأن كنا أول المؤمنين بموسى من أتباع فرعون، أو من أهل المشهد بعد ظهور الآية. وقال الفراء: أول مؤمني زمانهم. وأنكره الزجاج وقال: قد روي أنه آمن معهم ست مئة ألف وسبعون ألفاً؛ وهم الشرذمة القليلون الذين عناهم فرعون بقوله: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾﴾، وأجاز الفراء والكسائي كسر همزة إن على أن يكون مجازاة، والمعنى؛ أي: ولأنا نأمل أن يغفر لنا ربنا ما فعلنا من

---

(١) الشوكاني.

السحر، واعتقدناه من الكفر من أجل أن كنا أول من آمن من الجماعة الذين شهدوا هذا الموقف انقياداً للحق، وإعراضاً عن زخرف الدنيا وزينتها.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿أن كنا﴾ بفتح الهمزة، وفيه الجزم بإيمانهم، وقرأ أبان بن تغلب وأبو معاذ ﴿إن كنا﴾ ـ بكسر الهمزة ـ قال صاحب «اللوامح»: على الشرط، وجاز حذف الفاء من الجواب؛ لأنه متقدم، وتقديره: إن كنا أول المؤمنين فإنا نطمع، وحسن الشرط لأنهم لم يتحققوا مآلهم عند الله تعالى من قبول الإيمان. انتهى وهذا التخريج على مذهب الكوفيين وأبي زيد والمبرد حيث يجيزون تقديم جواب الشرط عليه، ومذهب جمهور البصريين أن ذلك لا يجوز، وجواب مثل هذا الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه. وقال البيضاوي[2]: وقرىء ﴿إن كنا﴾: على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة، أو على طريقة المدل بأمره: إن أحسنت إليك فلا تنس حقي اهـ.

تنبيه: قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾﴾ قاله هنا بحذف[3] لام التأكيد، وفي الزخرف قاله بإثباتها ﴿لَمُنقَلِبُونَ﴾ فإن قلت: فما الفرق بين الموضعين؟

قلت: لأن ما هنا كلام السحرة حين آمنوا، ولا عموم فيه، فناسب عدم التأكيد، وما في الزخرف عام لمن ركب سفينة أو دابة فناسبه التأكيد.

قال ابن عطاء[4]: من اتصلت مشاهدته بالحقيقة احتمل معها كل وارد عليه من محبوب أو مكروه، ألا ترى أن السحرة لما صحت مشاهدتهم كيف قالوا: ﴿لَا ضَيْرَ﴾.

وكان جعفر ابن عم النبي ﷺ آخذ اللواء في بعض الغزوات بيمينه فقطعت، فأخذه بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضده حتى قتل، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة،

---

(١) البحر المحيط.
(٢) البيضاوي.
(٣) فتح الرحمن.
(٤) روح البيان.

فأثابه الله تعالى بذلك جناحين في الجنة، يطير بهما حيث شاء، ولذلك قيل له: جعفر الطيار، وهكذا شأن من هو صادق في دعواه فليخفف ألم البلاء عنك علمك بأن الله تعالى هو المبتلي، لكن هذا العلم إذا لم يكن من مرتبة المشاهدات لا يحصل التخفيف التام، فحال السحرة كانت حال الشهود والجذبة، وكان حال عمر ـ رضي الله عنه ـ حين الإيمان كحال السحرة، وبالجملة أن الإيمان وسيلة الإحسان، فمن سعى في إصلاح حاله في باب الأعمال أوصله الله تعالى إلى ما أوصل إليه أرباب الأحوال، كما قال عليه السلام: «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم».

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ﴾ بعد ثلاثين سنة ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ أي: بمن آمن معك من بني إسرائيل، والإيحاء: إعلام في خفاء، ويقال: سرى يسري سُرىً إذا سار ليلاً، كما سيأتي في مبحث التصريف، وسماهم عباده؛ لأنهم آمنوا بموسى وبما جاء به، والمعنى[1]: وقلنا لموسى بطريق الوحي: يا موسى اذهب ببني إسرائيل بالليل، وسر بهم حتى تنتهي إلى بحر القلزم، فيأتيك هناك أمري فتعمل به، وذلك بعد سنين أقام بين أظهرهم يدعوهم إلى الحق، ويظهر لهم الآيات، فلم يزيدوا إلا عتواً وفساداً وعلم الانتهاء إلى البحر من الوحي؛ إذ من البعيد أن يؤمر بالمسير ليلاً وهو لا يعرف جهة الطريق، ومن قول جبريل حين خرجوا من مصر: موعد ما بيني وبينك يا موسى البحر؛ أي: شط بحر القلزم. تقدم[2] الخلاف في ﴿أَسْرِ﴾، وأنه قرىء بوصل الهمزة، وبقطعها في سورة هود، وقرأ اليماني: ﴿أن سر﴾ أمر من سار يسير. وجملة قوله: ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾؛ أي: يتبعكم فرعون وجنوده تعليل للأمر بالإسراء؛ أي: أسر بهم حتى إذا اتبعوكم مصبحين كان لكم تقدم عليهم بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم إلى البحر، بل يكونون على أثركم حين تدخلون البحر، فيدخلون مداخلكم، فأطبقه عليهم فأغرقهم.

---

(١) روح البيان.
(٢) البحر المحيط.

ثم[1] إن قوم موسى قالوا لقوم فرعون: إن لنا في هذه الليلة عيداً، ثم استعاروا منهم حليهم وحللهم بهذا السبب، ثم خرجوا بتلك الأموال في الليل إلى جانب البحر. قال القرطبي: فخرج موسى عليه السلام ببني إسرائيل سَحراً، فترك الطريق إلى الشام على يساره، وتوجه نحو البحر، فكان الرجل من بني إسرائيل يقول له في ترك الطريق، فيقول: هكذا أمرت، فلما أصبح فرعون، وعلم بسري موسى ببني إسرائيل خرج في أثرهم، وبعث إلى مدائن مصر لتلحقه العساكر، وقوى نفسه ونفس أصحابه بأن وصف قوم موسى بوصفين من أوصاف الذم، ووصف قوم نفسه بصفة المدح، وذلك قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ﴾ حين أخبر بمسيرهم في الليل ﴿فِى ٱلْمَدَآئِنِ﴾؛ أي: في مدائن مصر وبلدانها ﴿حَـٰشِرِينَ﴾؛ أي: شرطاً جامعين للعساكر ليتبعوهم. قيل: كان له ألف مدينة واثنا عشر ألف قرية، وقال لهم حين جمع عساكر المدائن ﴿إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾؛ أي: بني إسرائيل ﴿لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾؛ أي: لطائفة قليلة، وكانوا ست مئة ألف مقاتل، ليس فيهم من دون عشرين سنة، ولا من يبلغ ستين سوى الحشم، وفرعون يقللهم؛ إذ روي أنه أرسل في أثرهم ألف ألف ملك وخمسة آلاف ملك إلخ. وخمس مئة ألف ملك مسور، ومع كل ملك ألف، وخرج فرعون في جمع عظيم، وكانت مقدمته سبع مئة ألف رجل على حصان وعلى رأسه بيضة.

وعن ابن عباس: خرج فرعون في ألف ألف حصان سوى الإناث. وروي أن فرعون خرج على حصان أدهم، وفي عسكره على لون فرسه ثلاث مئة ألف، والشرذمة الطائفة القليلة. وقال: قليلون دون قليلة باعتبار أنهم أسباط، كل سبط منهم سبط قليل ﴿وَإِنَّهُمْ﴾؛ أي: وإن بني إسرائيل ﴿لَنَا لَغَآئِظُونَ﴾؛ أي: لفاعلون ما يغيظنا ويغضبنا بمخالفتهم ديننا، وذهابهم بأموالنا التي استعاروها أن لهم عيداً في هذه الليلة، وخروجهم من أرضنا بغير إذن منا، وهم منخرطون في سلك عبادنا ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَـٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾؛ أي: لجماعة متيقظون غير مغفلين، يستعملون الحزم والاحتياط في الأمور.

---

(١) المراح.

يريد أن بني إسرائيل لقلتهم وحقارتهم لا يبالي بهم، ولا يتوقع علوهم وغلبتهم، ولكنهم يفعلون أفعالاً تغيظنا وتضيق بها صدورنا، ونحن جمع وقوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الأمور، فإذا خرج علينا خارج سارعنا إلى إطفاء ثائرة فساده، قاله فرعون لأهل المدائن؛ لئلا يظن به أنه خاف من بني إسرائيل.

وقيل: معنى ﴿حَاذِرُونَ﴾؛ أي: خائفون من شرهم. وقيل: ذووا قوة وأداة، شاكون السلاح؛ أي: متسلحون.

وقرأ الكوفيون وابن ذكوان وزيد بن علي ﴿حَاذِرُونَ﴾ بالألف بعد الحاء؛ أي: شاكون السلاح، وقرأ باقي السبعة ﴿حذرون﴾ بغير ألف؛ أي: متيقظون. وقال الزجاج: مؤدون؛ أي: متسلحون، وقرأ سميط بن عجلان وابن أبي عمار وابن السميقع: ﴿حادرون﴾ بالدال المهملة؛ أي: أقوياء أشداء.

فصل في بيان كيفية خروجهم من مصر

وقد جاء في سفر الخروج من التوراة في الإصحاح الحادي عشر: إن الرب أمر أن يطلب كل رجل من صاحبه، وكل امرأة من صاحبتها أمتعة ذهب وأمتعة فضة، وأن الله سبحانه سيميت كل بِكْرٍ في أرض مصر من الإنسان والحيوان، وأمرهم أن يذبح أهل كل بيت شاة في اليوم الرابع عشر من شهر الخروج، وأن يلطخوا القائمتين والعتبة العليا من الدار بالدم، وأن يأكلوا اللحم تلك الليلة مشوياً بالنار مع فطير، وأمرهم أن يأكلوا بعجلة، ويأكلوا الرأس مع الأكارع والجوف، وهذا هو فصح الرب، وهذا الدم علامة على بيوت بني إسرائيل حتى يحفظ كل بكر معهم، ويتخطاهم إلى أبكار المصريين، ويكون أكل الفطير سبعة أيام، ويكون هذا فريضة أبدية تذكاراً بالخروج من مصر من يوم (١٤) من شهر أبيب إلى (٢١) من هذا الشهر كل سنة، وهكذا أمر موسى قومه بذلك، ففعلوا كل هذا، ونجا أولادهم، وصار ذلك سنة أبدية، ولما مات الأبكار من الإنسان والحيوان في جميع بلاد مصر في نصف الليل اشتغل الناس بالأموات، وأخذ بنوا

إسرائيل غنمهم وبقرهم وعجينهم قبل أن يختمر، ومعاجنهم مصرورة في ثيابهم على أكتافهم، وفعللوا ما أمرهم به الرب، فارتحلوا من رَعْمَسِيس إلى سكوت، وكانوا ست مئة ألف ماشٍ من الرجال ما عدا الأولاد، وخبزوا العجين الذي أخرجوه من مصر خبز ملة، فطيراً، اهـ.

وكانت[1] إقامة بني إسرائيل في مصر (٤٣٠) سنة، وليلة الخروج هي عيد الفصح عندهم إلى الأبد، فلما أسرى بهم موسى، وأخبر فرعون بما صنعوا أرسل في مدائن مصر رجالاً من حرسه ليجمعوا الجند، فيتبعوهم ويردوهم إلى مصر، ويعذبوهم أشد التعذيب على ما فعلوا، ثم قوى فرعون جنده في اقتفاء آثارهم بأمور:

١. ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ۝٥٤﴾ فيسهل اقتفاؤهم وإرجاعهم، وكبح جماحهم في الزمن الوجيز.

٢. ﴿وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ ۝٥٥﴾؛ أي: وإنهم بين آونة وأخرى يصدر منهم ما يخل بالأمن، فيحدثون الشغب والاضطراب في البلاد، إلى أنهم ذهبوا بأموالنا التي استعاروها.

٣. ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ۝٥٦﴾؛ أي: وإن لنا أن نحذر عاقبة أمرهم قبل أن يستفحل خطبهم، ويصعب رأب صدعهم، ونحن قوم من دأبنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الأمور.

وخلاصة مقاله: أنّ هؤلاء عدد لا يعبأ به، وأن في مقدورنا أن نبيدهم بأهون الوسائل، ولا خوف منهم إذا نحن اتبعنا آثارهم، ورددناهم على أعقابهم خاسئين، حتى لا يعودوا كرة أخرى إلى الإخلال بالأمن والهرج والمرج والاضطراب في البلاد، وهذا ما يقتضيه الحزم واليقظة في الأمور.

والذي نقول به ونجزم: أن بني إسرائيل كانوا أقل من جند فرعون، لكنا لا

---

(١) المراغي.

نجزم بعدد معين، وما في كتب التاريخ والتوراة مبالغات يصعب تصديقها كما ذكرنا، ولا ينبغي التعويل عليها، فخير لنا أن لا نشغل أنفسنا باستقصاء تفاصيلها، وقد فند ابن خلدون في مقدمة تاريخه هذه الروايات، وأبان ما فيها من مغالاة لا يقبلها العقل، ولا تثبت أمام البحث العلمي الصحيح.

وقد جازى الله فرعون وجنوده بما أرادوا أن يجازوا به بني إسرائيل، فأهلكوا جميعاً، كما قال سبحانه: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم﴾؛ أي:[1] فأخرجنا فرعون وقومه بأن خلقنا فيهم داعية الخروج بهذا السبب، فحملتهم عليه، يعني أنهم وإن خرجوا باختيارهم إلا أنه أسند الإخراج إليه تعالى من حيث الخلق المذكور ﴿مِّن جَنَّٰتٍ﴾؛ أي: من بساتين كانت ممتدة على حافتي النيل من أسوان إلى رشيد ﴿وَعُيُونٍ﴾ وأنهار جارية من الماء ﴿وَكُنُوزٍ﴾؛ أي: وأموال ظاهرة من الذهب والفضة ونحوهما. سمّاها كنزاً؛ لأن ما لا يؤدي منه حق الله تعالى فهو كنز، وإن كان ظاهراً على وجه الأرض، وما أدي منه فليس بكنز، وإن كان تحت سبع أرضين، والكنز: المال المجموع المحفوظ.

فائدة: والفرق بين الكنز والركاز والمعدن أن الركاز: المال المركوز؛ أي: المدفون في الأرض مخلوقاً كان أو موضوعاً. والمعدن: ما كان مخلوقاً. والكنز: ما كان موضوعاً. قال في «خريدة العجائب»: وفي أرض مصر كنوز كثيرة، ويقال: إن غالب أرضها ذهب مدفون حتى قيل: إنه ما فيها موضع إلا وهو مشغول من الدفائن.

﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾؛ أي: مجلس حسن. قيل[2]: أراد مجالس الأمراء والرؤساء التي كانت لهم. قيل: إنه إذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلاث مئة كرسي من ذهب، يجلس عليها الأشراف من قومه والأمراء، وعليهم أقبية الديباج مخوصة بالذهب. وقيل: أراد به المنازل الحسنة، وهذا أظهر، ومن ذلك قول الشاعر:

وَفِيهِمْ مَقَامَاتٌ حِسَانٌ وُجُوهُهَا ... وَأَنْدِيَةٌ يَنْتَابُهَا ٱلْقَوْلُ وَٱلْفِعْلُ

---

(١) روح البيان.

(٢) الخازن.

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ إما[1] مصدر تشبيهي لـ﴿أخرجنا﴾؛ أي: أخرجناهم مثل ذلك الإخراج الذي وصفناه، فهو في محل نصب، أو في محل جر صفة لـ﴿مقام﴾؛ أي: مقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم، أو في محل رفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: إخراجنا كذلك؛ أي: كما وصفنا فيهم، أو الأمر كذلك، وقوله: ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ معطوف على ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم﴾؛ أي: ملكنا تلك الجنات والعيون والكنوز والمقام الكريم بني إسرائيل على طريقة تمليك مال المورث للوارث، كأنهم ملكوها من حين خروج أربابها منها قبل أن يقبضوها ويتسلموها. والمعنى: جعلناهم متملكين لتلك النعيم بعد هلاك فرعون وقومه. وقيل: المعنى؛ أي: وملكنا بني إسرائيل جنات وعيوناً مماثلة لها في أرض الميعاد التي ساروا إليها، وفي هذا بيان أن حالهم تحول من الاستعباد والرق إلى الشرف والنعيم والعيون والمقام الكريم.

والمعنى: أي[2] فأخرجناهم من النعيم إلى الجحيم، وتركوا المنازل العالية، والبساتين والأنهار والأموال والملك والجاه العظيم الذي لم يسمع بمثله، وأورثنا تلك الجنات والعيون والكنوز والمقام الكريم بني إسرائيل ﴿فَأَتْبَعُوهُم﴾؛ أي: لحق فرعون وقومه موسى وأصحابه حالة كون فرعون وقومه ﴿مُّشْرِقِينَ﴾؛ أي: داخلين في وقت شروق الشمس وطلوعها، أو حالة كون موسى وأصحابه داخلين في الشروق، فهو حال إما من الفاعل، أو من المفعول، أو منهما جميعاً؛ لأن الدخول المذكور قائم بهم جميعاً، والمعنى: فجعلوا أنفسهم تابعة لبني إسرائيل وقت شروق الشمس وطلوعها.

وقرأ الجمهور: ﴿فَأَتْبَعُوهُم﴾ بقطع الهمزة؛ أي: جعلوا أنفسهم تابعة. وقرأ الحسن والحارث الديناري بوصلها وتشديد التاء؛ أي: لحقوهم.

والخلاصة: أي فخرجوا من مصر في حفل عظيم وجمع كثير من أولي الحل والعقد من الأمراء والوزراء والرؤساء والجند، فوصلوا إليهم حين شروق

---

(١) مراح.

(٢) المراغي.

الشمس.

ثم ذكر ما عَرَا بني إسرائيل من الخوف حين رؤيتهم فرعون وقومه، فقال: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾؛ أي: فلما رأى كل من الفريقين صاحبه. وقرأ الجمهور: ﴿تَرَٰٓءَا﴾ بتخفيف الهمزة مثل تراعى، وقرأ ابن وثاب والأعمش: ﴿تراي الجمعان﴾ بغير همز على مذهب التخفيف، وقرأ حمزة: ﴿ترِيءِ﴾ بكسر الراء وبمد ثم همز، وروى مثله عن عاصم، وقرىء: ﴿تراءت الفئتان﴾، والصواب قراءة الجمهور؛ لأنه من باب تفاعل؛ أي: فلما رأى أحد الفريقين الآخر ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾؛ أي: ملحقون، قالوا ذلك حين رأوا العدو القوي وراءهم والبحر أمامهم، وساءت ظنونهم؛ أي: إنا لملحقون من ورائنا، ولا طاقة لنا بقوم فرعون، وهذا البحر أمامنا، لا منفذ لنا فيه. قرأ الجمهور[1]: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ بإسكان الدال اسم مفعول من أدرك، ومنه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ﴾، وقرأ الأعرج وعبيد بن عمير بفتح الدال مشددة وكسر الراء على وزن مفتعلون، وهو لازم بمعنى الفناء، والاضمحلال، يقال منه: أدرك الشيء بنفسه إذا فني تتابعاً، ولذلك كسرت الراء على هذه القراءة. وقال الزمخشري: إن معنى هذه القراءة: إنا لمتتابعون في الهلاك على أيديهم حتى لا يبقى منا أحد، وقال الفراء: معناهما؛ أي: معنى القراءتين واحد.

والخلاصة: أنا لمتابعون، وسنهلك على أيديهم، حتى لا يبقى منا أحد؛ لأنا قد انتهى بنا المسير إلى سيف البحر ـ ساحله ـ، وقد أدركنا فرعون وجنوده، فأجابهم موسى وطمأنهم وقوى نفوسهم حيث ﴿قَالَ﴾ موسى عليه السلام ﴿كَلَّآ﴾؛ أي: ارتدعوا وانزجروا عن ذلك المقال، فإنهم لا يدركونكم فإن الله تعالى وعدكم الخلاص منهم ﴿إِنَّ مَعِىَ رَبِّى﴾ بالحفظ والنصر والرعاية والعناية ﴿سَيَهْدِينِ﴾؛ أي: سيدلني إلى طريق النجاة منهم البتة.

أي: قال موسى لهم: إنه لن يصلكم شيء مما تحذرون، فإن الله هو الذي

(١) البحر المحيط.

أمرني أن أسير بكم إلى هنا، وهو تعالى لا يخلف وعده، فهو سيهدين إلى طريق النجاة والخلاص وسينصرني عليهم ويتكفل بمعونتي.

روي[1]: أن رجلاً مؤمناً من آل فرعون يكتم إيمانه كان بين يدي موسى عليه السلام، فقال: يا كليم الله أين أمرت؟ قال ههنا، فحرك فرسه بلجامه حتى طار الزبد من شدقه، ثم أقحمه البحر، فارتسب في الماء، وذهب القوم يصنعون مثل ذلك، فلم يقدروا، فأوحى الله إليه بضرب البحر بعصاه، فإذا الرجل واقف على فرسه، ولم يبتل سرجه، ولا لبده، وذلك قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ﴾؛ أي: قلنا له يا موسى اضرب بعصاك البحر. فـ﴿أَنِ﴾ مفسرة بمعنى أي، و﴿ٱلْبَحْرَ﴾[2]: هو بحر القلزم؛ وهو طرف من بحر فارس، والقُلْزُم ـ بضم القاف وسكون اللام وضم الزاي ـ: بليدة كانت على ساحل البحر من جهة مصر، بينها وبين مصر نحو ثلاثة أيام، وقد خربت، ويعرف موضعها اليوم بالسويس تجاه عجرود، منزل ينزله الحاج المتوجه من مصر إلى مكة، وبالقرب منها غرق فرعون، وبحر القلزم بحر مظلم وحش، لا خير فيه ظاهراً وباطناً، وعلى ساحل هذا البحر مدينة مدين؛ وهي خراب، وبها البئر التي سقى موسى عليه السلام منها غنم شعيب، وهي معطلة الآن.

و﴿الفاء﴾: في قوله: ﴿فَٱنفَلَقَ﴾ عاطفة على محذوف تقديره: فضربه موسى فانفلق ماء البحر؛ أي: انشق فصار اثني عشر فرقاً بعدد الأسباط بينهن مسالك ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ﴾؛ أي: كل جزء تفرق منه وتقطع ﴿كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾؛ أي: كالجبل المرتفع في السماء الثابت في مقره، فدخلوا في شعاب تلك الفرق، كل سبط في شعب منها، فقال كل سبط: قتل أصحابنا، فعند ذلك دعا موسى ربه، فجعل في تلك الجدران المائية مناظرة كالكوى حتى نظر بعضهم إلى بعض على أرض يابسة.

قال الراغب: الطود: الجبل العظيم، ووصفه بالعظم؛ لكونه فيما بين

---

(١) المراح. (٢) روح البيان.

الأطواد عظيماً، لا لكونه عظيماً فيما بين سائر الجبال. وحكى[1] يعقوب عن بعض القراءة أنه قرأ: ﴿كل فلق﴾ باللام عوض الراء.

قيل: لما انتهى موسى ومن معه إلى البحر هاجت الرياح، فصار البحر يرمي بموج كالجبال، قال يوشع: يا كليم الله أين أمرت فقد غشينا فرعون من خلفنا، والبحر أمامنا؟ قال موسى: ههنا، فخاض يوشع الماء لا يواري حافر دابته، وقال الذي يكتم إيمانه من آل فرعون: يا كليم الله أين أمرت؟ قال: ههنا، فكبح فرسه، فصكه بلجامه حتى طار الزبد من شدقه، ثم أقحمه البحر فارتسب في الماء إلى آخر ما تقدم آنفاً. قيل: دخلوا البحر بالطول وخرجوا في الصفة التي دخلوا منها بعد مسافة، وكان بين موضع الدخول وموضع الخروج أوعار وجبال لا تسلك.

﴿وَأَزْلَفْنَا﴾؛ أي: قربنا ﴿ثَمَّ﴾؛ أي: هناك؛ أي: في موضع انفلاق البحر ﴿ٱلْآخَرِينَ﴾؛ أي: فرعون وقومه حتى دخلوا عقب قوم موسى مداخلهم. وعن[2] عطاء بن السائب أن جبريل عليه السلام كان بين بني إسرائيل وبين قوم فرعون، يقول لبني إسرائيل: ليلحق آخركم بأولكم، ويقول للقبط: رويدكم ليلحق آخركم أولكم، فكان بنو إسرائيل يقولون: ما رأينا أحسن سياقة من هذا الرجل، وكان قوم فرعون يقولون: ما رأينا أحسن دعة من هذا الرجل.

وقيل المعنى: وقربناهم إلى الموت؛ لأنهم قربوا من أجلهم في ذلك الوقت. وقيل: المعنى: وحبسنا فرعون وقومه في الضبابة عند طلبهم موسى بأن أظلمنا عليهم الدنيا بسحابة وقفت عليهم، فوقفوا حيارى.

وقرأ الحسن وأبو حيوة[3]: ﴿وزلفنا﴾: بلا ألف ثلاثياً، وقرأ أبي وابن عباس وعبد الله بن الحارث: ﴿وأزلقنا﴾ بالقاف بدل الفاء؛ أي: أزللنا وأهلكنا من قولهم: أزلقت الفرس إذا ألقت ولدها.

---

(١) البحر المحيط.

(٢) الخازن.

(٣) البحر المحيط.

والمعنى: أي[1] وأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر، فضرب فانفلق، فكان كل قطعة من الماء كالجبل العالي، وصار فيه اثنا عشر طريقاً، لكل سبط منهم طريق، وصار فيه طاقات ينظر منها بعضهم إلى بعض، وبعث الله الريح إلى قعر البحر فلفحته، فصار يبساً كوجه الأرض، كما قال في آية أخرى: ﴿فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ﴾. ﴿وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٤﴾﴾؛ أي: وقربنا فرعون وجنوده من البحر، وأدنيناهم منه.

وقوله: ﴿وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ﴿٦٥﴾﴾ قبله محذوف تقديره: ودخل موسى وبنو إسرائيل البحر، وأنجيناهم ومن اتبعهم على دينهم كلهم أجمعين، فلم يهلك منهم أحد؛ أي: أنجيناهم من الغرق بحفظ البحر على تلك الهيئة إلى أن عبروا إلى البر ﴿ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٦﴾﴾؛ أي: فرعون وقومه بإطباق البحر عليهم، ولم نبق منهم أحداً.

والخلاصة: أنه لما خرج أصحاب موسى، وتتام أصحاب فرعون.. انطبق عليهم البحر، فأغرقهم جميعاً.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾؛ أي: إن في جميع ما فصل من قصة موسى وفرعون خصوصاً في الإنجاء والغرق ﴿لَأٓيَةٗۖ﴾؛ أي: لعبرة عظيمة للمعتبرين، وسطوة باهرة من أدل العلامات على قدرة الله سبحانه، وعظيم سلطانه؛ أي: إن في الذي حدث في البحر لعبرة دالة على قدرته تعالى، وعلى صدق موسى عليه السلام من حيث كونه معجزة له، وتحذيراً من الإقدام على مخالفة أمر الله، وأمر رسوله ﷺ، ثم بين أنهم لم تجدهم الآيات والنذر شيئاً، فقال: ﴿وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم﴾؛ أي: أكثر المصريين وهم قوم فرعون؛ أي: ما كان أكثر هؤلاء الذين مع فرعون ﴿مُّؤۡمِنِينَ﴾ فإنه لم يؤمن منهم فيما بعد إلا القليل كحزقيل وابنته وآسية امرأة فرعون والعجوز التي دلت على قبر يوسف عليه السلام حين الخروج من مصر، واسمها مريم بنت ناموشا، وليس المراد أكثر من كان مع فرعون عند لحاقه بموسى، فإنهم هلكوا

---

(١) المراغي.

في البحر جميعاً، بل المراد من كان معه من الأصل، ومن كان متابعاً له ومنتسباً إليه، هذا غاية ما يمكن أن يقال. وقال سيبويه: إن ﴿كَانَ﴾ زائدة، وإن المراد الإخبار عن المشركين بعدما سمعوا الموعظة.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾؛ أي: الغالب المنتقم من أعدائه كفرعون وقومه ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بأوليائه كموسى وبني إسرائيل. قال بعضهم: هذا التأويل هو الذي يقتضيه ظاهر السياق، فإن قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ...﴾ الخ. ذكر في هذه السورة في ثمانية مواضع: أولها في ذكر النبي عليه السلام وقومه كما سبق، وذكر النبي عليه السلام وإن لم يتقدم صريحاً فقد تقدم كناية. والثاني في قصة موسى، ثم إبراهيم، ثم نوح، ثم هود، ثم صالح، ثم لوط، ثم شعيب، عليهم الصلاة والسلام، فتعقيب القول المذكور بكل قصة من هذه القصص يدل على أن المراد بالأكثر هو من لم يؤمن من قوم كل نبي من الأنبياء المذكورين، وقد ثبت في غير هذه المواضع أيضاً أن أكثر الناس من كل أمة هم الكافرون، فكون كل قصة آية وعبرة إنما يعتبر بالنسبة إلى من شاهد الواقعة، ومن جاء بعدهم إلى قيام الساعة، فيدخل فيهم قريش؛ لأنهم سمعوا قصة موسى وفرعون مثلاً من لسان النبي ﷺ، فكانت آية لهم مع أن بيانها من غير أن يسمعها من أحد آية أخرى موجبة للإيمان، حيث دل على أنه ما كان إلا بطريق الوحي الصادق.

وقد رجّح بعضهم رجوع ضمير ﴿أَكْثَرُهُم﴾ إلى قومه ﷺ، فيكون المعنى أن في ذلك المذكور لآية لأهل الاعتبار، كما في المذكور في أول السورة آية أيضاً، وما كان أكثر هؤلاء الذين يسمعون قصة موسى وفرعون ـ وهم أهل مكة ـ مؤمنين لعدم تدبرهم واعتبارهم، فليحذروا عن أن يصيبهم مثل ما أصاب آل فرعون، وإن ربك لهو العزيز الغالب على ما أراد من انتقام المكذبين، الرحيم البالغ في الرحمة، ولذلك يمهلهم ولا يعجل عقوبتهم بعدم إيمانهم بعد مشاهدة هذه الآيات العظيمة بطريق الوحي مع كمال استحقاقهم لذلك.

وفي الآية[1]: تسلية لرسول الله ﷺ؛ لأنه كان يغتم قلبه المنير بتكذيب قومه

---

(١) روح البيان.

مع ظهور المعجزات على يديه، فنبهه بذكر أمثال هذه القصص على أنه له أسوة بموسى وسائر الأنبياء عليهم السلام، فإن ما ظهر على يد موسى من المعجزات التي تبهر العقول لم يمنع من تكذيب القبط له، وكفرهم به مع ما شاهدوه في البحر وغيره، وتكذيب بني إسرائيل، فإنهم بعد أن نجوا عبدوا العجل، وقالوا: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة؛ ليقتدي بهم في الصبر على عناد قومه، وفي انتظار الفرج والنصر، كما قيل: اصبروا تظفروا كما ظفروا. وفي قوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٩﴾ بشارة عظيمة لنبينا ﷺ بأن النصر سيكتب له، والظفر سيكون حليفه، كما قال: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾.

فائدة: وأخرج[١] الفريابي بسنده عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ قال: «إن موسى لما أراد أن يسير ببني إسرائيل أضل الطريق، فقال لبني إسرائيل: ما هذا؟ فقال له علماء بني إسرائيل: إن يوسف لما حضره الموت أخذ علينا موثقاً أن لا نخرج من مصر حتى ننقل تابوته معنا، فقال لهم موسى: أيكم يدري أين قبره؟ فقالوا: ما يعلم أحد مكان قبره إلا عجوز لبني إسرائيل عاشت من العمر نحو سبع مئة سنة، فأرسل إليها موسى، فقال: دلينا على قبر يوسف، فقالت: لا والله حتى تعطيني حكمي، قال: وما حكمك؟ قالت: أن أكون معك في الجنة، فكأنه ثقل عليه ذلك، فقيل له: أعطها حكمها، فأعطاها حكمها، فانطلقت بهم إلى بحيرة مستنقعة ماء، فقالت لهم: انضبوا عنها الماء، ففعلوا، قالت: احفروا، فحفروا، فاستخرجوا قبر يوسف، فلما احتملوه إذا الطريق مثل ضوء النهار.

قصص إبراهيم عليه السلام

قوله: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: واقرأ يا محمد على مشركي العرب، وأخبر أهل مكة ﴿نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ عليه السلام؛ أي: خبره العظيم الشأن، معطوف على العامل في قوله: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾ وهو (اذكر) المقدر، وقوله: ﴿إِذْ قَالَ﴾ إبراهيم منصوب بـ﴿نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ﴾؛ أي: واقرأ عليهم خبر إبراهيم الخليل وقصته

---

(١) الشوكاني.

وقت قوله: ﴿لِأَبِيهِ﴾ آزر، وهو تارخ ﴿وَقَوْمِهِۦ﴾ أهل بابل، وهو كصاحب موضع بالعراق، وإليه ينسب السحر ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾؛ أي: أي شيء تعبدونه؟ والاستفهام فيه للتقرير المضمن للتوبيخ، سألهم وقد علم أنهم عبدة الأوثان؛ لينبههم على ضلالهم، ويريهم أن ما يعبدونه لا يستحق العبادة، وليلزمهم الحجة.

فإن قلت[1]: لم قال إبراهيم هنا في السؤال ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾، وقال في الصافات؛ ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ بزيادة (ذا)، فما الفرق بين الموضعين؟

قلتُ: الفرق بينهما أنه لما وقع الجواب منهم هنا بقولهم: ﴿نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ سألهم بـ﴿مَا﴾ الموضوعة لمجرد الاستفهام، وهناك لما لم يجيبوه سألهم بـ﴿ماذا﴾ مبالغة في توبيخهم، ولهذا زاد هناك في التوبيخ، فقال: ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ فذكر في كل سورة ما يناسب ما ذكر فيها، والله أعلم بأسرار كلامه.

والمعنى: أي[2] واتل يا محمد على أمتك أخبار إبراهيم الخليل إمام الحنفاء؛ ليقتدوا به في الإخلاص والتوكل على الله وعبادته وحده لا شريك له، والتبري من الشرك، وقد أوتي الرشد من صغره، فهو من حين نشأ وترعرع أنكر على قومه عبادة الأوثان، فقال لأبيه وقومه: ماذا تعبدون؟ وهو مشاهد راء له ليعلمهم أن ما يعبدونه لا يستحق العبادة في شرع ولا عقل، روي أن أصنامهم كانت من ذهب وفضة ونحاس وحديد وخشب، فأجابوه إجابة المفتخر بما يفعل المزهو بجميل ما يصنع، كما ذكره بقوله سبحانه: ﴿قَالُوا۟﴾؛ أي: قال أبوه وقومه ﴿نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ وهي اثنان وسبعون صنماً، جمع صنم، والصنم: ما كان على صورة ابن آدم من حجر أو غيره، كما في «فتح الرحمن» ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾؛ أي: فنقيم على عبادتها طول النهار، وإنما قالوا: ﴿فَنَظَلُّ﴾؛ لأنهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل، أو معناه الدوام، وإنما لم يقتصروا على قولهم: ﴿أَصْنَامًا﴾ بل أطنبوا في الجواب بإظهار الفعل وعطف دوام عكوفهم على أصنافهم ابتهاجاً

(١) فتح الرحمن بتصرف. (٢) المراغي.

وافتخاراً بذلك، وصلة العكوف كلمة على، وإيراد اللام لإفادة معنى زائد، كأنهم قالوا: فنظل لأجلها مقبلين على عبادتها، ومستديرين حولها.

وقال أبو الليث: إن إبراهيم عليه السلام ولدته أمه في الغار، فلما خرج وكبر دخل المصر، وأراد أن يعلم على أي مذهب هم، وهكذا ينبغي للعاقل إذا دخل بلدة أن يسألهم عن مذهبهم، فإن وجدهم على الاستقامة دخل معهم، وإن وجدهم على غير الاستقامة أنكر عليهم.

فلما قال إبراهيم: ما تعبدون، وقالوا: نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين، وأراد أن يبين عيب فعلهم ﴿قَالَ﴾ إبراهيم، استئناف بياني ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ﴾؛ أي: هل يسمعون دعاءكم؛ أي: هل تسمع تلك الأصنام دعاءكم، فهو على حذف المضاف، فإن ﴿كم﴾ ليس من قبيل المسموعات، والتعبير عنها بالواو بحسب زعمهم، فإنهم كانوا يجرون الأصنام مجرى العقلاء، وقرأ الجمهور: ﴿يَسْمَعُونَكُمْ﴾ بفتح الياء من سمع الثلاثي، وقرأ قتادة ويحيى بن يعمر بضم الياء وكسر الميم من أسمع الرباعي؛ أي: هل يسمعونكم أصواتهم في الاستجابة لكم ﴿إِذْ تَدْعُونَ﴾؛ أي: وقت دعائكم إياهم لحوائجكم فيستجيبون لكم، وقرىء بإظهار ذال ﴿إِذْ﴾، وبإدغامها في تاء ﴿تَدْعُونَ﴾ ﴿أَوْ يَنفَعُونَكُمْ﴾ في معايشكم بسبب عبادتكم لها ﴿أَوْ يَضُرُّونَ﴾ في معايشكم بترككم لعبادتها؛ إذ لا بد للعبادة من جلب نفع أو دفع ضر.

﴿قَالُوا۟﴾ ما رأينا منهم ذلك السمع أو النفع أو الضر ﴿بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ﴾: منصوب بقوله: ﴿يَفْعَلُونَ﴾ وهو مفعول ثان لـ﴿وَجَدْنَآ﴾؛ أي: وجدناهم يعبدون مثل عبادتنا، فاقتدينا بهم، اعترفوا بأنها بمعزل من السمع والمنفعة والمضرة بالكلية، واضطروا إلى إظهار أن لا سند لهم سوى التقليد.

والاستفهام في قوله: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ﴾ للتقرير؛ أي: فإنها إذا كانت لا تسمع ولا تنفع ولا تضر فلا وجه لعبادتها، فإذا قالوا: نعم هي كذلك أقروا بأن عبادتهم لها من باب اللعب والعبث، وعند ذلك تقوم الحجة عليهم، فلما أورد عليهم الخليل هذه الحجة الباهرة لم يجدوا لها جواباً إلا رجوعهم إلى التقليد

البحث، وهو أنهم وجدوا آباءهم كذلك؛ أي: يفعلون هذه العبادة لهذه الأصنام مع كونها بهذه الصفة التي هي سلب السمع والنفع والضر عنها، وهذا الجواب هو العصي التي يتوكأ عليها كل عاجز، ويمشي بها كل أعرج، ويغتر بها كل مغرور، وينخدع لها كل مخدوع.

وفي الآية: دليل على إبطال التقليد في الدين وذمه، ومدح الأخذ بالاستدلال ﴿قَالَ﴾ إبراهيم متبرئاً من الأصنام ﴿أَفَرَءَيْتُم﴾ والهمزة فيه للاستفهام التوبيخي المضمن للإنكار، داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف. ورأى؛ إما بصرية تتعدى لمفعول واحد، أو علمية بمعنى عرف تتعدى لمفعول واحد أيضاً، والتقدير: أنظرتم فأبصرتم، أو تأملتم فعلمتم ﴿مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾﴾؛ أي: الأولون حق الإبصار، أو حق العلم، فإن الباطل لا ينقلب حقاً بكثرة فاعليه، وكونه دأباً قديماً، و﴿مَا﴾ موصولة عبارة عن الأصنام، و﴿الفاء﴾ في: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ﴾ تعليلية؛ أي: فأنا لا أعبدها؛ لأنها عدو لي؛ أي: هل تأملتم ما كنتم تعبدونه أنتم وآباؤكم، فعلمتم أنها لا تنفع ولا تضر، ولا تستحق العبادة، وأنا لا أعبدها معكم؛ لأنها عدو لي إلا رب العالمين. وقيل: أرأيتم بمعنى أخبروني؛ أي: أخبروني عن حال ما كنتم تعبدون هل هي تنفع، أو تضر، أم لا، أو أخبروني ما كنتم تعبدون هل هو حقيق بالعبادة أم لا، وهذا استهزاء بعبدة الأوثان.

أي: لم تنظروا ولم تقفوا على حالها أنها لا تنفع ولا تضر، ولو وقفتم على حالها ما عبدتموها، فاعلموا أن الأصنام أعداء لعابديهم؛ لما أنهم يتضررون بهم يوم القيامة فوق ما يتضرر الرجل من عدوه، فسمى الأصنام أعداء، وهي جمادات على سبيل الاستعارة، وصور الأمر في نفسه حيث قال: ﴿عَدُوٌّ لِّيٓ﴾ لا لكم تعريضاً لهم، فإنه أنفع في النصح من التصريح، وإشعاراً بأنها نصيحة بدأ بها نفسه ليكون أدعى إلى القبول. وقال الفراء: هو من المقلوب، ومعناه: فإني عدو لهم، فإن من عاديته عاداك، وأفرد العدو؛ لأنه يطلق بلفظه كالصديق على المفرد والمثنى والجمع والمذكر؛ لأنه في الأصل مصدر، أو بمعنى النسب؛ أي: ذووا

عداوة كتامر لذي تمر.

والاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: إما[1] منقطع، فالمعنى عليه: فاعلموا أن معبوداتكم عدوّ لي، لا أعبدها، لكن رب العالمين ليس كذلك، بل هو وليي في الدنيا والآخرة، لا يزال يتفضل عليّ بمنافعهما فأعبده، أو متصل، فالمعنى عليه: فإن كل معبود عدوّ لي إلا رب العالمين، فإنه ليس بعدوّي بل هو وليي ومعبودي.

والحاصل: أن إبراهيم عليه السلام صوّر الأمر في نفسه كما مر آنفاً تعريضاً بهم، فالمعنى: إني تفكرت في أمري، فرأيت عبادتي للأصنام عبادة للعدو؛ لأن من يغري على عبادتها هو الشيطان؛ فإنه أعدى عدو الإنسان، فاجتنَبتها، وأراهم إبراهيم أن تلك الكلمة نصيحة نصح بها نفسه، فإذا تفكروا قالوا: ما نصحنا إبراهيم إلاّ بما نصح به نفسه، فيكون ذلك أدعى للقبول، وأبعث إلى الاستماع منه.

ومعنى الآية: أي[2] إن كانت هذه الأصنام لها تأثير كما تدعون، وتستطيع أن تضر وتنفع فتخلص إليّ بالمساءة، فإني عدو لها، لا أبالي بها، ولا آبَهُ بشأنها، ولكن رب العالمين هو وليي في الدنيا والآخرة، ولا يزال متفضلاً علي فيهما.

ونحو الآية قول نوح عليه السلام: ﴿فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾، وقول هود: ﴿إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾.

ثم وصف معبوده رب العالمين الذي يستحق العبادة بأوصاف استحق لأجلها أن يعبد، فقال:

---

(١) المراح. (٢) المراغي.

١ـ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى﴾ وصورني من النطفة بالتكوين في القرار المكين، ﴿فَهُوَ﴾ وحده ﴿يهدين﴾ي ويرشدني إلى مصالح الدين والدنيا بضروب الهدايات في كل لحظة ولمحة. والاستقبال[١] في ﴿يهديني﴾ مع سبق العناية بالهداية؛ لأنه يحتمل يهديني للأهم الأفضل، والأتم الأكمل، أو الذي خلقني لأسباب خدمته، فهو يهديني إلى آداب خلته، أي: رب العالمين هو الخالق الذي خلقني وصوّرني فأحسن صورتي، فهو الذي يهديني إلى كل ما يهمني من أمور المعاش والمعاد هداية تتجدد على جهة الدوام والاستمرار.

٢ـ ﴿و﴾ هو الإله ﴿الذي هو﴾ وحده ﴿يُطْعِمُنِى﴾؛ أي: طعام شاء ﴿وَيَسْقِينِ﴾ي أي شراب شاء؛ أي: هو وحده رازقي بكل منافع الرزق وأنواعها، فمن عنده طعامي وشرابي، وليس الإطعام والسقي عبارتين عن مجرد خلق الطعام والشراب له، وتمليكهما إياه، بل يدخل فيهما إعطاء جميع ما يتوقف الانتفاع بالطعام والشراب عليه، كالشهوة وقت المضغ والابتلاع والهضم والدفع ونحو ذلك، ومن دعاء أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ اللهم اجعل لي ضرساً طحوناً، ومعدة هضوماً، ودبراً بشوراً.

والمعنى[٢]: وهو رازقي بما يسر من الأسباب السماوية والأرضية، فساق المزن، وأنزل الماء، فأحيا به الأرض، وأخرج به من كل الثمرات رزقاً للعباد، وأنزل الماء عذباً زلالاً، يسقيه ما خلق من الأنعام والأناسي.

فإن قلت: لِمَ زاد ﴿هُوَ﴾ عقب ﴿ٱلَّذِىَ﴾ في الإطعام والسقي؟

قلت: لأنهما مما يصدران من الإنسان عادة، فيقال: زيد يطعم ويسقي، فذكر ﴿هُوَ﴾ تأكيداً وإعلاماً بأن ذلك منه تعالى، لا من غيره بخلاف الخلق والموت والحياة، لا تصدر من غير الله تعالى: اهـ من «فتح الرحمن».

وتكرير[٣] الموصول في المواضع الثلاثة المعطوفة للإيذان بأن كل واحد من

---

(١) النسفي.
(٢) المراغي.
(٣) أبو السعود.

الصلات نعت جليل مستقل في إيجاب الحكم.

٣ـ ﴿و﴾ الـذي ﴿إذا مـرضـت﴾؛ أي: أصـابـنـي مـرض ﴿فَهُوَ﴾ وحـده ﴿يَشْفِينِ﴾ي؛ أي: يبرئني ويعافيني من المرض؛ أي: ينعم علي بالشفاء إذا حصل لي مرض، لا الأطباء، وذلك أنهم كانوا يقولون: المرض من الزمان، ومن الأغذية، والشفاء من الأطباء والأدوية، فأعلم إبراهيم أن الذي أمرض هو الذي يشفي، وهو الله تعالى.

والخلاصة: أني إذا مرضت لا يقدر على شفائي أحد غيره مما يقدر من الأسباب الموصلة إلى ذلك، وحكي عن بعضهم أنه مرض وضعف حتى اصفر لونه، فقيل له: ألا ندعو لك طبيباً يداويك من هذا المرض؟ فقال: الطبيب أمرضني.

فإن قلت: لِمَ[1] نسب المرض إلى نفسه حيث قال: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ﴾ ولم يقل: وإذا أمرضني، والشفاء إلى الله تعالى حيث قال: ﴿فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ مع أنهما من الله تعالى؟

قلت: أراد الثناء على ربه، فأضاف إليه الخير المحض الذي هو الشفاء، وأضاف المرض الذي هو النقمة إلى نفسه لرعاية حسن الأدب؛ لأنه لو قال: وإذا أمرضني لعد قومه ذلك عيباً، ونظيره قصة الخضر حيث قال في العيب: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾، وفي الخير المحض ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾، وكذا الجن راقبوا هذا الأدب بعينه، حيث قالوا: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾.

فإن قيل: فهذا يرده قوله: ﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى﴾؟.

فالجواب: أن القوم كانوا لا ينكرون الموت، وإنما يجعلون له سبباً سوى تقدير الله تعالى، فأضافه إبراهيم إلى الله عز وجل. اهـ. من «زاد المسير».

---

(١) زاد المسير بتصرف.

وقوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ﴾ معطوف على ﴿يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾، وإنما نظمهما في سلك صلة واحدة، لما أن الصحة والمرض من متفرعات الأكل والشرب غالباً، فإن البطنة تورث الأسقام والأوجاع، والخمصة أصل الراحة والسلامة، قالت الحكماء: لو قيل لأكثر الموتى: ما سبب آجالكم؟ لقالوا: التخم، وفي الحكمة: ليس للبطنة خير من خمصة تتبعها.

٤ـ ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي﴾ في الدنيا بقبض روحي عند انقضاء الأجل ﴿ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ي بالبعث في الآخرة لمجازاة العمل. أدخل ﴿ثُمَّ﴾ هنا؛ لأن بين الإماتة الواقعة في الدنيا وبين الإحياء الحاصل في الآخرة تراخياً، ونسبة الإماتة إلى الله تعالى؛ لأنها من النعم الإلهية في الحقيقة حيث إن الموت وصلة لأهل الكمال إلى الحياة الأبدية، والخلاص من أنواع المحن والبلية.

٥ـ ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ﴾ وأرجو ﴿أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي﴾ بترك الأولى، أو هي كذباته الثلاث، وقد تقدم الكلام عليها ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾؛ أي: يوم الجزاء والحساب، روى مسلم عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قلت: يا رسول الله، ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين، أكان ذلك نافعاً له؟ قال: لا ينفع؛ إنه لم يقل يوماً: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين». وابن جدعان اسمه عبد الله، وهو ابن عم عائشة ـ رضي الله عنها ـ وكان في ابتداء أمره فقيراً، ثم ظفر بكنز استغنى به، فكان ينفق من ذلك الكنز، ويفعل المعروف.

وهذا كله احتجاج من إبراهيم على قومه أنه لا يصلح للإلهية إلا من يفعل هذه الأفعال.

وخلاصة مقاله: أن جميع النعم التي يتمتع بها المرء من النشأة الأولى إلى آخر الدهر هي من الله وحده، ولا قدرة لأصنامكم على شيء منها. قرأ الجمهور: ﴿خَطِيئَتِي﴾ بالإفراد، والحسن ﴿خطاياي﴾ بالجمع.

واستغفار الأنبياء عليهم السلام تواضع منهم لربهم، وتعليم لأممهم؛ ليكونوا على حذر وطلب، لأن يغفر الله سبحانه لهم ما فرط منهم.

وبعدما ذكر فنون الألطاف الفائضة عليه من الله تعالى من مبدأ خلقه إلى يوم بعثه حمله ذلك على مناجاته تعالى، ودعائه لربط العتيد، وجلب المزيد، فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي﴾ إلى آخر ما سيأتي إن شاء الله تعالى.

الإعراب

﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿فَجُمِعَ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة على محذوف تقديره: فبعث فرعون في المدائن حاشرين، فجمع السحرة ﴿جمع السحرة﴾: فعل مغير ونائب فاعل، والجملة معطوفة على تلك المحذوفة. ﴿لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿جمع﴾. ﴿مَّعْلُومٍ﴾: صفة ﴿يَوْمٍ﴾. ﴿وَقِيلَ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿قيل﴾: فعل ماض مغير الصيغة. ﴿لِلنَّاسِ﴾: متعلق به. ﴿هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ﴾: نائب فاعل محكي لـ﴿قيل﴾، والجملة معطوفة على جملة ﴿جمع﴾، وإن شئت قلت: ﴿هَلْ﴾: حرف للاستفهام الاستبطائي، فيه معنى الحث على الفعل. ﴿أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية في محل الرفع نائب فاعل لـ﴿قيل﴾. ﴿لَعَلَّنَا﴾: ﴿لعل﴾: حرف ترج ونصب، و﴿نا﴾: اسمها. ﴿نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿لعل﴾، وجملة ﴿لعل﴾ في محل الرفع نائب فاعل لـ﴿قيل﴾ على كونها معللة للاجتماع. ﴿إِن﴾: حرف شرط. ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ناقص واسمه في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونها فعل شرط لها. ﴿هُمُ﴾: ضمير فصل. ﴿ٱلْغَٰلِبِينَ﴾: خبر كان، وجواب ﴿إن﴾ الشرطية معلوم مما قبلها، تقديره: إن كانوا هم الغالبين نتبعهم، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية في محل الرفع نائب فاعل لـ﴿قيل﴾.

﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿فَلَمَّا﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر

تقديره: إذا عرفت أن السحرة جمعت، وأردت بيان ما قالوا بعدما جمعوا: فأقول لك: لما جاء السحرة. ﴿لَمَّا﴾: اسم شرط غير جازم في محل نصب مفعول فيه ظرف زمان. ﴿جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ﴾: فعل وفاعل، والجملة فعل شرط لـ﴿لما﴾. ومحلها الجر بالإضافة ﴿قَالُوٓاْ﴾: فعل وفاعل. ﴿لِفِرۡعَوۡنَ﴾: متعلق به، والجملة جواب ﴿لَمَّا﴾، وجملة ﴿لَمَّا﴾ في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة. ﴿أَئِنَّ﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام التقريري، ﴿إن﴾: حرف نصب. ﴿لَنَا﴾: جار ومجرور خبر مقدم لـ﴿إن﴾. ﴿لَأَجۡرًا﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء، ﴿أجرا﴾: اسم ﴿إن﴾ مؤخر، وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓاْ﴾. ﴿إِن﴾: حرف شرط. ﴿كُنَّا﴾: فعل ناقص واسمه، في محل الجزم بـ﴿إن﴾ على كونه فعل شرط لها. ﴿نَحۡنُ﴾: ضمير فصل. ﴿ٱلۡغَٰلِبِينَ﴾: خبر كان، وجواب ﴿إن﴾ الشرطية معلوم مما قبلها، تقديره: إن كنا نحن الغالبين فلنا أجر، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓاْ﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على ﴿فِرۡعَوۡنَ﴾، والجملة مستأنفة. ﴿نَعَمۡ﴾ حرف جواب قائم مقام الجواب المحذوف تقديره: نعم لكم أجر، والجواب المحذوف في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَإِنَّكُمۡ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿إنكم﴾ ناصب واسمه. ﴿إِذٗا﴾: حرف جواب وجزاء مهمل لا عمل لها. ﴿لَّمِنَ﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء. ﴿من المقربين﴾: جار ومجرور خبر ﴿إِنَّكُمۡ﴾، وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب معطوفة على الجواب المحذوف.

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلۡقَوۡاْ حِبَالَهُمۡ وَعِصِيَّهُمۡ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض. ﴿لَهُم﴾: متعلق به. ﴿مُّوسَىٰٓ﴾: فاعل، والجملة مستأنفة. ﴿أَلۡقُواْ﴾ فعل أمر وفاعل. ﴿مَآ﴾: اسم موصول في محل النصب مفعول به، وجملة ﴿أَلۡقُواْ﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿أَنتُم مُّلۡقُونَ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة صلة ﴿مَآ﴾ الموصولة، والعائد محذوف تقديره: ما أنتم ملقونه. ﴿فَأَلۡقَوۡاْ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿ألقوا﴾: فعل ماض وفاعل. ﴿حِبَالَهُمۡ﴾: مفعول به

ومضاف إليه. ﴿وَعِصِيَّهُمْ﴾: معطوف عليه، والجملة الفعلية معطوفة على جملة ﴿قَالَ﴾. ﴿وَقَالُوا۟﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿أَلْقَوْا۟﴾. ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾: الباء: حرف جر وقسم، ﴿عزة﴾: مقسم به مجرور بباء القسم. ﴿فِرْعَوْنَ﴾: مضاف إليه، الجار والمجرور متعلق بفعل قسم محذوف تقديره: نحلف ونقسم بعزة فرعون، وجملة القسم في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓا۟﴾. ﴿إِنَّا﴾: ناصب واسمه. ﴿لَنَحْنُ﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء، ﴿نحن﴾: ضمير فصل. ﴿ٱلْغَٰلِبُونَ﴾: خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓا۟﴾ على كونها جواب القسم.

﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

﴿فَأَلْقَىٰ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿ألقى موسى عصاه﴾: فعل وفاعل ومفعول به معطوف على قوله: ﴿فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ﴾. ﴿فَإِذَا﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿إذا﴾: حرف فجأة. ﴿هِىَ﴾: مبتدأ. ﴿تَلْقَفُ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على العصا. ﴿مَا﴾: اسم موصول في محل النصب مفعول به، وجملة ﴿تَلْقَفُ﴾ في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على جملة ﴿ألقى﴾ عطف اسمية على فعلية. ﴿يَأْفِكُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة ﴿مَا﴾ الموصولة، والعائد محذوف تقديره: يأفكونه. ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ﴾: فعل ونائب فاعل معطوف على قوله: ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ﴾. ﴿سَٰجِدِينَ﴾: حال من ﴿ٱلسَّحَرَةُ﴾، والأصل: فألقى الله السحرة ساجدين. ﴿قَالُوٓا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل النصب حال ثانية من ﴿ٱلسَّحَرَةُ﴾، ولكن بتقدير قد. ﴿ءَامَنَّا﴾: فعل وفاعل. ﴿بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿ءَامَنَّا﴾، وجملة ﴿ءَامَنَّا﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓا۟﴾. ﴿رَبِّ﴾: بدل من ﴿رب العالمين﴾: ﴿مُوسَىٰ﴾: مضاف إليه. ﴿وَهَٰرُونَ﴾: معطوف على ﴿مُوسَىٰ﴾.

﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على ﴿فِرْعَوْنَ﴾، والجملة مستأنفة.

﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾ إلى قوله: ﴿قَالُوٓاْ﴾ مقول محكي لـ﴿قَالَ﴾، وإن شئت قلت: ﴿ءَامَنتُمْ﴾: فعل وفاعل. ﴿لَهُۥ﴾: متعلق به، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿قَبْلَ﴾: منصوب على الظرفية متعلق بآمن أيضاً. ﴿أَنْ﴾: حرف نصب. ﴿ءَاذَنَ﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر يعود على ﴿فِرْعَوْنَ﴾. ﴿لَكُمْ﴾: متعلق به، والجملة في تأويل مصدر مجرور بإضافة الظرف إليه، ﴿أَيْ﴾ قبل إذني لكم. ﴿إِنَّهُۥ﴾: ناصب واسمه. ﴿لكبيركم﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء، ﴿لَكَبِيرُكُمُ﴾: خبر ﴿إن﴾ ومضاف إليه، وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها معللة لإيمانهم. ﴿ٱلَّذِى﴾: في محل الرفع صفة لـ﴿كبيركم﴾. ﴿عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعولان، والجملة صلة الموصول. ﴿فَلَسَوْفَ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفتم ما قلت لكم واستمررتم على فعلكم، وأردتم بيان عاقبتكم.. فأقول لكم. ﴿لسوف تعلمون﴾: و﴿اللام﴾: زائدة زيدت لتأكيد معنى الكلام، وليست للقسم كما مر في مبحث التفسير. ﴿سوف﴾: حرف تنفيس للاستقبال البعيد. ﴿تَعْلَمُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محل النصب مقول لجواب ﴿إذا﴾ المقدرة، وجملة ﴿إذا﴾ المقدرة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿لَأُقَطِّعَنَّ﴾: ﴿اللام﴾: موطئة للقسم، ﴿أقطعن﴾: فعل مضارع في محل الرفع لتجرده من الناصب والجازم مبني على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وفاعله ضمير مستتر يعود على ﴿فِرْعَوْنَ﴾. ﴿أَيْدِيَكُمْ﴾: مفعول به. ﴿وَأَرْجُلَكُم﴾: معطوف على ﴿أَيْدِيَكُمْ﴾، والجملة الفعلية جواب القسم لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها مفسرة لقوله: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾. ﴿مِّنْ خِلَٰفٍ﴾: جار ومجرور حال من ﴿أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم﴾؛ أي: حالة كونها متخالفات النوع والاسم. ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة، و﴿اللام﴾: موطئة للقسم، ﴿أصلبنكم﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به. ﴿أَجْمَعِينَ﴾: تأكيد لضمير المخاطبين، وجملة القسم معطوفة على جملة القسم الأولى.

﴿قَالُواْ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾

﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿لَا ضَيْرَ﴾: ﴿لَا﴾: نافية تعمل عمل إن. ﴿ضَيْرَ﴾: في محل النصب اسمها، وخبر ﴿لَا﴾ محذوف تقديره: لا ضير كائن علينا، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾. ﴿إِنَّا﴾: ناصب واسمه. ﴿إِلَىٰ رَبِّنَا﴾: متعلق بـ﴿مُنقَلِبُونَ﴾. ﴿مُنقَلِبُونَ﴾: خبر ﴿إنّ﴾، وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾ على كونها معللة لعدم الضير. ﴿إِنَّا﴾: ناصب واسمه. ﴿نَطْمَعُ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر، وجملة ﴿نَطْمَعُ﴾ في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾ على كونها علة ثانية لعدم الضير. ﴿أَن يَغْفِرَ﴾: ناصب وفعل منصوب. ﴿لَنَا﴾: متعلق بـ﴿يَغْفِرَ﴾. ﴿رَبُّنَا﴾: فاعل. ﴿خَطَايَانَا﴾: مفعول به ومضاف إليه، والجملة في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض؛ أي: في غفران خطايانا، أو منصوب على المفعولية على تضمين نطمع معنى نرجو. ﴿أَن﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿كُنَّا﴾: فعل ناقص واسمه، في محل النصب بـ﴿أَن﴾ المصدرية. ﴿أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: خبر كان ومضاف إليه، وجملة كان مع ﴿أَن﴾ المصدرية في تأويل مصدر مجرور بحرف جر محذوف؛ أي: لكوننا أول المؤمنين، أو بسبب كوننا أول المؤمنين، والجار المحذوف متعلق بـ﴿يَغْفِرَ﴾؛ أي: أول من آمن من أتباع فرعون ورعيته.

﴿۞ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ
حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

﴿وَأَوْحَيْنَا﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿أوحينا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿إِلَىٰ مُوسَىٰ﴾: متعلق بـ﴿أوحينا﴾. ﴿أَنْ﴾: مفسرة لأن في الإيحاء معنى القول دون حروفه. ﴿أَسْرِ﴾: فعل أمر من أسرى إذا سار ليلاً، وفاعله ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾، والجملة الفعلية جملة مفسرة لا محل لها من الإعراب. ﴿بِعِبَادِي﴾: متعلق بـ﴿أَسْرِ﴾، أو حال من فاعل ﴿أَسْرِ﴾؛ أي: متلبساً بعبادي. ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾: ناصب واسمه وخبره، وجملة ﴿أَن﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل الإسرار. ﴿فَأَرْسَلَ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة. ﴿أرسل فرعون﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على ﴿أوحينا﴾. ﴿فِي الْمَدَائِنِ﴾: متعلق بـ﴿أرسل﴾، أو حال من

﴿حَٰشِرِينَ﴾. ﴿حَٰشِرِينَ﴾: مفعول به. ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: ناصب واسمه. ﴿لَشِرْذِمَةٌ﴾: خبره، و﴿اللام﴾: حرف ابتداء. ﴿قَلِيلُونَ﴾: صفة لـ﴿شرذمة﴾، وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول لقول محذوف وقع حالاً من فرعون؛ أي: حالة كونه قائلاً: إن هؤلاء لشرذمة قليلون. ﴿وَإِنَّهُمْ﴾: ناصب واسمه. ﴿لَنَا﴾: متعلق بـ﴿غائظون﴾. ﴿لَغَآئِظُونَ﴾: خبر ﴿إن﴾، و﴿اللام﴾: حرف ابتداء، وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب معطوفة على جملة قوله: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾، ﴿وَإِنَّا﴾: ناصب واسمه. ﴿لَجَمِيعٌ﴾: خبر ﴿إن﴾، و﴿اللام﴾: حرف ابتداء. ﴿حَٰذِرُونَ﴾: صفة ﴿جميع﴾، وجملة ﴿إن﴾ معطوفة على جملة ﴿إن﴾ الأولى.

﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٥٧ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٥٨ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝٥٩ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ۝٦٠﴾.

﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿أخرجناهم﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على قوله: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ﴾. ﴿مِّن جَنَّٰتٍ﴾: متعلق بـ﴿أخرجنا﴾. ﴿وَعُيُونٍ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ معطوفة على ﴿جَنَّٰتٍ﴾. ﴿كَذَٰلِكَ﴾: صفة لمصدر محذوف تقديره: أخرجنا إخراجاً مثل ذلك الإخراج العجيب الذي وقع لهم، أو خبر لمبتدأ محذوف تقديره: الأمر كذلك؛ أي: آمرنا كائن كذلك؛ أي: مثل ما فعلنا بهم من الإخراج المذكور، أو صفة ثانية لـ﴿مقام﴾. ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: فعل وفاعل ومفعولان معطوف على ﴿أخرجنا﴾. ﴿فَأَتْبَعُوهُم﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿أتبعوهم﴾: فعل وفاعل ومفعول ثان، والمفعول الأول محذوف تقدير: فأتبعوا أنفسهم إياهم؛ أي: لحقوهم. ﴿مُّشْرِقِينَ﴾: حال؛ إما من الفاعل، أو من المفعول، والجملة معطوفة على ﴿أخرجناهم﴾، وذلك لأن إعطاء البساتين وما بعدها لبني إسرائيل إنما كان بعد هلاك فرعون وقومه اهـ. شيخنا.

﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ۝٦٢ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ۝٦٣﴾.

﴿فَلَمَّا﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة. ﴿لما﴾: اسم شرط غير جازم. في محل نصب مفعول فيه ظرف زمان. ﴿تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾: فعل وفاعل، والجملة فعل شرط في

محل جر بالإضافة لـ﴿لما﴾. ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾: فعل وفاعل ومضاف إليه، والجملة جواب ﴿لما﴾، وجملة ﴿لما﴾ معطوفة على جملة قوله: ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾﴾. ﴿إِنَّا﴾: ناصب واسمه. ﴿لَمُدْرَكُونَ﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء، ﴿مدركون﴾: خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على ﴿مُوسَىٰٓ﴾، والجملة مستأنفة. ﴿كَلَّآ﴾: حرف ردع وزجر بمعنى ارتدعوا وانزجروا. ﴿إِنَّ﴾: حرف نصب. ﴿مَعِيَ﴾: ظرف ومضاف متعلق بمحذوف خبر ﴿إِنَّ﴾ مقدم على اسمها. ﴿رَبِّي﴾: اسمها مؤخر ومضاف إليه، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿سَيَهْدِينِ﴾ ﴿السين﴾: حرف استقبال. ﴿يَهْدِينِ﴾: فعل مضارع مرفوع لتجرده عن الناصب والجازم، وعلامة رفعه ضمة مقدرة، والنون نون الوقاية، وفاعله ضمير يعود على الله، وياء المتكلم المحذوفة اجتزاء عنها بالكسرة في محل النصب مفعول به، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿فَأَوْحَيْنَآ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿أوحينا﴾: فعل وفاعل. ﴿إِلَىٰ مُوسَىٰٓ﴾: متعلق به، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾. ﴿أَنِ﴾: مفسرة بمعنى أي. ﴿ٱضْرِب﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير مستتر يعود على ﴿مُوسَىٰٓ﴾. ﴿بِّعَصَاكَ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿ٱضْرِب﴾. ﴿ٱلْبَحْرَ﴾: مفعول به، والجملة جملة مفسرة لجملة ﴿أوحينا﴾ لا محل لها من الإعراب. ﴿فَٱنفَلَقَ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿انفلق﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على ﴿ٱلْبَحْرَ﴾، والجملة معطوفة على محذوف تقديره: فضربه فانفلق. ﴿فَكَانَ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿كان كل فرق﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿كَٱلطَّوْدِ﴾: خبر ﴿كان﴾. ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾: صفة لـ﴿الطود﴾، وجملة ﴿كان﴾: معطوفة على جملة ﴿انفلق﴾.

﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾.

﴿وَأَزْلَفْنَا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿أوحينا﴾. ﴿ثَمَّ﴾: اسم إشارة للمكان البعيد، في محل النصب على الظرفية المكانية متعلق بـ﴿أزلفنا﴾.

﴿ٱلْءَاخَرِينَ﴾: مفعول به. ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ﴾: فعل وفاعل ومفعول به معطوف على ﴿أزلفنا﴾. ﴿وَمَن﴾: اسم موصول في محل النصب معطوف على ﴿مُوسَىٰٓ﴾. ﴿مَّعَهُۥٓ﴾: ظرف ومضاف إليه صلة لـ﴿مَن﴾ الموصولة. ﴿أَجْمَعِينَ﴾: تأكيد لـ﴿مَن﴾ الموصولة. ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾﴾: فعل وفاعل ومفعول به معطوف على ﴿أنجينا﴾. ﴿إِنَّ﴾: حرف نصب. ﴿فِى ذَٰلِكَ﴾: خبر لـ﴿إِنَّ﴾ مقدم على اسمها. ﴿لَءَايَةً﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء، ﴿آية﴾: اسمها مؤخر، والجملة مستأنفة، ﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿ما﴾: نافية. ﴿كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾: فعل ناقص واسمه وخبره معطوف على جملة ﴿إِنَّ﴾. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾: ناصب واسمه. ﴿لَهُوَ﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء، ﴿هو﴾: ضمير فصل. ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: خبر ثان لها، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾.

﴿وَٱتْلُ﴾: ﴿الواو﴾: عاطف. ﴿اتل﴾: فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، وفاعله ضمير يعود على محمد. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: متعلق به. ﴿نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ﴾: مفعول به ومضاف إليه، والجملة معطوفة على اذكر المقدر عاملاً في قوله: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾، والجملة الفعلية في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إِذْ﴾، والظرف بدل من ﴿نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ بدل اشتمال، فيكون العامل فيه ﴿أتل﴾، وقيل: منصوب بـ﴿نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ﴾؛ أي: وقت قوله لأبيه. ﴿لِأَبِيهِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿قَالَ﴾. ﴿وَقَوْمِهِۦ﴾: معطوفة على ﴿أبيه﴾. ﴿مَا﴾: اسم استفهام في محل النصب مفعول مقدم لـ﴿تَعْبُدُونَ﴾. ﴿تَعْبُدُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿قَالُوا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾: فعل ومفعول به، وفاعل مستتر يعود على قوم إبراهيم وأبيه، والجملة في

محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾. ﴿فَنَظَلُّ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿نظل﴾: فعل مضارع ناقص، واسمها ضمير يعود على قوم إبراهيم. ﴿لَهَا﴾: متعلق بـ﴿عَاكِفِينَ﴾. ﴿عَاكِفِينَ﴾: خبر ظل، وجملة ﴿نظل﴾ في محل النصب معطوفة على جملة ﴿نَعْبُدُ﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾، والجملة مستأنفة. ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام للاستفهام التوبيخي. ﴿يَسْمَعُونَكُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، ولكنه على تقدير محذوف؛ أي: يسمعون دعاءكم، أو يسمعونكم إذ تدعون، فعلى الأول تكون متعدية لواحد اتفاقاً، وعلى الثاني هي متعدية للاثنين، فقامت الجلمة المقدرة مقام المفعول الثاني؛ وهو قول أبي علي الفارسي، وعند غيره الجملة المقدرة حال كما هو مبسوط في محله، والجملة الفعلية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى متعلق بـ﴿يَسْمَعُونَكُمْ﴾. ﴿تَدْعُونَ﴾: فعل وفاعل في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إِذْ﴾. ﴿أَوْ يَنفَعُونَكُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿يَسْمَعُونَكُمْ﴾. ﴿أَوْ يَضُرُّونَ﴾: معطوف عليه أيضاً. ﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿بَلْ﴾: حرف للإضراب الانتقالي أفادوا بها الإجابة عن استفهامة. ﴿وَجَدْنَا آبَاءَنَا﴾: فعل وفاعل ومفعول أول، وجملة ﴿يَفْعَلُونَ﴾ في محل المفعول الثاني. ﴿كَذَلِكَ﴾: صفة لمصدر محذوف تقديره: يفعلون فعلاً مثل ذلك الفعل، أو تجعل الكاف مفعولاً به مقدماً لـ﴿يَفْعَلُونَ﴾، ولعله أولى، وجملة قوله: ﴿بَلْ وَجَدْنَا﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾.

﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥)﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير مستتر يعود على ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾، والجملة مستأنفة. ﴿أَفَرَءَيْتُم﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام الإنكاري المتضمن معنى الاستهزاء والسخرية، داخلة على محذوف، و﴿الفاء﴾: عاطفة على ذلك المحذوف، ﴿رأيتم﴾: فعل وفاعل؛ وهي إما بصرية تتعدى لمفعول واحد، أو علمية بمعنى عرف تتعدى لمفعول واحد أيضاً. ﴿مَا﴾: موصولة في محل النصب مفعول به، والتقدير: أنظرتم فأبصرتم ما كنتم تعبدون، أو تأملتم فعلمتم ما كنتم تعبدون،

والجملة المحذوفة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾، ويحتمل أن تكون رأيتم بمعنى أخبروني، فتكون متعدية لمفعولين؛ أولهما اسم الموصول، وثانيهما محذوف، وهو جملة استفهامية، والتقدير: أخبروني ما كنتم تعبدون هل هو جدير بالعبادة. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ناقص واسمه، وجملة ﴿تَعْبُدُونَ﴾: خبر كان، وجملة كان صلة ﴿مَا﴾ الموصولة، والعائد محذوف تقديره: ما كنتم تعبدونه.

﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾﴾.

﴿أَنتُمْ﴾: تأكيد للضمير في ﴿تَعْبُدُونَ﴾؛ ليصح العطف عليه. ﴿وَءَابَآؤُكُمُ﴾: معطوف على ﴿الواو﴾ في ﴿تَعْبُدُونَ﴾. ﴿ٱلْأَقْدَمُونَ﴾: صفة لـ﴿آباؤكم﴾. ﴿فَإِنَّهُمْ﴾: ﴿الفاء﴾: تعليلية، ﴿إنهم﴾: ناصب واسمه. ﴿عَدُوٌّ﴾: خبره. ﴿لِّىٓ﴾: صفة لـ﴿عَدُوٌّ﴾، أو متعلق به؛ لأنه بمعنى معاد لي. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿رَبَّ﴾: منصوب على الاستثناء، والاستثناء منقطع، وإلا تقدر بـ: لكن، وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها تعليلية لمحذوف تقديره: فلا أعبدهم لأنهم عدو لي إلاّ رب العالمين ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.: مضاف إليه. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول في محل النصب صفة لـ﴿رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، أو بدل منه، أو عطف بيان له، ويجوز الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هو الذي خلقني. ﴿خَلَقَنِى﴾: فعل ماض ونون وقاية، وفاعل مستتر يعود على الموصول ومفعول به، والجملة صلة الموصول. ﴿فَهُوَ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿هو﴾: مبتدأ. ﴿يَهْدِينِ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على الله، والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة لرعاية الفاصلة في محل النصب مفعول به، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على الجملة الفعلية على كونها صلة الموصول. ﴿وَٱلَّذِى﴾: معطوف على الموصول الأول. ﴿هُوَ﴾: مبتدأ. ﴿يُطْعِمُنِى﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر ونون وقاية ومفعول، والجملة في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية صلة الموصول. ﴿وَيَسْقِينِ﴾: فعل وفاعل مستتر ونون وقاية، وياء المتكلم المحذوفة للفاصلة في محل النصب مفعول به، والجملة معطوفة على

جملة ﴿يُطۡعِمُنِى﴾.

﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾.

﴿وَإِذَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿إذا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان مضمّن معنى الشرط. ﴿مَرِضۡتُ﴾: فعل وفاعل، والجملة في حل الخفض بإضافة ﴿إذا﴾ إليها على كونها فعل شرط لها. ﴿فَهُوَ﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿إذا﴾، ﴿هو﴾: مبتدأ، وجملة ﴿يَشۡفِينِ﴾ في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية جواب ﴿إذا﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿إذا﴾ معطوفة على جملة الصلة. ﴿وَٱلَّذِى﴾: معطوف على الموصول الأول وجملة ﴿يُمِيتُنِى﴾: صلة الموصول. ﴿ثُمَّ يُحۡيِينِ﴾: معطوف على ﴿يُمِيتُنِى﴾. ﴿وَٱلَّذِىٓ﴾: معطوف على الموصول الأول. ﴿أَطۡمَعُ﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر يعود على ﴿إِبۡرَٰهِيمَ﴾. ﴿أَن يَغۡفِرَ﴾: ناصب وفعل مضارع، وفاعل مستتر يعود على الموصول. ﴿لِى﴾: متعلق به. ﴿خَطِيٓـَٔتِى﴾: مفعول به ومضاف إليه. ﴿يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بـ﴿يَغۡفِرَ﴾، وجملة ﴿يَغۡفِرَ﴾ في تأويل مصدر منصوب على المفعولية لـ﴿أَطۡمَعُ﴾ على تضمينه معنى أرجو؛ أي: والذي أرجو غفرانه لي يوم الدين، وجملة ﴿أَطۡمَعُ﴾ صلة الموصول، والعائد ضمير مستتر في ﴿يَغۡفِرَ﴾، ويجوز أن يكون في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض تقديره: والذي أطمعه في غفران خطيئتي.

التصريف ومفردات اللغة

﴿لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾ الميقات: ما وقت به؛ أي: حدّد من مكان أو زمان، ومنه مواقيت الإحرام ومواقيت الصلاة. أصله: موقات؛ لأنه من وقت قلبت ﴿الواو﴾ ياء؛ لوقوعها إثر كسرة، واليوم المعلوم هو يوم الزينة الذي حدده موسى في قوله: ﴿مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحٗى﴾. وفي «الروح»: الميقات: الوقت المضروب للشيء؛ أي: لما وقت به وعين من ساعات يوم معين، وهو

وقت الضحى من يوم الزينة، وهو يوم عيد لهم، كانوا يتزينون ويجتمعون فيه كل سنة.

﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾؛ أي: قوته التي يمتنع بها من الضيم.

﴿تَلْقَفُ﴾؛ أي: تبتلع بسرعة، من لقفه ـ كسمعه ـ إذا تناوله بسرعة، كما في «القاموس».

﴿إِنَّا نَطْمَعُ﴾؛ أي: نرجو، قال في «المفردات»: الطمع: نزوع النفس إلى شيء شهوة له.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ﴾ الإيحاء: إعلام في خفاء، ويقال: سرى يسري ـ بالكسر ـ سرى ـ بالضم ـ وسرى ـ بالفتح ـ وأسرى أيضاً؛ أي: سار ليلاً.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ﴾ والشرذمة: الطائفة القليلة، والجمع الحقير القليل يجمع على شراذم. قال الجوهري: الشرذمة: الطائفة من الناس، والقطعة من الشيء، وثوب شراذم؛ أي: قطع، ومنه قول الشاعر:

جَاءَ ٱلشِّتَاءُ وَقَمِيْصِيْ أَخْلَاقُ   شَرَاذِمٌ يَضْحَكُ مِنْهَا ٱلْخَلَاقْ

﴿قَلِيلُونَ﴾ قال الفراء: يقال: عصبة قليلة وقليلون، وكثيرة وكثيرون، وقال المبرد: الشرذمة: القطعة من الناس غير الكثير، وجمعها الشراذم، قال المفسرون: وكان الشرذمة الذين قللهم ست مئة ألف، ولا يحصى عدد أصحاب فرعون.

﴿لَغَآئِظُونَ﴾؛ أي: فاعلون ما يغيظنا ويغضبنا، يقال: غاظني كذا وأغاظني، ومنه التغيظ والاغتياظ، والغيظ أشد الغضب؛ وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من ثوران دم قلبه.

﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ يقال للمجموع: جمع وجميع وجماعة، والحذر: الاحتراز عن المخاوف. قال الفراء: الحاذر الذي يحذرك الآن، والحذر المخلوق كذلك لا تلقاه إلاّ حذراً، وقال الزجاج: الحاذر المستعد، والحذر

المتيقظ، وبه قال الكسائي ومحمد بن يزيد: قال النحاس: ﴿حذرون﴾ قراءة المدنيين وأبي عمرو، و﴿حَٰذِرُونَ﴾ قراءة أهل الكوفة، قال: وأبو عبيدة يذهب إلى أن معنى ﴿حذرون﴾ و﴿حَٰذِرُونَ﴾ واحد؛ وهو قول سيبويه، وأنشد سيبويه:

حَذِرٌ أُمُوراً لاَ تَضِيْرُ وَآمِنٌ ... مَا لَيْسَ يُنْجِيْهِ مِنَ الأَقْدَارِ

وفي «المصباح» حذر حذراً من باب تعب، واحتذر واحترز كلها بمعنى استعد وتأهّب، فهو حاذر وحذر، والاسم منه الحذر مثل حمل، وحذر الشيء إذا خافه، فالشيء محذور؛ أي: مخوف، وحذرته الشيء فحذره، اهـ.

﴿جَنَّٰتٍ﴾؛ أي: بساتين، جمع جنة. ﴿وَعُيُونٍ﴾: جمع عين من الماء، قال الراغب: يقال لمنبع الماء عين تشبيهاً بالعين الجارحة؛ لما فيها من الماء. ﴿وَكُنُوزٍ﴾؛ أي: أموال كنزوها وخزنوها في باطن الأرض.

﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾؛ أي: قصور عالية، ودور فخمة. قال السهيلي في كتاب «التعريف والإعلام»: المقام الكريم الفيوم من أرض مصر في قول طائفة من المفسرين، ومعنى الفيوم ألف يوم، كما في «التكملة»؛ وهي مدينة عظيمة بناها يوسف الصديق عليه السلام، ولها نهر يشقها، ونهرها من عجائب الدنيا، وذلك أنه متصل بالنيل، وينقطع أيام الشتاء، وهو يجري في سائر الزمان على العادة، ولهذه المدينة ثلاث مئة وستون قرية عامرة كلها مزارع وغلال، ويقال: إن الماء قد أخذ أكثرها في هذا الوقت، وكان يوسف جعلها على عدد أيام السنة، فإذا أجدبت الديار المصرية كانت كل قرية منها تقوم بأهل مصر يوماً، وبأرض الفيوم بساتين وأشجار وفواكه كثيرة رخيصة وأسماك زائدة الوصف، وبها من قصب السكر كثير. ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا﴾؛ أي: ملكناها لهم تمليك الميراث.

﴿فَأَتْبَعُوهُم﴾ بقطع الهمزة، يقال: أتبعه إتباعاً إذا طلب الثاني اللحوق بالأول، وتبعه تبعاً إذا مرّ به ومضى معه.

﴿مُّشْرِقِينَ﴾ أي: داخلين في وقت الشروق، يقال: أشرق وأصبح وأمسى وأظهر إذا دخل في الشروق والصباح والمساء والظهيرة. قال الزجاج: يقال:

شرقت الشمس إذا طلعت، وأشرقت إذا أضاءت.

﴿تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾؛ أي: تقاربا بحيث رأى كل منهما الآخر، وهو تفاعل من الرؤية. ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾؛ أي: سيدركوننا ويلحقون بنا، اسم مفعول من أدرك الرباعي، ومنه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ﴾.

﴿ٱلْبَحْرَ﴾: وهو بحر القلزم كما مر، وسمّي البحر بحراً لاستبحاره؛ أي: اتساعه وانبساطه. ﴿فَٱنفَلَقَ﴾؛ أي: انشق.

﴿كُلُّ فِرْقٍ﴾ الفرق: الجزء المنفرق منه. قال في «المفردات»: الفرق يقارب الفلق، لكن الفلق يقال اعتباراً بالانشقاق، والفرق يقال اعتباراً بالانفصال، والفرق القطعة المنفصلة، وكل فرق بالتفخيم والترقيق لكل القراء، والتفخيم أولى.

﴿كَٱلطَّوْدِ﴾ الطود: الجبل، ويجمع على أطواد، يقال: طاد يطود إذا ثبت قال امرؤ القيس:

فَبَيْنَا ٱلْمَرْءُ فِيْ ٱلأَحْيَاءِ طَوْدٌ ... رَمَاهُ ٱلنَّاسُ عَنْ كَثَبٍ فَمَالاَ

وقال الأسود بن يعمر:

حَلّوا بِأَنْقَرَةٍ يَسِيْلُ عَلَيْهِمُ ... مَاءُ ٱلْفُرَاتِ يَجِيْءُ مِنْ أَطْوَادِ

﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾﴾؛ أي: قربناهم إلى البحر يعني فرعون وقومه، قال الشاعر:

وَكُلُّ يَوْمٍ مَضَىٰ أَوْ لَيْلَةٍ سَلَفَتْ ... فِيْهَا ٱلنُّفُوْسُ إِلَىٰ ٱلآجَالِ تَزْدَلِفُ

قال أبو عبيدة: أزلفنا جمعنا، ومنه قيل لليلة مزدلفة: ليلة جمع.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ﴾: من التلاوة، وهي القراءة على سبيل التتابع، والقراء أعم.

﴿وَقَوْمِهِۦ﴾ والقوم: جماعة الرجال في الأصل دون النساء، كما نبّه عليه قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾، وفي عامة القرآن أريدوا به والنساء

جميعاً، كما في «المفردات».

﴿أَصْنَامًا﴾: جمع صنم، قال في «المفردات»: الصنم: جثة متخذة من فضة، أو نحاس، والوثن: حجارة كانت تعبد.

﴿فنظل﴾ يقال: ظللت أعمل كذا ـ بالكسر ـ ظلولاً إذا عملت بالنهار دون الليل.

﴿عَٰكِفِينَ﴾ العكوف: اللزوم، ومنه المعتكف لملازمته المسجد على سبيل القربة.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: الجناس المغاير بين ﴿فَجُمِعَ﴾ و﴿مُّجْتَمِعُونَ﴾.

ومنها: الإظهار في مقام الإضمار في قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ﴾.

ومنها: التأكيد في قوله: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾، وفي قوله: ﴿وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾.

ومنها: الجناس المغاير في قوله: ﴿أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾.

ومنها: التأكيد في قوله: ﴿إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾.

ومنها: الاستعارة المكنية في قوله: ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ كأنهم أخذوا فطرحوا على وجوههم، وقد زاد هذه الاستعارة حسنا المشاكلة؛ لأنه عبر بـ﴿ألقى﴾ عن الخرور، فلم يقل: فخروا ساجدين؛ لمشاكلة الإلقاءات المتقدمة.

ومنها: الإبهام والتفصيل في قوله: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أبهم ما أوعدهم به، ثم فصله بقوله: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم﴾ الخ.

ومنها: الإيجاز بالحذف في قوله: ﴿فَٱنفَلَقَ﴾؛ أي: فضرب فانفلق.

ومنها: التشبيه المرسل المجمل في قوله: ﴿كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ﴾؛ أي: كالجبل في رسوخه وثباته، ذكرت أداة التشبيه وحذف وجه الشبه.

ومنها: الإطناب في قوله: ﴿نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾؛ لأنه كان مقتضى جواب السؤال؛ وهو ﴿مَا تَعۡبُدُونَ﴾ أن يقولوا: أصناماً؛ لأنه سؤال عن المعبود فحسب، ولكنهم أضافوا إلى الجواب زيادة شرحوا بها قصتهم كاملة؛ لأنهم قصدوا إظهار ابتهاجهم وإعلان افتخارهم، وذلك شائع في الكلام، وقالوا: نظل؛ لأنهم كانوا يعكفون على عبادتها في النهار دون الليل، وهذه هي مزية الإطناب.

ومنها: التعريض في قوله: ﴿فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٧﴾ فإنه صور المسألة في نفسه والعداوة مستهدفة شخصه، كأنه يعرض بهم قائلاً: لقد فكرت في المسألة ملياً، وأمعنت النظر فيها طويلاً، فرأيت عبادتي لها عبادة للعدو الذي يتربص بي الدوائر.

ومنها: الطباق بين ﴿يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ﴾، وكذلك بين ﴿يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ﴾.

ومنها: مراعاة الأدب في قوله: ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠﴾ لم يقل وإذا أمرضني، بل أسند المرض لنفسه تأدباً مع الله سبحانه؛ لأن الشر لا ينسب إليه تعالى أدباً، وإن كان المرض والشفاء كلاهما بيده تعالى وقدرته، وللإشارة إلى أن كثيراً من الأمراض تحدث بتفريط الإنسان في مأكله ومشربه وغير ذلك.

ومنها: حسن النسق في هذه الجمل، فإنه قدم الخلق الذي يجب تقديم الاعتداد به من الخالق على المخلوق، واعتراف المخلوق بنعمته فإنه أول نعمة، وفي إقرار المخلوق بنعمة الإيجاد من العدم إقراره بقدرة الخالق على الإيجاد والاختراع وحكمته، ثم ثنَّى بنعمة الهداية التي هي أولى بالتقديم بعد نعمة الإيجاد من سائر النعم، ثم ثلّث بالإطعام والإسقاء اللذين هما مادة الحياة،

وبهما من الله استمرار البقاء إلى الأجل المحتوم، وذكر المرض وأسنده إلى نفسه أدباً كما قلنا مع ربه، ثم أعقب ذكر المرض بذكر الشفاء مسنداً ذلك إلى ربه، ثم ذكر الإماتة مسنداً فعلها إلى ربه لتكميل المدح بالقدرة المطلقة على كل شيء من الإيجاد والإعدام، ثم أردف ذكر الموت بذكر الإحياء بعد الموت، وفيه مع الإقرار بهذه النعمة الاعتراف بالقدرة والإيمان بالبعث، وكل هذه المعاني جمل ألفاظها معطوف بعضها على بعض بحروف ملائمة لمعاني الجمل المعطوفة.

ومنها: صحة التقسيم، فقد استوعبت هذه الآيات أقسام النعم الدنيوية والأخروية من الخلق والهداية، والإطعام والإسقاء، والمرض والشفاء، والموت والحياة، والإيمان بالبعث وغفران الذنب.

ومنها: التخلص؛ وهو فن عجيب بأخذ مؤلف الكلام في معنى من المعاني، فبينا هو فيه إذ أخذ في غيره آخر، وجعل الأول سبباً إليه، فيكون بعضه آخذاً برقاب بعض من غير أن يقطع كلامه، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغاً، فمما جاء من التخلص هذه الآية التي تسكر العقول، وتسحر الألباب، ألا ترى ما أحسن ما رتب إبراهيم كلامه مع المشركين حين سألهم أولاً عما يعبدون سؤال مقرّر، لا سؤال مستفهم، ثم ألحى على آلهتهم باللائمة فأبطل أمرها بأنها لا تضر ولا تنفع، ولا تعي ولا تسمع، وعلى تقليد آبائهم الأقدمين فكسره، وأخرجه من أن يكون شبهة، فضلاً عن أن يكون حجة، ثم أراد الخروج من ذلك إلى ذكر الإله الذي لا تجب العبادة إلاّ له، ولا ينبغي الرجوع والأنابة إلاّ إليه، فصور المسألة في نفسه دونهم، فقال: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ﴾ على معنى أني فكرت في أمري، فرأيت عبادتي لها عبادة للعدو وهو الشيطان فاجتنبتها، وآثرت عبادة من بيده الخير كله، وأراهم بذلك أنها نصيحة ينصح بها نفسه لينظروا، فيقولوا: ما نصحنا إبراهيم إلاّ بما نصح به نفسه، فيكون ذلك أدعى إلى القبول لقوله، وأبعث على الاستماع منه، ولو قال: إنهم عدو لكم لم يكن بهذه المثابة، فتخلص عند تصوره المسألة في نفسه إلى ذكر الله تعالى، فأجرى عليه تلك الصفات العظام، فعظم شأنه وعدد نعمته من لدن خلقه وأنشأه إلى حين يتوفاه مع

ما يرجى في الآخرة من رحمته؛ ليعلم من ذلك أن من هذه صفاته حقيق بالعبادة، واجب على الخلق الخضوع له، والاستكانة لعظمته، ثم تخلص من ذلك إلى ما يلائمه ويناسبه فدعا الله بدعوات المخلصين، وابتهل إليه ابتهال الأوابين؛ لأن الطالب من مولاه إذا قدّم قبل سؤاله وتضرعه الاعتراف بالنعمة.. كان ذلك أسرع للإجابة، وأنجح لحصول الطلبة، ثم أدرج في ضمن دعائه ذكر البعث ويوم القيامة ومجازاة الله من آمن به واتقاه بالجنة، ومن ضل عن عبادته بالنار، فتدبر هذه التخلصات البديعة المودعة في أثناء هذا الكلام.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (٨٣) وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (٨٤)
وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (٨٥) وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ (٨٦) وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧)
يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩) وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (٩٠) وَبُرِّزَتِ
الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (٩١) وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٩٢) مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ (٩٣)
فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (٩٤) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (٩٥) قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (٩٦) تَاللَّهِ إِن كُنَّا
لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٩٨) وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ (٩٩) فَمَا لَنَا مِن
شَافِعِينَ (١٠٠) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (١٠١) فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٢) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٠٣) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٠٤) كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ
أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٠٨) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ
أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١١٠) ۞ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ
الْأَرْذَلُونَ (١١١) قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٢) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (١١٣) وَمَا
أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٤) إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (١١٥) قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ
(١١٦) قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (١١٧) فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١١٨) فَأَنجَيْنَاهُ
وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١١٩) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ (١٢٠) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم
مُّؤْمِنِينَ (١٢١) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٢٢) كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا
تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٢٦) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا
عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢٧) أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩)
وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٣١) وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢)
أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٣) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٣٤) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣٥) قَالُوا سَوَاءٌ
عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ (١٣٦) إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ (١٣٧) وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (١٣٨)
فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ
(١٤٠)﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (٨٣)﴾ الآية، مناسبة

هذه الآية لما قبلها: أن إبراهيم الخليل عليه السلام لما أثنى[1] على ربه سبحانه بما أثنى عليه.. ذكر مسألته ودعاءه إياه بما ذكره، كما هو دأب من يشتغل بدعائه تعالى، فإنه يجب عليه أن يتقدم بالثناء عليه وذكر عظمته وكبريائه؛ ليستغرق في معرفة ربه ومحبته، ويصير أقرب شبهاً بالملائكة الذين يعبدون الله سبحانه بالليل والنهار لا يفترون، وبذا يستنير قلبه إلى ما هو أرفق به في دينه ودنياه، وتحصل له قوة إلهية تجعله يهتدي إلى ما يريد، ومن ثم جاء في الأثر حكاية عن الله تعالى: «من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين».

قوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه لما ذكر[2] إبراهيم عليه السلام أنه لا ينفع في هذا اليوم مال ولا بنون، وإنما ينفع البعد عن الكفر والنفاق.. ذكر هنا من وصف هذا اليوم أموراً تبين شديد أهواله وعظيم نكاله.

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ الآية، مناسبتها لما قبلها: أن الله سبحانه لما قص على رسول الله ﷺ قصص أبيه إبراهيم وما لقيه من تكذيب قومه له مع ما أرشدهم إليه من أدلة التوحيد، وما حجّهم به من الآيات.. أردف هذا بقصص الأب الثاني؛ وهو نوح عليه السلام، وفيه ما لاقاه من قومه من شديد التكذيب لدعوته وعكوفهم على عبادة الأصنام والأوثان، وأنه مع طول الدعوة لهم لم يزدهم ذلك إلاّ عتواً واستكباراً، وقد كان من عاقبة أمرهم ما كان لغيرهم ممن كذبوا رسل ربهم بعد أن أملى لهم بطول الأمد ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾، فأغرقهم الطوفان، ولم ينج منهم إلاّ من حملته السفينة، وهذا القصص مجمل هنا تقدم تفصيله في سورتي الأعراف وهود، وسيأتي بسطه أتم البسط في سورة نوح.

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أنه تعالى لما ذكر قصص نوح وقومه، وأن نوحاً دعاهم وحذّرهم عقاب الله

---

(١) المراغي.

(٢) المراغي.

وطال عليه المطال، ولم يزدهم ذلك إلاّ عتواً ونفوراً فدعا ربه، فأخذهم الطوفان وهم ظالمون.. أردف ذلك بقصص هود عليه السلام مع قومه عاد، وكانوا بعد قوم نوح، كما قال في سورة الأعراف: ﴿وَاذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾ يسكنون الأحقاف، وهي جبال الرمل القريبة من حضرموت ببلاد اليمن، وكانت لهم أرزاق دارّة وأموال وجنات وأنهار وزروع وثمار، وكانوا يعبدون الأصنام والأوثان، فبعث الله فيهم نبياً منهم يبشرهم وينذرهم ويدعوهم إلى عبادة الله وحده، ويحذرهم نقمته وعذابه، فكذبوه فأهلكهم كما أهلك المكذبين لرسله.

التفسير وأوجه القراءة

ثم لما فرغ الخليل من الثناء على ربه والاعتراف بنعمته.. عقبَّه بالدعاء؛ ليقتدي به غيره في ذلك، فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا﴾؛ أي[1]: علماً وفهماً في الدين. وقيل: نبوة ورسالة. وقيل: معرفة بحدود الله تعالى وأحكامه. ﴿وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾؛ أي: بالنبيين من قبلي. وقيل: بأهل الجنة. ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾؛ أي: اجعل لي ثناء حسناً في الآخرين الذين يأتون بعدي إلى يوم القيامة، وقد أعطى الله سبحانه إبراهيم ذلك بقوله: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾﴾ فإن كل أمة تتمسك به وتعظِّمه.

وقيل معنى الآية: ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا﴾؛ أي[2]: كمالاً في العلم والعمل، أستعد به لخلافة الحق ورياسة الخلق، فإن من يعلم شيئاً ولا يأتي من العمل بما يناسب علمه لا يقال له حكيم، ولا لعلمه حكم، ولا حكمة ﴿وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾؛ أي: وفقني من العلوم والأعمال والأخلاق لما ينظمني في زمرة الكاملين الراسخين في الصلاح، المتنزهين عن كبائر الذنوب وصغائرها، أو اجمع بيني وبينهم في الجنة، فقد أجابه تعالى حيث قال: ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ روي أن النبي ﷺ قال في دعائه: «اللهم أحينا مسلمين، وأمتنا

---

(١) الشوكاني. (٢) روح البيان.

مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مبدلين».

﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾؛ أي: جاهاً وحسن صيت في الدنيا يبقى أثره إلى يوم الدين، ولذلك ما من أمة إلاّ وهم محبون له، مثنون عليه، فحصل بالأول الجاه، وبالثاني حسن الذكر، فقوله: «في الآخرين»؛ أي: في الأمم بعدي، وعبّر عن الثناء الحسن والقبول العام باللسان؛ لكون اللسان سبباً في ظهوره وانتشاره، وبقاء الذكر الجميل على ألسنة العباد إلى آخر الدهر دولة عظيمة من حيث كونه دليلاً على رضى الله عنه، ومحبته له، والله تعالى إذا أحب عبداً يلقي محبته إلى أهل السموات والأرض، فيحبه الخلائق كافة حتى الحيتان في البحر، والطيور في الهواء.

وحاصل معنى: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ...﴾ إلخ؛ أي[1]: واجعل لي جاهاً وذكراً جميلاً باقياً إلى يوم الدين، فإن من صار ممدوحاً بين الناس بسبب ما عنده من الفضائل يصير داعياً لغيره إلى اكتساب مثل تلك الفضائل، فيكون له مثل أجورهم، أو المعنى: اجعل لي من ذريتي في آخر الزمان من يكون داعياً إلى الله تعالى، وقد أجاب الله دعاءه، فما من أمة إلاّ وهي تثني عليه، وجعله الله تعالى شجرة فرّع الله منها الأنبياء.

ولما طلب عليه السلام سعادة الدنيا بهذه الدعوة.. طلب سعادة الأخرة، فقال: ﴿وَٱجْعَلْنِي﴾ في الآخرة وارثاً ﴿مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾، أو اجعلني بعض الذين يرثون جنة النعيم، شبّه[2] الجنة التي استحقها العامل بعد فناء عمله وانقطاعه بالميراث الذي استحقه الوارث بعد فناء مورّثه وموته، فأطلق عليها اسم الميراث، وعلى استحقاقها اسم الوارثة، وعلى العامل اسم الوارث، والمعنى: واجعلني من المستحقين لجنة النعيم، والمتمتعين بها كما يستحق الوارث مال مورثه، ويمتع به، أو واجعلني ممن يدخلون الجنة[3]، ويتمتعون بنعيمها كما

---

(١) المراح.
(٢) روح البيان.
(٣) المراغي.

يتمتع المالك بما يملكه ميراثاً، ويؤول إليه أمره من شؤون الدنيا، ومعنى جنة النعيم؛ أي: بستان النعيم الدائم، وفيه إشارة إلى أن الجنة لا تنال إلاّ بكرمه تعالى، وفيه أيضاً إشارة إلى أن طلب الجنة لا ينافي طلب الحق سبحانه، وترك الطلب مكابرة للربوبية.

وبعد أن طلب السعادة الدنيوية والأخروية لنفسه.. طلبها لأقرب الناس إليه؛ وهو أبوه، فقال: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ﴾ ذنوبه؛ أي: اهد أبي ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾؛ أي: من المشركين الضالين عن طريق الهداية، و﴿كَانَ﴾: زائدة على مذهب سيبويه، وكان أبوه قد وعده أنه يؤمن به، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه، كما قال في آية أخرى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾.

واعلم[1]: أن المغفرة مشروطة بالإيمان، وطلب المشروط يتضمن طلب شرطه، فيكون الاستغفار لأحياء المشركين عبارة عن طلب توفيقهم وهدايتهم للإيمان. روي عن سمرة بن جندب - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من رجل توضأ، فأسبغ الوضوء، ثم خرج من بيته يريد المسجد، فقال حين خرج: بسم الله ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾﴾ إلاّ هداه الله لصواب الأعمال، ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾﴾ إلاّ أطعمه الله من طعام الجنة، وسقاه من شرابها، ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ إلاّ شفاه الله تعالى، ﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾﴾ إلاّ أحياه الله حياة الشهداء، وأماته ميتة الشهداء، ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ إلاّ غفر الله خطاياه ولو كانت أكثر من زبد البحر، ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾ إلاّ وهب له حكماً، وألحقه بصالحي من مضى، وصالحي من بقي، ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ إلاّ كتب عند الله صديقاً، ﴿وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾ إلاّ جعل الله له القصور والمنازل في الجنة»، وكان الحسن يزيد فيه ﴿واغفر لوالديّ كما ربّياني صغيراً﴾، كذا في

---

(١) روح البيان.

«كشف الأسرار».

ثم طلب من ربه عدم خزيه وهوانه يوم القيامة، فقال: ﴿وَلَا تُخْزِنِي﴾ من الخزي بمعنى الهوان والذل؛ أي: لا تفضحني على رؤوس الأشهاد بمعاتبتي على ما فرطت، أو بنقص مرتبتي عن بعض الوارثين ﴿يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾؛ أي: يوم يبعث الناس من قبورهم كافة وهو يوم القيامة، أو لا تعذبني يوم القيامة. والإضمار في ﴿يُبْعَثُونَ﴾ مع عدم سبق المرجع؛ لكونه معلوماً؛ لأن البعث عام فيدل عليه.

ولما كانت مغفرة الخطيئة في قوله: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ...﴾ إلخ لا تستلزم ترك المعاتبة.. أفرد الدعاء بتركها بعد ذكر مغفرة الخطيئة، وقيّد عدم الإخزاء بيوم البعث؛ لأن الدنيا مظهر اسم الستار.

قال أبو الليث: إلى ههنا كلام إبراهيم، وقد انقطع كلامه، ثم إن الله سبحانه وتعالى وصف ذلك اليوم، فقال: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ بدل من ﴿يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾، ومفعول الفعل محذوف، والتقدير: يوم لا ينفع مال أحداً، وإن كان مصروفاً في الدنيا إلى وجوه البر والخيرات، ولا ينفع بنون ولا بنات فرداً، وإن كانوا صلحاء مستأهلين للشفاعة جداً ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ﴾ سبحانه، وجاء يوم القيامة ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ من الشرك والنفاق؛ أي: إلاّ من أتى الله سبحانه وتعالى مخلصاً سليم القلب من مرض الكفر والنفاق ضرورة اشتراط نفع كل منهما بالإيمان، قال في «كشف الأسرار»: إلا بنفس سليمة من الكفر والمعاصي، وإنما أضاف إلى القلب، لأن الجوارح تابعة للقلب، فتسلم بسلامته، وتفسد بفساده، وفي الخبر: «إن في جسد ابن آدم لمضغة، إذا صلحت صلح سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، ألا وهي القلب». قال الليث: كان الكفار يقولون: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾، فأخبر الله سبحانه أنه لا ينفعهم ذلك اليوم المال والبنون؛ لعدم سلامة قلوبهم في الدنيا، وأما المسلمون فينفعهم خيراتهم، وينفعهم البنون أيضاً؛ لأن المسلم إذا مات ابنه قبله يكون له ذخراً وأجراً، وإن تخلف بعده فإنه يذكره بصالح دعائه، ويتوقع منه الشفاعة من حيث صلاحه. انتهى.

والمعنى: أي[1] لا يقي المرء من عذاب الله تعالى المال، ولو افتدى بملء الأرض ذهباً، ولا البنون ولو افتدى بهم جميعاً، ولكن ينفعه أن يجيء خالصاً من الذنوب وأدرانها وحب الدنيا وشهواتها.

وخص الابن بالذكر؛ لأنه أولى القرابة بالدفع والنفع، فإذا لم ينفع فغيره من القرابة أولى، وأما من أتى بقلب سليم فينفعه ماله الذي أنفقه في الخير، وولده الصالح بدعائه، كما جاء في خبر: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاّ من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

واختلف في معنى القلب السليم[2]، فقيل: السليم من الشرك، أما الذنوب فليس يسلم منها أحد، قاله أكثر المفسرين. وقال سعيد بن المسيب: القلب السليم الصحيح، وهو قلب المؤمن؛ لأن قلب الكافر والمنافق مريض. وقيل: هو القلب الخالي عن البدعة، المطمئن إلى السنة. وقيل: السالم من آفة المال والبنين. وقيل: السليم الخالص. قال الرازي: أصح الأقوال أن المراد منه سلامة النفس عن الجهل والأخلاق الرذيلة. وسئل أبو القاسم الحكيم عن القلب السليم؟ فقال: له ثلاث علامات؛ أولاها: أن لا يؤذي أحداً، والثانية: أن لا يتأذى من أحد، والثالثة: إذا اصطنع مع أحد معروفاً لم يتوقع منه المكافأة، فإذا هو لم يؤذ أحداً فقد جاء بالورع، وإذا لم يتأذ من أحد فقد جاء بالوفاء، وإذا لم يتوقع المكافأة بالاصطناع فقد جاء بالإخلاص، اهـ.

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ﴾؛ أي: قرّبت وأدنيت ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ عن الشرك والمعاصي؛ ليدخلوها بحيث يشاهدونها من الموقف، ويطلعون على ما فيها من فنون المحاسن، فيفرحون بأنهم المحشورون إليها. وقال الزجاج: قرب دخولهم إياها، ونظرهم إليها، وهو عطف على لا ينفع، وصيغة الماضي لتحقق وقوعه، كما أن صيغة المضارع في المعطوف عليه للدلالة على استمرار انتفاء النفع ودوامه.

---

(١) المراغي.

(٢) الشوكاني.

فإن قلت[1]: كيف قرّبت مع أنها لم تنقل من مكانها؟

قلتُ: فيه قلب؛ أي: وأزلف المتقون إلى الجنة، كما يقول الحجاج إذا دنوا إلى مكة: قربت مكة إلينا، وفي هذا تعجيل لمسرتهم كفاء ما عملوا لها، ورغبوا عن الدنيا وزخرفها.

﴿وَبُرِّزَتِ﴾؛ أي: ويوم برزت وأظهرت ﴿الْجَحِيمُ﴾؛ أي: نارها ﴿لِلْغَاوِينَ﴾؛ أي: للضالين عن طريق الحق الذي هو الإيمان والتقوى؛ أي[2]: جعلت بارزة لهم بحيث يرونها مع ما فيها من أنواع الأهوال، ويوقنون بأنهم مواقعوها، ولا يجدون عنها مصرفاً، فيزدادون غماً، والمعنى أنها أظهرت لهم قبل أن يدخلها المؤمنون ليشتد حزن الكافرين، ويكثر سرور المؤمنين، وفي اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد، فإن التبريز لا يستلزم التقريب، ثم في تقديم إزلاف الجنة إيماء إلى سبق رحمته على غضبه. وقرأ الأعمش[3]: ﴿فبرزت﴾ بالفاء بدل ﴿الواو﴾، وقرأ مالك بن دينار ﴿وبَرَزَتْ﴾ بالفتح والتخفيف، ﴿الْجَحِيمُ﴾ بالرفع بإسناد الفعل إليها اتساعاً، ذكره أبو حيان.

وفي هذا تعجيل للغم والحسرة؛ إذ نسوا في دنياهم هذا اليوم، كما جاء في قوله: ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

ثم ذكر أنه يسأل أهل النار تقريعاً لهم، فقال: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾؛ أي: للغاوين يوم القيامة على سبيل التوبيخ، والقائلون الملائكة من جهة الحق تعالى ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ في الدنيا ﴿تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ سبحانه؛ أي: أين آلهتكم الذين كنتم تزعمون في الدنيا أنها شفعاؤكم في هذا الموقف، وتقربكم إلى الله زلفى ﴿هَلْ يَنصُرُونَكُمْ﴾ بدفع العذاب عنكم ﴿أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾ بدفعه عن أنفسهم. و﴿هَلْ﴾ هنا للاستفهام الإنكاري؛ أي: أين آلهتكم التي كنتم تعبدونها؟ هل ينفعونكم بنصرتهم

---

(١) فتح الرحمن.

(٢) روح البيان.

(٣) البحر المحيط.

لكم، أو هل ينفعون أنفسهم بانتصارهم لأنفسهم؟ لا، وإنهم وآلهتهم وقود النار.

والخلاصة[1]: ليست الآلهة التي عبدتموها من دون الله سبحانه من الأصنام والأوثان بمغنية عنكم اليوم شيئاً، ولا هي بدافعة عن نفسها شيئاً، فإنكم وإياها اليوم حصب جهنم أنتم لها واردون، وباب افتعل ههنا مطاوع فعل، قال في «كشف الأسرار»: النصر المعونة على دفع الشر والسوء عن غيره، والانتصار أن يدفع عن نفسه، وإنما قال[2]: ﴿أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾ بعد قوله: ﴿هَلْ يَنصُرُونَكُمْ﴾؛ لأن رتبة النصر بعد رتبة الانتصار؛ لأن من نصر غيره فلا شك في الانتصار، وقد ينتصر من لا يقدر على نصر غيره.

ثم هذا سؤال تقريع وتبكيت لا يتوقع له جواب، ولذلك قيل: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا﴾؛ أي: فألقي المعبودون في الجحيم مرة بعد أخرى منكوسين على رؤوسهم إلى أن يستقروا في قعرها ﴿هُمْ﴾؛ أي: المعبودون، تأكيد لمرفوع ﴿كبكبوا﴾: ليعطف عليه قوله: ﴿وَالْغَاوُونَ﴾؛ أي: العابدون الذين ضلوا وغووا بعبادتهم ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾؛ أي: شياطينه وأعوانه؛ أي: ذريته الذين كانوا يغوونهم ويوسوسون إليهم، ويسولون لهم ما هم عليه من عبادة الأصنام وسائر فنون الكفر والمعاصي، ليجتمعوا في العذاب حسبما كانوا مجتمعين فيما يوجبه. وقيل: المراد بجنود إبليس كل من يدعو إلى عبادة الأصنام، وقوله: ﴿أَجْمَعُونَ﴾ تأكيد لضمير ﴿هُمْ﴾ وما عطف عليه. والمعنى؛ أي[3]: فألقي الآلهة والغاوون الذين عبدوها في النار، والشياطين والداعون إلى عبادتها على رؤوسهم، أو ألقِي بعضهم على بعض، وتأخير الغاوين في الكبكبة عن آلهتهم ليشاهدوا سوء حالهم، فينقطع رجاؤهم منهم قبل دخول الجحيم، ثم ذكر ما يحدث من المخاصمة والمحاجة بين الآلهة والغاوين عبدتها، والشياطين الذين دعوهم إلى تلك العبادة بقوله: ﴿قَالُوا...﴾ إلخ.

---

(١) المراغي.

(٢) روح البيان.

(٣) المراغي.

وجملة قوله: ﴿قَالُوا﴾؛ أي: العابدون حين فعل بهم ما فعل معترفين بخطاياهم ﴿وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾؛ أي: والحال أنهم في الجحيم بصدد الاختصام مع من معهم من المذكورين مخاطبين لمعبوداتهم على أن الله تعالى يجعل الأصنام صالحة للاختصام بأن يعطيها القدرة على النطق والفهم. قال أبو الليث: ومعناه: قالوا وهم يختصمون فيها على معنى التقديم جملة مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: ماذا قالوا حين فعل بهم ما فعل، ومقول القول ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾﴾ ﴿إِن﴾: مخففة من الثقيلة، و﴿اللام﴾: هي الفارقة بينها وبين النافية؛ أي: نقسم ونحلف بالله سبحانه إن الشأن كنا في ضلال وخطأ واضح لا خفاء فيه ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾: ظرف لكونهم في ضلال مبين، وصيغة المضارع لاستحضار الصورة الماضية؛ أي[1]: تالله لقد كنا في غاية الضلال الفاحش وقت تسويتنا إياكم أيها الأصنام في استحقاق العبادة برب العالمين الذي أنتم أدنى مخلوقاته وأذلهم وأعجزهم ﴿وَمَا أَضَلَّنَا﴾؛ أي: وما دعانا إلى الضلال عن الهدى ﴿إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾؛ أي: إلا الرؤساء والكبراء البالغون غاية الإجرام والإشراك.

والمعنى: أي[2] قال الغاوون وهم يخاصمون من معهم من الأصنام والشياطين تالله إننا كنا في ضلال واضح، لا لبس فيه حين سويناكم يا هذه الأصنام برب العالمين في استحقاق العبادة، وعظمناكم تعظيم المعبود الحق، وما أضلنا إلا المجرمون من الرؤساء والكبراء، كما جاء في آية ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾.

وخلاصة ذلك: أنهم حين رأوا صور تلك الآلهة اعترفوا بالخطأ العظيم الذي كان منهم، وندموا على طاعتهم لأولئك الرؤساء والسادة الذين حملوهم على عبادتها وتعظيم شأنها، ثم أكدوا ندمهم على ما فرط منهم، وحسرتهم على ما صنعوا، فقالوا:

---

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

﴿فَمَا لَنَا﴾ اليوم ﴿مِن شَٰفِعِينَ﴾ يشفعون لنا من العذاب، كما للمؤمنين من الملائكة والأنبياء عليهم السلام ﴿وَلَا﴾ من ﴿صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾؛ أي: ذي قرابة؛ أي: صديق قريب موافق في الدين، كما نرى أن للمؤمنين أصدقاء؛ لأنه لا يتصادق في الآخرة إلا المؤمنون، وأما أهل النار فبينهم التباغض والتعادي. والصديق من صدقك في مودته، والحميم القريب المشفق، مأخوذ من حامة الرجل؛ أي: أقربائه، وأفرد الصديق؛ لأنه يطلق على الواحد والإثنين والجماعة والمذكر والمؤنث.

وإنما جمع[1] الشافع لكثرة الشفعاء عادة، ألا ترى أن السلطان إذا غضب على أحد ربما شفع فيه جماعة، كما أن إفراد الصديق لقلته. ولو قيل بعدمه لم يبعد، والمعنى؛ أي: فليس لنا اليوم شفيع يشفع لنا مما نحن فيه من ضيق، أو ينقذنا من هلكة، ولا صديق شفيق يعنيه أمرنا، ويودنا ونوده، ونحو الآية ما جاء في آية أخرى حكاية عنهم: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ﴾، وقد أرادوا بهذا الإخبار إظهار اللهفة والحسرة على فقد الشفيع والصديق النافع، وقد نفوا أولاً أن يكون لهم من ينفعهم في تخليصهم من العذاب بشفاعة، ثم ترقوا ونفوا أن يكون لهم من يهمه أمرهم ويشفق عليهم، ويتوجع لهم، وإن لم يخلصهم.

والخلاصة: أن الأمر قد بلغ من الهول ما لا يستطيع أحد أن ينفع فيه أدنى نفع، وقد مر لك آنفاً أنما جمع الشافع وأفرد الصديق لكثرة الشفعاء عادة وقلة الصديق، ولهذا قال الشافعي رضي الله عنه:

مَا فِيْ زَمَانِكَ مَنْ تَرْجُوْ مَوَدَّتَهُ ... وَلاَ صَدِيْقٌ إِذَا جَارَ ٱلزَّمَانُ وَفَىٰ
فَعِشْ فَرِيْداً وَلاَ تَرْكَنْ إِلَىٰ أَحَدٍ ... هَا قَدْ نَصَحْتُكَ فِيْمَا قُلْتُهُ وَكَفَىٰ

ثم حكى عنهم تمنيهم الرجوع إلى الدنيا ليعملوا بطاعة ربهم فيما يزعمون، والله يعلم أنهم لو ردوا لعادوا إلى ما نهوا عنه وإنهم لكاذبون، فقال: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا

---

(١) روح البيان.

كَرَّةً﴾؛ أي: رجعة إلى الدنيا ﴿فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالنصب بأن المضمرة بعد الفاء السببية الواقعة في جواب التمني، فلو هنا للتمني، وأقيم فيه ﴿لَوْ﴾ مقام ليت؛ لتلاقيها في معنى التقدير: أي: تقدير المعدوم وفرضه؛ أي: فليت لنا رجعة إلى الدنيا فنعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل حتى إذا متنا وبعثنا مرة أخرى لا ينالنا من العذاب مثل ما نحن فيه.

وهذا كلام التأسف والتحسر، ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه، فإن من يضلل الله فما له من هاد، ولو رجع إلى الدنيا مراراً، ألا ترى إلى الأمم في الدنيا، فإن الله تعالى أخذهم بالبأساء والضراء كراراً، ثم كشفه عنهم فلم يزيدوا إلا إصراراً، جعلنا الله وإياكم من المستمعين المعتبرين، لا من المعرضين الغافلين ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾؛ أي: فيما ذكر من قصة إبراهيم مع قومه ﴿لَآيَةً﴾؛ أي: لعبرة لمن يعبد غير الله تعالى، ليعلم أنه يتبرأ منه في الآخرة، ولا ينفعه أحد، ولا سيما لأهل مكة الذين يدعون أنهم على ملة إبراهيم ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم﴾؛ أي: أكثر قوم إبراهيم مؤمنين كحال أكثر قريش، وقد روي أنه ما آمن لإبراهيم من أهل بابل إلا لوط وابنه نمرود، أو أكثر هؤلاء الذين يتلو عليهم رسول الله ﷺ نبأ إبراهيم؛ وهم قريش ومن دان بدينهم، وهذا أصح؛ لأن قوم إبراهيم كلهم غير مؤمنين، كذا قاله الشوكاني.

والمعنى: أي إن في محاجة إبراهيم لقومه وإقامة الحجة عليهم في التوحيد لآية واضحة جلية على أنه تعالى لا رب غيره، ولا معبود سواه، ومع كل هذا ما آمن به أكثرهم، وفي هذا تسلية للرسول ﷺ على ما يجده من تكذيب قومه له مع ظهور الآيات وعظيم المعجزات.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ المحسن إليهم بإرسالك لهدايتهم ﴿لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾؛ أي: لهو القادر على الانتقام منهم ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بهم؛ إذ لم يهلكهم، بل أخر ذلك، وأرسل إليهم الرسل، ونصب لهم الشرائع ليؤمنوا بها هم أو ذريتهم.

قصص نوح عليه السلام

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ١٠٥﴾ تكذيباً مستمراً من حين الدعوة إلى انتهائها، وأنث[1] الفعل لكونه مسنداً إلى ﴿قَوْمُ﴾، وهو في معنى الجماعة، أو الأمة، أو القبيلة، والقوم الجماعة من الرجال والنساء، وأوقع التكذيب على المرسلين؛ وهم لم يكذبوا إلا الرسول المرسل إليهم؛ لأن من كذب رسولاً فقد كذب الرسل؛ لأن كل رسول يأمر بتصديق غيره من الرسل، أو لاجتماع الكل على التوحيد وأصول الشرائع، وقيل: كذبوا نوحاً وحده في الرسالة، وكذبوه فيما أخبرهم من مجيء المرسلين بعده ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ﴾: ظرف للتكذيب على أنه عبارة[2] عن زمان مديد وقع فيه ما وقع من الجانبين إلى تمام الأمر ﴿أَخُوهُمْ﴾ في النسب، لا في الدين؛ لئلا يجهل أمره في الصدق والديانة، ولتعرف لغته، فيؤدي ذلك إلى القبول ﴿نُوحٌ﴾: عطف بيان لـ﴿أَخُوهُمْ﴾ الله بترك عبادة الأصنام، وإجابة دعوة رسوله الذي أرسله إليكم.

والمعنى: أي كذبت قوم نوح رسل الله حين قال لهم أخوهم نوح: ألا تتقون فتحذروا عقابه على كفركم به وتكذيبكم رسله، وقد حكى سبحانه عن نوح عليه السلام أنه خوفهم أولاً بقوله: ألا تتقون لأن القوم إنما قبلوا تلك الأديان تقليداً والمقلد إذا خوف خاف، وما لم يستشعر بالخوف لا يشتغل بالاستدلال والنظر، وقد وصف نوح نفسه بأمرين:

١. ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ﴾ من جهته تعالى ﴿أَمِينٌ﴾؛ أي: مشهور بالأمانة فيما بينكم، ومن كان أميناً على أمور الدنيا كان أميناً على الوحي والرسالة، أو أمين فيما بعثني به أبلغكم رسالاته، لا أزيد فيها، ولا أنقص منها ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾؛ أي: خافوا عقاب الله في مخالفتي ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ فيما آمركم به من التوحيد والطاعة لله تعالى، فإني لا أخونكم ولا أريدكم بسوء، والفاء لترتيب ما بعدها على الأمانة.

---

(١) الشوكاني.

(٢) روح البيان.

وقدم[1] الأمر بتقوى الله على الأمر بطاعته؛ لأن التقوى هي ملاك الأمر كله في هذه الحياة، وكرر الأمر بها؛ لأنها العمدة في جميع الأعمال، فيجب على العالم ملاحظتها إذا أراد الإحسان وتجويد العمل.

٢. ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾؛ أي: على تبليغ الرسالة ﴿مِنۡ أَجۡرٍ﴾؛ أي: جعل أصلاً، وذلك لأن الرسل إذا لم يسألوا أجراً كان أقرب إلى التصديق، وأبعد عن التهمة ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ﴾؛ أي: ما ثوابي فيما أتولاه ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾؛ لأن من عمل لله فلا يطلب الأجر من غير الله.

وبه يشير إلى أن العلماء الذين هم ورثة الأنبياء يتأدبون بآداب أنبيائهم، فلا يطلبون من الناس شيئاً في بث علومهم ونشرها، ولا يرتفقون منهم بتعليمهم، ولا بالتذكير لهم، فإن من ارتفق من المسلمين المستمعين في بث ما يذكره من الدين ويعظ به لهم فلا يبارك الله للناس فيما يسمعون، ولا للعلماء أيضاً بركة فيما يأخذون منهم، يبيعون دينهم بعرض يسير، ثم لا بركة لهم فيه، كذا قالوا.

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ فقد وضح الأمر لكم وبان نصحي وأمانتي فيما بعثني الله به وائتمنني عليه. والفاء[2] لترتيب ما بعدها على تنزهه عن الطمع، والتكرير للتأكيد والتنبيه على أن كلاً من الأمانة وقطع الطمع مستقل في إيجاب التقوى والطاعة، فكيف إذا اجتمعا.

ونظير هذا ما يقول الوالد لولده: ألا تتقي الله في عقوقي، وقد ربيتك صغيراً، ألا تتقي الله في عقوقي وقد علمتك كبيراً. وقدم الأمر بتقوى الله على الأمر بطاعته؛ لأن تقوى الله علة لطاعته.

تنبيه: قوله[3]: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٩﴾ ذكر في خمسة مواضع: في قصة نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، وإنما كررت هذه الآية الكريمة في تلك المواضع للتنبيه على أن

---

(١) المراغي.
(٢) روح البيان.
(٣) فتح الرحمن.

دعوة الرسل الكرام واحدة، وهدفهم واحد، وطريقتهم واحدة، فهم لا يطلبون من أحد أجراً، ولا مالاً، ولا شيئاً من حطام الدنيا على تبليغهم الرسالة، إنما يطلبون الأجر من الله وحده.

وقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ ذكر مكرراً للتأكيد في ثلاثة مواضع: في قصة نوح، وهود، وشعيب، فإن قلت: لِمَ خصت الثلاثة بالتأكيد؟.

قلت: اكتفاء عنه في قصة لوط بقوله: ﴿إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ﴾، وفي قصة شعيب بقوله: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾﴾ لاستلزامهما له.

وبعد أن أقام الدليل على صدق رسالته وعظيم نصحه وأمانته لهم.. أرادوا أن يتنصلوا من اتباع دعوته بحجة هي أوهى من بيت العنكبوت، كما ذكره بقوله: ﴿قَالُوا﴾؛ أي: قال قوم نوح ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ﴾ الاستفهام للإنكار؛ أي: لا نؤمن لك ﴿وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾؛ أي: والحال أنه قد اتبعك الأخسون؛ أي: الأقلون مالاً وجاهاً، والمراد[١] بهم هنا فقراء الناس وضعفاؤهم، وإنما بادروا للاتباع قبل الأغنياء؛ لاستيلاء الرئاسة على الأغنياء وصعوبة الانفكاك منها، والأنفة عن الانقياد للغير، والفقير خلي من تلك الموانع، فهو سريع الإجابة والانقياد، وهذا غالب أحوال أهل الدنيا اهـ. «قرطبي» من سورة هود.

وهذا[٢] من كمال سخافة عقولهم وقصرهم أنظارهم على الدنيا، وكون الأشرف عندهم من هو أكثر منها حظاً، والأرذل من حرمها، وجهلهم أنها لا تزن عند الله جناح بعوضة، وأن النعيم هو نعيم الآخرة، والأشرف من فاز به، والأرذل من حرمه، وهكذا كانت قريش تقول في أصحاب رسول الله ﷺ، وما زالت أتباع الأنبياء ضعفاء الناس، وقس أتباع العلماء على أتباعهم من حيث وراثتهم لدعوتهم وعلومهم وأذواقهم، ومحنهم وابتلائهم، وذلك لأن العلوم من أرباب المال والجاه والثروة لم تأت إلا نادراً.

---

(١) قرطبي.
(٢) روح البيان.

والمعنى: أي[1] قالوا: كيف نتبعك ونصدقك ونؤمن بك، ونأتسى بهؤلاء الأراذل الذين اتبعوك، ومرادهم أن هذا لن يكون أبداً، وهذه شبهة لا ينبغي لعاقل أن يركن إليها؛ لأن نوحاً عليه السلام بعث إلى الخلق كافة، لا فارق بين غني وفقير وصعلوك وأمير، ولا بين ذوي البيوتات والحسب، وذوي الوضاعة والخسة في النسب، فليس له إلا اعتبار الظواهر دون التفتيش والبحث عن البواطن، ومن ثم أجابهم بقوله: ﴿وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

وقرأ الجمهور[2]: ﴿وَٱتَّبَعَكَ﴾ فعلاً ماضياً، وقرأ عبد الله وابن عباس والأعمش وأبو حيوة والضحاك وابن السميقع وسعيد بن أبي سعيد الأنصاري وطلحة ويعقوب ﴿وأتباعُك﴾: - بالرفع - جمع تابع كصاحب وأصحاب. وقيل: جمع تبيع كشريف وأشراف، وعن اليماني: ﴿وأتباعِك﴾ - بالجر - عطفاً على الضمير في ﴿لَكَ﴾، وهو قليل وقاسه الكوفيون.

﴿قَالَ﴾ نوح جواباً عما يشير إليه قولهم من أنهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة ﴿وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أنهم عملوه إخلاصاً أو نفاقاً، وما وظيفتي إلا اعتبار الظواهر، وبناء الأحكام عليها دون التفتيش عن بواطنهم، والشق عن قلوبهم، والظاهر أن ﴿مَا﴾ استفهامية للإنكار في محل الرفع على الابتداء، و﴿عِلْمِى﴾ خبرها؛ أي: وأيّ شيء[3] يعلمني ما كان يعمل أتباعي؟ إنما لي منهم ظاهر أمرهم دون باطنه، فمن أظهر الحسن ظننت به حسناً، ومن أظهر السوء ظننت به ذلك، ولم أكلف العلم بأعمالهم، وإنما كلفت أن أدعوهم إلى الإيمان والاعتبار به، لا بالحرف والصناعات، والفقر والغنى، وهم كأنهم يقولون: إن إيمان هؤلاء لم يكن عن نظر صحيح، بل لتوقع مال ورفعة.

ثم أبان أن أمر جزائهم وحسابهم على ربهم، لا عليه، فلا يعنيه استقصاء أحوالهم، فقال: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ﴾؛ أي: ما محاسبتهم على ما تحويه سرائرهم ﴿إِلَّا

---

(١) المراغي.
(٢) البحر المحيط.
(٣) المراغي.

﴿عَلَىٰ رَبِّي﴾ المطلع عليها ﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾؛ أي: لو كنتم من أهل الشعور والإدراك لعلمتم ذلك، ولكنكم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون حيث عيرتموهم بصنائعهم[1]، قرأ الجمهور: ﴿تَشْعُرُونَ﴾ ـ بالفوقية ـ، وقرأ ابن أبي عبلة وابن السميقع والأعرج وأبو زرعة بالتحتية كأنه ترك الخطاب، والتفت إلى الإخبار عنهم.

ولما جعلوا من موانع إيمانهم اتباع هؤلاء الأراذل كانوا كأنهم طلبوا طردهم، فقال: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾﴾ ومبعدهم عن مجلسي؛ أي: وما أنا بطارد من آمن بالله واتبعني وصدق ما جئت به من عند الله تعالى، قال ابن عطاء: وما أنا بمعرض عمن أقبل على ربه، ثم بين وظيفة الرسول، فقال: ﴿إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾﴾؛ أي[2]: ما أنا إلا رسول مبعوث لإنذار المكلفين وزجرهم عن الكفر والمعاصي، سواء كانوا من الأعزاء أو الأذلاء، فكيف يليق بي طرد الفقراء لاستتباع الأغنياء، والمعنى أي: إنما بعثت منذراً ومخوفاً بأس الله وشديد عذابه، فمن أطاعني كان مني وأنا منه، شريفاً كان أو وضيعاً، جليلاً كان أو حقيراً.

ولما أجابهم بهذا الجواب وأيسوا مما راموا.. لجؤوا إلى التهديد، كما بينه بقوله: ﴿قَالُوا۟﴾؛ أي: قال قوم نوح له: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ﴾ عما تدعو إليه من التوحيد، وعما تقول من الطعن في آلهتنا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾؛ أي: من المقتولين بالحجارة أقبح قتلة، قالوا ذلك ـ قاتلهم الله ـ في أواخر الأمر؛ أي: لنرجمنك بالحجارة ولنقتلنك بها إن لم تترك عيب ديننا وسب آلهتنا.

ولما طال مقامه بين ظهرانيهم يدعوهم إلى الله ليلاً ونهاراً، سراً وإعلاناً، وكلما كرر عليهم الدعوة صموا آذانهم وصمموا على تكذيبه، وتمادوا في عتوهم واستكبارهم.. استغاث بربه وطلب منه أن يحكم بينه وبينهم، وأن يهلكهم كما أهلك المكذبين من قبلهم لرسولهم، وينجيه والمؤمنين به، كما بينه بقوله: ﴿قَالَ﴾ نوح: يا ﴿رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ﴾؛ أي: أصروا على التكذيب بعدما دعوتهم هذه

---

(١) الشوكاني. (٢) روح البيان.

الأزمنة المتطاولة، ولم يزدهم دعائي إلا فراراً ﴿فَٱفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾؛ أي: احكم بيني وبينهم حكماً عدلاً؛ أي: احكم بيننا بما يستحقه كل واحد منا من الفتاحة؛ وهي الحكومة؛ أي: إن قومي كذبوني فيما أتيتهم به من الحق من عندك فاحكم بيني وبينهم حكماً تهلك به المبطل، وتنتقم منه، وتنصر به الحق وأهله، وجاء في آية أخرى ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ۝١٠﴾ قال ابن الشيخ: أراد به الحكم بإنزال العقوبة عليهم؛ لقوله عقبه: ﴿وَنَجِّنِى﴾؛ أي: خلصني ﴿وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: من العذاب، ومن إذاية الكفار، وكان المؤمنون ثمانين من الرجال، وأربعين من النساء.

فلما دعا ربه بهذا الدعاء استجاب له، فقال: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾؛ أي: فأنجينا نوحاً ﴿وَمَن مَّعَهُۥ﴾ من المؤمنين حسب دعائه ﴿فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾؛ أي: المملوء بهم، وبكل صنف من الحيوان، وبما لا بد لهم منه من الأمتعة والمأكولات ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾؛ أي: بعد إنجائهم، أو بعد ركوب نوح والمؤمنين على السفينة ﴿ٱلْبَاقِينَ﴾ من قومه من لم يركب السفينة بالطوفان، وفيه تنبيه على أن نوحاً كان مبعوثاً إلى من على وجه الأرض، ولذا قال في قصة الباقين، وفي قصة موسى ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ ۝٦٦﴾.

والمعنى: أي فأنجينا نوحاً ومن اتبعه على الإيمان بالله وطاعة رسوله، وأغرقنا من كفر به وخالف أمره، وفي قوله ﴿ٱلْمَشْحُونِ﴾ إيماء إلى كثرتهم، وأن الفلك امتلأ بهم وبما صحبهم ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ الإنجاء والإهلاك، أو إن في ذلك الذي فعل بقوم نوح لاستكبارهم عن قبول الحق واستخفافهم بفقراء المسلمين ﴿لَءَايَةً﴾؛ أي: لعبرة لمن بعدهم.

والمعنى: أي إن في إنجاء المؤمنين وإنزال سطوتنا وبأسنا بالكافرين لعبرة وعظة لقومك يا محمد المصدقين منهم والمكذبين على أن سنتنا إنجاء رسلنا وأتباعهم إذا نزلت نقمتنا بالمكذبين من قومهم، وكذلك هي سنتي فيك وفي قومك ﴿وَمَا كَانَ﴾: ﴿كَانَ﴾: زائدة عند سيبويه كما تقدم ﴿أَكْثَرُهُم﴾؛ أي: أكثر قوم نوح ﴿مُّؤْمِنِينَ﴾ فلم يؤمن من قومه إلا ثمانون من الرجال وأربعون من النساء؛

أي: ومع كل ما حذر به نوح وأنذر لم يؤمن به إلا القليل، وفي هذا إيماء إلى أنه لو كان أكثرهم مؤمنين.. لما عوجلوا بالعقاب، أو المعنى: وما كان أكثر قومك يا محمد وهم قريش مؤمنين، فاصبر على أذاهم كما صبر نوح على أذى قومه.. تظفر كما ظفر ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾؛ أي: الغالب على ما أراد من عقوبة الكفار ﴿الرَّحِيمُ﴾ لمن تاب، أو بتأخير العذاب، والمعنى؛ أي[1]: وإن ربك يا محمد لهو العزيز في انتقامه ممن كفر به وخالف أمره، الرحيم بالتائب منهم أن يعاقبه بعد توبته.

وفي «التأويلات النجمية»: كرر في كل قصة قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٢١)﴾ دلالة على أن الله وعظمته اقتضت أن يكون أكرم الخلق مؤمناً به، مقبولاً له، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ ولا ريب أن أكثر الخلق لئام، والكرام قليلون، كما قال الشاعر:

تُعَيِّرُنَا أَنَّا قَلِيْلٌ عِدَادُنَا ... فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكِرَامَ قَلِيْلُ

قصص هود عليه السلام

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣)﴾؛ أي: كذبت قوم هود هوداً وسائر الرسل الذين ذكرهم هود. فعاد اسم قبيلة هود، سميت باسم أبيها الأعلى، وكان من نسل سام بن نوح عليه السلام. وأنث الفعل باعتبار إسناده إلى القبيلة. ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾ في النسب، لا في الدين. ظرف للتكذيب ﴿هُودٌ﴾ بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح، قال بعضهم[2]: كان اسم هود عابراً، وسمي هوداً لوقاره وسكوته، عاش مئة وخمسين سنة، أرسل إلى أولاد عاد حين بلغ الأربعين. وفي «المراح»: وكان هود تاجراً جميل الصوت يشبه آدم، وعاش من العمر أربع مئة وأربعاً وستين سنة. انتهى. ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ الله سبحانه وتعالى، فتفعلون ما تفعلون ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ﴾ من جهته تعالى ﴿أَمِينٌ﴾؛ أي: مشهور بالأمانة بينكم ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ تعالى وخافوا عقابه ﴿وأطيعونِ﴾ي فيما أمركم به من الحق ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾؛ أي:

---

(١) المراغي. (٢) روح البيان.

على تبليغ الرسالة وأدائها ﴿مِنۡ أَجۡرٍۖ﴾ وجعل ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ﴾؛ أي: ما أجري وثوابي على تبليغ الرسالة إليكم ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾؛ لأنه هو الذي أرسلني، فكان أجري عليه، وهو بيان لتنزهه عن المطاع الدنية والأغراض الدنيوية.

وقد[1] جاءت هذه المقالات من قوله: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ إلى هنا على لسان نوح وهود وصالح ولوط وشعيب؛ للتنبيه على أن بعثة الأنبياء أسسها الدعاء إلى معرفة الله سبحانه وطاعته فيما يقرب المدعو إلى الثواب ويبعده من العقاب، وأن الأنبياء مجتمعون على ذلك، وإن اختلفوا في تفصيل الأحكام تبعاً لاختلاف الأزمنة والعصور، وأن الأنبياء منزهون عن المطامع الدنيوية، لا يأبهون بها، ولا يجعلونها قبلة أنظارهم ومحط رحالهم.

ولما فرغ من دعائهم إلى الإيمان.. أتبعه بإنكار بعض ما هم عليه، فقال: ﴿أَتَبۡنُونَ﴾ ﴿الهمزة﴾: للاستفهام الإنكاري ﴿بِكُلِّ رِيعٍ﴾ - بكسر الراء وفتحها - جمع ريعة، كذلك؛ أي في كل مكان مرتفع ﴿ءَايَةً﴾؛ أي: بناء عالياً متميزاً عن سائر الأبنية تفاخراً حال كونكم ﴿تَعۡبَثُونَ﴾ تلعبون[2] ببنائه، فإن بناء ما لا ضرورة فيه، وما كان فوق الحاجة، عبث. وقيل: المعنى؛ أي[3]: تبنون بكل مكان مرتفع علامة تعبثون فيها بمن يمر بكم وتسخرون منهم؛ لأنكم تشرفون من ذلك البناء المرتفع على الطريق، فتؤذون المارة وتسخرون منهم. قال الكلبي: إنه عبث العشارين بأموال من يمر بهم، حكاه الماوردي. وقيل: إنهم كانوا يبنون في الأماكن المرتفعة؛ ليعرف بذلك غناهم تفاخراً.

﴿وَتَتَّخِذُونَ﴾؛ أي: وتجعلون لأنفسكم ﴿مَصَانِعَ﴾ وحياضاً عظيمة ومخازن للماء تحت الأرض تجمعون فيها ماء المطر ونحوه ﴿لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ﴾؛ أي: راجين أن تخلدوا في الدنيا؛ أي: عاملين عمل من يرجو ذلك، فلذلك تحكمون بناءها. وقيل: ﴿لعل﴾ هنا للتشبيه؛ أي: كأنكم تخلدون. وقيل: للاستفهام التوبيخي؛

---

(١) المراغي.
(٢) روح البيان.
(٣) المراح.

أي: هل أنتم تخلدون في الدنيا. قال أبو حيان: الظاهر[1] أن ﴿لعل﴾ على بابها من الرجاء وكأنه تعليل للبناء والاتخاذ؛ أي: الحامل لكم على ذلك هو الرجاء للخلود، ولا خلود. وفي قراءة عبد الله ﴿كي تخلدون﴾، وفي حرف أبي: ﴿كأنكم تخلدون﴾، وقرىء ﴿كأنكم خالدون﴾. وقرأ الجمهور ﴿تخلدون﴾ مبنياً للفاعل، وقتادة مبنياً للمفعول، وقرأ أبي وعلقمة وأبو العالية مبنياً للمفعول مشدداً ومخففاً مع ضم التاء.

﴿وَإِذَا بَطَشْتُم﴾؛ أي: إذا أخذتم بالعقوبة على أحد بأن ضربتم أحداً بسوط، أو قتلتم بالسيف ﴿بَطَشْتُم﴾؛ أي: فعلتم ذلك حالة كونكم ﴿جَبَّارِينَ﴾؛ أي: متسلطين ظالمين بلا رأفة ولا قصد تأديب، ولا نظر في العاقبة، فأما بالحق والعدل فالبطش جائز، والجبار الذي يضرب ويقتل على الغضب، وهو مذموم في وصف البشر.

والحاصل[2]: أنهم أحبوا العُلُوَّ وبقاء العُلُوِّ، والتفرد بالعلوِ، وكل ذلك ينبه على أن من حب الدينار رأس كل خطيئة، وعنوان كل معصية.

والخلاصة: إذا ضربتم.. ضربتم بالسياط ضرب الجبارين، وإذا عاقبتم قتلتم بلا استحقاق؛ أي: إنكم قوم قساة غلاظ الأكباد ذووا جبروت وعتو، فإذا عاقبتم عاقبتم دون شفقة ولا رأفة، وخلاصة ما قال: إن أفعالكم تدل على حب الدنيا، وعلى الكبرياء والتسلط على الناس بجبروت وعسف.

ثم لما وصفهم بهذه الأوصاف القبيحة الدالة على الظلم والعتو والتمرد والتجبر.. أمرهم بالتقوى، فقال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ سبحانه وتعالى؛ أي: خافوا عقاب الله سبحانه، واتركوا هذه الأفعال الذميمة من بناء الأبنية العالية، واتخاذ الأمكنة الشريفة، وإسراف المال في الحياض والرياض، والبطش بغير حق ﴿وأطيعونـ﴾ـي فيما أدعوكم إليه من التوحيد والعدل والإنصاف، وترك الأمل ونحوها، فإنه أنفع لكم وأجدى.

---

(١) البحر المحيط. (٢) المراح.

ثم وصل العظة بما يوجب قبولها بالتنبيه إلى نعم الله التي غمرتهم وفواضله التي عمتهم، وذكرها أولاً مجملة ثم فصلها؛ ليكون ذلك في نفوسهم، فيحتفظوا بها، ويعرفوا عظيم قدرها، فقال: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم﴾؛ أي: وخافوا عقاب الله الذي أعطاكم ﴿بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ مما لا خفاء فيه عليكم من أنواع النعم الحاصلة لكم، أجملها هود عليه السلام أولاً، ثم فصلها بقوله: ﴿أَمَدَّكُم﴾ وأنعمكم ﴿بِأَنْعَامٍ﴾ من الإبل والبقر والغنم. وأعاد الفعل للتقرير والتأكيد ﴿وَبَنِينَ﴾ ذكور، ولم يذكر البنات؛ لأنها لا تعد عندهم من النعم، كما في قوله: ما هي بنعم الولد ﴿وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾﴾؛ أي: بساتين وأنهار وأبيار، والمعنى؛ أي[1]: واتقوا عقاب الله بطاعتكم إياه فيما أمركم به ونهاكم عنه، فابتعدوا عن اللعب واللهو وظلم الناس والفساد في الأرض، واحذروا سخط من أعطاكم من عنده ما تعلمون من الأنعام والبنين والبساتين والأنهار، تتمتعون بها كما شئتم حتى صرتم مضرب الأمثال في الغنى والثروة والزخرف والزينة، فاجعلوا كفاء هذا عبادة من أنعم بها، وتعظيمه وحده.

ثم بين السبب في أمرهم بالتقوى، فقال: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن لم تقوموا بشكر هذه النعم ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾؛ أي[2]: شديد عذابه في الدنيا والآخرة، فإن كفران النعمة مستتبع للعذاب، كما أن شكرها مستلزم لزيادتها. ووصف اليوم بالعظم؛ لعظم ما يحل فيه، وهو هبوب الريح الصرصر ههنا.

والمعنى: أي إني أخاف عليكم إن أصررتم على كفركم، ولم تشكروا هذه النعم عذاب يوم شديد الهول، تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت، وترى الناس فيه سكارى حيارى، وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد.

وبعد أن بلغ الغاية في إنذارهم وتخويفهم وترغيبهم وترهيبهم.. كانت خاتمة مطافه أن قابلوه بالاستخفاف وقلة الاكتراث والاستهانة بما سمعوا، كما أشار إلى ذلك بقوله: ﴿قَالُوا﴾؛ أي: قال قومه في جواب تذكير هود ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا

---

(١) المراغي. (٢) روح البيان،

﴿أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ﴾؛ أي: وعظك وتذكيرك وتخويفك إيانا من العذاب وعدم وعظك سواء عندنا؛ أي: مستوٍ عندنا، لا نبالي بشيء منه، ولا نلتفت إلى ما تقوله ولا نسمعه.

والمعنى[1]: أي هون عليك، وأرح نفسك، فكل هذا تعب ضائع، وجهاد في غير عدو، وضرب في حديد بارد، فإنا لن نرجع عما نحن عليه، وقد حكى الله سبحانه قولهم في سورة هود: ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

وعادل[2] ﴿أَوَعَظْتَ﴾ بقوله: ﴿أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ﴾ وإن كان قد يعادله: أم لم تعظ، كما قال: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا﴾؛ لأجل الفاصلة، كما عادلت في قوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾، ولم يأت التركيب: ﴿أم صمتم﴾، وكثيراً ما يحسن مع الفواصل ما لا يحسن دونه. وقال الزمخشري: بينهما فرق؛ يعني بين ما جاء في الآية وبين: أم لم تعظ؛ لأن المراد: سواء علينا أفعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ أم لم تكن أصلاً من أهله ومباشريه، فهو أبلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من قولك أم لم تعظ.

وقرأ الجمهور: ﴿وعظت﴾ بإظهار الظاء، وروي عن أبي عمرو والكسائي وعاصم إدغام الظاء في التاء، وبالإدغام قرأ ابن محيصن والأعمش، إلا أن الأعمش زاد ضمير المفعول، فقرأ: ﴿أوعظتنا﴾.

ثم ذكروا السبب في أن الوعظ وعدمه سواء بقولهم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة[3]: ﴿خُلُقُ﴾ بضمتين، والمعنى عليه: أي ما هذا الذي جئتنا به من الكذب إلا عادة الأولين، كانوا يسطرونه، أو ما هذا الدين الذي نحن عليه إلا دين الأولين من الآباء والأجداد، فنحن سالكون سبيلهم، مقتدون بهم، أو ما هذا الذي نحن عليه من الموت والحياة، والبلاء

---

(١) المراغي.
(٢) البحر المحيط.
(٣) المراح.

والعافية، ومن اعتقاد أن لا بعث ولا حساب ولا جزاء إلا عادة قديمة، لم يزل الناس عليها من قديم الدهر.

وقرأ عبد الله وعلقمة والحسن وأبو جعفر وأبو عمرو وابن كثير والكسائي[1]: ﴿خَلْق﴾ بفتح الخاء وسكون اللام، والمعنى: أي: ما هذا الذي جئتنا به إلا خلق الأولين؛ أي: اختلاقهم وكذبهم، فأنت على مناهجهم، أو ما خلقنا هذا إلا خلق الأمم الماضية، نحيا كحياتهم، ونموت كمماتهم، ولا بعث ولا معاد، ولا ثواب ولا عقاب، ولا جنة ولا نار. وقرأ أبو قلابة والأصعمي عن نافع بضم الخاء وسكون اللام، وتحتمل هذه القراءة ذينك الاحتمالين اللذين في ﴿خُلُقُ﴾ بضمتين.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ على ما نحن عليه من الأعمال والعادات ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾؛ أي: كذبوا هوداً، وأصروا على تكذيبه ومخالفة أمره ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُمْ﴾؛ أي: عاداً بسبب تكذيبهم بريح صرصر عاتية؛ ريح عظيمة ذات برد شديد، كما جاء في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾﴾، وقوله: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ تلخيصه: أن هوداً أنذر قومه وعظهم، فلم يتعظوا فأهلكوا.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾؛ أي: إن في إهلاكنا عاداً بتكذيبها رسولها ﴿لَءَايَةً﴾؛ أي: لعبرة وعظة لقومك ـ يا محمد ـ المكذبين بك فيما أتيتهم به من عند ربك ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم﴾؛ أي: أكثر قوم عاد ﴿مُّؤْمِنِينَ﴾ بالله وبرسولهم هود عليه السلام. أو: وما كان أكثر من أهلكنا بالذين يؤمنون في سابق علمنا. أو: وما كان أكثر هؤلاء الذين سمعوا قصتهم من قوم محمد ﷺ مؤمنين ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب المنتقم الشديد في انتقامه ممن يعمل عمل الجبارين، ولا يقبل موعظة واعظ ونصيحة ناصح. ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بأوليائه المؤمنين إن تابوا وأصلحوا.

وهذا تهديد لهذه الأمة كيلا يسلكوا مسالكهم[2]. قيل: خير ما أعطي الإنسان عقل يردعه، فإن لم يكن فحياء يمنعه، فإن لم يكن فخوف يقمعه، فإن

---

(١) البحر المحيط.
(٢) روح البيان.

لم يكن فمال يستره، فإن لم يكن فصاعقة تحرقه وتريح منه العباد والبلاد، كالأرض إذا استولى عليها الشوك فلا بد من نسفها وإحراقها بتسليط النار عليها، حتى تعود بيضاء، فعلى العاقل أن يعتبر ويخاف من عقوبة الله سبحانه، ويترك العادات والشهوات والملاهي والتلفازات، ولا يصر على المخالفات والمنهيات، وقد أهلك الله سبحانه قوم عاد مع شدة قوتهم وشوكتهم بأضعف الأشياء وهو الريح، فإنه إذا أراد يجعل الأضعف أقوى كالبعوضة، ففي الريح ضعف للأولياء، وقوة على الأعداء، ولأن للكمل معرفة تامة بشؤون الله تعالى، لم يزالوا مراقبين خائفين، كما أن الجهلاء ما زالوا غافلين آمنين، ولذا قامت عليهم الطامة في كل زمان ـ قوّانا الله وإياكم بحقائق اليقين، وجعلنا وإياكم من أهل المراقبة في كل حين ـ.

الإعراب

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (٨٣) وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (٨٤) وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (٨٥) وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ (٨٦) وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)﴾.

﴿رَبِّ﴾: منادى مضاف حذف منه حرف النداء، وجملة النداء في محل النصب مقول قال إبراهيم. ﴿هَبْ﴾: فعل دعاء، وفاعل مستتر يعود على الله. ﴿لِي﴾: جار ومجرور متعلق به. ﴿حُكْمًا﴾: مفعول به، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾، على كونها جواب النداء. ﴿وَأَلْحِقْنِي﴾: فعل دعاء وفاعل مستتر، ونون وقاية ومفعول به ﴿بِالصَّالِحِينَ﴾: متعلق به، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة ﴿هَبْ لِي﴾. ﴿وَاجْعَل﴾: فعل دعاء، وفاعل مستتر معطوف على ﴿هَبْ لِي﴾. ﴿لِي﴾: جار ومجرور في محل المفعول الثاني لـ﴿اجعل﴾. ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾: مفعول أول لـ﴿اجعل﴾، وهو من إضافة الصفة إلى الموصوف. ﴿فِي الْآخِرِينَ﴾: جار ومجرور صفة لـ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾. ﴿وَاجْعَلْنِي﴾: فعل وفاعل مستتر ونون وقاية، ومفعول به أول معطوف على ﴿هَبْ لِي﴾. ﴿مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه، صفة لموصوف محذوف وقع مفعولاً ثانياً لجعل؛ أي: واجعلني

وارثاً من ورثة جنة النعيم. ﴿وَٱغْفِرْ﴾: فعل وفاعل مستتر معطوف على ﴿هَبْ﴾. ﴿لِأَبِيٓ﴾: متعلق بـ﴿اغفر﴾. ﴿إِنَّهُۥ﴾: ناصب واسمه. ﴿كَانَ﴾: فعل ناقص، واسمها مستتر يعود على الأب. ﴿مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾: خبرها، وجملة ﴿كَانَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل الغفران على كونها مقولاً لـ﴿قَالَ﴾. ﴿وَلَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿لَا﴾: دعائية جازمة. ﴿تُخْزِنِي﴾: فعل مضارع مجزوم بـ﴿لَا﴾ الدعائية، وعلامة جزمه حذف حرف العلة وهي الياء، وفاعله ضمير يعود على الله، و﴿النون﴾: للوقاية، و﴿الياء﴾: مفعول به، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة ﴿هَبْ﴾. ﴿يَوْمَ﴾: منصوب على الظرفية متعلق بـ﴿تُخْزِنِي﴾. ﴿يُبْعَثُونَ﴾: فعل ونائب فاعل، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ﴿يَوْمَ﴾. ﴿يَوْمَ﴾: في محل النصب على الظرفية بدل من ﴿يَوْمَ﴾ الأول. ﴿لَا يَنفَعُ مَالٌ﴾: فعل وفاعل في محل الجر مضاف إليه لـ﴿يَوْمَ﴾. ﴿وَلَا بَنُونَ﴾: معطوف على ﴿مَالٌ﴾ مرفوع بالواو؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء، والمستثنى منه محذوف تقديره: يوم لا ينفع مال ولا بنون أحداً. ﴿مَنْ﴾: اسم موصول في محل النصب على الاستثناء من المستثنى منه المحذوف المذكور. ﴿أَتَى ٱللَّهَ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به. ﴿بِقَلْبٍ﴾: متعلق بـ﴿أَتَى﴾. ﴿سَلِيمٍ﴾: صفة ﴿قلب﴾، والجملة صلة الموصول.

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ﴾: فعل ونائب فاعل. ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾: متعلق به، والجملة في محل الجر معطوفة على جملة قوله: ﴿لَا يَنفَعُ﴾. ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ﴾: فعل ونائب فاعل أيضاً معطوف على: ﴿لَا يَنفَعُ مَالٌ﴾. ﴿لِلْغَاوِينَ﴾: متعلق به. ﴿وَقِيلَ﴾: ﴿الواو﴾: حالية، أو عاطفة. ﴿قيل﴾: فعل ماض مغير الصيغة. ﴿لَهُمْ﴾: متعلق به. ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ﴾ إلى قوله: ﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا﴾: نائب فاعل محكي لـ﴿قيل﴾، وجملة ﴿قيل﴾ في محل النصب حال من الغاوين، ولكنها بتقدير قد. وإن شئت قلت: ﴿أَيْنَ﴾ اسم استفهام في محل النصب على الظرفية المكانية متعلق

بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَا﴾: اسم موصول في محل الرفع مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل الرفع نائب فاعل لـ﴿قيل﴾. ﴿كُنتُم﴾: فعل ناقص واسمه، وجملة ﴿تَعْبُدُونَ﴾ خبره، وجملة ﴿كان﴾ صلة لـ﴿مَا﴾ الموصولة. ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بمحذوف حال من واو ﴿تَعْبُدُونَ﴾؛ أي: حالة كونكم مجاوزين الله في عبادتكم.

فائدة: واختلفت المصاحف في رسم ﴿مَا﴾ في ﴿أَيْنَ مَا﴾ موصولة بـ﴿أَيْنَ﴾، أو مفصولة عنها، والفصل أظهر هنا، فليست هذه كالتي في قوله: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾ فهي زائدة، وترسم موصولة باتفاق، اهـ «كرخي». ﴿هَلْ﴾: حرف للاستفهام التوبيخي. ﴿يَنصُرُونَكُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة في محل الرفع نائب فاعل لـ﴿قيل﴾ ﴿أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿يَنصُرُونَكُمْ﴾.

﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَـٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾.

﴿فَكُبْكِبُوا۟﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿كبكبوا﴾: فعل ونائب فاعل معطوف على ﴿قيل﴾. ﴿فِيهَا﴾: متعلق به. ﴿هُمْ﴾: تأكيد للضمير المرفوع في ﴿كبكبوا﴾، ليصح العطف عليه. ﴿وَٱلْغَاوُۥنَ﴾ معطوف على ﴿الواو﴾ في ﴿كبكبوا﴾، وسوغ العطف عليهما الفصل بالجار والمجرور، وبضمير التوكيد. ﴿وَجُنُودُ﴾: معطوف على ﴿الواو﴾ أيضاً. ﴿إِبْلِيسَ﴾: مضاف إليه مجرور بالفتحة للعلمية والعجمة. ﴿أَجْمَعُونَ﴾: تأكيد للواو في ﴿كبكبوا﴾ وما عطف عليه. ﴿قَالُوٓا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿وَهُمْ﴾: مبتدأ. ﴿فِيهَا﴾: متعلق بـ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾، وجملة ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب حال من واو ﴿قَالُوٓا۟﴾. ﴿تَٱللَّهِ﴾: جار ومجرور، متعلق بفعل قسم محذوف تقديره: نقسم تالله، وجملة القسم في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓا۟﴾. ﴿إِن﴾: مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، تقديره: تالله إنه. ﴿كُنَّا﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿لَفِى﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء. ﴿في ضلال﴾: جار ومجرور خبر كان. ﴿مُّبِينٍ﴾: صفة

﴿ضلال﴾، وجملة كان في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ جواب القسم لا محل لها من الإعراب على كونها مقول ﴿قَالُوٓاْ﴾ ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان متعلق بـ﴿كُنَّا﴾. ﴿نُسَوِّيكُم﴾: فعل مضارع ومفعول به وفاعل مستتر. ﴿بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿نُسَوِّيكُم﴾، والجملة الفعلية في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إِذْ﴾. ﴿وَمَآ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿مَآ﴾: نافية. ﴿أَضَلَّنَآ﴾: فعل ومفعول. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: فاعل، والجملة معطوفة على جملة القسم. ﴿فَمَا﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿ما﴾: نافية، ﴿لَنَا﴾: خبر مقدم. ﴿مِن شَٰفِعِينَ﴾: مبتدأ مؤخر، و﴿مِن﴾ زائدة، والجملة الاسمية معطوفة على جملة ﴿أَضَلَّنَآ﴾. ﴿وَلَا صَدِيقٍ﴾: معطوف على ﴿شَٰفِعِينَ﴾. ﴿حَمِيمٍ﴾: صفة ﴿صَدِيقٍ﴾.

﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾﴾.

﴿فَلَوْ﴾: ﴿الفاء﴾: استئنافية، ﴿لو﴾: حرف تمن بمعنى نتمنى نائب عن الفعل. ﴿أَنَّ﴾: حرف نصب. ﴿لَنَا﴾: خبر مقدم لـ﴿أَنَّ﴾ ﴿كَرَّةً﴾: اسمها مؤخر، وجملة ﴿أَنَّ﴾ في تأويل مصدر منصوب على المفعولية لفعل محذوف دلت عليه ﴿لو﴾ والتقدير: فنتمنى كون كرة لنا إلى الدنيا، ويجوز أن تكون ﴿لو﴾ شرطية، وجملة ﴿أَنَّ﴾ حينئذ في تأويل مصدر مرفوع على كونه فاعلاً لفعل محذوف بعد ﴿لو﴾، تقديره: لو ثبت كون كرة لنا إلى الدنيا، والجملة المحذوفة فعل شرط لـ﴿لو﴾، وجوابها محذوف تقديره: فلو ثبت كون كرة لنا لفعلنا كيت وكيت، وجملة ﴿لو﴾ الشرطية مستأنفة. ﴿فَنَكُونَ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة سببية إن قلنا: ﴿لو﴾ للتمني. ﴿نكون﴾: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد الفاء السببية الواقعة في جواب التمني، واسمها ضمير مستتر فيها. ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: جار ومجرور في محل النصب خبر ﴿نكون﴾، وجملة ﴿نكون﴾ مع أن المضمرة في تأويل مصدر معطوف على مصدر متقيد من الجملة التي قبلها من غير سابك لإصلاح المعنى، تقديره: نتمنى كون كرة لنا إلى الدنيا فكوننا من المؤمنين.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾.

﴿إِنَّ﴾: حرف نصب. ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور خبر مقدم ﴿لَآيَةً﴾: اسمها مؤخر، واللام حرف ابتداء، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة. ﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾: فعل ناقص واسمه وخبره، والجملة معطوفة على جملة ﴿إِنَّ﴾ ﴿وَإِنَّ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿إن ربك﴾: ناصب واسمه. ﴿لَهُوَ﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء. ﴿هُوَ﴾: ضمير فصل. ﴿الْعَزِيزُ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿الرَّحِيمُ﴾: خبر ثان لها، وجملة ﴿إِنَّ﴾ معطوفة على جملة ﴿إِنَّ﴾ الأولى.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾﴾.

﴿كَذَّبَتْ﴾: فعل ماض. ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾: فاعل ومضاف إليه. ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾: مفعول به، والجملة مستأنفة. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان متعلق بـ﴿كَذَّبَتْ﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض. ﴿لَهُمْ﴾: متعلق بـ﴿قَالَ﴾. ﴿أَخُوهُمْ﴾: فاعل ومضاف إليه مرفوع بالواو. ﴿نُوحٌ﴾: بدل من ﴿أَخُوهُمْ﴾، أو عطف بيان منه، وجملة ﴿قَالَ﴾ في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إِذْ﴾. ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ إلى قوله: ﴿قَالُوا﴾: مقول محكي لـ﴿قَالَ﴾، وإن شئت قلت: ﴿أَلَا﴾: أداة عرض. ﴿تَتَّقُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿إِنِّي﴾: ناصب واسمه. ﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور حال من ﴿رَسُولٌ﴾؛ لأنه صفة نكرة قدمت عليها، ﴿رَسُولٌ﴾: خبر ﴿إن﴾. ﴿أَمِينٌ﴾: صفة ﴿رَسُولٌ﴾، وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها معللة لعرضه عليهم الجنوح إلى التقوى. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفتم أني رسول لكم، وأردتم بيان ما هو اللازم لكم.. فأقول لكم. ﴿اتقوا﴾: فعل وفاعل: ﴿اللَّهَ﴾: مفعول به، والجملة في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَأَطِيعُونِ﴾: فعل أمر وفاعل ونون وقاية، وياء المتكلم المحذوفة للفاصلة اجتزاء عنها بكسرة نون الوقاية في محل النصب مفعول به، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ على كونها مقولاً لجواب إذا المقدرة.

﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾﴾.

﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ﴾ الواو: عاطفة. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿أَسۡـَٔلُكُمۡ﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر يعود على ﴿نُوحٍ﴾ ومفعول أول ﴿عَلَيۡهِ﴾: جار ومجرور، متعلق بمحذوف حال من ﴿أَجۡرٍ﴾. ﴿مِنۡ﴾: زائدة. ﴿أَجۡرٍ﴾: مفعول ثان لسأل، والجملة في محل النصب. مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿إِنۡ﴾: نافية. ﴿أَجۡرِيَ﴾: مبتدأ ومضاف إليه. ﴿إِلَّا﴾: أداة حصر. ﴿عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه خبر المبتدأ، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة. ﴿اتقوا الله﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة في محل النصب، مقول لجواب إذا المقدرة. ﴿وَأَطِيعُونِ﴾: فعل وفاعل ونون وقاية ومفعول به محذوف، والجملة معطوفة على جملة ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾.

تنبيه: وقد صدرت القصص الخمس بالأمر بالتقوى؛ للدلالة على اتفاق الأديان السماوية على وجوب معرفة الحق واتباعه، وكررت الجملة نفسها تأكيداً لهذه الغاية السامية كما مر.

﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنۡ حِسَابُهُمۡ
إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿١١٥﴾﴾.

﴿قَالُوٓاْ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿أَنُؤۡمِنُ﴾ ﴿الهمزة﴾: للاستفهام الإنكاري. ﴿نؤمن﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر يعود على قوم ﴿نُوحٍ﴾. ﴿لَكَ﴾: جار ومجرور متعلق به، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَٱتَّبَعَكَ﴾: ﴿الواو﴾: حالية. ﴿اتبعك﴾: فعل ومفعول به. ﴿ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾: فاعل، والجملة الفعلية في محل النصب حال من كاف ﴿لَكَ﴾، ولكنها على تقدير قد. ﴿قَالَ﴾: فعل وفاعل مستتر يعود على ﴿نُوحٍ﴾، والجملة مستأنفة. ﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿مَا﴾: استفهامية في محل الرفع مبتدأ. ﴿عِلۡمِي﴾: خبرها ومضاف إليه. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿عِلۡمِي﴾، ويحتمل كون ﴿مَا﴾ نافية. ﴿عِلۡمِي﴾: مبتدأ ومضاف إليه. ﴿بِمَا﴾: متعلق به، والخبر محذوف تقديره: وما

علمي بما كانوا يعملون حاصل، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾.
﴿كَانُوا﴾: فعل ناقص واسمه، وجملة ﴿يَعْمَلُونَ﴾ خبره، وجملة كان صلة لـ﴿ما﴾ الموصولة. ﴿إِنْ﴾: نافية. ﴿حِسَابُهُمْ﴾: مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿عَلَىٰ رَبِّي﴾: جار ومجرور خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب قول ﴿قَالَ﴾.
﴿لَوْ﴾: حرف امتناع وشرط. ﴿تَشْعُرُونَ﴾: فعل وفاعل، ومفعول ﴿تَشْعُرُونَ﴾ محذوف، تقديره: ذلك، وجواب ﴿لَوْ﴾ محذوف، تقديره: ما عيرتموهم وما نسبتم إليهم شيئاً من نقص، وجملة ﴿لَوْ﴾ الشرطية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿مَا﴾: حجازية. ﴿أَنَا﴾: اسمها. ﴿بِطَارِدِ﴾ ﴿الباء﴾: زائدة، ﴿طارد المؤمنين﴾: خبرها مجرور لفظاً منصوب محلاً. ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾: مضاف إليه، والجملة معطوفة على ما قبلها على كونها مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿إِنْ﴾: نافية. ﴿أَنَا﴾: مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿نَذِيرٌ﴾: خبر. ﴿مُبِينٌ﴾: صفة له، والجملة معطوفة على ما قبلها.

﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾﴾.

﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة، ﴿لَئِن﴾: ﴿اللام﴾: موطئة للقسم، ﴿إن﴾: حرف شرط. ﴿لَمْ﴾: حرف جزم. ﴿تَنتَهِ﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر مجزوم بـ﴿لَمْ﴾، والجملة في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونها فعل شرط لها. ﴿يَٰنُوحُ﴾: منادى مفرد العلم، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾ على كونها معترضة. ﴿لَتَكُونَنَّ﴾: ﴿اللام﴾: موطئة للقسم مؤكدة للأولى، كررت لتدل على أن ما بعدها جواب القسم لا جواب الشرط. ﴿تكونن﴾: فعل مضارع ناقص في محل الرفع؛ لتجرده عن الناصب والجازم مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، واسمها ضمير يعود على ﴿نُوحٍ﴾. ﴿مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾: جار ومجرور خبر ﴿تكونن﴾، وجملة ﴿تكونن﴾ جواب القسم لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم المحذوف في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾، وجواب الشرط محذوف جرياً على القاعدة المشهورة المذكورة في قول ابن مالك:

وَاحْذِفْ لَدَىٰ اجْتِمَاعِ شَرْطٍ وَقَسَمْ ... جَوَابَ مَا أَخَّرْتَ فَهْوَ مُلْتَزَمْ

تقديره: إن لم تنته يا نوح تكن من المرجومين، وجملة الشرط في محل النصب مقول ﴿قَالُوا۟﴾ على كونها معترضة بين القسم وجوابه.

﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على ﴿نُوحٌ﴾، والجملة مستأنفة. ﴿رَبِّ﴾: منادى مضاف حذف منه حرف النداء، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿إِنَّ قَوْمِى﴾: ناصب واسمه ومضاف إليه. ﴿كَذَّبُونِ﴾: فعل ماض وفاعل ونون وقاية، وياء المتكلم المحذوفة للفاصلة اجتزاء عنها بكسرة نون الوقاية في محل النصب مفعول به، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها جواب النداء. ﴿فَٱفْتَحْ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة تفريعية؛ لكون ما قبلها علة لما بعدها. ﴿افتح﴾: فعل دعاء، وفاعل مستتر يعود على الله. ﴿بَيْنِى﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بـ﴿افتح﴾. ﴿وَبَيْنَهُمْ﴾: معطوف على ﴿بَيْنِى﴾. ﴿فَتْحًا﴾: مفعول مطلق، أو مفعول به، والجملة الفعلية في محل النصب معطوفة على جملة ﴿إن﴾ على كونها مقول ﴿قَالَ﴾ عطف فعلية على اسمية. ﴿وَنَجِّنِى﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿نَجِّنِى﴾: فعل دعاء وفاعل ونون وقاية ومفعول به، معطوف على ﴿فَٱفْتَحْ﴾. ﴿وَمَن﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿مَنْ﴾: اسم موصول في محل النصب معطوف على ياء المتكلم، أو مفعول معه. ﴿مَعِىَ﴾: ظرف ومضاف إليه صلة ﴿مَنْ﴾ الموصولة. ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: جار ومجرور حال من الضمير المستكن في الصلة. ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾: ﴿الفاء﴾: استئنافية، ﴿أنجيناه﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة مستأنفة. ﴿وَمَن﴾: اسم موصول في محل النصب معطوف على ضمير المفعول، أو مفعول معه. ﴿مَّعَهُۥ﴾: ظرف ومضاف إليه صلة ﴿مَنْ﴾ الموصولة. ﴿فِى ٱلْفُلْكِ﴾: متعلق بـ﴿أنجيناه﴾، أو متعلق بالاستقرار الذي تعلق به الظرف. ﴿ٱلْمَشْحُونِ﴾: صفة لـ﴿ٱلْفُلْكِ﴾.

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾.

﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف وتراخ. ﴿أَغْرَقْنَا﴾: فعل وفاعل، معطوف على ﴿أنجينا﴾. ﴿بَعْدُ﴾: في محل النصب على الظرفية الزمانية مبني على الضم؛ لانقطاعه عن الإضافة لفظاً لا معنى، والمراد: بعد إنجائهم ﴿ٱلْبَاقِينَ﴾: مفعول ﴿أَغْرَقْنَا﴾. ﴿إِنَّ﴾: حرف نصب. ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾: خبرها مقدم. ﴿لَآيَةً﴾: اسمها مؤخر، وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة. ﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾: فعل ناقص واسمه وخبره، معطوف على جملة ﴿إن﴾. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾: ناصب واسمه. ﴿لَهُوَ﴾: ضمير فصل، و﴿اللام﴾: حرف ابتداء. ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: خبره. ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: خبر ثان لها، والجملة معطوفة على جملة ﴿إن﴾ الأولى.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾﴾.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة مستأنفة مسوقة للشروع في القصة الرابعة. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان متعلق بـ﴿كَذَّبَتْ﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض. ﴿لَهُمْ﴾: متعلق به. ﴿أَخُوهُمْ﴾: فاعل ومضاف إليه. ﴿هُودٌ﴾: بدل من ﴿أَخُوهُمْ﴾، أو عطف بيان له، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إِذْ﴾. ﴿أَلَا﴾: أداة عرض. ﴿تَتَّقُونَ﴾: فعل وفاعل، والمفعول محذوف تقديره: تتقون الله، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿إِنِّي﴾: ناصب واسمه. ﴿لَكُمْ﴾: حال من ﴿رَسُولٌ﴾. ﴿رَسُولٌ﴾: خبر ﴿إن﴾. ﴿أَمِينٌ﴾: صفة له، وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول ﴿قال﴾ على كونها معللة لعرضه عليهم التقوى. ﴿فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة كما تقدم. ﴿اتقوا الله﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَأَطِيعُونِ﴾: فعل وفاعل ونون وقاية ومفعول محذوف معطوف على ﴿اتقوا الله﴾. ﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة ﴿مَا﴾: نافية. ﴿أَسْـَٔلُكُمْ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول أول، والجملة معطوفة على

جملة ﴿إن﴾. ﴿عَلَيْهِ﴾: حال. ﴿مِنْ﴾: زائدة. ﴿أَجْرٍ﴾: مفعول ثان لسأل. ﴿إن﴾: نافية. ﴿أَجْرِيَ﴾: مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: خبر المبتدأ، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾.

﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾﴾.

﴿أَتَبْنُونَ﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام التوبيخي. ﴿تبنون﴾: فعل وفاعل. ﴿بِكُلِّ رِيعٍ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿تبنون﴾. ﴿ءَايَةً﴾: مفعول به، والجملة الاستفهامية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿تَعْبَثُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل النصب حال من فاعل ﴿تبنون﴾. ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به معطوف على ﴿تبنون﴾. ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: ناصب واسمه، وجملة ﴿تَخْلُدُونَ﴾: في محل الرفع خبر ﴿لعل﴾، وجملة ﴿لعل﴾ في محل النصب حال من فاعل ﴿تَخْلُدُونَ﴾؛ أي: حالة كونكم راجين ومؤملين أن تخلدوا في الدنيا. ﴿وَإِذَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿إذا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان. ﴿بَطَشْتُم﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل الخفض بإضافة ﴿إذا﴾ إليها على كونها فعل شرط لها. ﴿بَطَشْتُم﴾: فعل وفاعل جواب ﴿إذا﴾ لا محل لها من الإعراب، والظرف متعلق بالجواب. ﴿جَبَّارِينَ﴾: حال من فاعل ﴿بَطَشْتُمْ﴾، وجملة ﴿إذا﴾ معطوفة على جملة قوله: ﴿أَتَبْنُونَ﴾. ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفتم ما قلت لكم، وأردتم بيان ما هو اللازم لكم.. فأقول لكم اتقوا الله ﴿اتقوا الله﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة. ﴿وَأَطِيعُونِ﴾: فعل وفاعل ونون وقاية ومفعول محذوف معطوف على ﴿اتقوا الله﴾.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾﴾.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ﴾: فعل وفاعل ومفعول به معطوف على ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾.

﴿أَمَدَّكُم﴾: فعل وفاعل مستتر يعود على الموصول، ومفعول به صلة الموصول. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أَمَدَّكُم﴾، وجملة ﴿تَعْلَمُونَ﴾ صلة ﴿مَا﴾ الموصولة، والعائد محذوف تقديره: تعلمونه. ﴿أَمَدَّكُم﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به، والجملة بدل من جملة ﴿أَمَدَّكُم﴾ الأولى بدل بعض من كل؛ لأنها أخص من الأولى باعتبار متعلقيهما، فتكون داخلة في الأولى لأن ﴿ما تعلمون﴾: يشمل الأنعام وغيرها. وقيل: هي مفسرة للجملة الأولى، فلا محل لها من الإعراب، وشرط إبدال الجملة من الجملة أن تكون الثانية أوفى من الأولى بتأدية المعنى المراد، ولذلك لا يقع البدل المطابق في الجمل، وإنما يقع بدل البعض من الكل. ﴿بِأَنْعَامٍ﴾: متعلق بـ﴿أَمَدَّكُم﴾. ﴿وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾: معطوفة على ﴿أنعام﴾. ﴿إِنِّي﴾: ناصب واسمه. ﴿أَخَافُ﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر يعود على ﴿هُودٌ﴾. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلق بـ﴿أَخَافُ﴾. ﴿عَذَابَ﴾: مفعول به. ﴿يَوْمٍ﴾: مضاف إليه. ﴿عَظِيمٍ﴾: صفة ﴿يَوْمٍ﴾، وجملة ﴿أَخَافُ﴾ في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها على كونها مقول ﴿قال﴾. ﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿سَوَاءٌ﴾: خبر مقدم لمبتدأ متصيد من الجملة التي بعدها من غير سابك لإصلاح المعنى. ﴿عَلَيْنَا﴾: متعلق بـ﴿سَوَاءٌ﴾؛ لأنه بمعنى مستو، والهمزة للاستفهام. ﴿أَوَعَظْتَ﴾: فعل وفاعل. ﴿أَمْ﴾: حرف معادل لهمزة التسوية عاطف. ﴿لَمْ﴾: حرف جزم. ﴿تَكُن﴾: فعل مضارع ناقص مجزوم بـ﴿لَمْ﴾، واسمها ضمير يعود على ﴿هُودٌ﴾. ﴿مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾: خبر ﴿تَكُن﴾، وجملة ﴿تَكُن﴾ معطوفة على جملة وعظت، وجملة وعظت في تأويل مصدر من غير سابك لإصلاح المعنى مرفوع على الابتداء، والتقدير: وعظك إيانا وعدمه سواء علينا في عدم مبالاتنا لوعظك، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾.

﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ (١٣٧) وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (١٣٨) فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٤٠)﴾.

﴿إن﴾: نافية. ﴿هَذَا﴾: مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾:

خبر ومضاف إليه، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓا۟﴾. ﴿وَمَا نَحْنُ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿مَا﴾: حجازية. ﴿نَحْنُ﴾: في محل الرفع اسمها. ﴿بِمُعَذَّبِينَ﴾: خبرها، و﴿الباء﴾: زائدة، والجملة معطوفة على الجملة التي قبلها. ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: ﴿الفاء﴾: حرف عطف وتفريع، ﴿كذبوه﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة معطوفة مفرعة على جملة ﴿قَالُوٓا۟﴾. ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُمْ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة تفريعية، ﴿أهلكناهم﴾: فعل وفاعل ومفعول به معطوف مفرع على ﴿كذبوه﴾. ﴿إِنَّ﴾: حرف نصب. ﴿فِى ذَٰلِكَ﴾: خبرها مقدم على اسمها ﴿لَءَايَةً﴾: اسمها مؤخر عن خبرها. و﴿اللام﴾ حرف ابتداء، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة. ﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾: فعل ناقص واسمه وخبره، والجملة معطوفة على جملة ﴿إن﴾. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾: ناصب واسمه ﴿لَهُوَ﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء. ﴿هو﴾: ضمير فصل. ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: خبر ثان لها، وجملة ﴿إِنَّ﴾ معطوفة على جملة ﴿إِنَّ﴾ الأولى.

التصريف ومفردات اللغة

﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾ الحكم: هو العلم بالخبر والعمل به. واللحوق بالصالحين يراد به التوفيق للأعمال التي توصل إلى الانتظام في زمرة الكاملين المنزهين عن كبائر الذنوب وصغائرها.

﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾؛ أي: ذكراً جميلاً بين الناس، بتوفيقي إلى الطريق الحسنة حتى يقتدي بي الناس من بعدي، وهذا هو الحياة الثانية، كما قال:

قَدْ مَاتَ قَوْمٌ وَهُمْ   فِيْ ٱلنَّاسِ أَحْيَاءُ

﴿مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾؛ أي: من الذين يستمتعون بالجنة وسعادتها، فيكون ذلك غنيمة لهم، كما يستمتع الناس بالميراث في الدنيا.

﴿وَلَا تُخْزِنِى﴾ من أخزى يخزي إخزاء أصله من الخزي بمعنى الهوان والذل، وقيّد عدم الإخزاء بيوم البعث؛ لأن الدنيا مظهر اسم الستار كما مر.

﴿مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ والقلب السليم: هو البعيد عن الكفر والنفاق وسائر الأخلاق الذميمة.

﴿أزلفت﴾؛ أي: قرّبت الجنة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها من الموقف ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ﴾؛ أي: جعلت بارزة؛ أي: ظاهرة ﴿لِلْغَاوِينَ﴾؛ أي: الضالين عن طريق الهدى.

﴿أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾ وباب افتعل ههنا مطاوع فعل، قال في «كشف الأسرار» النصر: المعونة على دفع الشر والسوء عن غيره، والانتصار أن يدفع عن نفسه.

﴿فَكُبْكِبُواْ فِيهَا﴾ والكبكبة: تكرير الكب؛ وهو الإلقاء على الوجه بتكرير معناه، كأن من ألقي في النار ينكب مرة بعد أخرى حتى يستقر في قعرها، اهـ «بيضاوي». وفي «روح البيان»: الكبكبة: تدهور الشيء في هوة؛ وهو تكرير الكب، وهو الطرح والإلقاء منكوساً، وجعل تكرير اللفظ دليلاً على تكرير المعنى، كرر عين الكبّ بنقله إلى باب التفعيل، فأصل كبكبوا كبّبوا، فاستثقل اجتماع الباءات، فأبدلت الثانية كافاً، كما في زحزح، فإن أصله زحح من زحّه يزحّه؛ أي: نحا عن موضعه، ثم نقل إلى باب التفعيل، فقيل: زحّحه، فأبدلت الحاء الثانية زاياً، فقيل: زحزحه؛ أي: باعده، اهـ.

﴿ٱلْغَاوُۥنَ﴾: اسم فاعل من غوى يغوى غواية إذا ضل عن طريق الهدى.

﴿يَخْتَصِمُونَ﴾؛ أي: يخاصمون من معهم من الأصنام والشياطين. فافتعل هنا بمعنى فاعل الذي للمشاركة.

﴿إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ من الإجرام؛ وهو الإشراك، وأصل الجرم: قطع الثمرة عن الشجرة، والجرامة رديء الثمر، وأجرم إذا صار ذا جرم، نحو أثمر وألبن، واستعير ذلك لكل اكتساب مكروه، ولا يكاد يقال في عامة كلامهم للكسب المحمود.

﴿مِن شَٰفِعِينَ﴾: جمع شافع من الشفاعة؛ وهو طلب الخير من الغير للغير.

﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾: من الصداقة، والصداقة: أن يفرح الشخص

لفرحك، ويحزن لحزنك، والعداوة على الضد من ذلك. والحميم: هو الذي يهمّه ما أهمّك؛ من الاحتمام؛ وهو الاهتمام، أو من الحامة؛ وهي الخاصة؛ وهو الصديق المشفق. والنفي هنا يحتمل نفي الصديق من أصله، أو نفي صفته فقط، والصديق يحتمل أن يكون مفرداً، وأن يكون مستعملاً في الجمع، كما يستعمل العدو فيه، كما يقال: هم صديق، وهم عدو، اهـ «كشاف». وفي «البيضاوي»: جمع الشافع، ووحد الصديق لكثرة الشفعاء في العادة، وقلة الصديق، ولأن الصديق الواحد يسعى أكثر مما يسعى الشفعاء، أو لإطلاق الصديق على الجمع كالعدو؛ لأنه في الأصل مصدر كالحنين والصهيل، اهـ.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ﴾: تأنيث الفعل المسند إلى القوم باعتبار معناه، وهو الأمة والجماعة، وتذكير الضمير العائد إليه في قوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾ باعتبار لفظه. وفي «البيضاوي»: القوم مؤنث، ولذلك يصغر على قويمة». وفي «المصباح»: «القوم يذكر ويؤنث، فيقال: قام القوم، وقامت القوم، وكذلك كل اسم جمع لا واحد له من لفظه، نحو رهط ونفر»، اهـ. فقوله: مؤنث؛ أي: على الأغلب، لا أنه ذهب إلى أنه جمع قائم، والأصل تأنيثه، اهـ «شهاب».

﴿أَخُوهُمْ﴾؛ أي: أخوة نسب، كما يقال: يا أخا العرب، ويا أخا تميم، يريدون: يا من هو واحد منهم، قال الحماسي:

لاَ يَسْأَلُوْنَ أَخَاهُمْ حِيْنَ يَنْدُبُهُمْ فِيْ النَّائِبَاتِ عَلَىٰ مَا قَالَ بُرْهَانَا

﴿ٱلْأَرْذَلُونَ﴾: جمع الأرذل، والرذالة الخسة والدناءة، والرذال: المرغوب عنه لرداءته، يعنون أن لا عبرة لاتباعهم لك؛ إذ ليس لهم رزانة عقل وإصابة رأي، قد كان ذلك منهم في بادىء الرأي، وقد استرذلوهم لاتضاع نسبهم، وقلة حظوظهم من الدنيا.

﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾: وهو من الباب الأول، وأما الشعر بمعنى النظم فهو من الباب الخامس.

﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾﴾: من الطرد، وهو الإزعاج والإبعاد على سبيل

الاستخفاف.

﴿مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾؛ أي: من المقتولين رجماً بالحجارة، قال الراغب في «المفردات»: الرجام الحجارة، والرجم الرمي بالرجام، يقال: رجم فهو مرجوم، قال تعالى: ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾؛ أي: المقتولين أقبح قتلة، انتهى.

﴿فَٱفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ﴾؛ أي: أحكم بيننا، والفتح هنا من الفتاحة بمعنى الحكومة، والفتّاح الحاكم، سمي بذلك لفتحه مغاليق الأمور،، كما سمي فيصلاً لفصله بين الخصومات. وفي «القاموس»: الفُتاحة - بالضم والكسر - ويقال: بينهما فتاحات؛ أي: خصومات.

﴿ٱلْمَشْحُونِ﴾؛ أي: المملوء بهم وبكل ما معهم، ومنه الشحناء؛ وهي عداوة امتلأت منها النفوس.

﴿بِكُلِّ رِيعٍ﴾الريع - بكسر الراء وفتحها -: جمع ريعة؛ وهو في اللغة المكان المرتفع، وقال أبو عبيدة: هو الطريق اهـ. «سمين». وقيل: هو الجبل. اهـ «مصباح» وفي «القاموس»: والرِيع - بالكسر والفتح - المرتفع من الأرض، أو كل فجّ، أو كل طريق، أو الطريق المنفرج في الجبل، والجبل المرتفع، الواحدة بهاء، وبالكسر: الصومعة، وبرج الحمام، والتل العالي، وبالفتح: فضل كل شيء كريع العجين والدقيق والبذر. اهـ.

﴿ءَايَةً﴾ الآية: العلم يهتدي به المارة، وكان بناؤها للعبث واللهو؛ لأنهم كانوا يهتدون بالنجوم في أسفارهم، فلا يحتاجون إليها. وقيل: المراد بها القصور المشيدة، ترفعون بناءها وتجتمعون فيها، فتعبثون بمن يمر بكم.

﴿تَعْبَثُونَ﴾ في «المصباح»: عبث عبثاً - من باب تعب - إذا لعب وعمل ما لا فائدة فيه فهو عابث.

﴿مَصَانِعَ﴾: جمع مَصنعَةُ - بفتح الميم مع فتح النون، أو ضمها -؛ وهي الحوض أو البركة، فقوله: ﴿مَصَانِعَ﴾؛ أي: حيضاناً وبُركاً تجمعون فيها الماء، فهي من قبيل الصهاريج. اهـ، شيخنا وفي «المختار»: المَصنُعَة - بفتح الميم وصم

النون، أو فتحها ـ كالحوض يجمع فيه ماء المطر، والمصانع الحصون. اهـ. وفي «القاموس»، وشرحه «التاج»: المَصنَعة والمَصنُعة ـ بفتح الميم وفتح النون وضمها ـ: ما يجمع فيه ماء المطر كالحوض، والجمع المصانع، والمصانع أيضاً القرى والحصون والقصور، والمصنعة أيضاً الدعوة للأكل، يقال: كنا في مصنعة فلان، وموضع يعزل النحل بعيداً عن البيوت، وجميع هذه المعاني صالحة للتفسير بها. وقيل: ﴿مَصَانِعَ﴾؛ أي: قصوراً مشيدة وحصوناً منيعة، أو مآخذ الماء تحت الأرض، كما في «الصحاح» و «القاموس».

﴿وَإِذَا بَطَشْتُم﴾ البطش: السطوة والأخذ بعنف، وتناول الشيء بصولة أو قهرٍ أو غلبة.

﴿جَبَّارِينَ﴾والجبّار: الذي يضرب ويقتل على الغضب، والجبّار أيضاً المتسلط العاتي بلا رأفة ولا شفقة.

﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم﴾ والإمداد: اتباع الثاني بما قبله شيئاً بعد شيء على انتظام، وأكثر ما جاء الإمداد في المحبوب، والمدّ في المكروه، وأما قوله: ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ فهو من مددت الدواة أمدها، لا من القبيل المذكور. اهـ «روح».

﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ﴾ والوعظ: زجر يقترن بتخويف، وكلام يلين القلب بذكر الوعد والوعيد، وقال الخليل: هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب، والعظة والموعظة الاسم.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: التقديم في قوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾ فقد استوعب الحكم أولاً، ثم طلب الإلحاق بالصالحين، والسر فيه دقيق جداً، ذلك أن القوة النظرية مقدمة على القوة العملية؛ لأنه يمكنه أن يعلم الحق وإن لم يعمل

به، وعكسه غير ممكن؛ لأن العلم صفة الروح، والعمل صفة البدن، وكما أن الروح أشرف من البدن كذلك العلم أفضل من الإصلاح.

ومنها: المجاز المرسل في قوله: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ﴾ إذ المراد باللسان الثناء الحسن والقبول العام، وذكر اللسان مجاز علاقته السببية؛ لأنه سبب ذلك الثناء، فهو من إطلاق السبب وإرادة المسبب. وقيل: هو مجاز من إطلاق الجزء على الكل؛ لأن الدعوة باللسان.

ومنها: إضافة الموصوف إلى الصفة في لسان صدق؛ أي: اللسان الصادق، والثناء الحسن، وإضافة المحل إلى الحال فيه في قوله: ﴿مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾؛ أي: الجنة التي هي محل النعيم الدائم.

ومنها: الاستعارة التصريحية في قوله: ﴿وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾ حيث استعار الورثة لمستحقي الجنة، شبّه الجنة التي استحقها العامل بعد فناء عمله بالميراث الذي استحقه الوارث بعد فناء مورثه، فأطلق عليها اسم الميراث، وعلى استحقاقها اسم الوراثة، وعلى العامل اسم الوارث. اهـ روح».

ومنها: المقابلة البديعة في قوله: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾﴾ فإنه مقابل قوله في السعداء: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾﴾.

ومنها: إضافة ما للكل إلى الجزء؛ لكونه رئيسه في قوله: ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ أضاف السلامة إلى القلب؛ لأن الجوارح تابعة للقلب، فتسلم بسلامته، وتفسد بفساده.

ومنها: التعبير بصيغة الماضي عما في المستقبل في قوله: ﴿أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾، وفي قوله: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾﴾، وقوله: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾﴾، وقوله: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾، وقوله: ﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا﴾، وقوله: ﴿قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾﴾؛ للدلالة على تحقق الوقوع وتقرره.

ومنها: التعبير بصيغة المضارع في قوله: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾﴾؛ للدلالة على استمرار انتفاء النفع ودوامه حسبما يقتضيه مقام التهويل والتفظيع.

ومنها: قوة اللفظ لقوة المعنى في قوله: ﴿فَكُبْكِبُواْ فِيهَا﴾ وهذا مما انفرد في التنبيه إليه ابن جنّي في كتاب «الخصائص»، فإن الكبكبة تكرير الكب، جعل التكرير في اللفظ دليلاً على التكرير في المعنى، كأنه إذا ألقي في جهنم ينكب مرة بعد أخرى، حتى يستقر في قعرها، وليست الزيادة في اللفظ دالة على قوة المعنى بصورة مطردة، بل إن المدار في ذلك على الذوق، خذ لك مثالاً زيادة التصغير، فهي زيادة نقص، فرجيل أنقص من رجل في المعنى، ولكنه أكثر حروفاً منه.

ومنها: التعبير بصيغة المضارع في قوله: ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾؛ لاستحضار الصورة الماضية.

ومنها: الإيضاح في قوله: ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾؛ وهو أن يذكر المتكلم كلاماً في ظاهره لبس، ثم يوضحه في بقية كلامه، فإن الصديق الموصوف بصفة حميم هو الذي يفوق القرابة، ويربو عليه، وهو أن يكون حميماً، فالحميم من الاحتمام؛ وهو الاهتمام؛ أي: صديق يهمه أمرنا ويهمنا أمره.

ومنها: التكرير في قوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ للتأكيد والتقرير في النفوس مع كونه علق كل واحد منهما بسبب؛ وهو الأمانة في الأول، وقطع الطمع في الثاني، ونظيره قولك لولدك: ألا تتقي الله في عقوقي وقد ربيتك صغيراً، ألا تتقي في عقوقي وقد علمتك كبيراً.

ومنها: إطلاق الكل وإرادة البعض في قوله: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ حيث عبّر بالمرسلين عن نوح عليه السلام، وكذا فيما بعده من الأنبياء، وإنما ذكره بصيغة الجمع تعظيماً له، وتنبيهاً على أن من كذب رسولاً فقد كذب جميع المرسلين.

ومنها: الاستفهام الإنكاري في قوله: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾.

ومنها الاستعارة التصريحية التبعية في قوله: ﴿فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾؛ أي: احكم بيننا وبينهم بحكمك العادل، استعار الفتّاح للحاكم، والفتح للحكم؛ لأنه

يفتح المنغلق من الأمر، ففيه استعارة تصريحية تبعية.

ومنها: الاستفهام التوبيخي في قوله: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾ ومحل التوبيخ هو الجملة الحالية؛ أي: تعبثون.

ومنها: إعادة الفعل لزيادة التقرير في قوله: ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ بعد قوله: ﴿أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ فإن التفصيل بعد الإجمال، والتفسير بعد الإبهام أدخل في ذلك، وأوقع في النفس. اهـ «أبو السعود».

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلّ وعلا:

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٤٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ
(١٤٣) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٤٤) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٤٥) أَتُتْرَكُونَ
فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (١٤٦) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٤٧) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (١٤٨) وَتَنْحِتُونَ مِنَ
الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (١٤٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٥٠) وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي
الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (١٥٢) قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٥٣) مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ
كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٥٤) قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (١٥٥) وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ
فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥٦) فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ (١٥٧) فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً
وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٥٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٥٩) كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ
(١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٢) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٦٣) وَمَا
أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٤) أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥)
وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (١٦٦) قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ
مِنَ الْمُخْرَجِينَ (١٦٧) قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ (١٦٨) رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ (١٦٩) فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ
أَجْمَعِينَ (١٧٠) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (١٧١) ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (١٧٢) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ
الْمُنْذَرِينَ (١٧٣) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٤) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٧٥) كَذَّبَ
أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُونِ (١٧٩) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٠) ۞ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا
تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (١٨١) وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (١٨٢) وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي
الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (١٨٣) وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ (١٨٤) قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٨٥)
وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (١٨٦) فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ
مِنَ الصَّادِقِينَ (١٨٧) قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨٨) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ
عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٨٩) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٩٠) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ
الرَّحِيمُ (١٩١)﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١)...﴾ الآيات، مناسبة هذه القصة لما

قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما قص على رسوله ﷺ قصص عاد وهود.. قصّ أيضاً قصص ثمود وصالح، وقد[1] كانوا عرباً مثلهم، يسكنون مدينة الحجر الذي بين وادي القرى والشام، ومساكنهم معروفة، تتردد عليها قريش في رحلة الصيف وهم ذاهبون إلى بلاد الشام، دعاهم صالح إلى عبادة الله وحده، وأن يطيعوه فيما بلغهم من رسالة ربهم، فأبوا وكذبوا بعد أن أتى لهم بالآيات المصدقة لرسالته فأخذهم العذاب، وزلزلت بهم الأرض، ولم تبق منهم دياراً ولا نافخ نار.

التفسير وأوجه القراءة

قصص صالح عليه السلام: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾ أنث[2] اعتباراً بمعنى القبيلة، أو الجماعة، أو الأمة، وهو اسم جدهم الأعلى، وهو ثمود بن عبيد بن عوص بن عاد بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام.

﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ يعني: صالحاً ومن قبله من المرسلين، أو إياه وحده، والجمع باعتبار أن تكذيب واحد من الرسل في حكم تكذيب الجميع؛ لاتفاقهم على التوحيد وأصول الشرائع.

ثم بيّن الوقت الممتد للتكذيب المستمر، فقال: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾ النسبي، لا الديني، فإن الأنبياء محفوظون قبل النبوة، معصومون بعدها، وفائدة كونه منهم أن تعرف أمانته ولغته، فيؤدّي ذلك إلى فهم ما جاء به وتصديقه ﴿صَالِحٌ﴾ بن عبيد بن آسف بن كاشح بن حاذر بن ثمود، وعاش صالح من العمر مئتين وثمانين سنة، وبينه وبين هود مئة سنة ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ يا قوم عقاب الله سبحانه بامتثال ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ﴾ من عند الله ﴿أَمِينٌ﴾ في جميع ما أرسلت به إليكم ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾؛ أي: عقاب الله سبحانه في مخالفتي؛ لأني رسول الله إليكم ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ي فيما أمرتكم به ونهيتكم عنه؛ لأني أمين على ما أرسلت به إليكم؛ أي: فإن شهرتي فيما بينكم بالأمانة موجبة لتقوى الله، وإطاعتي فيما أدعوكم إليه ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾؛ أي: على نصحي لكم وتبليغ ما

---

(١) المراغي. (٢) روح البيان.

أرسلت به إليكم ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾؛ أي: أجراً وجعلا ﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾؛ أي: ما أجر تبليغي وثواب دعوتي ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فإنه الذي أرسلني، فالأجر عليه، بل هو الآجر لعباده الخلّص.

والمعنى: أي[1] كذبت ثمود أخاهم صالحاً حين قال لهم: ألا تتقون عقاب الله على معصيتكم إياه، وخلافكم أمره بطاعتكم أمر المفسدين في الأرض، إني لكم رسول من عند الله، أرسلني إليكم بتحذيركم عقوبته، أمين على رسالته التي أرسلها معي إليكم فاتقوه وأطيعوني، وما أسألكم على نصحي وإنذاري جزاء ولا ثواباً، ما جزائي إلاّ على رب السموات والأرض وما بينهما.

ثم خاطب قومه واعظاً لهم، ومحذّراً نقم الله أن تحل بهم، ومذكراً بأنعمه عليهم فيما آتاهم من الأرزاق الدارّة، والجنات والعيون، والزروع والثمرات، والأمن من المحذورات، فقال: ﴿أَتُتْرَكُونَ﴾ الاستفهام[2] فيه للإنكار والتوبيخ؛ أي: أتظنون أن تتركوا ﴿فِي﴾؛ أي: في النعم التي أعطاكم الله سبحانه ﴿مَا هَٰهُنَآ﴾؛ أي: في هذه الدار الدنيا حالة كونكم ﴿ءَامِنِينَ﴾ من الموت والعذاب، باقين في الدنيا، وأن لا دار للمجازاة؛ أي: لا تظنوا ذلك فإنكم لا تتركون فيها، ولا بد من المجازاة؛ أي: لا ينبغي لكم أن تعتقدوا أنكم تتقلبون في النعم التي في دياركم هذه آمنين من الزوال والعذاب، فلا تطمعوا في ذلك.

ثم فسّر ذلك المكان بقوله: ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾؛ أي: أتتركون في بساتين يانعة وأنهار جارية ﴿وَزُرُوعٍ﴾ زاهرة ﴿وَنَخْلٍ﴾ ناضرة ﴿طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾؛ أي: لطيف ليّن في جسمه، والطلع ثمر النخل في أول ما يطلع، وبعده يسمى خلالاً، ثم بلحاً، ثم بسراً، ثم رطباً، ثم تمراً. وأفرد النخل مع دخولها في أشجار الجنات؛ لفضلها على سائر الأشجار، وقد خلقت من فضلة طينة آدم عليه السلام ولكن لا أصل له.

والمعنى: أي لا تظنوا أنكم تتركون في دياركم آمنين متمتعين بالجنات

---

(١) المراغي. (٢) روح البيان.

والعيون والزورع والثمار اليانعة، وأن لا دار للجزاء على العمل، بل عليكم أن تتذكروا أن ما أنتم فيه من نعم وأمن من عدو لن يدوم، وأنكم عائدون إلى ربكم مجازون على أعمالكم خيرها وشرها.

وقوله: ﴿وَتَنْحِتُونَ﴾ معطوف[1] على ﴿تتركون﴾ فهو في حيّز الاستفهام التوبيخي، ومحل التوبيخ الحال؛ وهي قوله: ﴿فَرِهِينَ﴾؛ أي: وهل تنحتون وتبرون ﴿مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ ومساكن حالة كونكم ﴿فَرِهِينَ﴾ بالألف؛ أي: ماهرين وحاذقين في نحتها وبرايتها. وقرىء ﴿فرهين﴾ بلا ألف، كما سيأتي لاحقاً؛ أي: فرحين مرحين بطرين. فهو على الأول من ﴿فَرُه﴾ بالضم فراهة إذا مهر في العمل وحذق، وعلى الثاني من ﴿فره﴾ بالكسر فرهاً إذا فرح ومرح.

وفي «الكرخي» في سورة الأعراف: وإنما كانوا ينحتون بيوتاً في الحبال لطول أعمارهم، فإن السقوف والأبنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم. وفي «الخطيب» في سورة هود: وكان الواحد منهم يعيش ثلاث مئة سنة إلى ألف سنة، وكذا كان قوم هود. اهـ.

واعلم: أن[2] ظاهر هذه الآيات يدل على أن الغالب على قوم هود هو اللذات الخيالية؛ وهو طلب الاستعلاء والبقاء والتفرد والتجبر، والغالب على قوم صالح هو اللذات الحسية؛ وهو طلب المأكول والمشروب والمساكن الطيبة، وكل هذه اللذات من لذات أهل الدنيا الغافلين، وفوقها لذات أهل العقبى المتيقظين؛ وهي اللذات القلبية من المعارف والعلوم، وما يوصل إليها من التواضع والوقار والتجرد والاصطبار ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾؛ أي: خافوا عقابه في مخالفتي ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ي فيما أمرتكم به.

والمعنى[3]: أي وهل تتخذون تلك البيوت المنحوتة في الجبال أشراً وبطراً من غير حاجة إلى سكناها مع الجدّ والاهتمام في بنائها، فاتقوا الله، وأقبلوا على

---

(١) الفتوحات.

(٢) روح البيان.

(٣) المراغي.

ما يعود عليكم نفعه في الدنيا والآخرة من عبادة ربكم الذي خلقكم ورزقكم وتسبيحه بكرة وأصيلا.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿وَتَنْحِتُونَ﴾ بالتاء للخطاب، وكسر الحاء، وقرأ أبو حيوة وعيسى والحسن بفتح الحاء، وعن الحسن بألف بعد الحاء إشباعاً، وعن عبد الرحمن بن محمد عن أبيه ﴿ينحتون﴾ بالياء من أسفل وكسر الحاء، وعن أبي حيوة والحسن أيضاً ﴿ينحتون﴾ بالياء من أسفل وفتح الحاء، وقرأ عبد الله وابن عباس وزيد بن علي والكوفيون وابن عامر ﴿فَٰرِهِينَ﴾ بألف، وباقي السبعة بغير ألف، وقرأ مجاهد: ﴿متفرهين﴾ اسم فاعل من تفرّه، والمعنى: نشطين مهتمين.

وقوله: ﴿وَلَا تُطِيعُوٓا۟﴾ خطاب لجمهور قومه ﴿أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ وهم كبراؤهم ورؤساؤهم في الكفر والإضلال، وكان[2] مقتضى الظاهر أن يقال: ولا تطيعوا المسرفين، بلا إقحام ﴿أَمْرَ﴾ فإن الطاعة إنما تكون للأمر - على صيغة الفاعل - كما أن الامتثال إنما يكون للأمر - على صيغة المصدر - فشبّه الامتثال بالطاعة من حيث إن كل واحد منهما يفضي إلى وجود المأمور به، فأطلق اسم المشبّه به وهو الطاعة، وأريد الامتثال؛ أي: لا تمتثلوا أمر المجاوزين للحد بالإشراك والإضلال. وقيل يعني التسعة الذين عقروا الناقة. وفي «النسفي»: جعل الأمر مطاعاً على المجاز الإسنادي، والمراد الآمر، فكأنه قال: ولا تطيعوا المسرفين فيما أمروا به. أو المعنى[3]: ولا تطيعوا وتتبعوا المستكثرين من لذات الدنيا وشهواتها، بل اكتفوا واقتصروا منها بقدر الكفاف.

ثم وصف المسرفين بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: في أرض الحجر بالكفر والظلم، وهو وصف موضح لإسرافهم ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ بالإيمان والعدل عطف على ﴿يُفْسِدُونَ﴾ لبيان خلو إفسادهم عن مخالطة الإصلاح؛ أي:

---

(١) البحر المحيط.

(٢) روح البيان.

(٣) المراح.

المراد بهذه الجملة بيان أن فسادهم خالص، ليس معه شيء من الصلاح، فإن حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح.

والمعنى: أي ولا تطيعوا أمر رؤسائكم الذين تمادوا في معصية ربكم، واجترؤوا على سخطه، وهم الرهط التسعة الذين كانوا يفسدون في الأرض ولا يصلحون؛ وهو المذكورون في قوله: ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾﴾؛ أي: يسعون في أرض الله بمعاصيه، ولا يصلحون أنفسهم بالعمل بطاعته.

وخلاصة هذا: لا تطيعوا رؤساءَكم وكبراءَكم الدعاة إلى الشرك والكفر ومخالفة الحق.

ولما عجزوا عن الطعن في شيء مما دعاهم إليه.. عدلوا إلى التخييل إلى عقول الضعفاء والعامة ﴿قَالُوٓاْ﴾؛ أي: قال قومه في جواب مقاله ﴿إِنَّمَآ أَنتَ﴾ يا صالح؛ أي: ما أنت إلا ﴿مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾؛ أي: من الذين سحروا كثيراً، حتى غلب على عقولهم؛ أي: من المسحورين مرة بعد أخرى حتى اختل عقله، واضطرب رأيه، فلا يقبل لك قول، ولا يسمع لك نصح. فبناء التفعيل لتكثير الفعل، أو: إلاّ من البشر الذين لهم السحر والرئة، يأكلون كما نأكل، ويشربون كما نشرب، كما قال الفراء، فيكون قوله: ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾؛ أي: مماثل لنا، تأكل كما نأكل، وتشرب كما نشرب تأكيداً له. والمعنى[1]: أنت بشر مثلنا، ولست بملك، فلا نؤمن بك ﴿فائت بآية﴾؛ أي: بعلامة تدل على صدقك ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في دعواك أنك رسول إلينا.

فإن قلت[2]: لم قال هنا ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ بلا واو، وفي قصة شعيب: ﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ﴾ بواو، فما الفرق بين الموضعين؟

قلت: ما هنا بدل مما قبله، وثَمَّ معطوف على ما قبله، وخص ما هنا بالبدل؛ لأن صالحاً قلل في الخطاب، فقلّلوا في الجواب، وأكثر شعيب في

---

(١) المراغي.

(٢) فتح الرحمن.

الخطاب فأكثروا في الجواب.

والمعنى: أي إنك بشر مثلنا، فكيف أوحي إليك دوننا، كما حكي عنهم في آية أخرى: ﴿أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾﴾.

روي: أن[1] صالحاً عليه السلام قال لهم: أي آية تريدون؟ قالوا: نريد ناقة عشراء - الحامل في عشرة أشهر - تخرج من هذه الصخرة، فتلد سقبا، فأخذ صالح يتفكر، فقال له جبريل: صل ركعتين وسل ربك الناقة، ففعل، فخرجت الناقة وبركت بين أيديهم، ونتجت سقباً مثلها في العظم. وعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه -: رأينا مبركها فإذا هو ستون ذراعاً في ستين ذراعاً.

فـ﴿قَالَ﴾ لهم صالح: ﴿هَٰذِهِۦ﴾ البهيمة التي خرجت من الصخرة ﴿نَاقَةٌ﴾ دالة على نبوتي، أخرجها ربي من الصخرة كما اقترحتم ﴿لَّهَا شِرْبٌ﴾؛ أي: حظ ونصيب من الماء، تشرب منه يوماً كالسقي للحظ من السقي ﴿وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾؛ أي: ولكم نصيب وحظ من الماء، تشربون منه يوماً، فاقتصروا على شربكم، ولا تزاحموا على شربها، بل تشربون من لبنها فإن فيه كفاية لكم. قال قتادة: إذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله، ولا تشرب في يومهم ماء.

وقرأ الجمهور: ﴿شِرْبٌ﴾ في الموضعين بكسر الشين، وقرأ ابن أبي عبلة بالضم فيهما.

﴿وَلَا تَمَسُّوهَا﴾؛ أي: ولا تمسوا هذه الناقة ﴿بِسُوٓءٍ﴾؛ أي: بضرر كضرب وعقر ﴿فَيَأْخُذَكُمْ﴾؛ أي: فيحل بكم ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾؛ أي: شديد عذابه، فعظم اليوم بالنسبة إلى عظم ما حل فيه، وهو ههنا صيحة جبريل.

ثم حكى عنهم أنهم خالفوا أمر نبيهم، فقال: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾؛ أي: قتلوها بطعنة السهم وضربة السيف. وأسند[2] العقر إلى كلهم مع أن العاقر بعضهم

---

(١) المراح.
(٢) روح البيان.

لرضاهم به، ولذلك أخذوا جميعاً؛ أي: عقروها بعد أن مكث بين أظهرهم حيناً من الدهر، ترد الماء وتأكل المرعى.

روي[١]: أن مسطعاً ألجأها إلى مضيق، فرماها بسهم، فسقطت، ثم ضربها قدار بالسيف في ساقيها. وكان قدار هذا قصيراً دميماً وابن زنا، اهـ شيخنا. قال مقاتل: فخرج في أبدانهم خراج مثل الحمص، فكان في اليوم الأول أحمر، ثم صار في الغد أصفر، ثم صار في الثالث أسود، وكان عقر الناقة يوم الأربعاء، وهلاكهم يوم الأحد، انفقعت فيه تلك الجراحات، وصاح عليهم جبريل صيحة، فماتوا بالأمرين، وكان ذلك ضحوة؛ أي: فعقروها وقتلوا مثل هذه الآية العظيمة ﴿فَأَصْبَحُواْ﴾؛ أي: صاروا ﴿نَٰدِمِينَ﴾ ومتحسرين على عقرها، وقتلها ندم الخائفين من العذاب العاجل، أو ندم التائبين عند معاينة العذاب، فلذلك لم ينفعهم الندم كفرعون حين ألجمه الغرق ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ الموعود على عقرها؛ أي: أهلكهم واستأصلهم، وهو صيحة جبريل عليه السلام.

فإن قلت[٢]: كيف أخذهم العذاب بعدما ندموا على جنايتهم، وقد قال ﷺ: «الندم توبة»؟

قلتُ: ندمهم كان عند معاينة العذاب، وهي ليست وقت التوبة، كما قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ الآية، وقيل: كان ندمهم ندم خوف من العذاب العاجل، لا ندم توبة فلم ينفعهم.

والمعنى: أي[٣] فعقورا الناقة فندموا على ما فعلوا حين علموا أن العذاب نازل بهم؛ إذ أنظرهم ثلاثة أيام، وفي كل يوم منها تظهر مقدمات نزوله كما مر، فندموا حيث لا ينفع الندم، فأخذهم العذاب، وزلزلت أرضهم زلزالاً شديداً وجاءت صيحة عظيمة اقتلعت منها قلوبهم، ونزل بهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون، فأصبحوا في ديارهم جاثمين.

---

(١) المراح.
(٢) فتح الرحمن.
(٣) المراغي.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ العذاب النازل بثمود ﴿لَآيَةً﴾؛ أي: لعبرة لمن بعدهم ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم﴾؛ أي: أكثر قوم ثمود، أو أكثر الذين سمعوا هذه القصة منك وهم قريش ومن دان دينهم ﴿مُّؤْمِنِينَ﴾ بالله وبرسوله الذي أرسل إليهم ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾؛ أي: الغالب على ما أراد من الانتقام من قوم ثمود بسبب تكذيبهم، فاستأصلهم، فليحذر المخالفون لأمره، حتى لا يقعوا فيما وقعت فيه الأمم السالفة المكذبة ﴿الرَّحِيمُ﴾ بهم حيث لا يعاجلهم بالعذاب، وكانت[1] الناقة علامة لنبوة صالح عليه السلام، فلما أهلكوها، ولم يعظموها صاروا نادمين حيث لا ينفعهم الندم، والقرآن علامة لنبوة محمد ﷺ، فمن رفضه، ولم يعمل بما فيه، ولم يعظمه يصير نادماً غداً، ويصيبه العذاب، ومن جملة ما فيه الأمر بالاعتبار، فعليك بالامتثال ما ساعدت العقول والأبصار، وإياك ومجرد القال، فالفعل شاهد على حقيقة الحال.

قصص لوط عليه السلام

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ﴾؛ أي: جماعته وأمته يعني أهل سدوم وما يتبعها من القرى ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾؛ أي: لوطاً وإبراهيم ومن تقدمهما من الرسل، أو المراد بالمرسلين نفس لوط، وإنما جمعه اعتباراً بأن من كذب رسولاً واحداً فقد كذب جميع الرسل؛ لاتفاقهم في دعوة التوحيد وأصول العقائد ﴿إِذْ قَالَ﴾ ظرف للتكذيب ﴿لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾ في البلد والسكنى، لا في الدين، ولا في النسب؛ لأنه ابن أخي إبراهيم الخليل عليهما السلام، وهما من بلاد الشرق من أرض بابل، فكان لوط أجنبياً عنهم، مجاوراً لهم في قريتهم، وهو لوط بن هاران أخي إبراهيم، أو عم إبراهيم على الخلاف، إذ روى أنه هاجر مع عمه إبراهيم إلى أرض الشام، فأنزله إبراهيم الأردن، فأرسله الله تعالى إلى أهل سدوم وما والاها، وقوله: ﴿لُوطٌ﴾ بن هاران بن تارخ بدل من ﴿أخوهم﴾، أو عطف بيان له ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾؛ أي: ألا تخافون عقاب الله تعالى على الشرك والمعاصي ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ﴾؛ أي: مرسل من جانب

---

(١) روح البيان.

الحق ﴿أَمِينٌ﴾؛ أي: مشهور بالأمانة، ثقة عند كل أحد ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾؛ أي: خافوا عقابه على مخالفتي ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ي فيما أمرتكم به ونهيتكم عنه، فإن قول المؤتمن معتمد ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾؛ أي: على التعليم والتبليغ ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾؛ أي: جعلاً ومكافأة دنيوية، فإن ذلك تهمة لمن يبلغ عن الله تعالى ﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾؛ أي: ما ثوابي على التبليغ ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ أي: مِن رَبِّ العالمين وخالقهم ومصلحهم، بل ليس متعلق الطلب إلا إياه تعالى.

وبعد أن نصحهم بما سلف ذكره.. وبّخهم على قبيح ما ابتدعوه بقوله، فقال: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ والاستفهام(١) فيه للإنكار والتوبيخ، وعبر عن الفاحشة بالإتيان، كما عبر به عن الحلال في قوله: ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ﴾ والذكران جمع الذكر ضد الأنثى، و﴿مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ حال من فاعل ﴿تأتون﴾، والمراد به الناكحون من الحيوان، فالمعنى عليه: أتأتون من بين من عداكم من العالمين الذكران وتجامعونهم وتعملون ما لا يشارككم فيه غيركم، يعني أنه منكر منكم ولا عذر لكم فيه، ويجوز أن يكون ﴿مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ حالاً من ﴿الذُّكْرَانَ﴾، والمراد به الناس، فالمعنى عليه: أتأتون الذكران من أولاد آدم مع كثرة الإناث فيهم، كأنهم قد أعوزنكم؛ أي: أفقرنكم وأعدمنكم، روي أن هذا العمل الخبيث علمهم إياه إبليس اللعين.

والمعنى: أتجامعون أدبار الرجال من أولاد آدم مع كون النساء أليق بالاستمتاع ﴿وَتَذَرُونَ﴾؛ أي: وتتركون ﴿مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم﴾؛ أي: ما خلق ربكم لأجل استمتاعكم به حال كونه ﴿مِّنْ أَزْوَاجِكُم﴾ وحلائلكم. و﴿من﴾ لبيان الجنس إن أريد بما جنس الإناث، وللتبعيض إن أريد به العضو المباح منهن، وهو القبل تعريضاً بأنهم كانوا يفعلون بنسائهم أيضاً، فتكون الآية دليلاً على حرمة أدبار الزوجات والمملوكات، وفي الحديث: «من أتى امرأة في دبرها فهو بريء مما أنزل على محمد، ولا ينظر الله إليه»، والمعنى؛ أي: وتتركون إناثاً أباحها لكم ربكم هي أزواجكم لأجل استمتاعكم، أو وتتركون فروجاً أحل لكم ربكم حال كونها بعض أزواجكم ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾؛ أي: معتدون مجاوزون الحلال إلى

---

(١) روح البيان.

الحرام، أو متجاوزون الحد في جميع المعاصي بإتيانكم هذه الفاحشة، أو متجاوزون عن حد الشهوة حيث زدتم هذه الفاحشة على سائر الحيوانات.

أي: بل أنتم قوم أحقاء بأن توصفوا بالعدوان وتجاوز الحدود التي تسيغها العقول، وتبيحها الشرائع بارتكابكم هذا الجرم الذي لم يخطر ببال.

ولما اتضح لهم وجه الحق، وانقطعت حجتهم لجؤوا إلى التهديد، واستعمال القوة، كما بينه بقوله: ﴿قَالُواْ﴾؛ أي: قال قوم لوط مهددين له والله ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ﴾ وتنزجر ﴿يَٰلُوطُ﴾ عن تقبيح أمرنا، وإنكارك علينا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾؛ أي: من المعهودين بالنفي والإخراج من قريتنا على عنف، ورغم أنف، وسوء حال.

والمعنى: أي لئن لم تنته عما أنت عليه من إنكارك ما تنكره من أمرنا وعملنا لننفينك من قريتنا، وليكونن شأننا معك شأن من أخرجناهم من قبلك بالعنف والعسف، واحتباس الأموال، كما هو شأن الظلمة إذا أجلوا بعض من يبغضونهم صادروا أملاكهم. ﴿قَالَ﴾ لوط عليه السلام معلناً لهم بأن إبعاده لا يمنعه من الإنكار عليهم ﴿إِنِّي لِعَمَلِكُم﴾ الخبيث، يعني: إتيان الرجال ﴿مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾؛ أي[1]: من المبغضين له أشد البغض ـ كأنه يقلي الفؤاد والكبد لشدته؛ أي: ينضح ـ لا أقف عن إنكار عليه بالإيعاذ. وهو اسم فاعل من القلي وهو البغض الشديد، وهو متعلق بمحذوف؛ أي: لقال من القالين، ومبغض من المبغضين. وذلك المحذوف وهو قال خبر ﴿إن﴾، و﴿مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ صفته. وقوله: ﴿لِعَمَلِكُم﴾: متعلق بالخبر المحذوف، ولو جعل ﴿مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ خبر ﴿إن﴾.. لعمل القالين ﴿لِعَمَلِكُم﴾ فيفضي إلى تقديم الصلة على الموصول، ولكنه يتوسع في المجرورات ما لا يتوسع في غيرها. وإنما قال: ﴿مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ دون قالٍ إيماء إلى أنه من القوم الذين لو سمعوا بما تفعلون لأبغضوه، كما يقال: فلان من العلماء، فإنه أشد مدحاً من قولك: فلان عالم، إذ الأول تدل على أنه في عداد زمرة

(١) روح البيان.

العلماء المعروفين بمساهمته لهم في العلم.

أي: إني[1] بريء مما تعملون مبغض له لا أحبه، ولا أرضاه، ولا يضيرني تهديدكم ولا وعيدكم. وإني لراغب في الخلاص من سوء جواركم. ولعله عليه السلام أراد إظهار الكراهة في مساكنتهم، والرغبة في الخلاص من سوء جوارهم، ولذلك أعرض عن محاورتهم، وتوجه إلى الله سبحانه أن ينجيه من أعمال السوء هو وأهله، قال: ﴿رَبِّ﴾؛ أي: يا ربي، ويا مالك أمري ﴿نَجِّنِي﴾؛ أي: خلصني أنا ﴿وَأَهْلِي﴾؛ أي: وأهل بيتي ﴿مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: من شؤم عملهم الخبيث، وعذابه، وأبعدني من عذابك الدنيوي والأخروي، أو من عقوبة عملهم التي ستصيبهم. فأجاب الله سبحانه دعاءه، وأغاثه بعد أن استغاثه، حيث قال: ﴿فَنَجَّيْنَاهُ﴾؛ أي: نجينا لوطاً ﴿وَأَهْلَهُۥٓ﴾؛ أي: أهل بيته بنتيه. قيل: وامرأته المؤمنة، ومن تابعه على دينه وأجاب دعوته كلهم ﴿أَجْمَعِينَ﴾ بإخراجهم من بينهم وقت مشارفة حلول العذاب بهم. ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾ هي[2] امرأة لوط المنافقة اسمها والهة، استثنيت من أهله، فلا يضره كونها كافرة؛ لأن لها شركة في الأهلية بحق الزوج. ﴿فِى ٱلْغَٰبِرِينَ﴾؛ أي: إلا عجوزاً مقدراً كونها من الباقين في العذاب؛ لأنها كانت راضية بفعل قومه، وقد أصابها الحجر في الطريق فأهلكها.

وذكر أن امرأة لوط حين سمعت الرجفة التفتت وحدها فمسخت حجراً، وذلك الحجر في رأس كل شهر يحيض، كذا في كتاب «التعريف والأعلام» للسهيلي. قال في «المفردات»: الغابر: الماكث بعد مضي من معه. قال تعالى: ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾﴾ يعني: فيمن طال أعمارهم. وقيل: فيمن بقي، ولم يسر مع لوط، وقيل: فيمن بقي في العذاب.

والمعنى: أي فنجيناه[3] وأهله جميعاً مما حل بأهل القرية من العذاب، فأمرناه بالخروج منها قبل أن ينزل بهم العذاب، إلا عجوزاً قد بقيت ولم تخرج

---

(١) المراغي.

(٢) روح البيان.

(٣) المراغي.

معه، وهي امرأته، كما جاء في سورة هود. ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ﴾ وكانت عجوز سوء لم تتبع لوطاً في الدين، ولم تخرج معه.

والخلاصة: فنجيناه وأهله من العذاب بإخراجهم من بينهم ليلاً عند حلول العذاب بهم إلا عجوزاً قدر الله سبحانه بقاءها لسوء أفعالها، وقبح طويتها، ولما لها من ضلع في استحسان أفعالهم.

﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾﴾؛ أي: أهلكناهم أشد الإهلاك وأفظعه، بقلب بلدتهم؛ أي: أهلكناهم بالخسف والحصب. ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم﴾؛ أي: على الخارجين من بلادهم والكائنين مسافرين وقت الائتفاك والقلب. ﴿مَّطَرًا﴾؛ أي: غير معتاد. وهو الحجارة فأهلكتهم. ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾؛ أي: بئس[1] مطر من أنذر فلم يؤمن، لم يرد بالمنذرين قوماً بأعيانهم، فإن شرط أفعال المدح والذم أن يكون فاعلهما معرفاً بلام الجنس، أو يكون مضافاً إلى المعرف به، أو مضمراً مميزاً بنكرة، والمخصوص بالذم محذوف وجوباً؛ وهو مطرهم؛ أي: فبئس مطر جنس المنذرين بعذاب الله، فلم يقبلوا الإنذار، والمخصوص بالذم مطر قوم لوط بالحجارة.

والخلاصة: أي[2] ثم أهلكنا المؤخرين عن لوط، فأمطرنا عليهم حجارة من السماء. قال وهب بن منبه: أنزل الله عليهم الكبريت والنار، وبئس المطر هذا، وما أشد وطأته، وما أقسى وقعه، فقد أحدث بأرضهم زلزالاً جعل عاليها سافلها.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ الذي فعل بقوم لوط ﴿لَـَٔايَةً﴾؛ أي: لعبرة لمن بعدهم، فليجتنبوا عن قبيح فعلهم، كيلا ينزل بهم ما نزل بقوم لوط من العذاب، أو لدلالة واضحة على شدة بأس الله سبحانه، وعظيم انتقامه من أعدائه. ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم﴾؛ أي: أكثر قوم لوط بل أقلهم، أو ما كان أكثر من تلوت عليهم هذه القصة ﴿مُّؤْمِنِينَ﴾ فإن أكثر الخلق لئام؛ وهم الكفار، وكرامهم قليل؛ وهم

---

(١) روح البيان. (٢) المراغي.

المؤمنون. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ بقهر الأعداء ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بنصرة الأولياء، أو[1] لا يعذب قبل التنبيه والإرشاد. وتعذيبه أهل العذاب من كمال رحمته على أهل الثواب. ألا ترى أن قطع اليد المتآكلة سبب لسلامة البدن كله. فالعالَم بمنزلة الجسد، وأهل الفساد بمنزلة اليد المتآكلة، وراحة أهل الصلاح في إزالة أهل الفساد. ولو لم يكن في العزة والقهر فائدة.. لما وضعت الحدود. وقد قيل: إقامة الحدود خير من خصب الزمان.

قال إدريس عليه السلام: من سكن موضعاً ليس فيه سلطان قاهر، وقاض عادل، وطبيب عالم، وسوق قائمة، ونهر جار.. فقد ضيع نفسه وأهله وماله وولده، فعلى العاقل أن يحترز عن الشهوات، ويهاجر عن العادات، ويجاهد نفسه من طريق اللطف والقهر في جميع الحالات.

إيضاح لهذه القصة بما كتبه الباحثون[2]

كتبت مجلة السياسة الأسبوعية فصلاً قالت فيه: روت الكتب المنزلة أن الله سبحانه أهلك مدينتي سدوم وعمورة، وثلاث مدن أخرى بجوارهما بأن أمطر عليهم ناراً وكبريتاً من السماء، فلم ينج من سكانها سوى إبراهيم الخليل وأهل بيته، ولوط وابنتيه، ولم يكن إبراهيم من أهل تلك المدن، بل نزح إليها من الشمال طلباً للكلأ والمرعى بحسب عادة القبائل الرحل في ذلك الزمن.

وكان كثير من المؤرخين يرى أن هذه القصة خرافية، وبعضهم يقول: إنها قصة واقعية، كما تشهد بذلك آثار البلاد المجاورة للبحر الميت (بحيرة لوط).

وقد قام الدكتور أولبرابط بمباحث واسعة في وادي نهر الأردن، وعلى سواحل البحر الميت، حيث يظن أن سذوم وعمورة والثلاثة المدن الأخرى كانت فيها، فاستبان له أن هذه القصة حقيقية بجميع تفاصيلها، وعلم أن إبراهيم عليه السلام انحدر حوالي القرن التاسع عشر قبل الميلاد من بلاد ما بين النهرين إلى

(١) روح البيان.
(٢) المراغي.

فلسطين، ومعه أهل بيته، وابن أخيه لوط وأهله، ومعهما أنعام كثيرة، فحدث نزاع وشجار بين الرعاة، فرأى لوط حفظاً للسلام أن يفترق عن إبراهيم، واختار منطقة وادي الأردن التي كانت فيها سذوم وعمورة، وأقام بسذوم، واختار إبراهيم المرتفعات التي في الشمال، وضرب خيامه هنالك.

وكشف الدكتور آثاراً تدل على صدق هذه القصة؛ إذ وجد هناك آثار حصن قديم يعلو سطح البحر بنحو خمس مئة قدم، وبجواره المذبح هو حجارة منصوبة على شكل أعمدة، يرجح أن الوثنيين في ذلك الزمن كانوا يقدمون عليها قرابينهم، ويرجح أن البحر الميت طغى على الخمس التي كانت في منطقة الأردن. اهـ.

وبعض علماء الجيولوجيا ـ طبقات الأرض ـ يؤكدون أن هذا البحر يغمر اليوم بلاداً كانت آهلة بالسكان. وفي التوراة: إن إبراهيم كان ذات يوم جالساً بباب خيمته في حر النهار إذ أقبل إليه ثلاثة من الملائكة فاستقبلهم بترحاب عظيم وصنع لهم وليمة، واحتفى بهم، وفي أثناء الطعام علم أنهم ذاهبون إلى سذوم، وكان أهل هذه المدينة مشهورين بشرورهم، وانغماسهم في شهواتهم البهيمية، ولا سيما المحرمة منها، فلما وصلوا إلى سذوم ساروا تواً إلى منزل لوط ابن أخي إبراهيم ليبيتوا عنده، وعلم أهل سذوم بقدومهم، فأرادوا أن يرتكبوا بهم موبقاً، ولكن لوطاً دافع عنهم، وعرض أن يزوجهم ـ من بنات قومه ـ لينقذهم، فأبى أهل سذوم إلا أن يرتكبوا بهم الفحشاء، وقد تمكن الضيوف من الفرار، وأقنعوا لوطاً وأهل بيته بالفرار، وحين أشرقت الشمس على الأرض دخل لوط ـ صوعر ـ فأمطر الرب على سذوم وعمورة كبريتاً وتاراً من السماء، وقلب تلك المدن، وجميع سكانها، ونظرت امرأة لوط إلى الوراء، فصارت عمود ملح. (اختنقت بالغازات الكثيرة التي التهبت؛ إما بحدوث زلزلة، أو بسقوط صاعقة من الجو).

وفي التاريخ ما يدل على حدوث انقلابات جيولوجية شبيهة بحادثة سذوم وعمورة، فقد يثور بركان، ويتدفق حممه على البلاد المجاورة، فيغمرها ويهلك

أهلها، وقد تغور بلاد واسعة، فيطمو عليها البحر، وتزول هي وما فوقها من نبات وحيوان وإنسان. وقد تنشق الأرض فتبتلع مدناً بأسرها.

والخلاصة(١): أن هذه المدن كانت قاعدة لملوك جبارين، وكانت ذات غناء وغياض غنية، بوفرة مائها وخيراتها، وشمل أهلها الفساد، ورتعوا في شهواتهم البهيمية، ولم يبق فيها بر إلا لوط وأهله، فانتقم الله منهم فأمطر عليهم ناراً وكبريتاً من السماء، فألهب البراكين النارية التي فيها، فعجلت دمارهم وخسفت الأرض بهم، وظهرت البحيرة على ما نراه الآن.

قصص شعيب عليه السلام

﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾﴾؛ أي: شعيباً ومن قبله عليهم السلام، أو الجمع للتعظيم، أو لأن من كذب رسولاً فكأنما كذب الجميع، كما مر مراراً. والأيكة(٢): الغيضة التي تنبت ناعم الشجر، كالسدر والأراك، وهي غيضة بقرب مدين يسكنها طائفة من الناس، فبعث الله إليهم شعيباً بعد بعثه إلى مدين، ولكن لما كان أخا مدين في النسب.. قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾، ولما كان أجنبياً من أصحاب الأيكة.. قال: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ ولم يقل: أخوهم شعيب، وهو شعيب بن ثويب بن مدين بن إبراهيم عليه السلام، أو هو ابن ميكيك بن يشجر بن مدين بن إبراهيم الخليل، وأم ميكيك بنت لوط.

ووقع لفظ الأيكة في القرآن في أربع مواضع(٣)، في الحجر، وفي ق، وهنا، وفي ص، والأولان بأل وبالجر لا غير، والآخران يقرآن بأل وبالجر(٤)، وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر في هذه السورة، وفي ص خاصة ﴿ليكة﴾ بلام واحدة وفتح التاء، وهو غير منصرف للعلمية والتأنيث، واللام جزء الكلمة، وهو اسم البلدة لأصحاب الحجر. وقال أبو عبيدة: إن ليكة اسم للقرية التي كانوا عليها، والأيكة اسم للبلاد كلها، كمكة وبكة. وقرأ باقي السبعة ﴿لْـَٔيْكَةِ﴾ بلام

---

(١) المراغي.

(٢) روح البيان.

(٣) الفتوحات.

(٤) المراح والبحر المحيط.

التعريف. والمعنى: أي: كذب أصحاب شجر ملتف بقرب مدين شعيباً، وجملة المرسلين.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ﴾ نبيهم ﴿شُعَيْبٌ﴾ عليه السلام، ظرف للتكذيب، كما مر نظائره ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ الله الذي تفضل عليكم بنعمه ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ﴾ من عند الله، فهو أمرني أن أقول لكم ذلك. ﴿أَمِينٌ﴾ لا خيانة عندي. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ المحسن إليكم بهذه الغيضة وغيرها. ﴿وأطيعون﴾ي فيما أمرتكم به؛ لما ثبت من نصحي لكم. ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾؛ أي: على دعائي لكم إلى الإيمان بالله تعالى، أو على أداء الرسالة والتبليغ، والتعليم المدلول عليه بقوله رسول ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾؛ أي: أجراً وجعلاً ﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾؛ أي: ما ثواب تبليغي ﴿إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ أي: المحسن إلى الخلائق كلهم، فإني لا أرجو أحداً سواه، فإن الفيض وحسن التربية منه تعالى على الكل، خصوصاً على من كان مأموراً بأمر من جانبه.

وبعد أن نصحهم بتلك النصائح.. وعظهم بعظة أخرى، فنهاهم عن نقيصة كانت شائعة بينهم؛ وهي التطفيف في الكيل والميزان، فقال: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ﴾؛ أي: أتموا الكيل لمن أراده وعامل به. ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾؛ أي: من الناقصين حقوق الناس بالتطفيف، يقال: أخسرت الكيل والوزن؛ أي: نقصته؛ أي: إذا بعتم للناس فكيلوا لهم الكيل كاملاً، ولا تبخسوهم حقهم فتعطوه ناقصاً، وإذا اشتريتم فخذوا كما لو كان البيع لكم.

وخلاصة ذلك: خذوا كما تعطون، وأعطوا كما تأخذون. ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ﴾؛ أي: بالميزان ﴿الْمُسْتَقِيمِ﴾؛ أي: السوي العدل.

وقد جاء في سورة المطففين مثل هذا مع التحذير منه، فقال: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥)﴾.

وقرأ حمزة والكسائي وحفص[1]: ﴿القسطاس﴾ - بكسر القاف - والباقون

---

(١) المراح.

بالضم، ثم عمم النهي عن البخس في كل حق، فقال: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾؛ أي: ولا تنقصوا الناس حقوقهم في كيل، أو وزن، أو غيرهما، كالمزروعات والمعدودات، كأخذ بيض كبير وإعطاء بيض صغير، وإعطاء رغيف صغير وأخذ رغيف كبير. وهكذا يقال: بخس حقه إذا نقصه إياه؛ وهو تعميم بعد تخصيص. قال في «كشف الأسرار»: ذكر بأعم الألفاظ يخاطب به القافلة، والوزان، والنخاس، والمحصي، والصيرفي. انتهى. أي: ولا تنقصوا[1] شيئاً من حقوق الناس، أي حق كان، كنقص العد، والزرع، ودفع الزيف مكان الجيد، والغصب، والسرقة والتصرف بغير إذن صاحبه، ونحو ذلك.

ثم نهاهم عن جرم أعظم شأناً، وأشد خطراً؛ وهو الفساد في الأرض بجميع ضروبه وأشكاله، فقال: ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: ولا تعتدوا على الناس في الأرض حالة كونكم ﴿مُفْسِدِينَ﴾؛ أي: قاصدين الإفساد والظلم بالقتل، والغارة، وقطع الطريق، والسلب والنهب، والغصب، ونحوها. كإهلاك الزرع والنسل، والدعاء إلى عبادة غير الله، فإنهم كانوا يفعلون ذلك.

والعثي[2]: أشد الفساد فيما لا يدرك حساً. وقوله: ﴿مُفْسِدِينَ﴾ حال مقيدة؛ أي: لا تعتدوا حال إفسادكم، وإنما قيده به وإن غلب العثي في الفساد؛ لأنه قد يكون منه ما ليس بفساد، كمقابلة الظالم المعتدي بفعله، ومنه ما يتضمن صلاحاً راجحاً، كقتل الخضر الغلام، وخرقه السفينة.

وبعد أن نهاهم عن ذلك خوفهم سطوة الجبار الذي خلقهم، وخلق من قبلهم ممن كانوا أشد منهم بطشاً وعتواً، فقال: ﴿وَٱتَّقُوا۟﴾ الله ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ يا أصحاب الأيكة ﴿و﴾ خلق ﴿الجبلة الأولين﴾؛ أي: الخلائق الماضين الذين كانوا على خلقة عظيمة، وطبيعة غليظة، كقوم هود وقوم لوط. والجبلة: الخليقة، قاله مجاهد وغيره. يعني الأمم المتقدمة؛ أي: وخافوا بأس الذي خلقكم من العدم للإصلاح في الأرض، وخلق من قبلكم ممن كانوا أشد منكم قوة، وأكثر أموالاً،

---

(١) روح البيان.
(٢) روح البيان.

وأولاداً، كقوم هود الذين قالوا من أشد منا قوة؟ فأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿وَٱلْجِبِلَّةَ﴾ بكسر الجيم والباء وشد اللام. وقرأ أبو حصين والأعمش والحسن بخلاف عنه، والأعرج وشيبة بضمهما وتشديد اللام وتشديد اللام في القراءتين في بناءَين للمبالغة. وقرأ السلمي: ﴿والجبلة﴾: بكسر الجيم وسكون الياء، وفي نسخة عنه بفتح الجيم وسكون الباء، وهي من جبلوا على كذا؛ أي: خلقوا. ﴿قَالُوٓاْ﴾؛ أي: أصحاب الأيكة ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾؛ أي: ما أنت يا شعيب إلا رجل من المسحورين؛ أي: ممن سحر عقله مرة بعد أخرى، فصار كلامه جزافاً لا يعبر عن حقيقة، ولا يصيب هدف الحق، أو من المجوفين مثلنا ولست بملك. ﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾؛ أي: مماثل لنا تأكل وتشرب كما نفعل، فلا مزية لك علينا، فما وجه تخصيصك بالرسالة، وإرسالك رسولاً إلينا.

وإدخال ﴿الواو﴾[2] بين الجملتين هنا؛ للدلالة على أن كلاً من التسحير والبشرية مناف للرسالة مبالغة في التكذيب، بخلاف قصة ثمود، فإنه ترك ﴿الواو﴾ هناك؛ لأنه لم يقصد إلا معنى واحد هو التسحير، وقد مر توجيهه بوجه آخر نقلاً عن شيخ الإسلام.

ثم أكدوا هذا الإنكار بقولهم: ﴿وَإِن﴾؛ أي: وإن الشأن ﴿نَّظُنُّكَ﴾؛ أي: نعتقد كونك ﴿لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ في دعوى النبوة، فـ﴿إن﴾: مخففة من الثقيلة واسمها محذوف؛ أي: وإنا لنظنك ممن يتعمد الكذب فيما يقول، ولم يرسلك الله نبياً إلينا. وقيل[3]: ﴿إن﴾: نافية، واللام بمعنى إلا؛ أي: ما نظنك إلا من الكاذبين، والأول أولى.

ثم إن شعيباً كان هددهم بالعذاب إن استمروا على التكذيب، فقالوا: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: أي: قطعاً من السحاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ

---

(١) البحر المحيط.

(٢) روح البيان.

(٣) الشوكاني.

﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في دعواك النبوة؛ أي: فإن كنت صادقاً في دعواك الرسالة، فأنزل علينا من السحاب قطعاً يكون فيها العذاب لنا.

وقرأ حفص[1]: ﴿كِسَفًا﴾ بفتح السين، والباقون بالسكون. وهذا شبيه بما قالته قريش لنبينا محمد ﷺ فيما حكى الله عنهم بقوله: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾﴾ إلى أن قالوا: ﴿أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾، وقوله: ﴿وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾.

وإنما طلبوا ذلك لتصميمهم على التكذيب واستبعادهم وقوعه، فعند ذلك فوض شعيب عليه السلام أمرهم إلى الله فـ﴿قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ من تطفيف الكيل والميزان، فيجازيكم به، فإن شاء عجل لكم العذاب، وإن شاء أخره إلى أجل معلوم، وليس العذاب إليّ، وما علي إلا الدعوة والتبليغ، وأنا مأمور به، فلم أنذركم من تلقاء نفسي، ولا أدعي القدرة على عذابكم، وأمره إلى الله تعالى، فينزله في وقته المقدر له لا محالة. ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾؛ أي: فأصروا على تكذيبه بعد وضوح الحجة، وانتفاء الشبهة. ﴿فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ﴾ والسحابة التي أقامها الله سبحانه فوق رؤوسهم حتى أظلتهم، فأمطرت عليهم ناراً فهلكوا، وقد أصابهم الله سبحانه بما اقترحوا؛ لأنهم إن أرادوا بالكسف القطعة من السحاب فظاهر، وإن أرادوا بها القطعة من السماء.. فقد نزل عليهم العذاب من جهتها.

وفي إضافة العذاب إلى يوم الظلة[2]، لا إلى الظلة نفسها إيذان بأن لهم يوماً آخر غير هذا اليوم، كالأيام السبعة مع لياليها التي سلط الله فيها عليهم الحرارة الشديدة، وكان ذلك من علامة أنهم يؤخذون بجنس النار؛ أي: في[3] تلك الإضافة إعلام بأن لهم عذاباً آخر غير عذاب السحاب، كما روي أن الله

---

(١) المراح.
(٢) روح البيان.
(٣) المراح.

سبحانه فتح عليهم باباً من أبواب جهنم، وأرسل عليهم هدة وحراً شديداً مع سكون الريح سبعة أيام بلياليها، فأخذ بأنفاسهم فدخلوا بيوتهم، فلم ينفعهم ظل ولا ماء، فأنضجهم الحر، فخرجوا هرباً، فأرسل الله تعالى سحابة فأظلتهم، فوجدوا لها برداً وروحاً وريحاً طيبة، فنادى بعضهم بعضاً، فلما اجتمعوا تحت السحابة. . ألهبها الله عليهم ناراً، ورجفت بهم الأرض، فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلي فصاروا رماداً،

﴿إِنَّهُۥ﴾؛ أي: إن عذاب يوم الظلة ﴿كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾؛ أي: شديد هوله وعذابه، فعظم اليوم لعظم العذاب الواقع فيه وشدته، قال قتادة: إن شعيباً أرسل إلى أمتين؛ أصحاب مدين، ثم أصحاب الأيكة، فأهلكت مدين بالصيحة والرجفة، وأصحاب الأيكة بعذاب يوم الظلة.

والمعنى: أي[1] وهكذا دأبوا على التكذيب، فجازاهم بجنس ما طلبوا من إسقاط الكسف من السماء، فجعل عقوبتهم أن أصابهم حر عظيم أخذ بأنفاسهم لم ينفعهم فيه ظل ولا ماء ولا شراب، فاضطروا أن يخرجوا إلى البرية، فأظلتهم سحابة وجدوا لها برداً ونسيماً، فاجتمعوا كلهم تحتها، فأمطرتهم شواظاً من نار فاحترقوا.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور من قصة قوم شعيب﴿لَأٓيَةٗ﴾؛ أي: لدلالة واضحة على صدق الرسل، أو المعنى: أي: إن في ذلك الإنجاء لكل رسول ومن أطاعه، والعذاب لكل من عصاه في كل العصور لدلالة واضحة على صدق الرسل. ﴿وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم﴾؛ أي[2]: أكثر أصحاب الأيكة، بل كلهم؛ إذ لم ينقل إيمان أحد منهم بخلاف أصحاب مدين، فإن جماعة منهم آمنوا. ﴿مُّؤۡمِنِينَ﴾ بالله سبحانه، وبرسوله شعيب عليه السلام، أو[3] وما كان أكثر قومك يا محمد بمؤمنين مع أنك قد أتيتهم بما لا يكون معه شك من الدليل والبرهان، لو لم يكن

---

(١) المراغي.
(٢) روح البيان.
(٣) المراغي.

لهم معرفة بك من قبل، فكيف وهم عارفون بأنك كنت قبل الرسالة أصدقهم لهجة، وأعظمهم أمانة، وأغزرهم عقلاً، وأبعدهم عن كل ذي دنس.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب القادر على كل شيء. ومن عزته نصر أنبيائه على أعدائه. ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بالإمهال، فلا يعاجل العقوبة لمن استحقها.

وهذا آخر[1] القصص السبع التي ذكرها الله سبحانه تسلية لرسوله ﷺ، وتهديداً للمكذبين له. وكل قصة من هذه القصص ذكر مستقل متجدد النزول، قد أتاهم من الله تعالى وما كان أكثرهم مؤمنين بعدما سمعوها على التفصيل قصة بعد قصة، بأن لا يعتبروا بما في كل واحدة منها من الدواعي إلى الإيمان، والزواجر عن الكفر والطغيان، وبأن لا يتأملوا في شأن الآيات الكريمة الناطقة بتلك القصص على ما هي عليه، مع علمهم بأنه ﷺ لم يسمع شيئاً منها من أحد أصلاً، وصاروا كأنهم لم يسمعوا شيئاً يزجرهم عن الكفر والضلال واستمروا على ذلك.

تتمة: وقد كرر[2] سبحانه في هذه السورة في أول كل قصة وآخرها ما كرر تقريراً لمعانيها في الصدور؛ ليكون أبلغ في الوعظ والزجر، ولأن كل قصة منها كتنزيل برأسه. وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها، فكانت جديرة بأن تفتتح بما افتتحت به صاحبتها، وأن تختتم بما اختتمت به.

تنبيه: جاءت[3] هذه القصص السبع مختصرة هنا، وفيها البرهان الساطع على أن القرآن جاء من عالم الغيب، فإن النتائج التي حصل عليها النبي ﷺ، ولم يكن حين نزولها ذا شوكة ولا ذا قوة، وأن ما أصيب به من التكذيب والأذى وكانت عاقبته الفتح والنصر المبين نموذج لما حدث للأنبياء السالفين قبله.

---

(١) المراح.

(٢) النسفي.

(٣) المراغي.

فائدة: فإن قلت[1]: لم لا يجوز أن يقال: إن العذاب النازل بعاد وثمود، وقوم لوط وغيرهم.. لم يكن لكفرهم، وعنادهم، بل كان كذلك بسبب اقترانات الكواكب، واتصالاتها على ما اتفق عليه أهل النجوم، ومع قيام هذا الاحتمال لم يحصل الاعتبار بهذه القصص. وأيضاً أن الله تعالى قد ينزل العذاب محنة للمكلفين، وابتلاء لهم، وقد ابتلى المؤمنون بأنواع البليات، فلا يكون نزول العذاب على هؤلاء الأقوام دليلاً على كونهم مبطلين مؤاخذين بذلك؟

قلت: إطراد نزول العذاب على تكذيب الأمم بعد إنذار الرسل به واقتراحهم لهم استهزاء، وعدم مبالاة به يدفع أن يقال: إنه كان بسبب اتصالات فلكية، أو كان ابتلاء لهم، لا مؤاخذة على تكذيبهم؛ لأن الابتلاء لا يطرد.

الإعراب

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٤٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٤٣) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٤٤)﴾.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١)﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة مستأنفة، ولم ينون ﴿ثَمُودُ﴾؛ لمنعه من الصرف بالعلمية والتأنيث المعنوي. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى، متعلق بـ﴿كَذَّبَتْ﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض. ﴿لَهُمْ﴾: متعلق به. ﴿أَخُوهُمْ﴾: فاعل ومضاف إليه، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إِذْ﴾. ﴿صَالِحٌ﴾: بدل من ﴿أَخُوهُمْ﴾، أو عطف بيان له. ﴿أَلَا﴾: أداة عرض. ﴿تَتَّقُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿إِنِّي﴾: ناصب واسمه. ﴿لَكُمْ﴾: حال من ﴿رَسُولٌ﴾. و﴿رَسُولٌ﴾: خبر ﴿إن﴾. ﴿أَمِينٌ﴾: صفة ﴿رَسُولٌ﴾، وجملة ﴿إن﴾: في محل النصب مقول ﴿قال﴾. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفتم أني رسول الله، وأردتم بيان ما هو اللازم لكم.. فأقول لكم اتقوا الله. ﴿اتقوا الله﴾: فعل وفاعل ومفعول،

---

(١) روح البيان.

والجملة في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَأَطِيعُونِ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿أطيعون﴾: فعل أمر وفاعل ونون وقاية، وياء المتكلم المحذوفة للفاصلة في محل النصب مفعول به، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة ﴿اتقوا الله﴾.

﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾﴾.

﴿وَمَآ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿أَسْـَٔلُكُمْ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول أول. ﴿عَلَيْهِ﴾: حال من ﴿أَجْرٍ﴾، و﴿مِنْ﴾: زائدة، و﴿أَجْرٍ﴾: مفعول ثان لسأل، والجملة الفعلية في محل النصب معطوفة على جملة إن على كونها مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿إِن﴾: نافية. ﴿أَجْرِيَ﴾: مبتدأ ومضاف إليه. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه خبر المبتدأ، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿أَتُتْرَكُونَ﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام الإنكاري التوبيخي، ﴿تتركون﴾: فعل ونائب فاعل، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿فِي﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿تتركون﴾. ﴿مَا هَٰهُنَآ﴾: ﴿ها﴾: حرف تنبيه، ﴿هنا﴾: اسم إشارة للمكان القريب في محل النصب على الظرفية المكانية، والظرف صلة لـ﴿ما﴾ الموصولة. ﴿ءَامِنِينَ﴾: حال من ﴿الواو﴾ في ﴿تتركون﴾. ﴿فِي جَنَّٰتٍ﴾: بدل من قوله: ﴿فِي مَا هَٰهُنَآ﴾ بإعادة الجار. ﴿وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ﴾: معطوفات على ﴿جَنَّٰتٍ﴾. ﴿طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة في محل الجر صفة لـ﴿نخل﴾. ﴿وَتَنْحِتُونَ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿تتركون﴾، فهو في حيز الاستفهام الإنكاري التوبيخي. ﴿مِنَ ٱلْجِبَالِ﴾: متعلق بـ﴿تنحتون﴾. ﴿بُيُوتًا﴾: مفعول به. ﴿فَٰرِهِينَ﴾ حال من واو ﴿تنحتون﴾. ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفتم ما ذكرته لكم، وأردتم بيان ما هو اللازم لكم.. فأقول لكم: اتقوا الله. ﴿اتقوا الله﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة في النصب مقول لجواب إذا

المقدرة، وجملة إذا المقدرة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَأَطِيعُونِ﴾: فعل وفاعل ومفعول محذوف ونون وقاية معطوف على ﴿اتقوا الله﴾.

﴿وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾.

﴿وَلَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿لَا﴾: ناهية جازمة. ﴿تُطِيعُوٓاْ﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ﴿لَا﴾ الناهية، والجملة معطوفة على جملة وأطيعوا الله، أو الجملة في محل النصب حال من فاعل أطيعوا. ﴿أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: مفعول به ومضاف إليه. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول للجمع المذكر في محل الجر صفة لـ﴿ٱلْمُسْرِفِينَ﴾. ﴿يُفْسِدُونَ﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلق به. ﴿وَلَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُصْلِحُونَ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿يُفْسِدُونَ﴾. ﴿قَالُوٓاْ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿إِنَّمَآ﴾: أداة حصر، أو حرف كاف ومكفوف. ﴿أَنتَ﴾: مبتدأ. ﴿مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾: خبر المبتدأ، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓاْ﴾.

﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾﴾.

﴿مَا﴾: نافية. ﴿أَنتَ﴾: مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: أداة حصر. ﴿بَشَرٌ﴾: خبر. ﴿مِّثْلُنَا﴾: صفة لـ﴿بَشَرٌ﴾، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓاْ﴾. ﴿فَأْتِ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفت ما قلنا لك، وأردت بيان ما هو اللازم لك.. فنقول لك ائت. ﴿ائت﴾: فعل أمر مبني على حذف حرف العلة. ﴿بِـَٔايَةٍ﴾: جار ومجرور متعلق به، والجملة في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓاْ﴾. ﴿إِن﴾: حرف شرط. ﴿كُنتَ﴾: فعل ناقص واسمه في محل الجزم بـ﴿إِن﴾ الشرطية على كونه فعل شرط لها. ﴿مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: خبر كان، وجواب ﴿إِن﴾ الشرطية معلوم مما قبلها تقديره: إن كنت من الصادقين فات بآية، وجملة ﴿إِن﴾ الشرطية في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓاْ﴾.

﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على صالح، والجملة مستأنفة. ﴿هَٰذِهِۦ﴾ مبتدأ. ﴿نَاقَةٌ﴾: خبر، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿لَّهَا﴾: خبر مقدم. ﴿شِرْبٌ﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة صفة لـ﴿نَاقَةٌ﴾. ﴿وَلَكُمْ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿لَكُمْ﴾: خبر مقدم. ﴿شِرْبُ يَوْمٍ﴾: مبتدأ مؤخر ومضاف إليه. ﴿مَّعْلُومٍ﴾: صفة ﴿يَوْمٍ﴾ والجملة في محل النصب معطوفة على جملة ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ﴾ فكأنه قال: هذه ناقة لها، شرب، وأنتم أقوام لكم شرب يوم معلوم. ﴿وَلَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿لَا﴾: ناهية جازمة. ﴿تَمَسُّوهَا﴾: فعل وفاعل ومفعول به مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية. ﴿بِسُوٓءٍ﴾: متعلق به، والجملة معطوفة على جملة ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ﴾. ﴿فَيَأْخُذَكُمْ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة سببية، ﴿يأخذكم﴾: فعل ومفعول به منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد الفاء السببية الواقعة في جواب النهي. ﴿عَذَابُ يَوْمٍ﴾: فاعل ومضاف إليه. ﴿عَظِيمٍ﴾: صفة ﴿يَوْمٍ﴾، والجملة الفعلية في تأويل مصدر معطوف على مصدر متصيد من الجملة التي قبلها من غير سابك لإصلاح المعنى تقديره: لا يكن مسكم إياها بسوء فأخذ عذاب يوم عظيم إياكم. ﴿فَعَقَرُوهَا﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة ﴿عقروها﴾: فعل وفاعل ومفعول به معطوف على جملة ﴿قَالَ﴾. ﴿فَأَصْبَحُوا نَٰدِمِينَ﴾: فعل ناقص واسمه، وخبره معطوف على ﴿فَعَقَرُوهَا﴾. ﴿فَأَخَذَهُمُ﴾: فعل ومفعول به. ﴿الْعَذَابُ﴾: فاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿أصبحوا﴾. ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾﴾ تقدم إعراب هذه الجمل مراراً فراجعه.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾﴾.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة مستأنفة مسوقة

لبيان قصة قوم لوط. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى متعلق بـ﴿كَذَّبَتْ﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض. ﴿لَهُمْ﴾: متعلق به. ﴿أَخُوهُمْ﴾: فاعل. ﴿لُوطٌ﴾: بدل منه، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إِذْ﴾. ﴿أَلَا﴾: حرف عرض. ﴿تَتَّقُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿إِنِّي﴾: ناصب واسمه. ﴿لَكُمْ﴾: حال. ﴿رَسُولٌ﴾: خبره. ﴿أَمِينٌ﴾: صفة ﴿رَسُولٌ﴾، وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة، ﴿اتقوا الله﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَأَطِيعُونِ﴾: فعل وفاعل ومفعول به محذوف معطوف على ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾.

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾.

﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿مَا﴾: نافية ﴿أَسْأَلُكُمْ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به. ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلق به، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة ﴿إن﴾ على كونها مقول ﴿قَالَ﴾؛ ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ متعلقاً به. ﴿إِنْ﴾: نافية. ﴿أَجْرِيَ﴾: مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: أداة حصر. ﴿عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: خبر المبتدأ، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿أَتَأْتُونَ﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام الإنكاري، ﴿تأتون﴾: فعل وفاعل. ﴿الذُّكْرَانَ﴾ مفعول به، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿مِنَ الْعَالَمِينَ﴾: حال من ﴿الذُّكْرَانَ﴾. ﴿وَتَذَرُونَ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿تأتون﴾. ﴿مَا﴾: اسم موصوف في محل النصب مفعول به. ﴿خَلَقَ﴾: فعل ماض. ﴿لَكُمْ﴾: متعلق به. ﴿رَبُّكُمْ﴾: فاعل، والجملة صلة الموصول، والعائد محذوف تقديره: ما خلقه. ﴿مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾: حال من ﴿مَا﴾، أو من العائد المحذوف. ﴿بَلْ﴾: حرف للإضراب الانتقالي. ﴿أَنْتُمْ قَوْمٌ﴾: مبتدأ وخبر. ﴿عَادُونَ﴾: صفة ﴿قَوْمٌ﴾، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾.

﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٣﴾﴾.

﴿قَالُوا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿لَئِن﴾: ﴿اللام﴾: موطئة للقسم، ﴿إن﴾: حرف شرط. ﴿لَّمْ﴾: حرف جزم. ﴿تَنتَهِ﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر مجزوم بـ﴿لَّمْ﴾، والجملة في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونها فعل شرط لها، وجواب ﴿إن﴾ الشرطية محذوف دل عليه جواب القسم تقديره: إن لم تنته تكن من المخرجين، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية في محل النصب مقول ﴿قَالُوا۟﴾ على كونها معترضة بين القسم وجوابه. ﴿يَٰلُوطُ﴾: منادى مفرد العلم، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قَالُوا۟﴾ على كونها معترضة. ﴿لَتَكُونَنَّ﴾: ﴿اللام﴾: موطئة للقسم مؤكدة للأول. ﴿تكونن﴾: فعل مضارع ناقص في محل الرفع مبني على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد، واسمها ضمير مستتر يعود على ﴿لوط﴾ ﴿مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾: خبرها، وجملة ﴿تكونن﴾ جواب القسم، وجملة القسم في محل النصب مقول ﴿قَالُوا۟﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر، والجملة مستأنفة. ﴿إِنِّى﴾: ناصب واسمه. ﴿لِعَمَلِكُم﴾: متعلق بـ﴿ٱلْقَالِينَ﴾. ﴿مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾: خبر ﴿إن﴾ وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿رَبِّ﴾: منادى مضاف، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿نَجِّنِى﴾: فعل دعاء وفاعل مستتر ونون وقاية ومفعول به. ﴿وَأَهْلِى﴾: معطوف على ياء المتكلم، أو مفعول معه، والجملة الفعلية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها جواب النداء. ﴿مِمَّا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿نَجِّنِى﴾، وجملة ﴿يَعْمَلُونَ﴾ صلة لـ﴿مَا﴾، والعائد محذوف تقديره: مما يعملونه. ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ﴾: ﴿الفاء﴾: حرف عطف وتفريع، ﴿نجيناه﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿قَالَ﴾. ﴿وَأَهْلَهُۥٓ﴾: معطوف على هاء المفعول، أو مفعول معه. ﴿أَجْمَعِينَ﴾: توكيد لـ﴿أهله﴾. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿عَجُوزًا﴾: مستثنى. ﴿فِى ٱلْغَٰبِرِينَ﴾: صفة لـ﴿عَجُوزًا﴾. كأنه قيل: إلا عجوزاً غابرة. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به معطوف على ﴿نجيناه﴾. ﴿وَأَمْطَرْنَا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿دَمَّرْنَا﴾. ﴿عَلَيْهِم﴾: متعلق بـ﴿أمطرنا﴾. ﴿مَّطَرًا﴾: مفعول به. ﴿فَسَآءَ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، أو استئنافية، ﴿ساء﴾: فعل ماض من أفعال الذم، ﴿مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾: فاعل ومضاف إليه، والجملة معطوفة على ﴿أمطرنا﴾، أو مستأنفة، والمخصوص بالذم

محذوف تقديره: مطرهم، والجمل في قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾﴾. تقدم إعرابها فراجعه إن شئت.

﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾﴾.

﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة مستأنفة مسوقة لبيان قصة قوم شعيب. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان متعلق بـ﴿كَذَّبَ﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض. ﴿لَهُمْ﴾: متعلق به. ﴿شُعَيْبٌ﴾: فاعل، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إِذْ﴾. ﴿أَلَا﴾: أداة عرض. ﴿تَتَّقُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿إِنِّي﴾: ناصب واسمه. ﴿لَكُمْ﴾: حال من ﴿رَسُولٌ﴾، و﴿رَسُولٌ﴾: خبره. ﴿أَمِينٌ﴾: صفة ﴿رَسُولٌ﴾، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة. ﴿اتقوا الله﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَأَطِيعُونِ﴾: فعل وفاعل ومفعول محذوف معطوف على ﴿اتقوا الله﴾. ﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿أَسْأَلُكُمْ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به أول. ﴿عَلَيْهِ﴾: حال من ﴿أَجْرٍ﴾. ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾: مفعول ثان، والجملة الفعلية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿إِنْ﴾: نافية. ﴿أَجْرِيَ﴾: مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: أداة حصر. ﴿عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: خبر المبتدأ، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾.

﴿۞ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾﴾.

﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَلَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿لا﴾: ناهية جازمة. ﴿تَكُونُوا﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾: خبره، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة ﴿أَوْفُوا﴾. ﴿وَزِنُوا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿زنوا﴾ فعل وفاعل معطوف على

﴿أَوۡفُواْ﴾. ﴿بِٱلۡقِسۡطَاسِ﴾: متعلق بـ﴿زنوا﴾. ﴿ٱلۡمُسۡتَقِيمِ﴾: صفة لـ﴿القسطاس﴾. ﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به أول مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية. ﴿أَشۡيَآءَهُمۡ﴾: مفعول ثان، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة ﴿أَوۡفُواْ﴾. ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية. ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: متعلق به، والجملة معطوفة على جملة ﴿أَوۡفُواْ﴾. ﴿مُفۡسِدِينَ﴾: حال مؤكدة لمعنى عاملها. ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِي﴾: فعل وفاعل ومفعول به معطوف على ﴿أَوۡفُواْ﴾. ﴿خَلَقَكُمۡ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به ﴿وَٱلۡجِبِلَّةَ﴾: معطوفة على الكاف. ﴿ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: صفة لـ﴿جبلة﴾، وجملة ﴿خَلَقَكُمۡ﴾: صلة الموصول. ﴿قَالُوٓاْ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿إِنَّمَآ﴾: أداة حصر. ﴿أَنتَ﴾: مبتدأ. ﴿مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ﴾: خبر المبتدأ، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓاْ﴾.

﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ١٨٦﴾.

﴿وَمَآ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿ما﴾: نافية. ﴿أَنتَ﴾: مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: أداة حصر. ﴿بَشَرٞ﴾: خبر المبتدأ. ﴿مِّثۡلُنَا﴾: صفة ﴿بَشَرٞ﴾، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة ﴿إِنَّمَآ أَنتَ﴾ على كونها مقولاً لـ﴿قَالُوٓاْ﴾. ﴿وَإِن﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿إِن﴾: مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن؛ أي: إنه ﴿نَّظُنُّكَ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول أول. ﴿لَمِنَ﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء. ﴿من الكاذبين﴾: في محل المفعول الثاني لظن، وجملة ظنّ في محل الرفع خبر ﴿إِن﴾ المخففة، وجملة ﴿إِن﴾ المخففة في محل النصب معطوفة على جملة ﴿إِنَّمَآ أَنتَ﴾ على كونها مقولاً لـ﴿قَالُوٓاْ﴾.

﴿فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١٨٧ قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨٨ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ١٨٩﴾.

﴿فَأَسۡقِطۡ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر وتقديره: إذا سمعت يا شعيب ما قلنا لك، وأردت إثبات نبوتك. فنقول لك أسقط. ﴿أسقط﴾: فعل أمر، وفاعل مستتر يعود على شعيب. ﴿عَلَيۡنَآ﴾: متعلق به. ﴿كِسَفٗا﴾: مفعول به. ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: صفة لـ﴿كِسَفٗا﴾، والجملة الفعلية في

محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓاْ﴾. ﴿إن﴾: حرف شرط. ﴿كُنتَ﴾: فعل ناقص، واسمه في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونها فعل شرط لها. ﴿مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: خبر كان، وجواب ﴿إن﴾ الشرطية معلوم مما قبله تقديره: إن كنت من الصادقين فأسقط علينا، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓاْ﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر، والجملة مستأنفة. ﴿رَبِّيٓ أَعۡلَمُ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿بِمَا﴾: بـ﴿أَعۡلَمُ﴾، وجملة ﴿تَعۡمَلُونَ﴾ صلة لـ﴿ما﴾ الموصولة. ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة. ﴿كذبوه﴾: فعل وفاعل ومفعول به معطوف على ﴿قَالُوٓاْ﴾. ﴿فَأَخَذَهُمۡ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿أخذهم﴾: فعل ومفعول به. ﴿عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ﴾: فاعل ومضاف إليه، والجملة الفعلية معطوفة على جملة ﴿كذبوه﴾. ﴿إِنَّهُۥ﴾: ناصب واسمه. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص، واسمه ضمير مستتر يعود على ﴿عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ﴾. ﴿عَذَابَ يَوۡمٍ﴾ خبر ومضاف إليه. ﴿عَظِيمٍ﴾ صفة لـ﴿يَوۡمٍ﴾. وجملة ﴿كَانَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها، وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ١٩٠ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٩١﴾ تقدم إعرابه مراراً فلا عود ولا إعادة، والله أعلم.

التصريف ومفردات اللغة

﴿وَنَخۡلٖ﴾ النخل والنخيل: شجر التمر المعروف، له ساق مستقيم طويل ذو عقد، واحدته نخلة ونخيلة. وفي «المصباح» ما ملخصه: النخل: اسم جمع، الواحدة نخلة، وكل اسم جمع كذلك يؤنث ويذكر، وأما النخيل بالياء فمؤنثة اتفاقاً. اهـ.

﴿طَلۡعُهَا﴾: هو ثمرها في أول ما يطلع، وبعده يسمى خلالاً، ثم بلحاً، ثم بسراً، ثم رطباً، ثم تمراً. وفي «البيضاوي»: طلعها: وهو ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو، وتشبيهه بنصل السيف من حيث الهيئة والشكل. وفي «المختار»: ويقال للطلع ﴿هَضِيمٞ﴾ ما لم يخرج؛ لدخول بعضه في بعض، من قولهم: كشح هضيم. وفي «القاموس» و«التاج»: الطلع: المقدار، تقول:

الجيش طلع ألف، ومن النخل شيء يخرج كأنه نعلان مطبقان، والحمل بينهما منضود، والطرف محدد، أو ما يبدو من ثمرته في أول ظهورها، والهضيم: النضيح الرخص اللين اللطيف.

وفي «أبي السعود»: والهضيم: اللطيف اللين للطف الثمر، أو لأن النخل أنثى وطلع الإناث ألطف؛ وهو ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو، أو مدل متكسر من كثرة الحمل، وإفراد النخل؛ لفضله على سائر أشجار الجنات، أو لأن المراد به غيرها من الأشجار. اهـ.

﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ﴾ يقال: نحته ينحته ـ من باب ضرب ـ نحتاً ونحاتة، والنحت: النجر والبري، والنحاتة البراية، والمنحت ما ينحت به.

﴿فَٰرِهِينَ﴾ قال الراغب: معنى قراءة من قرأ: ﴿فَٰرِهِينَ﴾ ـ بالألف ـ حاذقين؛ أي: ماهرين في العمل، من الفراهة؛ وهي النشاط، فإن الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب. ومن قرأ: ﴿فرهين﴾ جعله بمعنى مرحين أشرين بطرين، فهو على الأول من فره بالضم، وعلى الثاني من فره بالكسر.

﴿شِرْبٌ﴾ ـ بالكسر ـ الحظ والنصيب من الماء، كالسقي من السقي. قال الفراء: الشرب: الحظ من الماء. قال النحاس: فأما المصدر فيقال فيه: شرب شرباً وشُرباً، وأكثرها المضموم، والشرب بفتح الشين جمع شارب. والمراد هنا الشِرب بالكسر.

﴿فَعَقَرُوهَا﴾ يقال: عقرت البعير: نحرته، وأصل العقر ضرب الساق بالسيف، كما في «كشف الأسرار» والمعنى هنا؛ أي: رموها بسهم، ثم قتلوها، كما مر في مبحث التفسير.

﴿نَٰدِمِينَ﴾: اسم فاعل من ندم من باب فرح، والندم والندامة التحسر من تغير رأي في أمر فائت.

﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ﴾ والذكران والذكور جمع الذكر ضد الأنثى من كل حيوان، وجعل الذكر كناية عن العضو المخصوص، كما في «المفردات».

﴿وَتَذَرُونَ﴾؛ أي: تتركون، يقال: فلان يذر الشيء؛ أي: يقذفه لقلة إعداده به، ولم يستعمل ماضيه.

﴿مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾: من المبغضين، جمع قال، اسم فاعل من قليته أقليه قلى: وقلاء، والقلى أشد البغض؛ وهو مما يجب كسر عين مضارعه؛ لوجود داعي الكسر، وهو كون لامه ياء، كما هو مقرر في محله. وفي «المصباح»: قليت الرجل أقليه ـ من باب رمى ـ قلى بالكسر والقصر، وقد يمد إذا أبغضه، ومن باب تعب لغة. وعبارة «القاموس»: قلاه ـ كـ: رماه ورضيه ـ قلى وقلا وقليه أبغضه وكرهه غاية الكراهة فتركه، أو قلاه في الهجر وقليه في البغض.

﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾﴾ قال الراغب: سميت العجوز عجوزاً لعجزها عن كثير من الأمور. قال في «المفردات»: الغابر: الماكث بعد مضي من معه. قال في «الكشاف»: ومعنى الغابرين في العذاب والهلاك: غير الناجين. وفي «المصباح»: غبر غبورا ـ من باب قعد ـ بقي، وقد يستعمل فيما مضى أيضاً فيكون من الأضداد. وقال الزبيدي: غبر غبوراً مكث، وفي لغة بالمهملة للماضي، وبالمعجمة للباقي. وغُبَّر الشيء ـ وزان سكر ـ بقيته. وفي «القاموس»: غبر غبوراً مكث وذهب، ضدٌّ، وهو غابر من غُبَّر كرُكَّع، وغُبر الشيء ـ بالضم ـ بقيته، اهـ.

﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ والتدمير: إدخال الهلاك على الشيء، والدمار: الهلاك على وجهه عجيب هائل.

﴿لْـَٔيْكَةِ﴾ في اللغة: الشجرة الكثيفة، وجمعها أيك. قال في «القاموس»: أيك يأيك ـ من باب تعب ـ أيكاً، واستأيك الشجر التف وصار أيكة، والأيك: الشجر الكثيف الملتف، الواحدة أيكة، فتطلق الأيكة على الواحدة من الأيك، وعلى غيضة شجر ملتفة قرب مدين. قالوا: وكان شجرهم الدوم، وهي قرية شعيب سميت باسم بانيها مدين بن إبراهيم، بينها وبين مصر مسير ثمانية أيام.

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ﴾ يقال: خسرته وأخسرته: نقصته.

﴿وَزِنُوا۟﴾: أمر من وزن يزن وزناً وزنة، والوزن معرفة قدر الشيء.

﴿بِٱلْقِسْطَاسِ﴾ قال في «القاموس»: القُسطاس بكسر القاف وضمّها، وقد قرىء بهما الميزان، أو أقوم الموازين، فإن كان من القسط وهو العدل، وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس، وإلا فهو رباعي. وقيل: هو بالرومية العدل.

﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: ولا تفسدوا، يقال: عثا في الأرض وعثي فيها، وذلك نحو قطع الطريق والغارة، وإهلاك الزروع. وفي «المختار» عثا في الأرض أفسد، وبابه سما، وعثي بالكسر عثواً أيضاً، وعثى بفتحتين بوزن فتى. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ قلت: قال الأزهري: القراء كلهم متفقون على فتح الثاء دل على أن القرآن نزل باللغة الثانية. وفي «القاموس»: عثى كسعى ورمى ورضي. اهـ.

﴿الجبلة﴾ - بكسر الجيم والباء وتشديد اللام المفتوحة -: الخلق المتحد الغليظ، وفي «القاموس»: الجبلة والجبلة والجبلة وهي التي قرىء بها الوجه وما استقبلك منه، والخلقة والطبيعة، والأصل والقوة وصلابة الأرض. والجبل - بفتح الجيم مع سكون الباء -: مصدر جبله الله على كذا؛ أي: طبعه وخلقه، واسم الطبيعة جبلة. ويقال: جبل فلان على كذا؛ أي: خلق، والمراد أنهم كانوا على خلقة عظيمة.

﴿كِسَفًا﴾: جمع كسفة، مثل سدر وسدرة، كقطعة وقطع وزناً ومعنىً. وقال الجوهري: الكسفة: القطعة من الشيء، يقال أعطني كسفة من ثوبك؛ أي: قطعة، ويقال: الكسف والكسفة واحد. وقال الأخفش: من قرأ ﴿كسفاً من السماء﴾ جعله واحداً، ومن قرأ ﴿كسفاً﴾ جعله جمعاً.

﴿يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾ والظلة: السحابة التي استظلوا بها، والمظلة الضيِّقة وما يستظل به من الحر أو البرد، وما أظله كالشجر، والجمع ظلل وظلال. ويوم الظلة اشتهر بعذابهم، فقد وقفت فوقهم سحابة أظلتهم بعد حر شديد أصابهم، فأمطرت عليهم ناراً فاحترقوا.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: إطلاق الجمع على المفرد في قوله: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾﴾ للتعظيم؛ لأن المراد بالمرسلين صالح.

ومنها: الاستفهام الإنكاري التوبيخي في قوله: ﴿أَتُتْرَكُونَ﴾.

ومنها: المجاز العقلي في قوله: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾﴾؛ لأن الأمر لا يطاع وإنما هو صاحبه؛ أي: ولا تطيعوا المسرفين في أمرهم.

ومنها: الاستعارة التصريحية التبعية في قوله: ﴿وَلَا تُطِيعُوا﴾؛ أي: ولا تمتثلوا، حيث شبه الامتثال الذي للأمر على صيغة المصدر بالطاعة التي للأمر على صيغة اسم الفاعل، من حيث إن كلاً منهما يفضي إلى وجود المأمور به، فأطلق اسم المشبه به؛ وهو الطاعة على المشبه؛ وهو الامتثال، فاشتق من الطاعة بمعنى الامتثال لا تطيعوا بمعنى لا تمتثلوا، على طريقة الاستعارة التصريحية التبعيَّة.

ومنها: الطباق بين ﴿يُفْسِدُونَ﴾ و﴿يُصْلِحُونَ﴾.

ومنها: الإرداف في قوله: ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ فقد كان يكفي أن يقول: ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ ولكنه لما كان قوله: ﴿يُفْسِدُونَ﴾ لا ينفي صلاحهم أحياناً أردفه بقوله: ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾؛ لبيان كمال إفسادهم وإسرافهم فيها.

ومنها: الحصر في قوله: ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾.

ومنها: التنوين في قوله: ﴿هَذِهِ نَاقَةٌ﴾ للتعظيم والتفخيم.

ومنها: الاستفهام الإنكاري التوبيخي في قوله: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾﴾.

ومنها: الجناس غير التام في قوله: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ الأول

من القول، والثاني من قلى إذا أبغض.

ومنها: إطلاق ما للبعض على الكل في قوله: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾؛ لرضاهم به واتفاقهم عليه.

ومنها: الإبهام في قوله: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم﴾ فإن فيه الإبهام بقوله: ﴿مَا خَلَقَ لَكُمْ﴾ وقد أراد به أقبالهن، وفي ذلك مراعاة للحشمة والتصون.

ومنها: العدول عن الجملة الفعلية إلى الصفة في قوله: ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾، وقوله: ﴿مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ وكثيراً ما ورد في القرآن خصوصاً في هذه السورة العدول عن التعبير بالفعل إلى التعبير بالصفة المشتقة، ثم جعل الموصوف بها واحداً من جمع، كقول فرعون: ﴿لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ وأمثاله كثيرة في القرآن، والسر في ذلك أن التعبير بالفعل إنما يفهم وقوعه خاصة، وأما التعبير بالصفة ثم جعل الموصوف بها واحداً من جمع، فإنه يفهم أمراً زائداً على وقوعه، وهو الصفة المذكورة كالسمة للموصوف ثابتة العلوق به، كأنها لقب، وكأنه من طائفة صارت من هذا النوع المخصوص المشهور ببعض السمات الرديئة.

ومنها: الإطناب في قول: ﴿أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ (١٨١)﴾؛ لأن وفاء الكيل هو في نفسه نهي عن الخسران، وفائدته زيادة التحذير من العدوان.

ومنها: توافق الفواصل مراعاة لرؤوس الآيات مثل ﴿يُفْسِدُونَ﴾ ﴿يُصْلِحُونَ﴾ ﴿ٱلْأَرْذَلُونَ﴾.

ومنها: التأكيد في قوله: ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾؛ لأن الإفساد نفس العثي، فهي حال مؤكدة لعاملها. فائدتها: إخراج ما ليس من العثي والعدوان بفساد كمقابلة الظالم المعتدي بفعله، وكقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة، كما مر في مبحث التفسير.

ومنها: التكرير في هذه القصص السبع، فإنه كرر في أول كل قصة، وفي آخرها ما كرر مما أشرنا إليه؛ لأن في التكرير تقريراً للمعاني في الأنفس، وترسيخاً لها في الصدور، وربما اشتبه على أكثر الناس بالإطناب مرة وبالتطويل مرة أخرى.

والتكرير ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: التكرير في اللفظ والمعنى، كقولك لمن تستدعيه: أسرع أسرع.

والثاني: التكرير في المعنى دون اللفظ، كقولك: أطعني ولا تعص أوامري، فإن الأمر بالطاعة نهي عن المعصية، وعلى كل حال ليس في القرآن مكرر لا فائدة فيه.

ونعود إلى الآيات فنقول: إنما كرر القرآن هذه الآيات في أول كل قصة وآخرها؛ لأن هذه القصص قرعت بها آذان أصابها وقر، وقلوب غلف، فلم يكن بد من مراجعتها بالترديد والتكرير، لعل ذلك يفتح مغالقها، ويجلو ما صدأها من رين.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ (١٩٤)
بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (١٩٥) وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ (١٩٦) أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (١٩٧)
وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ (١٩٨) فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ (١٩٩) كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى
قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ (٢٠٠) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ (٢٠١) فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا
يَشْعُرُونَ (٢٠٢) فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ (٢٠٣) أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (٢٠٤) أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ
(٢٠٥) ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ (٢٠٦) مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ (٢٠٧) وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ
إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ (٢٠٨) ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ (٢٠٩) وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ (٢١٠) وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا
يَسْتَطِيعُونَ (٢١١) إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ (٢١٢) فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ
(٢١٣) وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ (٢١٤) وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٢١٥) فَإِنْ عَصَوْكَ
فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢١٦) وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ (٢١٧) ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ
فِى ٱلسَّٰجِدِينَ (٢١٩) إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (٢٢٠) هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ
أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ (٢٢٣) وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ
أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ
(٢٢٧)﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٩٢)...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى، لما اختتم هذا القصص[1]، وبين ما دار بين الأنبياء وأقوامهم من الحجاج والجدل، وذكر أنه قد أهلك المكذبين وكان النصر في العاقبة لرسله المتقين، فإن سنته في كل صراع بين الحق والباطل أن تدول دولة الباطل وينتصر الحق وإن طال الزمن ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ﴾

---

(١) المراغي.

وفي ذلك سلوة لرسوله، وعدة له بأنه مهما أوذي من قومه ولقي منهم من الشدائد، فإن الفلج والفوز له. ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴿٦٢﴾﴾.. أردف هذا ببيان أن هذا القرآن الذي جاء بذلك القصص وحي من الله سبحانه أنزله على عبده ورسوله محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام بلسان عربي مبين؛ لينذر به العصاة ويبشر به عباده المتقين، وأن ذكره في الكتب المتقدمة المأثورة عن الأنبياء الذين بشروه.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه لما[1] بالغ في تسلية رسوله ﷺ، وأقام الحجة على نبوته، ثم أورد سؤال المنكرين وأجاب عنه.. أردف ذلك بأمره بعبادته وحده، وإنذار العشيرة الأقربين، ومعاملة المؤمنين بالرفق، ثم ختم هذه الأوامر بالتوكل عليه تعالى وحده، فإنه هو العليم بكل شؤونه وأحواله.

قوله تعالى: ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما أبان امتناع تنزل الشياطين بالقرآن، وأثبت أنه تنزيل من رب العالمين.. أعقب هذا ببيان استحالة تنزلهم على رسول الله ﷺ، فإنها لا تنزل إلا على كل كذاب فاجر، ورسول الله صادق أمين، ثم ذكر أن الكذابين يلقون السمع إلى الشياطين فيتلقون وحيهم، وهو تخيلات لا تطابق الحق والواقع، وبعدئذ ذكر أن محمداً ﷺ ليس بشاعر؛ لأن الشعراء يهيمون في كل واد من أودية القول من مدح وهجو، وتشبيب ومجون بحسب الهوى والمنفعة، فأقوالهم لا تترجم عن حقيقة، وليس بينها وبين الصدق نسب، ومحمد ﷺ لا يقول إلا الصدق، فأنى له أن يكون شاعراً.

أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتَ إِن مَّتَّعۡنَٰهُمۡ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾...﴾ الآية، سبب نزول هذه الآية: ما أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي جهم قال: رؤي النبي ﷺ كأنه متحير،

---

(١) المراغي.

فسألوه عن ذلك، فقال: «ولِمَ! ورأيت عدوي يكون من أمتي بعدي» فنزلت: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾﴾ فطابت نفسه.

قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ أخرج ابن جرير عن ابن جريج قال: لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ بدأ النبي ﷺ بأهل بيته وفصيلته، فشق ذلك على المسلمين، فأنزل الله سبحانه: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾﴾ سبب نزوله ما أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس قال: تهاجى رجلان على عهد رسول الله ﷺ، أحدهما من الأنصار والآخر من قوم أخرين، وكان مع كل واحد منهما غواة من قومه؛ وهم السفهاء، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾..﴾ الآيات. وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة نحوه. وأخرج عن عروة قال: لما نزلت ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ﴾ إلى قوله: ﴿مَا لَا يَفْعَلُونَ..﴾ قال عبد الله بن رواحة: قد علم الله إني منهم، فأنزل الله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ...﴾ إلى آخر السورة.

وأخرج[1] ابن جرير والحاكم عن أبي حسن البراد قال: لما نزلت ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ...﴾ الآية.. جاء عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وحسان بن ثابت، قالوا يا رسول الله: والله لقد أنزل الله هذه الآية، وهو يعلم أنا شعراء هلكنا، فأنزل الله ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ...﴾ الآية، فدعاهم رسول الله ﷺ، فتلاها عليهم.

التفسير وأوجه القراءة

والضمير في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ راجع إلى القرآن، وإن لم يجر له ذكر للعلم به؛ أي: إن هذا القرآن ﴿لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ أي[2]: لمنزل من خالق المخلوقين، فليس بشعر، ولا كهانة، ولا أساطير الأولين، ولا غير ذلك مما قالوه فيه، بل

---

(١) لباب النقول. (٢) المراح.

هو من عند الله سبحانه، وكأنه عاد أيضاً إلى ما افتتح به السورة من إعراض المشركين عما يأتيهم من الذكر؛ ليتناسب المفتتح والمختتم. ذكره أبو حيان.

وصيغة التكثير[1]: تدل على أن نزوله كان بالدفعات في مدة ثلاث وعشرين سنة، وهو مصدر بمعنى المفعول، سمي به مبالغة، وفي وصفه تعالى بربوبية العالمين إيذان بأن تنزيله من أحكام تربيته تعالى ورأفته للكل.

والمعنى: إن هذا القرآن الذي من جملته ما ذكر من القصص السبع لمنزل من جهته تعالى، وإلا لما قدرت على الإخبار، وثبت به صدقك في دعوى الرسالة؛ لأن الإخبار من مثله لا يكون إلا بطريق الوحي.

﴿نَزَلَ بِهِ﴾ ﴿الباء﴾: إما للتعدية؛ أي: أنزله ﴿ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾؛ أي: جبريل عليه السلام، أو للملابسة؛ أي: نزل الروح الأمين حالة كونه ملابساً بهذا القرآن.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحفص عن عاصم[2]: ﴿نَزَلَ بِهِ﴾ مخففاً ﴿ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ بالرفع. وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم ﴿نزل به﴾: مشددة الزاي. ﴿الرُّوحَ الأَمِينَ﴾ بالنصب، والفاعل هو الله سبحانه على هذه القراءة. وقد اختار هذه القراءة أبو حاتم وأبو عبيد. وقرىء[3]: ﴿نزل﴾ مشدداً مبنياً للمفعول، والفاعل هو الله تعالى، ويكون الروح على هذه القراءة مرفوعاً على النيابة.

والمراد بالروح الأمين جبريل عليه السلام، سمي أميناً؛ لأنه أمين على وحيه تعالى، وموصله إلى أنبيائه، وروحاً لكونه سبباً لحياة قلوب المكلفين بنور المعرفة والطاعة، حيث إن الوحي الذي فيه الحياة من موت الجهالة يجري على يده، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ وفي

---

(١) روح البيان.

(٢) زاد المسير.

(٣) الشوكاني.

«كشف الأسرار» سمي جبريل روحاً؛ لأن جسمه روح لطيف روحاني. وكذا الملائكة روحانيون خلقوا من الروح؛ وهو الهواء.

قال بعضهم[1]: لا شك أن للملائكة أجساماً لطيفة، وللطافة نشأتهم غلب عليهم حكم الروح، فسموا أرواحاً. ولجبريل مزيد اختصاص بهذا المعنى؛ إذ هو من سائر الملائكة كالرسول عليه السلام من أفراد أمته.

واعلم: أن القرآن كلام الله وصفته القائمة به، فكساه الألفاظ بالحروف العربية، ونزله على جبريل، وجعله أميناً عليه؛ لئلا يتصرف في حقائقه، ثم نزل به جبريل كما هو على قلب محمد ﷺ، كما قال سبحانه: ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾؛ أي[2]: نزل به الروح الأمين، وتلاه على قلبك يا محمد حتى وعيته بقلبك، فخص القلب بالذكر؛ لأنه محل الوعي والحفظ والتثبيت، ومعدن الوحي والإلهام، وليس شيء في وجود الإنسان يليق بالخطاب والفيض غيره، وهو ﷺ مختص بهذه الرتبة العلية، والكرامة السنية من بين سائر الأنبياء، فإن كتبهم منزلة في الألواح والصحائف جملة واحدة على صورتهم، لا على قلوبهم، كما في «التأويلات النجمية».

قال في «كشف الأسرار»: الوحي إذا نزل بالمصطفى ﷺ نزل بقلبه أولاً، كما هو ظاهر الآية؛ لشدة تعطشه إلى الوحي، ولاستغراقه به، ثم انصرف من قلبه إلى فهمه وسمعه، وهذا تنزل من العلو إلى السفل، وهو رتبة الخواص، فأما العوام فإنهم يسمعون أولاً فيتنزل الوحي على سمعهم أولاً، ثم على فهمهم، ثم على قلبهم، وهذا ترق من السفل إلى العلو، فشتان ما بينهما.

وفي «الفتاوى الزينية»: سئل عن الوحي الأمين جبريل عليه السلام كم نزل على النبي ﷺ؟ أجاب نزل عليه أربعة وعشرين ألف مرة، وعلى سائر الأنبياء لم ينزل أكثر من ثلاثة آلاف مرة. انتهى.

قلتُ: وهذا مما لا نقل فيه ويجب الوقف عنه.

---

(١) روح البيان.

(٢) روح البيان.

﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾؛ أي: من المخوفين مما يؤدي إلى عذاب الله من فعل أو ترك، وهو متعلق بـ﴿نَزَلَ بِهِ﴾، مبين لحكمة الإنزال والمصلحة منه، وهذا من جنس ما يذكر فيه أحد طرفي الشيء، ويحذف الطرف الآخر لدلالة المذكور على المحذوف، وذلك أنه أنزله ليكون من المبشرين والمنذرين.

قال بعضهم: الإنذار أصل، وقدم لأنه من باب التخلية بالخاء المعجمة، فاكتفى بذكره في بعض المواضع من القرآن. ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ متعلق أيضاً بـ﴿نَزَلَ﴾ وتأخيره للاعتناء بأمر الإنذار. واللسان بمعنى اللغة؛ لأنه آلة التلفظ بها؛ أي: نزل به بلسان عربي ظاهر المعنى، واضح المدلول؛ لئلا يبقى لهم عذر ما؛ أي: لئلا يقولوا: ما نصنع بما لا نفهمه.

فالآية صريحة في أن القرآن إنما أنزل عليه عربياً، لا كما زعمت الباطنية من أنه تعالى أنزله على قلبه غير موصوف بلغة ولسان، ثم إنه ﷺ أداه بلسانه العربي المبين من غير أن ينزل كذلك. وهذا فاسد مخالف للنص والإجماع، ولو كان الأمر كما قالوا.. لم يبق الفرق بين القرآن والحديث.

وفي الآية: تشريف للغة العرب على غيرها، حيث أنزل القرآن بها، لا بغيرها وقد سماها مبيناً. ولذلك اختار هذه اللغة لأهل الجنة، واختار لغة العجم لأهل النار. قال سفيان: بلغنا أن الناس يتكلمون يوم القيامة قبل أن يدخلوا الجنة بالسريانية، فإذا دخلوا الجنة تكلموا بالعربية.

فإن قلت: كيف[1] يكون القرآن عربياً مبيناً مع ما فيه من سائر اللغات أيضاً على ما قالوا كالفارسية؛ وهو ﴿سِجِّيلٍ﴾ والرومية؛ وهو ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ والأرمينية؛ وهو ﴿فِي جِيدِهَا﴾ والسريانية؛ وهو ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ والحبشية؛ وهو ﴿كِفْلَيْنِ﴾؟

قلتُ: لما كانت العرب يستعملون هذه اللغات، ويعرفونها فيما بينهم صارت بمنزلة العربية. قال الفقيه أبو الليث: اعلم بأن العربية لها فضل على سائر

---

(١) روح البيان.

الألسنة، فمن تعلمها أو علم غيره فهو مأجور؛ لأن الله تعالى أنزل القرآن بلغة العرب. واعلم أن الفارسية شعبة من لسان العجم المقابل للسان العرب. ولها فضل على سائر لغات العجم. وروي أن النبي ﷺ تكلم بها، ولذلك اختيرت في الترجمة عن التكبير في الصلاة لمن لا يعرف التكبير بالعربية.

وقال الزمخشري: ﴿بِلِسَانٍ﴾؛ إما[1] أن يتعلق بـ﴿ٱلْمُنذِرِينَ﴾، فيكون المعنى: لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان؛ وهم خمسة: هود، وصالح، وشعيب، وإسماعيل، ومحمد ﷺ، وإما أن يتعلق بـ﴿نَزَلَ﴾ فيكون المعنى: نزله باللسان العربي المبين لتنذر به؛ لأنه لو نزله باللسان الأعجمي.. لتجافوا عنه أصلاً، وقالوا: ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الإنذار به، وفي هذا الوجه أن تنزيله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك؛ لأنك تفهمه، ويفهمه قومك. ولو كان عجمياً.. لكان نازلاً على سمعك دون قلبك؛ لأنك تسمع أجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها. انتهى.

ومعنى الآية: أي[2] وإن هذا القرآن الذي تقدم ذكره في قوله: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أنزله الله سبحانه إليك، وجاء به جبريل عليه السلام، فتلاه عليك حتى وعيته بقلبك لتنذر به قومك بلسان عربي بيِّن واضح؛ ليكون قاطعاً للعذر مقيماً للحجة، دليلاً إلى المحجة، هادياً إلى الرشاد، مصلحاً لأحوال العباد.

وفي قوله: ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ إيماء إلى أن ذلك المنزل محفوظ، وأن الرسول متمكن منه إلى أن القلب هو المخاطب في الحقيقة؛ لأنه موضع التمييز، والعقل والاختيار، وسائر الأعضاء مسخرة له، يرشد إلى ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ وقوله ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب» أخرجاه في «الصحيحين» ولأن القلب إذا غشي عليه، وقطع سائر الأعضاء.. لم يحصل له

---

(١) الكشاف.

(٢) المراغي.

شعور بالألم، وإذا أفاق القلب شعر بجميع ما ينزل بالأعضاء من الآفات.

وفي قوله: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ تقريع لمشركي قريش بأن الذي حملهم على التكذيب هو الاستكبار، والعناد، لا عدم الفهم؛ لأنه نزل بلغتهم، فلا عذر لهم في الإعراض عنه.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾؛ أي: وإن ذكر القرآن لا عينه. والمراد بذكره: الإخبار بأنه ينزل على محمد، وبأنه من عند الله، وأنه صدق وحق، فهذا الإخبار موجود في كتب الأولين. ﴿لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: واحدها زبور، بمعنى كتاب، مثل رسل ورسول؛ أي: لفي الكتب المتقدمة، يعني أن الله تعالى أخبر في كتبهم عن القرآن وإنزاله على النبي المبعوث في آخر الزمان.

وقيل: إن الضمير في ﴿إنه﴾ يعود إلى رسول الله ﷺ. قاله مقاتل. وقرأ[1] الأعمش: ﴿لَفِي زُبْرِ﴾ بتسكين الباء للتخفيف، والأصل الضم، كما قالوا في ﴿رُسُل﴾ بضمتين ﴿رُسْل﴾ بسكون السين. والمعنى[2]: أي: وإن ذكر هذا القرآن، والتنويه بشأنه لفي كتب الأولين المأثورة عن أنبيائهم الذين بشروا به في قديم الدهر وحديثه، وقد أخذ عليهم الميثاق بذلك، وبه بشر عيسى بقوله: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾.

والهمزة في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾؛ لإنكار[3] النفي، وإنكاره إثبات، فهي للتقرير داخلة على محذوف، والواو عاطفة على ذلك المحذوف، و﴿لَهُمْ﴾ حال من ﴿ءَايَةً﴾، والضمير راجع إلى مشركي قريش، و﴿ءَايَةً﴾ خبر للكون قدم على اسمه الذي هو قوله: ﴿أَن يَعْلَمَهُۥ...﴾ إلخ، للاعتناء بالمقدم، والتنويه بالمؤخر، والتقدير: أغفل أهل مكة عن القرآن، ولم يكن لهم آية دالة على أنه تنزيل من رب العالمين، وأنه في زبر الأولين أن يعرفه علماء بني إسرائيل بنعوته المذكورة في كتبهم، ويعرفوا من أنزل عليه؟ أي: قد

---

(١) البحر المحيط.

(٢) المراغي.

(٣) روح البيان.

كان علمهم بذلك آية على صحة القرآن، وحقية الرسول، وكان علماؤهم خمسة: أسد وأسيد وابن يامين وثعلبة وعبد الله بن سلام، فهؤلاء الخمسة من علماء اليهود، وقد أسلموا وحسن إسلامهم. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ بعث أهل مكة إلى اليهود بالمدينة، فسألوهم عن محمد ﷺ، فقالوا: إن هذا لزمانه، وإنا لنجد نعته في التوراة، فكان آية على صدقه ﷺ.

وقرأ الجمهور: ﴿أَوَلَمْ يَكُن﴾ بالياء من تحت، ﴿ءَايَةً﴾: بالنصب، وهي قراءة واضحة الإعراب، توسط خبر ﴿يَكُن﴾، و﴿أَن يَعْلَمَهُۥ﴾ هو الاسم، كما مر. قال الزجاج: والمعنى عليه: أو لم يكن لهم علم علماء بني إسرائيل أن محمداً ﷺ نبي حق، علامة ودلالة على نبوته؛ لأن العلماء الذين آمنوا من بني إسرائيل كانوا يخبرون بوجود ذِكره في كتبهم.

وقرأ ابن عامر والجحدري: ﴿تكن﴾ بالتاء من فوق، ﴿آية﴾ ـ بالرفع ـ على أنها اسم كان، وخبرها ﴿أَن يَعْلَمَهُۥ﴾. ويجوز أن تكون تامة. وفي قراءة ابن عامر نظر؛ لأن جعل النكرة اسماً، والمعرفة خبراً غير سائغ، وإن ورد شاذاً كقول الشاعر:

فَـلاَ يَـكُ مَـوْقِـفٌ مِـنْـكِ ٱلْـوَدَاعَـا

وقول الآخر:

وَكَـانَ مِـزَاجُـهَـا عَـسَـلٌ وَمَـاءُ

وأحسن ما يقال في توجيه هذه القراءة: أن يقال: إن ﴿يَكُن﴾ تامة. وقرأ ابن عباس: ﴿تكن﴾ بالتاء من فوق، ﴿ءَايَةً﴾: بالنصب، كقراءة من قرأ: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن﴾ بتاء التأنيث، ﴿فتنتَهم﴾: بالنصب ﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟﴾ وقرأ الجحدري[1]: ﴿أن تعلمه﴾: بتاء التأنيث، كما قال الشاعر:

قَـالَـتْ بَـنُـو عَـامِـرٍ خَـالُـوا بِـنِـي أَسَـدِ ... يَـا بُـؤْسَ لِـلْـجَـهْـلِ ضِـرَاراً لأَقْـوَامِ

---

(١) البحر المحيط.

وكتب في المصحف ﴿علموا﴾ بواو بين الميم والألف. قيل على لغة من يميل ألف علموا إلى الواو، كما كتبوا الصلوة والزكوة والربوا على تلك اللغة.

والمعنى: أي[1] أغفل أهل مكة عن الإيمان، وليس بكاف لهم شهادة على صدقه أن العلماء من بني إسرائيل نصوا على أن مواضع من التوراة والإنجيل فيها ذكر الرسول ﷺ بصفته ونعته، وقد كان مشركوا قريش يذهبون إليهم ويتعرفون منهم هذا الخبر.

وبعد أن أثبت بالدليلين السالفين نبوة محمد ﷺ.. ذكر أن هؤلاء المشركين لا تنفعهم الدلائل ولا تجديهم البراهين، فقال: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ﴾؛ أي: نزلنا هذا القرآن، كما هو بنظمه المعجب المعجز ﴿عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ﴾ الذين لا يقدرون على التكلم بالعربية، جمع أعجمي بالتخفيف، ولذا جمع جمع السلامة، ولو كان جمع أعجم لما جمع بالواو والنون؛ لأن مؤنث أعجم عجماء، وأفعل فعلاء لا يجمع جمع السلامة.

﴿فَقَرَأَهُۥ﴾؛ أي: فقرأ ذلك الأعجمي القرآن ﴿عَلَيْهِم﴾؛ أي: على مشركي مكة قراءة صحيحة خارقة للعادات ﴿مَّا كَانُوا۟﴾؛ أي: ما كان أهل مكة ﴿بِهِۦ﴾؛ أي: بهذا القرآن ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ مع انضمام إعجاز القراءة من الرجل الأعجمي للكلام العربي إلى إعجاز القرآن المقروء لفرط عنادهم، وشدة شكيمتهم في المكابرة.

وقيل المعنى[2]: ولو نزلناه على بعض الأعجمين بلغة العجم، فقرأه عليهم بلغته.. لم يؤمنوا به، وقالوا: ما نفقه هذا ولا نفهمه، ومثل هذا قوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ ويقال: رجل أعجمي، ورجل أعجم إذا كان غير فصيح اللسان وإن كان عربياً، ورجل عجمي إذا كان أصله من العجم وإن كان فصيحاً. إلا أن الفراء أجاز أن يقال: رجل عجمي بمعنى أعجمي. والأعجمي هو الذي لا يفصح ولا يحسن العربية وإن كان عربياً في النسب.

---

(١) المراغي. (٢) الشوكاني.

وقرأ الحسن: ﴿على بعض الأعجميين﴾، وكذلك قرأ الجحدري. قال أبو الفتح بن جني أصل الأعجمين: الأعجميين، ثم حذفت ياء النسب للتخفيف، كما قالوا: الأشعرون؛ أي: الأشعريون بحذف ياء النسبة، ولولا هذا التقدير لم يجز أن يجمع جمع السلامة؛ لأن مؤنثه عجماء.

وحاصل المعنى: أي إنا أنزلنا هذا القرآن على رجل عربي بلسان عربي مبين، فسمعوه، وفهموه، وعرفوا فصاحته، وأنه معجز لا يعارض بكلام مثله، وبشرت به الكتب السالفة، ومع هذا لم يؤمنوا به، بل جحدوه وسموه تارة شعراً وأخرى كهانة، فلو أنا نزلنا على بعض الأعجمين الذي لا يحسن العربية، فقرأه عليهم لكفروا به أيضاً، ولتمحلوا لجحودهن عذراً، وقالوا له: لا نفقه ما يقول. وفي هذا تسلية من الله سبحانه وتعالى لرسوله محمد ﷺ على ما حصل من قومه؛ لئلا يشتد حزنه بإدبارهم عنه وإعراضهم عن الاستماعه له.

والخلاصة[(١)]: أنا لو نزلناه على بعض الأعجمين، لا عليك فإنك رجل منهم، ويقولون لك: ما أنت إلا بشر مثلنا، وهلا نزل به ملك، فقرأه ذلك الأعجم عليهم، ولم يكن لهم علة يدفعون بها أنه حق، وأنه منزل من عندنا.. ما كانوا به مصدقين، فخفض من حرصك على إيمانهم به، فإنهم لا يؤمنون به على كل حال.

ثم أكد هذا الإنكار أشد تأكيد، فقال: ﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كما أدخلنا التكذيب بهذا القرآن بقراءة الأعجم عليهم؛ أي: على كفار مكة لو فرض ﴿سَلَكۡنَٰهُ﴾؛ أي: أدخلنا التكذيب بهذا القرآن ﴿فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾؛ أي: في قلوب المشركين من كفار مكة بقراءتك عليهم؛ أي[(٢)]: سلكنا التكذيب وأدخلناه في قلوبهم، وقررناه فيها، فكيفما فعل بهم، وعلى أي وجه دبر أمرهم، فلا سبيل إلى أن يتغيروا عما هم عليه من الكفر به والتكذيب له، كما قال: ﴿وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبٗا فِي قِرۡطَاسٖ فَلَمَسُوهُ بِأَيۡدِيهِمۡ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ۝٧﴾ وفي ذلك

---

(١) المراغي. (٢) النسفي.

إيماء إلى أن ذلك التكذيب صار متمكناً في قلوبهم أشد التمكن، وصار كالشيء الجبلي لا يمكن تغييره.

وقيل المعنى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: مثل ذلك السلك البديع ﴿سَلَكْنَٰهُ﴾؛ أي: أدخلنا القرآن ﴿فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: في قلوب مشركي مكة فعرفوا معانيه وإعجازه.

وعبارة «الجمل» هنا قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ معمول لـ﴿سَلَكْنَٰهُ﴾. والضمير في ﴿سَلَكْنَٰهُ﴾ للقرآن، ولكنه على حذف مضاف؛ أي: سلكنا تكذيبه؛ أي: التكذيب به بقراءة النبي مثل إدخالنا التكذيب به في قلوبهم بقراءة الأعجمي. وفي أن الأعجمي لم يقرأه ولم ينزل عليه. قلنا: إن الجملة الشرطية؛ وهي قوله: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ..﴾ إلخ لا تستلزم الوقوع، اهـ شيخنا.

فقوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ استئناف مسوق لبيان عنادهم؛ أي: فهم مع ذلك السلك المذكور لا يؤمنون بهذا القرآن. ﴿حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ الملجيء إلى الإيمان به حين لا ينفعهم الإيمان؛ أي: إنهم لا يتأثرون بالأمور الداعية إلى الإيمان، بل يستمرون على ما هم عليه حتى يعاينوا العذاب حين لا ينفع الظالمين معذرتهم، ولهم اللعنة، ولهم سوء الدار؛ أي: لا يؤمنون إلى هذه الغاية، وهي مشاهدتهم العذاب الأليم.

﴿فَيَأْتِيَهُم﴾؛ أي: فيأتي هؤلاء المكذبين بهذا القرآن العذاب الأليم ﴿بَغْتَةً﴾؛ أي: فجأة في الدنيا والآخرة، فهو معطوف على ﴿يَرَوْا۟﴾ ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾؛ أي: والحال أنهم لا يعلمون قبل بمجيئه حتى يفجأهم.

وقرأ الحسن[1]: ﴿فتأتيهم﴾: بالتاء الفوقية؛ أي: الساعة. وقرأ ﴿بغتة﴾ بفتح الغين. وعبارة «الجمل» هنا قوله: ﴿حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ مقدم من تأخير. وأصل الكلام: حتى يأتيهم العذاب بغتة وهم لا يشعرون، فيرونه فيقولون هل نحن منظرون؛ أي: مؤخرون عن الإهلاك، ولو طرفة عين لنؤمن، فيقال لهم:

---

(١) البحر المحيط.

لا، أي: لا تأخير ولا إمهال، اهـ شيخنا.

وقال الزمخشري: فإن قلت[1]: ما معنى التعقيب في قوله: ﴿فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾؟

قلت: ليس المعنى يراد برؤية العذاب ومفاجأته، وسؤال النظرة فيه الوجود، وإنما ترتبها في الشدة، كأنه قيل: لا يؤمنون بالقرآن حتى تكون رؤيتهم العذاب، فما هو أشد منها؛ وهو لحوقه بهم مفاجأة، فما هو أشد منه، وهو سؤالهم النظرة. ونظير ذلك أن تقول: إن أسأت مقتك الصالحون، فمقتك الله سبحانه، فإنك لا تقصد بهذا الترتيب أن مقت الله يوجد عقيب مقت الصالحين، وإنما قصدك إلى ترتيب شدة الأمر على المسيء، وأنه يحصل له بسبب الإساءة مقت الصالحين، فما هو أشد من مقتهم وهو مقت الله انتهى، فوجب أن لا تكون الفاء للترتيب الزماني، بل للترتيب الرتبي.

ثم بين أنهم يتمنون التأخير حينئذ ليتداركوا ما فات ﴿فَيَقُولُواْ﴾؛ أي: كل أمة معذبة على وجه الحسرة والأسف. والتمني للإمهال ليتداركوا ما فرطوا فيه ﴿هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾؛ أي: مؤخرون إلى حين لنؤمن ونصدق، وهو استفهام طمع في المحال. وهو إمهالهم بعد مجيء العذاب، وهم في الآخرة يعلمون أن لا ملجأ لهم، لكنهم يذكرون ذلك استرواحاً.

ولما أوعدهم النبي ﷺ بالعذاب قالوا: إلى متى توعدنا به، ومتى هذا العذاب؟ كما قال: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾[2] والهمزة فيه للاستفهام التوبيخي التهكمي بهم، حيث استعجلوا ما فيه ضررهم، وحتف أنفسهم، داخلة على محذوف يقتضيه المقام والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أيكون حالهم كما ذكر من طلب الإنظار عند نزول العذاب الأليم، وبينهما من التنافي ما لا يخفى على أحد، أو أيغفلون عن ذلك مع تحققه وتقرره، فيستعجلون... إلخ.

وإنما قدم الجار والمجرور للإيذان بأن مصب الإنكار والتوبيخ كون

---

(١) الكشاف.
(٢) أبو السعود.

المستعجل به عذابه تعالى مع ما فيه من رعاية الفواصل؛ أي: كيف[1] يستعجلون بعذابنا بنحو قولهم تارة: أمطر علينا حجارة من السماء، وأخرى فائتنا بما تعدنا. وقد تبين لهم كيف أخذنا للأمم الماضية، والقرون الخالية، والأقوام العاتية.

ثم أبان أن طول العمر لا يغني عنهم شيئاً، وأن العذاب واقع لا محالة، فقال: ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾ معطوف على ﴿فَيَقُولُواْ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾ وما بينهما اعتراض للتوبيخ. والهمزة مقدمة على الفاء، والأصل: فأرأيت بمعنى فأخبرني. والخطاب لكل من يصلح له كائناً من كان. ولما كانت الرؤية من أقوى أسباب الإخبار بالشيء وأشهرها.. شاع استعمال أرأيت في معنى أخبرني. فالمعنى[2]: أخبرني يا من يصلح للخطاب.

﴿إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ﴾؛ أي: إن جعلنا مشركي مكة متمتعين منتفعين ﴿سِنِينَ﴾ كثيرة مع طيب العيش، ولم نهلكهم ﴿ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾﴾ من العذاب ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾؛ أي: لم يغن عنهم شيئاً، ولم ينفعهم تمتعهم المتطاول في رفع العذاب وتخفيفه. فـ﴿مَا﴾ في ﴿مَآ أَغْنَىٰ﴾: نافية، ومفعول ﴿أَغْنَىٰ﴾ محذوف، وفاعله ﴿مَا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ﴾؛ أو أي شيء أغنى عنهم كونهم ممتعين ذلك التمتيع المؤبد على أن ﴿ما﴾ في ﴿ما كانوا﴾ مصدرية، أو ما كانوا يمتعون به من متاع الحياة الدنيا على أنها موصولة حذف عائدها، فـ﴿مَا﴾ في ﴿مَآ أَغْنَىٰ﴾ مفعول مقدم لـ﴿أَغْنَىٰ﴾، والاستفهام للنفي. و﴿مَا كَانُواْ﴾ هو الفاعل. وهذا المعنى أولى من الأول؛ لكونه أوفق بصورة الإخبار، وأدل على انتفاء الإغناء على أبلغ وجه، وآكده كأن كل من شأنه الخطاب قد كلف بأن يخبر بأن تمتيعهم ما أفادهم، وأي شيء أغنى عنهم فلم يقدر أن يخبر بشيء من ذلك أصلاً. وقرىء ﴿يمْتَعون﴾ بإسكان الميم وتخفيف التاء، من أمتع الله زيداً بكذا.

والمعنى: أي[3] إن استعجالهم بالعذاب إنما كان لاعتقادهم أنه غير كائن

---

(١) المراغي.
(٢) روح البيان.
(٣) النسفي.

ولا لاحق بهم، وأنهم ممتعون بأعمار طوال في سلامة وأمن، فقال تعالى: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ أشراً وبطراً واستهزاءً واتكالاً على الأمل الطويل.

ثم قال: هو أن الأمر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم، فإذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول أعمارهم، وطيب معايشهم؛ أي: هل[1] الأمر كما يعتقدون من عيشهم في النعيم، فأخبرني أن متعناهم في الدنيا برغد العيش، وصافي الحياة، ثم جاءهم بعد تلك السنين المتطاولة ما كانوا يوعدون به من العذاب، فهل ما كانوا فيه من النعيم يدفع عنهم شيئاً منه، أو يخففه عنهم.

والخلاصة: أن طول التمتع ليس بدافع شيئاً من عذاب الله سبحانه، وكأنهم لم يمتعوا بنعيم قط، كما قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾، وقال: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾، وقال: ﴿وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾﴾.

وعن ميمون بن مهران أنه لقي الحسن البصري في الطواف بالكعبة وكان يتمنى لقاءه، فقال: عظني، فلم يزده على تلاوة هذه الآية، فقال: ميمون لقد وعظت فأبلغت.

وروي أن عمر بن عبد العزيز كان يقرأ هذه الآية كل صباح إذا جلس على سريره تذكراً واتعاظاً. وقال يحيى بن معاذ: أشد الناس غفلة من اغتر بحياته الفانية، والتذ بموداته الواهية، وسكن إلى مألوفاته.

كان الرشيد حبس رجلاً، فقال الرجل للموكل عليه: قل لأمير المؤمنين كل يوم مضى من نعمتك ينقص من محنتي، والأمر قريب، والموعد الصراط، والحاكم الله، فخر الرشيد مغشياً عليه، ثم أفاق وأمر بإطلاقه.

ثم بين سبحانه أنه لا يهلك قرية إلا بعد الإنذار، وإقامة الحجة عليها،

---

(١) المراغي.

فقال: ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ﴾؛ أي: وما أهلكنا قرية من القرى المهلكة ﴿إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾؛ أي: إلا بعد إرسالنا إليهم رسلاً ينذرونهم بأساً، ويخوفونهم عذابنا على كفرهم.

وقال الزمخشري: فإن قلت: كيف تركت الواو من الجملة بعد ﴿إِلَّا﴾ هنا، ولم تترك منها في قوله: ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ۝٤﴾؟

قلتُ: الأصل ترك ﴿الواو﴾؛ لأن الجملة صفة لـ﴿قَرۡيَةٍ﴾، وما هنا فقد جاء على الأصل فلا اعتراض. وإذا زيدت فلتأكيد وصل الصفة بالموصوف، كما في قوله: ﴿سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ﴾. اهـ «سمين».

قال في «كشف الأسرار»: جمع منذرين؛ لأن المراد بهم النبي وأتباعه المظاهرون له. قوله: ﴿ذِكۡرَىٰ﴾: إما مفعول لأجله لـ﴿مُنذِرُونَ﴾؛ أي: تنذرهم لأجل التذكير والموعظة لهم، وإلزام الحجة لهم، وتنبيهاً إلى ما فيه النجاة من عذابنا، أو مفعول مطلق منصوب بـ﴿مُنذِرُونَ﴾؛ لأن التذكرة بمعنى الإنذار؛ أي: يذكرون ذكرى. قال النحاس: وهذا قول صحيح؛ لأن معنى ﴿إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾: إلا لها مذكرون، أو منصوب بفعل مقدر هو صفة لـ﴿مُنذِرُونَ﴾؛ أي: إلا لها منذرون يذكرونهم ذكرى. وقيل: غير ذلك.

﴿وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ في إهلاكهم، فتهلك قوماً غير ظالمين وقبل الإنذار؛ لأنهم جحدوا نعمتنا، وعبدوا غيرنا بعد الإنذار إليهم، ومتابعة الحجج، ومواصلة المواعيد، ونحو الآية قوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبۡعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۚ﴾.

والتعبير[1] عن ذلك بنفي الظالمية مع أن إهلاكهم قبل الإنذار ليس بظلم أصلاً على ما تقرر من قاعدة أهل السنة؛ لبيان كمال نزاهته عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه من الظلم.

---

(١) روح البيان.

ولما كان المشركون يقولون: إن محمداً كاهن، وما يتنزل عليه من نوع ما تتنزل به الشياطين. أكذبهم سبحانه بقوله: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ﴾؛ أي: بهذا القرآن ﴿ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ وهذا رد لما زعمه الكفرة في القرآن أنه من قبيل ما يلقيه الشياطين على الكهنة من أخبار السماء، بل نزل به الروح الأمين ﴿وَمَا يَنۢبَغِى﴾؛ أي: وما ينبغي التنزل به، ولا يمكن ﴿لَهُمْ﴾؛ أي: للشياطين؛ أي: وما يصح، وما يستقيم لهم أن ينزلوا بالقرآن من السماء ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾؛ أي: وما يقدرون على ذلك أصلاً.

ثم إنه تعالى ذكر سبب ذلك، فقال: ﴿إِنَّهُمْ﴾؛ أي: إن الشياطين بعد مبعث الرسول وقبله ﴿عَنِ ٱلسَّمْعِ﴾ لما يوحي به إلى الأنبياء ﴿لَمَعْزُولُونَ﴾؛ أي: لممنوعون حفظاً للوحي عن التخليط قبل نزول الملك به. أما ما لا تعلق له بالوحي من الأخبار المغيبات فقد يستمعون قبل مبعث النبي ﷺ، وأما بعد بعثته فقد انسد باب السماء على الشياطين، وانقطع نزول الشياطين على الكهنة؛ أي: إن الشياطين لممنوعون عن الاستماع للوحي، كيف لا، ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة، غير مستعدة إلا لقبول ما لا خير فيه أصلاً من فنون الشرور.

والمعنى: أي[1] وما نزلت الشياطين بالقرآن ليكون كهانة، أو شعراً أو سحراً. وما ينبغي لهم أن ينزلوا به، وما يستطيعون ذلك وإن عالجوه بكل وسيلة، وإنهم عن سمع الملائكة لمحجوبون بالشهب.

والخلاصة: أن الشياطين لا تنزل به لوجوه ثلاثة:

١. أنه ليس من مبتغاهم؛ إذ من سجاياهم الإضلال والإفساد، والقرآن فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو هدى ونور وبرهان مبين، فبينه وبين مقاصد الشياطين منافاة عظيمة.

٢. أنه لو انبغى لهم ما استطاعوا حمله وتأديته، كما قال: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾.

---

(١) المراغي.

٣. أنهم لو انبغى واستطاعوا حمله وتأديته.. لما وصلوا إلى ذلك؛ لأنهم بمعزل عن استماع القرآن حال نزوله؛ لئلا يخلطوا الوحي.

وقرأ الحسن[١] وابن السميقع والأعمش: ﴿وما تنزلت به الشياطون﴾ - بالواو والنون - إجراءً له مجرى جمع السلامة. قال النحاس: وهذا غلط عند جميع النحويين. قال: وسمعت علي بن سليمان يقول: سمعت محمد بن يزيد يقول: هذا من غلط العلماء، وإنما يكون بشبهة؛ لما رأى الحسن في آخره ياء ونوناً، وهو في موضع رفع.. اشتبه عليه بالجمع السالم، فغلط.

ثم لما قرر سبحانه حقية القرآن، وأنه منزل من عنده.. أمر نبيه ﷺ بدعاء الله وحده، فقال: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ﴾ الفاء فيه للإفصاح؛ أي: إذا عرفت يا محمد حال الكفار، وأردت بيان ما هو اللازم لك من الأوامر والنواهي.. فأقول لك: لا تعبد مع الله سبحانه إلهاً غيره. ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾ على إشراكه، الخطاب[٢] للنبي ﷺ، والمراد به غيره؛ لأنه معصوم من ذلك.

قال ابن عباس: يحذر به غيره، يقول: أنت أكرم الخلق عليّ، ولو اتخذت إلهاً غيري لعذبتك، فكيف بغيرك من العباد، وذلك من شأن الحكيم إذا أراد أن يؤكد الخطاب لأحد وجهه إلى الرؤساء في الظاهر.

وقيل: خوطب به النبي ﷺ مع استحالة وقوع المنهي عنه[٣]؛ لأنه معصوم، تهييجاً لعزيمته، وحثاً على ازدياد الإخلاص، ولطفاً بسائر المكلفين ببيان أن الإشراك من القبيح والسوء بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره منه، فكيف بمن عداه، وأن من كان أكرم الخلق عليه إذا عذب على تقدير اتخاذ إله آخر، فغيره أولى.

وحاصل ما في هذه الآيات: أنَّ الله سبحانه أمر نبيه بأربعة أوامر ونواه[٤]:

---

(١) الشوكاني.

(٢) الخازن.

(٣) روح البيان.

(٤) المراغي.

١. ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾؛ أي: أخلص العبادة لله وحده، ولا تشرك به سواه، فإن من أشرك به فقد عصاه، ومن عصاه فقد استحق عقابه. وفي هذا حث لرسوله على ازدياد الإخلاص. وبيان أن الإشراك قبيح بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره منه، فيكون الوعيد لغيره أزجر، وله أقبل. وبعد أن بدأ بالرسول وتوعده إن دعا مع الله إلهاً آخر.. أمره بدعوة الأقرب فالأقرب؛ لأنه إذا تشدد على نفسه أولاً، ثم ثنى بالأقرب فالأقرب.. كان قوله لسواهم أنفع، وتأثيره أنجع، فقال:

٢. ﴿وَأَنذِرْ﴾؛ أي: خوف العذاب الذي يستتبعه الشرك والمعاصي ﴿عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾؛ أي: الجماعة الذين كانوا أقرب الناس إليك في النسب، فأقرب الناس إليه بنو هاشم، ثم بنو المطلب، ثم سائر بطون قريش على ترتيب الأقرب فالأقرب؛ أي: وخوف الأقربين من عشيرتك وأهلك بأس الله سبحانه، وشديد عقابه لمن كفر به وأشرك به سواه.

وإنما أمره بإنذار الأقربين؛ لأن الاهتمام بشأنهم أهم، فالبداية بهم في الإنذار أولى، كما أن البداية بهم في البر والصلة وغيرهما أولى. وهذه النذارة الخاصة جزء من النذارة العامة التي بعث بها النبي ﷺ، كما قال: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ وقال: ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾.

روى البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: لما نزلت هذه الآية دعا رسول الله ﷺ قريشاً وعم وخص، فقال: «يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار، فإني لا أملك لكم ضراً ولا نفعاً، يا معشر بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، فإني لا أملك لكم ضراً ولا نفعاً، يا معشر بني قصي أنقذوا أنفسكم من النار، فإني لا أملك لكم ضراً ولا نفعاً، يا معشر بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، فإني لا أملك لكم ضراً ولا نفعاً، يا معشر بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم ضراً ولا نفعاً، يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لك ضراً ولا نفعاً، ألا إن لكم رحماً وسأبلها ببلالها، أصلكم في الدنيا، ولا أغني عنكم من الله شيئاً».
وهذا الحديث منه ﷺ بيان للعشيرة الأقربين.

وفي الحديث والآية[1]: دليل على أن القرب في الأنساب لا ينفع مع البعد في الأسباب، وعلى جواز صلة المؤمن والكافر، وإرشاده ونصحه بدليل قوله: «إن لكم رحماً سأبلها ببلالها».

وروى مسلم قوله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار».

وبعد أن أمره بإنذار المشركين من قومه.. أمره بالرفق بالمؤمنين، فقال:

٣. ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾؛ أي: ألن جانبك وحالك وتواضع ﴿لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾، واقتدىٰ بك ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالله سبحانه وبك، وترفق بهم وتجاوز عنهم، فإن ذلك أجدى لك، وأجلب لقلوبهم، وأكسب لمحبتهم، وأفضى إلى معونتك والإخلاص لك. و﴿مِنَ﴾ للتبيين؛ لأن (من اتبع) أعم ممن اتسع لدين، أو قرابة، أو نسب، أو للتبعيض، على أن المراد بالمؤمنين المشارفون للإيمان والمصدقون باللسان.

فإن قلتَ: لِمَ قال: ﴿لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، ولم يقل: واخفض جناحك للمؤمنين، فما النكتة في هذا العدول؟

قلتُ: النكتة في هذا العدول إلى هذا الأسلوب إخراج المؤمن الغير المتابع؛ لأن كل متابع مؤمن، وليس كل مؤمن متابعاً، ولئلا يغتر المؤمن بدعوى الإيمان وهو بمعزل عن حقيقته التي لا تحصل إلا بالمتابعة. انتهى من «التأويلات النجمية».

يقال: خفض جناحه إذا ألانه، وفيه استعارة تصريحية، كما سيأتي في مبحث البلاغة. والمعنى: ألن جناحك، وتواضع لمن اتبعك من المؤمنين، وأظهر لهم المحبة والكرامة، وتجاوز عما يبدو منهم من التقصير، واحتمل منهم سوء الأحوال، وعاشرهم بجميل الأخلاق، وتحمل عنهم كلهم، فإن حرموك فأعطهم، وإن ظلموك فتجاوز عنهم، وإن قصروا في حقي فاعف عنهم واستغفر لهم.

(١) المراغي.

﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾؛ أي خالفوا أمرك: ولم يتبعوك؛ أي: فإن خرجت عشيرتك عن الطاعة وخالفوك، ولم يتبعوك ﴿فَقُلْ﴾ لهم ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: من عملكم، أو من الذي تعملونه؛ أي: فإني بريء من عبادتكم لغير الله تعالى، ولا تبرأ منهم، وقل لهم قولاً معروفاً بالنصح والعظة لعلهم يرجعون إلى طاعتك، وقبول الدعوة منك.

وهذا[١] يدل على أن المراد بالمؤمنين المشارفون للإيمان المصدقون باللسان؛ لأن المؤمنين الخلص لا يعصونه ولا يخالفونه. والمعنى: أي: فإن[٢] عصاك من أنذرتهم من العشيرة فلا ضير عليك، وقد أديت ما أمرت به، ولا عليك إثم مما يعملون، وقل لهم: إني بريء منكم ومن دعائكم مع الله إلهاً آخر، وإنكم ستجزون بجرمكم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

والخلاصة: فبعد الإنذار من آمن منهم فتواضع له، ومن خالفك فتبرأ منه ومن عمله، وقل له: ﴿إني بريء...﴾ إلخ، ثم بين له ما يعتمد عليه عند عصيانهم له، فقال:

٤. ﴿وَتَوَكَّلْ﴾ في جميع حالاتك ﴿عَلَى ٱلْعَزِيزِ﴾ الذي لا يذل من والاه، ولا يعز من عاداه، فهو يقدر على قهر أعدائه ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي يرحم من توكل عليه، وفوض أمره إليه بالظفر والنصرة، فهو ينصر أولياءه، ولا تتوكل على الغير، فإن الله تعالى هو الكافي لشر الأعداء لا الغير، والتوكل على الله تعالى في جميع الأمور، والإعراض عما سواه ليس إلا من خواص الكمل. جعلنا الله سبحانه وإياكم من الملحقين بهم. والتوكل: عبارة عن تفويض الرجل أمره إلى من يملك أمره، ويقدر على نفعه وضره، وهو الله سبحانه وتعالى العزيز الرحيم.

وقرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر وشيبة[٣]: ﴿فتوكل﴾ - بالفاء - على الإبدال من جواب الشرط. وقرأ باقي السبعة: ﴿وَتَوَكَّلْ﴾ - بالواو - على العطف على

---

(١) الشوكاني.
(٢) المراغي.
(٣) البحر المحيط.

﴿أنذر﴾؛ ثم أتبع به قوله: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ...﴾ إلخ؛ لأنه كالسبب لتلك الرحمة؛ أي: توكل على من يراك ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ من نومك إلى التهجد والصلاة وحدك في جوف الليل، في قول أكثر المفسرين، فإن المعروف من القيام في العرف الشرعي إحياء الليل بالصلاة.

وقال مجاهد: حين تقوم حيثما كنت. ﴿و﴾ يرى ﴿تقلبك﴾ وتنقلك في أركان الصلاة بالقيام والركوع والاعتدال والسجود والجلوس ﴿فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾؛ أي: مع المصلين جماعة إذا كنت إماماً لهم؛ أي: ويراك إذا صليت جماعة راكعاً وساجداً وقائماً. كذا قال أكثر المفسرين. وعن مقاتل أنه سأل أبا حنيفة ـ رحمه الله ـ هل تجد الصلاة في الجماعة في القرآن؟ فتلا هذه الآية.

وقيل[1]: يراك منتقلاً في أصلاب المؤمنين، وأرحام المؤمنات من لدن آدم وحواء إلى عبد الله وآمنة، فجميع أصول سيدنا محمد ﷺ رجالاً ونساء مؤمنون، فلا يدخلهم الشرك ما دام النور المحمدي في الذكر والأنثى، فإذا انتقل منه لمن بعده.. أمكن أن يعبد غير الله، وآزر ما عبد الأصنام إلا بعد انتقال النور منه لإبراهيم. وأما قبل انتقاله فلم يعبد غير الله تعالى، كذا قالوا، ولكن لا أصل له والله أعلم.

وقيل[2]: المراد بقوله: ﴿يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ قيامك إلى التهجد. وقوله: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ يريد ترددك في تصفح أحوال المجتهدين في العبادة وتقلب بصرك فيهم، كذا قال مجاهد.

ومعنى الآية: أي[3] وفوض جميع أمورك إلى القادر على دفع الضر عنك، والانتقام من أعدائك الذين يريدون السوء بك، الرحيم إذ نصرك عليهم برحمته، وهو الذي يراك حين تقوم للصلاة بالناس، ويرى تنقلك من حال كالجلوس إلى حال كالقيام فيما بين المصلين إذا كنت إماماً لهم. وفي الخبر: «أعبد الله كأنك

---

(١) المراح.
(٢) الشوكاني.
(٣) المراغي.

تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

وعبر عن المصلين بالساجدين؛ لأن العبد أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد، ثم أكد ما سلف بقوله: ﴿إِنَّهُۥ﴾ سبحانه وتعالى ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوال عباده فيسمع ما تقول ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بحركاتهم وسكناتهم وبسرهم ونجواهم، فيعلم ما تنويه وتعمله، كما قال سبحانه في آية أخرى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾.

وقصارى ذلك: أنه هو القادر على نفعكم وضركم، فهو الذي يجب أن تتوكلوا عليه، وهو الذي يكفيكم ما أهمكم.

ولما قال[1] المشركون: لم لا يجوز أن يقال: إن الشياطين تنزل بالقرآن على محمد ﷺ، كما أنهم ينزلون بالكهانة على الكهنة، وبالشعر على الشعراء.. فرق الله سبحانه وتعالى بين محمد ﷺ وبين الكهنة والشعراء، فقال: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾ وأخبركم أيها المشركون ﴿عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ بتقدير همزة الاستفهام قبل حرف الجر، وبحذف إحدى التاءين من ﴿تَنَزَّلُ﴾؛ أي: هل أخبركم أيها المشركون جواب على من تتنزل الشياطين؟ أقول لكم في جوابه ﴿تَنَزَّلُ﴾ الشياطين ﴿عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ﴾؛ أي: كثير الإفك والكذب ﴿أَثِيمٍ﴾؛ أي: كثير الإثم والمعاصي، وهو اسم للأفعال المبطئة عن الثواب؛ أي: تتنزل[2] الشياطين على المتصفين بالإفك والإثم الكثير من الكهنة والمتنبئة كمسيلمة الكذاب، وسطيح، وطليحة؛ لأنهم من جنس الشياطين، وبينهم مناسبة بالكذب والافتراء والإضلال. فإن مسيلمة من المتنبئة، وسطيح وطليحة من الكهنة - جمع كاهن؛ وهو الذي يخبر عن الأمور المستقبلة، والعراف الذي يخبر عن الأمور الماضية. اهـ شيخنا.

وحيث كانت ساحة رسول الله ﷺ منزهة عن هذه الأوصاف استحال تنزلهم عليه.

وجملة قوله: ﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ في محل الجر على أنها صفة لـ﴿كُلِّ أَفَّاكٍ

---

(١) المراح. (٢) روح البيان.

﴿أَثِيمٍ﴾؛ لكونه في معنى الجمع؛ أي: يلقى الأفاكون الإذن إلى الشياطين، فيتلقون منهم أوهاماً وأمارات لنقصان علمهم، فيضمون إليها بحسب تخيلاتهم الباطلة خرافات لا يطابق أكثرها الواقع ﴿وَأَكْثَرُهُمْ﴾؛ أي: أكثر الأفاكين؛ أي: كلهم ﴿كَٰذِبُونَ﴾ فيما قالوه من الأقاويل، وليس محمد كذلك، فإنه صادق في جميع ما أخبر به من المغيبات، والأكثر هنا: بمعنى الكل، كما أن البعض يأتي بمعنى الكل في قوله تعالى: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: كله. والأظهر[1] أن الأكثرية باعتبار أقوالهم على معنى أن هؤلاء قلما يصدقون فيما يحكون عن الجني. والمعنى: وأكثر أقوالهم كاذبة، لا باعتبار ذواتهم حتى يلزم من نسبة الكذب إلى أكثرهم كون أقلهم صادقاً على الإطلاق. اهـ «أبو السعود».

وقيل: الضمير في ﴿يُلْقُونَ﴾ عائد إلى ﴿ٱلشَّيَٰطِينُ﴾، والجملة[2] في محل النصب حال من الضمير المستتر في ﴿تَنَزَّلُ﴾ العائد إلى ﴿ٱلشَّيَٰطِينُ﴾؛ أي: تنزل الشياطين على كل أفاك أثيم حالة كون الشياطين ملقين السميع؛ أي: ما يسمعونه من الملأ الأعلى إلى الكهان. ويجوز أن يكون المعنى: أن الشياطين يلقون السمع؛ أي: ينصتون إلى الملأ الأعلى؛ ليسترقوا منهم شيئاً من المغيبات، ويكون المراد بالسمع على الوجه الأول المسموع، وعلى الوجه الثاني نفس حاسة السمع.

ويجوز أن تكون جملة: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾ راجعة إلى ﴿ٱلشَّيَٰطِينُ﴾؛ أي: وأكثر الشياطين كاذبون فيما يلقونه إلى الكهنة مما يسمعونه من الملأ الأعلى، فإنهم يضمون إلى ذلك من عند أنفسهم كثيراً من الكذب، كما جاء في الحديث: «تلك الكلمة الصادقة الكلمة التي يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه، ويزيد معها أكثر من مئة كذبة». والكهنة أيضاً يفترون على الشياطين ما لم يوحوا إليهم.

فإن قلت: كيف يصح على الوجه الأول وصف الأفاكين بأن أكثرهم كاذبون

---

(١) أبو السعود. (٢) الشوكاني.

بعدما وصفوا جميعاً بالإفك؟

قلتُ: يجاب عنه بأن المراد بالأفاك الذي يكثر الكذب، لا الذي لا ينطق إلا بالكذب. فالمراد بقوله: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾ أنه قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الشياطين، وقد سبق الجواب عنه بوجه آخر.

وقال شيخ الإسلام: فإن قلت[1]: كيف قال: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ﴾ بعد ما حكم بأن كل أفاك أثيم؛ أي: فاجر؟

قلتُ: الضمير في ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾ لـ﴿ٱلشَّيَٰطِينُ﴾، لا للأفاكين، ولو سلم فالأفاكون هم الذين يكثرون الكذب، لا أنهم الذين لا ينطقون إلا بالكذب. انتهى.

وقال في «كشف الأسرار»: استثني منهم بذكر الأكثر سطيحاً وشقاً وسواد بن قارب الذين كانوا يلهجون بذكر رسول الله وتصديقه، ويشهدون له بالنبوة، ويدعون الناس إليه. انتهى.

والغرض الذي سيق لأجله هذا الكلام[2]: رد ما كان يزعمه المشركون من كون النبي ﷺ من جملة من يلقي إليه الشياطين السمع من الكهنة ببيان أن الأغلب على الكهنة الكذب، ولم يظهر من أحوال محمد ﷺ إلا الصدق، فكيف يكون كما زعموا، ثم إن هؤلاء الكهنة يعظمون الشياطين، وهذا النبي المرسل ﷺ من عند الله سبحانه برسالته إلى الناس يذمهم ويلعنهم، ويأمر بالتعوذ منهم.

وحاصل معنى الآيات: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾﴾؛ أي: هل أخبركم خبراً جلياً نافعاً في الدين، عظيم الجدوى في الدنيا، تعلمون به الفارق بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن ببيان جواب سؤال ﴿عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾، ثم أشار إلى الجواب عن هذا السؤال بوجهين:

١. ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾؛ أي: هي تنزل على كل كذاب فاجر من

---

(١) فتح الرحمن. (٢) الشوكاني.

الكهنة، نحو شق بن رهم وسطيح بن ربيعة. قال في «حياة الحيوان»: هما كاهنان، فكان شق نصفَ إنسان، له يد واحدة ورجل واحدة، وعين واحدة، وكان سطيح ليس له عظم ولا بنان، إنما كان يطوى كالحصير، لم يدرك أيام بعثة النبي ﷺ، وكان في زمن ملك كسرى؛ وهو ساسان. انتهى.

٢. ﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾؛ أي: يلقي الأفاكون سمعهم إلى الشياطين، ويصغون إليهم أشد إصغاء، فيتلقون منهم ما يتلقون، وهؤلاء قلما يصدقون في أقوالهم، بل هم في أكثرها كاذبون. وهذا رد على من زعم من المشركين أن ما جاء به الرسول ليس بحق، وأنه شيء أتاه به رئي من الجن، فنزه الله سبحانه رسوله ﷺ عن قولهم وافترائهم، ونبه إلى أن ما جاء به إنما هو من عند الله، وأنه تنزيله ووحيه نزل به ملك كريم، وأنه ليس من قبل الشياطين.

والخلاصة: أن هناك فارقاً بين محمد ﷺ والكهنة، ومحمد ﷺ لا يكذب فيما يخبر عن ربه، وما عرف منه إلا الصدق، والكهنة كذابون فيما يقولون، وقلما عرف منهم الصدق في أخبارهم.

ولما كان بعض المشركين يقول: إن النبي ﷺ شاعر.. بيّن سبحانه حال الشعراء، ومنافاة ما هم عليه لما عليه النبي ﷺ، فقال: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ﴾؛ أي: شعراء الكفار الذين يهجون رسول الله ﷺ وأصحابه، ويعيبون الإسلام، ويطعنون فيه منهم عبد الله بن الزبعري وهبيرة بن أبي وهب ومسافع بن عبد مناف وأبو عزة عمرو بن عبد الله وأمية بن أبي الصلت وأبو سفيان بن حرب الأموي ﴿يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾؛ أي: يتبعهم سفهاء العرب، حيث كانوا[1] يحفظون هجاءهم للمسلمين، وينشدونه في المجالس والمجامع، ويضحكون منه؛ أي: إن القرآن ليس بشعر، ولا محمد بشاعر؛ لأن الشعراء يتبعهم الضالون الحائدون عن السنن القويم، والسفهاء المائلون إلى الفساد الذي يجر إلى الهلاك، وأتباع محمد ليسوا كذلك، بل هم الراشدون المراجيح الرزان والساجدون الراكعون الباكون

---

(١) روح البيان.

الزاهدون.

وكان[1] الشعراء يتكلمون بالكذب والباطل، ويقولون: نحن نقول مثل ما قال محمد، وقالوا: الشعر، واجتمع إليهم غواة قومهم يستمعون أشعارهم حين يهجون محمداً ﷺ وأصحابه، وكانون يروون عنهم قولهم، فذلك قوله: ﴿يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ فهم الرواة الذين يروون هجاء المسلمين. وقيل: ﴿ٱلْغَاوُۥنَ﴾ هم الشياطين. وقيل: هم السفهاء الضالون.

والشعراء[2] عام يدخل فيه كل شاعر، والمذموم من يهجو ويمدح شهوة محرمة، ويقذف المحصنات، ويقول الزور وما لا يسوغ شرعاً. واعلم أن الشعر في نفسه ينقسم إلى أقسام، فقد يبلغ ما لا خير فيه منه إلى قسم الحرام، وقد يبلغ ما فيه خير منه إلى قسم الواجب.

قال في «الكواشي»: لا شك أن الشعر كلام حسنه كحسنه، وقبيحه كقبيحه، ولا بأس به إذا كان توحيداً، أو علماً ينتفع به، أو حثاً على مكارم الأخلاق من جهاد وعبادة وحفظ فرج وغض بصر وصلة رحم وشبهه، أو مدحاً للنبي ﷺ والصالحين بما هو الحق، انتهى.

وقد وردت أحاديث في ذمه وذم الاستكثار منه، ووردت أحاديث أخر في إباحته وتجويزه:

فمنها: ما روى مسلم عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال: ردفت رسول الله ﷺ يوماً، فقال: «هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء»؟ قلت: نعم. قال: «هيه». فأنشدته بيتاً، فقال: «هيه»، ثم أنشدته بيتاً آخر، فقال: «هيه»، حتى أنشدته مئة بيت. وفي هذا دليل على العناية بحفظ الأشعار إذا تضمنت الحكم والمعاني المستحسنة شرعاً وطبعاً. وإنما استكثر النبي ﷺ من شعر أمية؛ لأنه كان حكيماً، ألا ترى قوله ﷺ: «لقد كاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم» حين سمع قوله:

---

(١) الخازن. (٢) البحر المحيط.

أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلاَ ٱللَّهَ بَاطِلُ وَكُلُّ نَعِيْمٍ لاَ مَحَالَةَ زَائِلُ

والكلام في تحقيق ذلك يطول.

وقال الإمام المرزوقي شارح «الحماسة»: تأخر الشعراء عن البلغاء؛ لتأخر المنظوم عند العرب؛ لأن ملوكهم قبل الإسلام وبعده يتبجحون بالخطابة، ويعدونها أكمل أسباب الرياسة، ويعدون الشعر دناءة؛ لأن الشعر كان مكسبة وتجارة، وفيه وصف اللئيم عند الطمع بصفة الكريم، والكريم عند تأخر صلته بوصف اللئيم، ومما يدل على شرف النثر أن الإعجاز وقع في النثر دون النظم؛ لأن زمن النبي ﷺ زمن الفصاحة.

وقرأ عيسى بن عمر[1]: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ﴾ بالنصب على الاشتغال، والجمهور بالرفع على الابتداء والخبر، وقرأ نافع وشيبة والحسن بخلاف عنه، والسلمي ﴿يَتَّبِعُهُمُ﴾ بسكون التاء مخففاً من تبع الثلاثي وقرأ باقي السبعة مشدداً. والوجهان حسنان. يقال: تبعت واتبعت مثل حقرت واحتقرت. وسكن العينَ الحسنُ، وعبد الوارث عن أبي عمرو. وروى هارون نصبها عن بعضهم، وهو مشكل. ذكره أبو حيان.

ثم بين تلك الغواية بأمرين، فقال:

١. ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يا من[2] شأنه الرؤية؛ أي: قد رأيت وعلمت. والاستفهام فيه للتقرير، والخطاب لكل من تتأتى منه الرؤية ﴿أَنَّهُمْ﴾؛ أي: أن الشعراء ﴿فِي كُلِّ وَادٍ﴾؛ أي: في كل فن من فنون الكذب، وفي كل شعب من شعاب الزور، وفي كل نوع من أنواع المدح أو الذم، والهجاء والشتم، والفحش واللعن، والافتراء والدعاوى، والتكبر والمفاخر، والتحاسد والعجب، والإراءة وإظهار الفضل، والدناءة والخسة، والطمع والتَّكَدِّي، والذلة والمهانة، وأصناف الأخلاق الرذيلة، والطعن في الأنساب والأعراض، وغير ذلك من الآفات التي هي من توابع الشعر ﴿يَهِيمُونَ﴾ يقال: هام على وجهه ـ من باب باع ـ هيماناً، بفتحتين،

---

(١) البحر المحيط.
(٢) روح البيان.

إذا ذهب من العشق أو غيره، كما في «المختار»؛ أي: يذهبون على وجوههم لا يهتدون إلى سبيل معين، بل يتحيرون في أودية القيل والقال، والوهم والخيال، والغي والضلال، فتارة يمزقون الأعراض بالهجاء، وتارة يأتون من المجون بكل ما يمجه السمع ويستقبحه العقل، وتارة يخوضون في بحر السفاهة والوقاحة، ويذمون الحق ويمدحون الباطل، ويرغبون في فعل المحرمات، ويدعون الناس إلى فعل المنكرات، كما تسمعه في أشعارهم من مدح الخمر والزنا واللواط ونحو هذه الرذائل الملعونة.

والمعنى: أي[1] ألم تعلم أن الشعراء يسلكون الطرق المختلفة من الكلام، فقد يمدحون الشيء حيناً بعد أن ذموه، أو يعظمونه بعد أن احتقروه، والعكس بالعكس، وذلك دليل على أنهم لا يقصدون إظهار الحق، ولا تحري الصدق، لكن محمداً ﷺ جبلته الصدق، ولا يقول إلا الحق، وقد بقي على طريق واحد؛ وهو الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، والترغيب في الآخرة والإعراض عن الدنيا.

وثاني الأمرين: ذكره بقوله: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ﴾ في أشعارهم عند التصلف والدعاوى ﴿مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ من الأفاعيل، فهم يرغبون في الجود ويرغبون عنه، وينفرون عن البخل ويصرون عليه، ويقدحون في الناس لأدنى الأسباب، ويرتكبون الفواحش، وذلك تمام الغواية. ومحمد ﷺ على خلاف ذلك؛ لأنه منزه عن كل ذلك، متصف بمحاسن الأوصاف ومكارم الأخلاق، مستقر على المنهاج القويم، مستمر على الصراط المستقيم، فقد بدأ بنفسه إذ قال له ربه: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ ثم بالأقرب فالأقرب، فقال: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ فليست حاله حال الشعراء.

ولما وصف الشعراء بهذه الأوصاف الذميمة استثنى منهم من اتصف بأمور أربعة:

١. الإيمان.

---

(١) المراغي.

٢. والعمل الصالح.

٣. وكثرة قول الشعر في توحيد الله والنبوة ودعوة الخلق إلى الحق.

٤. وأن لا يهجو أحداً إلا انتصاراً ممن يهجوه اتباعاً لقوله سبحانه: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ﴾ كما كان يفعل عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن مالك وكعب بن زهير حين كانوا يهجون المشركين منافحة عن رسول الله ﷺ.

وقد روي أن رسول الله ﷺ قال لكعب بن مالك: «أهجهم فوالذي نفسي بيده لهو أشد عليهم من رشق النبل»، وكان يقول لحسان بن ثابت: «قل وروح القدس معك» وفي رواية: «أهجهم وجبريل معك»، وإلى هذا أشار بقوله سبحانه: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالله ورسوله. استثناء للشعراء المسلمين. ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ بامتثال الأوامر واجتناب النواهي. ﴿وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ﴾ ذكراً ﴿كَثِيرًا﴾ في أشعارهم بأن كان أكثر أشعارهم في التوحيد والثناء على الله، والحث على طاعته، والحكمة والموعظة، والزهد في الدنيا والترغيب في الآخرة، أو بأن لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله سبحانه، ولم يجعلوه همهم وعادتهم. قال أبو يزيد: الذكر الكثير ليس بالعدد والغفلة، لكنه بالحضور.

﴿وَٱنتَصَرُواْ﴾؛ أي: انتقموا ممن هجاهم بالهجو ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ﴾؛ أي: من بعد ما ظلمهم الكفار بالهجو؛ أي: ردوا هجاء من هجا رسول الله ﷺ والمسلمين. وأحق الخلق بالهجو من كذب رسول الله ﷺ وهجاه، كما وقع ذلك الانتصار من شعراء رسول الله ﷺ، فإنهم كانوا يهجون من هجاه ويحمون عنه، ويذبون عن عرضه، ويكافحون شعراء المشركين وينافحونهم. ويدخل في هذا من انتصر بشعره لأهل السنة وكافح أهل البدعة، وزيف ما يقوله شعراؤهم من مدح بدعتهم، وهجو السنة المطهرة، كما يقع ذلك كثيراً من شعراء الرافضة ونحوهم، فإن الانتصار للحق بالشعر وتزييف الباطل به من أعظم المجاهدة، وفاعله من المجاهدين في سبيل الله، المنتصرين لدينه، القائمين بما أمر الله بالقيام به.

وروى ابن جرير عن محمد بن إسحاق أنه لما نزلت هذه الآية.. جاء

حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك إلى رسول الله ﷺ وهم يبكون، قالوا: قد علم الله حين أنزل هذه أنا شعراء، فتلا النبي ﷺ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ قال: أنتم ﴿وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ قال: أنتم ﴿وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ﴾: قال أنتم؛ أي بالرد على المشركين، ثم قال النبي ﷺ: «انتصروا ولا تقولوا إلا حقاً، ولا تذكروا الآباء والأمهات». فقال حسان لأبي سفيان بن حرب:

هَجَوْتَ مُحَمَّداً فَأَجَبْتُ عَنْهُ ... وَعِنْدَ ٱللَّهِ فِيْ ذَاكَ ٱلْجَزَاءُ
وَإِنَّ أَبِيْ وَوَالِدَهُ وَعِرْضِيْ ... لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ
أَتَشْتُمُهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفْءٍ ... فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا ٱلْفِدَاءُ
لِسَانِيْ صَارِمٌ لاَ عَيْبَ فِيْهِ ... وَبَحْرِيْ لاَ تُكَدِّرُهُ ٱلدِّلاَءُ

وقال كعب: يا رسول الله إن الله قد أنزل في الشعر ما قد علمت، فكيف ترى فيه؟ فقال النبي ﷺ: «إن المؤمن يجاهد بنفسه وسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل» وقال كعب:

جَاءَتْ سَخِيْنَةُ كَيْ تُغَالِبَ رَبَّهَا ... وَلَيُغْلَبَنَّ مُغَالِبُ ٱلْغَلاَّبِ

فقال النبي ﷺ: «لقد مدحك الله يا كعب في قولك هذا».

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل مكة في عمرة القضاء وابن رواحة يمشي بيديه؛ وهو يقول:

خَلُّوا بَنِيْ ٱلْكُفَّارِ عَنْ سَبِيْلِهِ ... ٱلْيَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَىٰ تَنْزِيْلِهِ
ضَرْبَاً يُزِيْلُ ٱلْهَامَ عَنْ مَقِيْلِهِ ... وَيُذْهِلُ ٱلْخَلِيْلَ عَنْ خَلِيْلِهِ

فقال عمر: يا ابن رواحة بين يدي رسول الله ﷺ وفي حرم الله تقول الشعر؟ فقال رسول الله ﷺ: «خَلِّ عُنْقَهُ يا عمر، فَلَهِيَ أسرع فيهم من نضح النبل». أخرجه الترمذي والنسائي.

فصل في مدح الشعر[1]

روى البخاري عن أبيّ بن كعب أن رسول الله ﷺ قال: «إن من الشعر لحكمة». وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ، فجعل يتكلم بكلام، فقال: «إن من البيان سحراً، وإن من الشعر حكماً» أخرجه أبو داود.

وروى مسلم عن عمرو بن الشريد عن أبيه، قال: ردفت وراء النبي ﷺ يوماً: «هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء؟» قلت نعم. قال: «هيه»، فأنشدته بيتاً. الحديث كما مر آنفاً.

وعن جابر بن سمرة قال: جالست النبي ﷺ أكثر من مئة مرة، فكان أصحابه يتناشدون الشعر، ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت، وربما تبسم معهم. أخرجه الترمذي، وقال حديث حسن صحيح.

وقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: الشعر كلام: فمنه حسن، ومنه قبيح، فخذ منه الحسن، ودع منه القبيح. وقال الشعبي: كان أبو بكر يقول الشعر، وكان عمر يقول الشعر، وكان علي أشعر منهما. وروي عن ابن عباس أنه كان ينشد الشعر، ويستنشده في المسجد، فيروى أنه دعا عمر بن ربيعة المخزومي، فاستنشده القصيدة التي قالها، فقال:

أَمِنْ آلِ نُعْمَىٰ أَنْتَ غَادٍ فَمُبْكِرُ　　غَدَاةَ غَدٍ أَمْ رَائِحٌ فَمُهَجِّرُ

فأنشده القصيدة إلى آخرها، وهي قريب من تسعين بيتاً، ثم إن ابن عباس أعاد القصيدة جميعها، وكان حفظها بمرة واحدة.

وبعد أن[2] ذكر الله سبحانه من الدلائل العقلية، وأخبار الأنبياء المتقدمين ما يزيل الحزن عن قلب رسول الله ﷺ، ثم بين الدلائل على صدق نبوته، ثم

---

(١) الخازن.

(٢) المراغي.

أرشد إلى الفارق بينه وبين الكهنة، وبينه وبين الشعراء.. ختم[1] السورة بالتهديد العظيم والوعيد الشديد للكافرين، فقال: ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ أنفسهم بالشعر المنهي عنه وغيره، وأعرضوا عن تدبر هذه الآيات كفراً بها وعناداً، فهو عام لكل ظالم، والسين للتأكيد. ﴿أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾؛ أي: أي مرجع يرجعون إلى الله تعالى بعد الموت، وأي معاد يعودون إليه، إنهم ليصيرون إلى نار لا يطفأ سعيرها، ولا يسكن لهيبها؛ أي: ينقلبون انقلاب سوء، ويرجعون رجوع شر؛ لأن مصيرهم إلى النار.

فإن[2] في قوله: ﴿سيعلم﴾ تهويلاً عظيماً، وتهديداً شديداً، وكذا في إطلاق ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾، وإبهام ﴿أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾. وخصص بعضهم هذه الآية بالشعراء، ولا وجه لذلك، فإن الاعتبار بعموم اللفظ.

وقوله: ﴿أَيَّ مُنقَلَبٍ﴾ صفة لمصدر محذوف؛ أي: ينقلبون منقلباً أي منقلب، وقدم لتضمنه معنى الاستفهام، ولا يعمل فيه ﴿سيعلم﴾؛ لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله، بل هو معلق عن العمل فيه.

والمعنى[3]: أي وسيعلم الذين ظلموا أنفسهم بالشرك وهَجْوِ رسول الله وأصحابه، وبالإعراض عن تدبر هذه الآيات أنهم ينقلبون كمال انقلاب؛ لأن مصيرهم إلى النار؛ وهو أقبح مصير، ومرجعهم إلى العذاب؛ وهو شر مرجع، فالمنقلب الانتقال إلى ضد ما هو فيه، والمرجع هو العود من حال هو فيها إلى حال كان عليها، فصار كل مرجع منقلباً، وليس كل منقلب مرجعاً.

وقرأ ابن عباس والحسن وابن أرقم عنه[4]: ﴿أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ بالفاء مكان القاف، والتاء مكان الباء، من الإنقلاب بالنون والتاء الفوقية. والمعنى على هذه القراءة: أن الظالمين يطمعون في الانفلات من عذاب الله تعالى، والانفكاك منه، ولا يقدرون على ذلك؛ أي: وسيعلم الظالمون أن ليس لهم وجه من وجوه

---

(١) المراغي.
(٢) الشوكاني.
(٣) المراح.
(٤) البحر المحيط والشوكاني.

الانفلات والفرار، فإنهم يطمعون أولاً أن ينفلتوا من عذاب الله سبحانه فينجوا منه. وقرأ الباقون بالقاف والباء الموحدة من الانقلاب بالنون والقاف والموحدة.

الإعراب

﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾.

﴿وَإِنَّهُ﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿إِنَّهُ﴾: ناصب واسمه. ﴿لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: خبره ومضاف إليه، والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير حقيقة تلك القصص، وتأكيد نبوة محمد ﷺ، فإن إخباره عن الأمم المتقدمة؛ وهو الأمي الذي لا يكتب ولا يقرأ لا يكون إلا عن طريق الوحي. ﴿نَزَلَ﴾: فعل ماض. ﴿بِهِ﴾: متعلق بمحذوف حال من الروح؛ أي: متلبساً به، فالباء للملابسة. ﴿ٱلرُّوحُ﴾: فاعل. ﴿ٱلْأَمِينُ﴾: صفة له، والجملة في محل الرفع صفة لـ﴿تنزيل﴾، أو حال منه. ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾: متعلق بـ﴿نَزَلَ﴾. ﴿لِتَكُونَ﴾: ﴿اللام﴾: حرف جر وتعليل وعاقبة، ﴿تكون﴾: فعل مضارع ناقص منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، واسمها ضمير يعود على محمد. ﴿مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾: خبرها، والجملة في تأويل مصدر مجرور باللام تقديره: لكونك من ﴿ٱلْمُنذِرِينَ﴾، الجار والمجرور متعلق بـ﴿نَزَلَ﴾.

﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾﴾.

﴿بِلِسَانٍ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿ٱلْمُنذِرِينَ﴾؛ لأنه اسم فاعل؛ أي: لتكون من جملة الذين أنذروا بهذا اللسان العربي؛ وهم هود وصالح وإسماعيل وشعيب ومحمد عليهم الصلاة والسلام، أو بدل من الجار والمجرور في قوله: ﴿بِهِ﴾ بإعادة العامل؛ أي: نزل بلسان عربي؛ أي: باللغة العربية. ﴿عَرَبِيٍّ﴾: صفة أولى لـ﴿لسان﴾. ﴿مُّبِينٍ﴾: صفة ثانية له، أو صفة لـ﴿عَرَبِيٍّ﴾. ﴿وَإِنَّهُ﴾: ناصب واسمه.

﴿لَفِي زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه خبر إن، وجملة ﴿إنه﴾ معطوفة على جملة ﴿إن﴾ الأولى. ﴿أَوَلَمْ﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام التوبيخي المضمن للتقرير داخلة على محذوف، و﴿الواو﴾ عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أغفل أهل مكة عن هذا القرآن، ولم يكن علم علماء بني إسرائيل إياه آية لهم على حقيقته، ﴿لم﴾ حرف نفي وقلب وجزم ﴿يَكُن﴾ مضارع ناقص مجزوم بـ﴿لم﴾ وجملة ﴿يَكُن﴾ معطوفة على الجملة المحذوفة، والجملة المحذوفة جملة إنشائية لا محل لها من الإعراب. ﴿لَّهُمْ﴾ متعلقان بمحذوف حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لآية وتقدم عليها ﴿ءَايَةً﴾ خبر ﴿يكن﴾. ﴿أَن يَعْلَمَهُۥ﴾ في تأويل مصدر اسم ﴿يكن﴾ ﴿عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: فاعل ومضاف إليه. ﴿وَلَوْ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿لَوْ﴾: شرطية. ﴿نَزَّلْنَٰهُ﴾ فعل وفاعل ومفعول به. ﴿عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿نَزَّلْنَٰهُ﴾، والجملة فعل شرط لـ﴿لَوْ﴾ لا محل لها من الإعراب. ﴿فَقَرَأَهُۥ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿قرأه﴾: فعل ومفعول به، وفاعل مستتر معطوف على ﴿نَزَّلْنَٰهُ﴾. ﴿عَلَيْهِم﴾: متعلق بقرأ. ﴿مَّا﴾: نافية. ﴿كَانُواْ﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿بِهِۦ﴾: متعلق بـ﴿مُؤْمِنِينَ﴾. و﴿مُؤْمِنِينَ﴾: خبر كان، وجملة كان جواب ﴿لَوْ﴾ الشرطية لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿لَوْ﴾ الشرطية معطوفة على جملة قوله: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً﴾.

﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُواْ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾.

﴿كَذَٰلِكَ﴾: صفة لمصدر محذوف. ﴿سَلَكْنَٰهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول به. ﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق به، والتقدير: سلكناه في قلوب المجرمين سلكاً كائناً مثل ذلك السلك البديع، والجملة مستأنفة. ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿بِهِۦ﴾: متعلق بـ﴿يُؤْمِنُونَ﴾، والجملة مستأنفة، أو حال من الهاء في ﴿سَلَكْنَٰهُ﴾، أو من ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف جر وغاية. ﴿يَرَوُاْ﴾: فعل وفاعل منصوب بأن مضمرة بعد ﴿حَتَّىٰ﴾. ﴿ٱلْعَذَابَ﴾: مفعول به. ﴿ٱلْأَلِيمَ﴾: صفة له، والجملة في تأويل مصدر مجرور بـ﴿حَتَّىٰ﴾ بمعنى إلى،

تقديره: إلى رؤيتهم العذاب الأليم، الجار والمجرور متعلق بـ﴿يُؤْمِنُونَ﴾. ﴿فَيَأْتِيَهُم﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿يأتيهم﴾: فعل ومفعول معطوف على ﴿يَرَوُا﴾، وفاعله ضمير يعود على ﴿الْعَذَابَ﴾. ﴿بَغْتَةً﴾: حال من فاعل يأتي، ولكنه في تأويل مشتق؛ أي: حالة كونه باغتاً. ﴿وَهُمْ﴾: ﴿الواو﴾: حالية. ﴿هُمْ﴾ مبتدأ، وجملة ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾: خبره، والجملة الاسمية في محل النصب حال من مفعول ﴿يأتيهم﴾. ﴿فَيَقُولُوا﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿يقولوا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿يأتيهم﴾. ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام للاستفهام الاستبعادي المضمن للتحسر. ﴿نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة في محل النصب مقول ﴿يقولوا﴾.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (٢٠٤) أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٦)﴾.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام التوبيخي والتهكمي والإنكاري داخلة على محذوف يقتضيه المقام، و﴿الفاء﴾: عاطفة على ذلك المحذوف. ﴿بعذابنا﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿يَسْتَعْجِلُونَ﴾. ﴿يَسْتَعْجِلُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية معطوفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أيكون حالهم كما ذكر من طلب الإنظار عند نزول العذاب الأليم فيستعجلون بعذابنا، والجملة المحذوفة مستأنفة، هكذا قدره بعض المعربين، ولكنه لا يخلو من إيهام، فالأولى أن يقدر: أيغفلون عن ذلك مع تحققه وتقرره فيستعجلون بعذابنا، وقدم الجار والمجرور لأمرين: لفظي؛ وهو مراعاة الفواصل، ومعنوي؛ وهو الإيذان بأن مصب الإنكار والتوبيخ كون المستعجل به العذاب. ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام الاستخباري، و﴿الفاء﴾: عاطفة. ﴿رأيت﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿فَيَقُولُوا﴾، وما بينهما اعتراض، و﴿رأيت﴾: بمعنى أخبرني، فتتعدى إلى مفعولين: أحدهما مفرد والآخر جملة استفهامية غالباً. ﴿إِن﴾: حرف شرط. ﴿مَّتَّعْنَاهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول به في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونها فعل شرط لها. ﴿سِنِينَ﴾: ظرف متعلق بـ﴿مَّتَّعْنَاهُمْ﴾، وجواب الشرط محذوف يقدر من معنى المفعول الثاني لـ﴿رأيت﴾ تقديره: إن متعناهم سنين لم يغن عنهم تمتعهم، أي: لم ينفعهم، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية جملة معترضة لا

محل لها من الإعراب. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿جَآءَهُم﴾: فعل ومفعول به. ﴿مَّا﴾: اسم موصول في محل الرفع فاعل، والجملة الفعلية معطوفة على جملة الشرط. ﴿كَانُواْ﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿يُوعَدُونَ﴾: فعل ونائب فاعل، والجملة في محل النصب خبر كان، وجملة كان صلة ﴿مَّا﴾ الموصولة، والعائد محذوف تقديره: ما كانوا يوعدون، ومفعول ﴿أرأيت﴾ الأول محذوف معلوم من فاعل ﴿جاء﴾؛ لأن ﴿أرأيت﴾ و﴿جاء﴾ تنازعاً في قوله: ﴿مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾، والتقدير: إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون أفرأيته؛ أي: ذلك الموعود.

﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ (٢٠٧) وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ (٢٠٨) ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ (٢٠٩)﴾.

﴿مَآ﴾: اسم استفهام للاستفهام الإنكاري في محل النصب مفعول مقدم لـ﴿أَغْنَىٰ﴾. ﴿أَغْنَىٰ﴾: فعل ماض. ﴿عَنْهُم﴾: متعلق به. ﴿مَّا﴾: مصدرية، أو موصولة. ﴿كَانُواْ﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿يُمَتَّعُونَ﴾: فعل ونائب فاعل، والجملة الفعلية في محل النصب خبر كان، وجملة كان صلة ﴿مَّا﴾ المصدرية، أو الموصولة، والمصدر المؤول من ﴿مَّا﴾ المصدرية في محل الرفع فاعل ﴿أَغْنَىٰ﴾: تقديره: ما أغنى عنهم تمتعهم، أو ﴿مَّا﴾ الموصولة في محل الرفع فاعل ﴿أَغْنَىٰ﴾؛ أي: ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون به، وجملة ﴿أَغْنَىٰ﴾ في محل النصب مفعول ثان لـ﴿أرأيت﴾: لأنها جملة استفهامية، وهذا كله مفهوم مما تقدم في سورة الأنعام مبسوطاً في قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ...﴾ إلخ. ﴿وَمَآ﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿مَآ﴾: نافية. ﴿أَهْلَكْنَا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿مِن قَرْيَةٍ﴾: مفعول به لـ﴿أَهْلَكْنَا﴾. و﴿مِن﴾: زائدة. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿لَهَا﴾: خبر مقدم. ﴿مُنذِرُونَ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة في محل النصب صفة لـ﴿قَرْيَةٍ﴾، أو حال منها، وسوغ مجيء الحال منها سبق النفي. ﴿ذِكْرَىٰ﴾: مفعول لأجله لـ﴿مُنذِرُونَ﴾ منصوب به؛ أي: ينذرونهم؛ لأجل تذكير العواقب والموعظة، أو مصدر معنوي لـ﴿ٱلْمُنذِرِينَ﴾ منصوب به؛ أي: أي إلا لها مذكرون ذكرى، وأعربها الكسائي حالاً؛ أي: حال كونهم مذكرين لها. ﴿وَمَا﴾:

﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾: فعل ناقص واسمه وخبره، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا﴾.

﴿وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾.

﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿تَنَزَّلَتۡ﴾: فعل ماض. ﴿بِهِ﴾: متعلق بـ﴿تَنَزَّلَتۡ﴾. ﴿ٱلشَّيَٰطِينُ﴾: فاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا﴾. ﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿يَنۢبَغِي﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير مستتر يعود على القرآن. ﴿لَهُمۡ﴾: متعلق بـ﴿يَنۢبَغِي﴾، والجملة معطوفة على الجملة التي قبلها. ﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿يَسۡتَطِيعُونَ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿تَنَزَّلَتۡ﴾. ﴿إِنَّهُمۡ﴾: ناصب واسمه. ﴿عَنِ ٱلسَّمۡعِ﴾: متعلق بـ﴿معزولون﴾، ﴿لَمَعۡزُولُونَ﴾ و﴿اللام﴾: حرف ابتداء، ﴿معزولون﴾: خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل عدم استطاعتهم. ﴿فَلَا﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفت أحوال الكفار، وأردت بيان ما هو اللازم لك.. فأقول لا تدع. ﴿لا﴾: ناهية جازمة. ﴿تَدۡعُ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية، وفاعله ضمير يعود على محمد. ﴿مَعَ ٱللَّهِ﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بمحذوف حال من ﴿إِلَٰهًا﴾؛ لأنه صفة نكرة قدمت عليها. ﴿إِلَٰهًا﴾: مفعول به. ﴿ءَاخَرَ﴾: صفة ﴿إِلَٰهًا﴾، وجملة ﴿تَدۡعُ﴾ في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة. ﴿فَتَكُونَ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة سببية، ﴿تكون﴾: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد الفاء السببية الواقعة في جواب النهي، واسمها ضمير يعود على محمد. ﴿مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ﴾: خبرها، وجملة ﴿تكون﴾ مع أن المضمرة في تأويل مصدر معطوف على مصدر متصيد من الجملة التي قبلها من غير سابك لإصلاح المعنى، تقديره: لا يكن دعاؤك إلهاً آخر فكونك من المعذبين.

﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾.

﴿وَأَنذِرۡ﴾: فعل أمر، وفاعل مستتر يعود على محمد معطوف على قوله:

﴿فَلَا تَدْعُ﴾. ﴿عَشِيرَتَكَ﴾: مفعول به. ﴿ٱلْأَقْرَبِينَ﴾: صفة لـ﴿عَشِيرَتَكَ﴾. ﴿وَٱخْفِضْ﴾: فعل أمر، وفاعل مستتر معطوف عليه أيضاً. ﴿جَنَاحَكَ﴾: مفعول به. ﴿لِمَنِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿اخفض﴾. ﴿ٱتَّبَعَكَ﴾: فعل ومفعول به، وفاعل مستتر يعود على ﴿مَنْ﴾ الموصولة، والجملة صلة ﴿مَنْ﴾ الموصولة. ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ حال من الضمير المستتر في ﴿ٱتَّبَعَكَ﴾.

﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾.

﴿فَإِنْ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا امتثلت ما أمرتك به، وأردت بيان ما هو اللازم لك إذا خالفوك.. فأقول لك: إن عصوك. ﴿إن﴾: حرف شرط. ﴿عَصَوْكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونه فعل شرط لها. ﴿فَقُلْ﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة الجواب، ﴿قل﴾: فعل أمر وفاعل مستتر يعود على محمد، والجملة في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونها جواباً لها، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة. ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ﴾: ناصب واسمه وخبره. ﴿مِّمَّا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿بَرِيٓءٌ﴾، وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول لـ﴿قل﴾. ﴿تَعْمَلُونَ﴾: فعل وفاعل صلة لـ﴿ما﴾ الموصولة، والعائد محذوف، تقديره: مما تعملونه. ﴿وَتَوَكَّلْ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿توكل﴾: فعل أفعل، وفاعل مستتر يعود على محمد معطوف على الجواب؛ أي: على جملة ﴿فَقُلْ﴾. ﴿عَلَى ٱلْعَزِيزِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿توكل﴾. ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾: صفة لـ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾. ﴿ٱلَّذِى﴾: صفة ثانية لـ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾. ﴿يَرَىٰكَ﴾: فعل ومفعول به، وفاعل مستتر يعود على محمد، والجملة صلة الموصول. ﴿حِينَ﴾: ظرف متعلق بـ﴿يَرَىٰكَ﴾. ﴿تَقُومُ﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر يعود على محمد، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ﴿حِينَ﴾، ﴿وَتَقَلُّبَكَ﴾: معطوف على الكاف في ﴿يَرَىٰكَ﴾. ﴿فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾: حال من كاف ﴿تقلبك﴾، و﴿فِى﴾ بمعنى مع؛ أي: حالة كونك مصلياً مع الجماعة. ﴿إِنَّهُۥ﴾:

ناصب واسمه. ﴿هُوَ﴾: ضمير فصل. ﴿السَّمِيعُ﴾: خبره. ﴿الْعَلِيمُ﴾: خبر ثان له، وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾.

﴿هَلْ﴾: حرف استفهام. ﴿أُنَبِّئُكُمْ﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر يعود على الله، أو على محمد إن قدرنا القول، و﴿الكاف﴾: في محل النصب مفعول أول. ﴿عَلَىٰ﴾: حرف جر. ﴿مَن﴾: اسم استفهام في محل الجر بـ﴿عَلَىٰ﴾، الجار والمجرور متعلق بـ﴿تَنَزَّلُ﴾، وإنما قدم؛ لأن له صدر الكلام، وهو معلق ما قبله من التنبئة عن العمل فيما بعده. ﴿تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾: فعل وفاعل، وجملة ﴿تَنَزَّلُ﴾ في محل النصب ساد مسد المفعول الثاني والثالث إن جعل ﴿أُنَبِّئُكُمْ﴾ متعدياً لثلاثة، ومسد الثاني فقط إن جعل متعدياً لإثنين. ﴿تَنَزَّلُ﴾: فعل مضارع، وهو على حذف إحدى التاءين، وفاعله ضمير يعود على ﴿الشَّيَاطِينُ﴾. ﴿عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿تَنَزَّلُ﴾. ﴿أَثِيمٍ﴾: صفة ﴿أَفَّاكٍ﴾، والجملة الفعلية مستأنفة مسوقة لبيان المستفهم عنه. ﴿يُلْقُونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿السَّمْعَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل النصب حال من ﴿الشَّيَاطِينُ﴾، إن قلنا: إن ﴿الواو﴾ في ﴿يُلْقُونَ﴾ يعود على ﴿الشَّيَاطِينُ﴾، أو الجملة مستأنفة، أو صفة لـ﴿كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾، إن قلنا: إن ﴿الواو﴾ تعود على ﴿كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾. ﴿وَأَكْثَرُهُمْ﴾: ﴿الواو﴾: حالية. ﴿أكثرهم كاذبون﴾: مبتدأ وخبر، والجملة في محل النصب حال من واو ﴿يُلْقُونَ﴾.

﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾.

﴿وَالشُّعَرَاءُ﴾: مبتدأ. ﴿يَتَّبِعُهُمُ﴾: فعل ومفعول به. ﴿الْغَاوُونَ﴾: فاعل، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة مستأنفة. ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام التقريري، ﴿لم﴾: حرف جزم. ﴿تَرَ﴾: فعل مضارع

مجزوم بـ﴿لم﴾، وفاعله ضمير مستتر يعود على محمد، والجملة الفعلية جملة مفسرة لما قبلها، لا محل لها من الإعراب ﴿أَنَّهُمْ﴾: ناصب واسمه. ﴿فِي كُلِّ وَادٍ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿يَهِيمُونَ﴾، وجملة ﴿يَهِيمُونَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿أَنَّ﴾، وجملة ﴿أن﴾ من اسمها وخبرها في تأويل مصدر ساد مسد مفعولي ﴿تَرَ﴾ تقديره: ألم تر هيامهم في كل واحد، وفن من فنون القيل والقال. ﴿وَأَنَّهُمْ﴾: ناصب واسمه، وجملة ﴿يَقُولُونَ﴾: في محل الرفع خبر ﴿أن﴾، وجملة ﴿أن﴾ معطوفة على جملة ﴿أن﴾ الأولى. ﴿مَا﴾: اسم موصول في محل النصب مفعول ﴿يَقُولُونَ﴾، ﴿لَا﴾: نافية، وجملة ﴿يَفْعَلُونَ﴾ صلة الموصول، والعائد محذوف تقديره: يفعلونه. ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء. ﴿الَّذِينَ﴾: مستثنى من ﴿الشعراء﴾ المذمومين. ﴿ءَامَنُوا﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: فعل وفاعل ومفعول به معطوف على ﴿ءَامَنُوا﴾. ﴿وَذَكَرُوا اللَّهَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به معطوف على ﴿ءَامَنُوا﴾. ﴿كَثِيرًا﴾: منصوب على المفعولية المطلقة؛ لأنه صفة لمصدر محذوف؛ أي: ذكراً كثيراً، أو منصوب على الظرفية الزمانية؛ لأنه صفة لظرف محذوف؛ أي: وقتاً كثيراً. ﴿وَانتَصَرُوا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿ءَامَنُوا﴾. ﴿مِنْ بَعْدِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿انتصروا﴾. ﴿مَا﴾: مصدرية. ﴿ظُلِمُوا﴾: فعل ونائب فاعل، والجملة في تأويل مصدر مجرور بإضافة الظرف إليه؛ أي: من بعد ظلمهم. ﴿وَسَيَعْلَمُ﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية، والسين حرف استقبال. ﴿يعلم الذين﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿ظَلَمُوا﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿أَيَّ مُنقَلَبٍ﴾: منصوب على المفعولية المطلقة بـ﴿ينقلبون﴾؛ أي: ينقلبون أي انقلاب؛ لأن أياً تعرب بحسب ما تضاف إليه، وقد علقت ﴿يعلم﴾ عن العمل فيما بعدها، والناصب لـ﴿أَيَّ﴾ ﴿يَنقَلِبُونَ﴾، كما بينا، وقدم عليه لتضمنه معنى الاستفهام. وأسماء الاستفهام لا يعمل فيها ما قبلها للزومها الصدارة. قال النحاس: وحقيقة القول في ذلك أن الاستفهام معنى، وما قبله معنى آخر، فلو عمل فيه لدخل بعض المعاني في بعض، «اهـ. ﴿يَنقَلِبُونَ﴾: فعل وفاعل، وجملة ﴿يَنقَلِبُونَ﴾ في محل النصب ساد مسد مفعولي ﴿يعلم﴾.

التصريف ومفردات اللغة

﴿لَتَنزِيلُ﴾: مصدر نزل المضعف، بمعنى اسم المفعول، سمي به مبالغة، وصيغة التفعيل فيه تدل على أن نزوله كان بالدفعات في مدة ثلاث وعشرين سنة، كما مر في مبحث التفسير.

﴿ٱلۡأَمِينُ﴾: صفة مشبهة من أمن، فهو أمن من باب فعل المكسور اللازم إذا اتصف بالأمانة. والأمانة ضد الخيانة؛ لأنه أمين على وحيه تعالى وموصله إلى من شاء من عباده.

﴿عَلَىٰ قَلۡبِكَ﴾؛ أي: على روحك؛ لأنه المدرك والمكلف دون الجسد. وفي «الفتوحات»: إن أريد بالقلب الروح فظاهر، وإن أريد به العضو فتخصيصه؛ لأن المعاني الروحانية إنما تنزل أولاً على الروح، ثم تنتقل منه إلى القلب لما بينهما من التعلق، ثم تصعد منه إلى الدماغ، فتنتعش بها المتخيلة.

وفي «الكرخي» قوله: ﴿عَلَىٰ قَلۡبِكَ﴾ خصه بالذكر، وهو إنما أنزل عليه ليؤكد أن ذلك المنزل محفوظ، والرسول متمكن من قلبه، لا يجوز عليه التغير، ولأن القلب هو المخاطب حقيقة؛ لأنه موضع التميز والاختيار.

والقلب في الأصل لحمة صنوبرية الشكل؛ أي: التي شكلها كشكل الصنوبر، وهو شجر ينبت في البرية دقيق أحد الطرفين غليظ الآخر مع نوع استدارة كقمع السكر، فهذه اللحمة على شكله، فهي دقيقة أحد الطرفين غليظة الآخر مع نوع استدارة كقمع السكر، كما يشاهد ذلك في قلب الدجاجة وغيرها، لكن هنا بمعنى اللطيفة الربانية التي تسمى روحاً ونفساً، لا بمعنى اللحمة الصنوبرية، اهـ. من «البيجوري على السلم» في المنطق.

﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ﴾ اللسان في الأصل الجارحة المعروفة، ولكن المراد بها هنا معنى اللغة؛ لأنها آلة التلفظ بها. ﴿لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: جمع زبور بمعنى الكتاب، مثل رسل ورسول؛ أي: لفي الكتب المتقدمة.

﴿عَلَىٰ بَعۡضِ ٱلۡأَعۡجَمِينَ﴾ قال صاحب «التحرير»: الأعجمين جمع أعجمي،

ولولا هذا التقدير لم يجز أن يجمع جمع سلامة. قلت: وكأن سبب منع جمعه أنه من باب أفعل فعلاء، كأحمر حمراء، والبصريون لا يجيزون جمعه جمع سلامة إلا ضرورة، وقد جعله ابن عطية جمع أعجم، فقال: الأعجمون جمع أعجم، وهو الذي لا يفصح وإن كان عربي النسب، يقال له: أعجم، والأعجمي هو الذي نسبه في العجم، وإن كان فصيح اللسان. وقال الزمخشري: الأعجم الذي لا يفصح، وفي لسانه عجمة أو استعجام، والأعجمي مثله، إلا أن فيه زيادة بياء النسب توكيداً، اهـ من «السمين».

﴿سَلَكۡنَٰهُ﴾؛ أي: أدخلنا تكذيب القرآن، أو معرفة معانيه وإعجازه.

﴿هَلۡ نَحۡنُ مُنظَرُونَ﴾: اسم مفعول من الإنظار، والإنظار: التأخير والإمهال؛ أي: هل نحن مؤخرون لنؤمن ونصدق.

﴿يَسۡتَعۡجِلُونَ﴾ الاستعجال: طلب عجلة العذاب. ﴿مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ من الإيعاد. والإيعاد: التخويف بالعذاب. ﴿ذِكۡرَىٰ﴾؛ أي: تذكرة وعبرة وموعظة لغيرهم. ﴿وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾﴾ يقال: تنزل إذا نزل في مهلة.

﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ﴾؛ أي: وما يصح وما يستقيم، وما يتيسر لهم أن ينزلوا بالقرآن من السماء. ﴿وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾؛ أي: وما يقدرون على ذلك. ﴿إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ﴾؛ أي: عن استماع الوحي أصلاً من أول الأمر، أو عن استماع خبر السماء. ﴿لَمَعۡزُولُونَ﴾؛ أي: لممنوعون بالشهب بعد أن كانوا ممكنين من استماع خبر السماء لا الوحي.

﴿عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ العشيرة: أهل الرجل الذي يتكثر بهم؛ أي: يصيرون له بمنزلة العدد الكامل، وذلك أن العشيرة هو العدد الكامل، فصارت العشيرة اسماً لكل جماعة من أقارب الرجل يتكثر بهم، والعشير: المعاشر قريباً كان أو مقارناً، كذا في «المفردات».

﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ﴾ والخفض ضد الرفع والدعة، والسير اللين. ﴿عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ مضارع تنزل من باب تفعل، أصله: تتنزل، حذفت منه إحدى التائين.

﴿عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ﴾؛ أي: كثير الإفك والكذب. قال الراغب: الإفك: كل مصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه. ﴿أَثِيمٍ﴾؛ أي: كثير الإثم، وهو اسم للأفعال المبطئة عن الثواب.

﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ﴾، أصله: يلقيون السمع، من ألقى الرباعي استثقلت الضمة على الياء، ثم نقلت إلى ما قبلها، فالتقى ساكنان الياء والواو، ثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين، لأنها جزء كلمة، وحذفها أولى من حذف كلمة مستقلة.

﴿وَٱلشُّعَرَآءُ﴾: جمع شاعر، كعلماء جمع عالم قال: في «المفردات»: شعرت: أصبت الشعر، ومنه استعير شعرت كذا؛ أي: علمته في الدقة كإصابة الشعر. قيل: وسمي الشاعر شاعراً لفطنته ودقة معرفته، فالشعر في الأصل اسم للعلم الدقيق في قولهم ليت شعري، وصار في التعارف اسماً للموزون المقفى من الكلام على تفاعيل أجزاء العروضيين، والشاعر: المختص بصناعته.

﴿يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾: جمع غاو، كقاضون جمع قاض، وهم الضالون المائلون عن السنن القويم. ﴿فِى كُلِّ وَادٍ﴾ قال الراغب: أصل الوادي الموضع الذي يسيل فيه الماء، ومنه سمي المنفرج بين الجبلين وادياً، ويستعار للطريقة كالمذهب والأسلوب، فيقال: فلان في واد غير واديك.

﴿يَهِيمُونَ﴾؛ أي: يسيرون سير البهائم حائرين، لا يهتدون إلى شيء، يقال: هام على وجهه من باب باع يهيم هيماً وهيوماً وهياماً وهيماناً وتهياماً إذا ذهب وهو لا يدري أين يتوجه؛ أي: يذهبون على وجوههم لا يهتدون إلى سبيل معين، بل يتحيرون في أودية القيل والقال، يعني أساليب الكلام من المدح والهجاء والجدل والغزل وغير ذلك من الأنواع؛ أي: في كل نوع من الكلام يغلون. قال في «الوسيط»: فالوادي مثل لفنون الكلام، وهيمانهم فيه قولهم على الجهل بما يقولون من لغو وباطل وغلو في مدح أو ذم، اهـ.

﴿وَٱنتَصَرُوا۟﴾ والانتصار: الانتقام ممن ظلمك.. ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ والظلم هو: الانحراف عن العدالة، والعدول عن الحق الجاري مجرى النقطة من الدائرة. ﴿أَىَّ مُنقَلَبٍ﴾ والمنقلب: المرجع؛ وهو مصدر ميمي بمعنى الانقلاب؛

أي: الرجوع.

فائدة: والظلمة ثلاثة أقسام: الظالم الأعظم: وهو الذي لا يدخل تحت شريعة الله، وإياه قصد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

والأوسط هو الذي لا يلزم حكم السلطان، والأصغر هو الذي يتعطل عن المكاسب والأعمال، فيأخذ منافع الناس، ولا يعطيهم منفعته.

ومن فضيلة العدالة أن الجور الذي هو ضدها لا يثبت إلا بها، فلو أن لصوصاً تشارطوا فيما بينهم شرطاً فلم يراعوا العدالة فيه، ولم ينتظم أمرهم، فعلى العاقل أن يصيخ إلى الوعيد والتهديد الأكيد، فيرجع عن الظلم والجور، وإن كان عادلاً فنعوذ بالله من الحور بعد الكور. والله المعين لكل سالك، والمنجي في المسالك من المهالك. اهـ «روح».

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: التأكيد بمؤكدات ثلاث؛ بإن وباللام واسمية الجملة، في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾﴾؛ لأن الكلام مع المتشككين في صحة القرآن، فناسب تأكيده بأنواع من المؤكدات.

ومنها: المجاز المرسل في قوله: ﴿بِلِسَانٍ﴾ ففيه إطلاق آلة الشيء؛ لأن اللسان هنا بمعنى اللغة؛ لأنه آلة التلفظ بها.

ومنها: الاكتفاء في قوله: ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾؛ أي: والمبشرين، وهو ذكر أحد المتقابلين وحذف الآخر لدلالة المذكور على المحذوف، واختير ذكر الإنذار وحذف مقابله دون العكس؛ لأن باب التخلية بالخاء المعجمة مقدم على باب التحلية بالحاء المهملة.

ومنها: الإيجاز بالحذف في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾﴾؛ أي: وإن

ذكر القرآن لا عينه.

ومنها: الاستفهام التقريري في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾.

ومنها: جناس الاشتقاق في قوله: ﴿أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟﴾.

ومنها: الاستفهام التوبيخي في قوله: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾.

ومنها: المجاز المرسل في قوله: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ من إطلاق المحل وإرادة الحال؛ أي: أهلها.

ومنها: بيان كمال نزاهته بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره منه من الظلم في قوله: ﴿وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾؛ إذ هلاكهم قبل الإنذار ليس بظلم أصلاً.

ومنها: التهييج والإلهاب في قوله: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ الخطاب للرسول بطريق التهييج لزيادة إخلاصه وتقواه.

ومنها: الاستعارة التصريحية التبعية في قوله: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ لأنه مستعار من خفض الطائر جناحه إذا أراد أن ينحط. فشبه التواضع ولين الأطراف والجوانب عند مصاحبة الأقارب والأجانب بخفض الطائر جناحه؛ أي: كسره عند إرادة الانحطاط، فأطلق على المشبه اسم الخفض بطريق الاستعارة التصريحية، فاشتق منه خفض بمعنى: ألان على طريقة التبعية.

ومنها: صيغتا المبالغة في قوله: ﴿عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾؛ لأن فعالاً وفعيلاً من صيغ المبالغة؛ أي: كثير الكذب، كثير الفجور.

ومنها: الطباق بين ﴿يَقُولُونَ﴾ و﴿يَفْعَلُونَ﴾، وبين ﴿وَٱنتَصَرُوا۟﴾. و ﴿ظُلِمُوا۟﴾.

ومنها: الاستعارة التمثيلية البديعة في قوله: ﴿فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ شبه جولانهم في أفانين القول بطريق المدح والذم والتشبب وأنواع الشعر، وضلالهم عن سنن الهدى بهيام الهائم في الصحراء الذي هام في مقصده، وخبط في طريقه، ولا يقصد موضعاً معيناً، فهو لا يدري أين يذهب. وهذا من ألطف

الاستعارات ومن أرشقها وأبدعها.

ومنها: جناس الاشتقاق في قوله: ﴿أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾.

ومنها: مراعاة الفواصل؛ لأنها تزيد في جمال الكلام ورونقه مثل ﴿يَهِيمُونَ﴾ ﴿يَنقَلِبُونَ﴾ - ﴿يَقُولُونَ﴾ - ﴿مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

وحكي أن عمر بن عبد العزيز كان إذا أصبح أمسك بلحيته، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾، ثم بكى وهو ينشد:

نَهَارُكَ يَا مَغْرُورُ سَهْوٌ وَغَفْلَةٌ ... وَلَيْلُكَ نَوْمٌ وَٱلرَّدَىٰ لَكَ لَازِمُ
تُسَرُّ بِمَا يَفْنَىٰ وَتَفْرَحُ بِٱلْمُنَىٰ ... كَمَا سُرَّ بِاللَّذَّاتِ فِيْ النَّوْمِ حَالِمُ
وَتَسْعَىٰ إِلَىٰ مَا سَوْفَ تَكْرَهُ غِبَّهُ ... كَذَلِكَ فِيْ ٱلدُّنْيَا تَعِيْشُ ٱلْبَهَائِمُ

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

خلاصة ما حوته هذه السورة

١. مقدمة في تسلية الرسول ﷺ على إعراض قومه عن الدين، وبيان أنهم ليسوا ببدع في الأمم، وأنه ﷺ ليس بأول الرسل الذين كذبوا، وأن الله قادر على إنزال القوارع التي تلجئهم إلى الايمان، ولكن جرت سنته أن يجعل الإيمان في القلوب اختيارياً لا اضطرارياً.

٢. الاستدلال بخلق النبات، وأطواره المختلفة، وأشكاله المنوعة على وجود الإله ووحدانيته.

٣. قصص الأنبياء مع أممهم؛ لما فيه من العبرة لأولئك المكذبين.

٤. إثبات أن القرآن وحي من رب العالمين، لا كلام تنزل به الشياطين.

٥. بيان أن محمداً ﷺ ليس بكاهن ولا بشاعر.

٦. التهديد والوعيد لمن يعبد مع الله سواه من الأصنام والأوثان، ويكذب بالرسول والنور الذي أنزل معه(١).

والله أعلم

* * *

---

(١) إلى هنا تم تفسير سورة الشعراء، فللّه الحمد والشكر حمداً كثيراً طيباً مباركاً يوافي نعمه ويكافىء مزيده، في تاريخ ٢٤/ ٣/ ١٤١٣ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية.

سورة النمل

سورة النمل مكية، قال القرطبي[1]: وهي مكية كلها في قول الجميع. وأخرج ابن الضريسي والنحاس وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عباس قال: أنزلت سورة النمل بمكة. وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله.

وهي أربعة وتسعون آية، وقيل: ثلاث وتسعون آية، وألف مئة وتسع وأربعون كلمة، وأربعة آلاف وسبع مئة وسبع وستون حرفاً.

الناسخ والمنسوخ: جميع السورة[2] محكم غير آية واحدة؛ وهي قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا الْقُرْءَانَ...﴾ الآية (٢٧) نسخت بآية السيف، وقد اشتملت هذه السورة على خمس قصص؛ الأولى: قصة موسى مع فرعون، الثانية: قصة النمل، الثالثة: قصة بلقيس، الرابعة: قصة صالح مع قومه، الخامسة: قصة لوط مع قومه، وما بقي منها حكم ومواعظ.

التسمية: وأمَّا تسميتها بسورة النمل فلذكر النمل فيها.

المناسبة: ومناسبتها لِمَا قبلها من وجوه[3]:

أولاً - أنها كالتتمة لها؛ إذ جاء فيها زيادة على ما تقدم من قصص الأنبياء قصص داود وسليمان.

ثانياً - أن فيها تفصيلاً وبسطاً لبعض القصص السالفة كقصص لوط وموسى عليهما السلام.

ثالثاً - أن كلتيهما قد اشتمل على نعت القرآن، وأنه منزل من عند الله.

---

(١) القرطبي.

(٢) الناسخ والمنسوخ.

(٣) المراغي.

رابعاً ـ تسلية رسوله ﷺ على ما يلقاه من أذى قومه وعنتهم وإصرارهم على الكفر به والإعراض عنه.

وقال أبو حيان: مناسبة أول هذه السورة لآخر ما قبلها واضحة[1]؛ لأنه قال في السابقة: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾﴾ وقبله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾﴾، وقال هنا: ﴿طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ﴾؛ أي: الذي هو تنزيل رب العالمين.

والله أعلم

* * *

---

(١) البحر المحيط.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ
ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ
فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى
ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم
بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ
ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا
وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي
غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١﴾ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ
كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ
أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ وَقَالَا
ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ
عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ
ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ
مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ
أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي
بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ
ٱلۡغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيۡرَ
بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۢ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ
وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ
وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِۤ ٱلَّذِي
يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ

ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَـٰبِى هَـٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَـٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَـٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر[1] أن المؤمنين يزيدهم القرآن هدى وبشرى؛ إذ هم به يستمسكون ويؤدون ما شرع من الأحكام على أتم الوجوه.. أردف هذا ببيان أن من لا يؤمن بالآخرة يتمادى في غيه، ويعرض عن القرآن أشد الإعراض، ومن ثم تراه حائراً متردداً في ضلاله فهو في عذاب شديد في دنياه؛ لتبلبله وقلقه واضطراب نفسه، وفي الآخرة له أشد الخسران؛ لما يلحقه من النكال والوبال والحرمان من الثواب والنعيم الذي يتمتع به المؤمنون.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾﴾ مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الله سبحانه لما وصف القرآن بأنه هدى وبشرى للمؤمنين، وأن من أعرض عنه كان له الخسران المبين.. أردف بذكر حال المنزل عليه وهو الرسول ﷺ مخاطباً له.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى، لما ذكر قصص موسى عليه السلام تقريراً لما قبله ببيان أنه تلقاه من لدن حكيم عليم.. أردفه قصص داود وسليمان عليهما السلام، وذكر أنه آتى كلاً منهما طائفة من علوم الدين والدنيا، فعلم داود صنعة الدروع ولبوس الحرب، وعلم سليمان منطق الطير، ثم بين أن سليمان طلب من ربه أن يوفقه إلى شكر نعمه عليه وعلى والديه، وأن يمكنه من العمل الصالح وأن يدخله جنات النعيم.

---

(١) المراغي.

قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه، لما ذكر في[1] سابق الآيات أنه سخر لسليمان الجن والإنس والطير، وجعلهم جنوداً له.. ذكر هنا أنه احتاج إلى جندي من جنوده؛ وهو الهدهد، فبحث عنه فلم يجده، فتوعده بالعذاب أو القتل إلا إذا أبدى له عذراً يبرئه، فحضر بعد قليل وقص عليه خبر مملكة باليمن من أغنى الممالك وأقواها، تحكمها امرأة هي بلقيس ملكة سبأ، ووصف له ما لها من جلال الملك وأبهته، وأنها وقومها يعبدون الشمس لا خالق الشمس العليم بكلِّ شيء في السموات والأرض، والعليم بما نخفي وما نعلن، والعليم بالسر والنجوى، وهو رب العرش العظيم.

قوله تعالى: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى، لما ذكر أن الهدهد أبدى المعاذير لتبرئة نفسه.. أردف ذلك بإجابة سليمان عن مقالة الهدهد، ثم أمره بتبليغ كتاب منه إلى ملكة سبأ، والتنحي جانباً ليستمع ما يدور من الحديث بينها وبين خاصَّتها.

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه، لما ذكر فيما سلف أن الهدهد حينما ألقى الكتاب أحضرت بطانتها وأولي الرأي لديها، وقرأت عليهم نص الكتاب.. بين هنا أنها طلبت إليهم إبداء آرائهم فيما عرض عليهم من هذا الخطب المدلهم والحادث الجلل حتى ينجلي لهم صواب الرأي فيما تعمل ويعملون؛ لأنها لا تريد أن تشيد بالأمر وحدها، فقلبوا وجوه الرأي واشتد الحوار بينهم، وكانت خاتمة المطاف أن قالوا: الرأي لَدَيْنَا القتال، فإنا قوم أولو بأسٍ ونجدةٍ، والأمر مفوض إليك فافعلي ما بدا لك، وقالت: إني أرى أن عاقبة الحرب الدمار والخراب وصيرورة العزيز ذليلاً، وإني أرى أن نهاديه ونرسل إليه بهدية، ثم ننظر ماذا يكون رده عَلَّه

(١) المراغي.

يقبل ذلك منا ويكف عنا، أو يضرب علينا خراجاً نحمله إليه كل عام ونلتزم ذلك، وبذلك يترك قتالنا وحربنا.

التفسير وأوجه القراءة

﴿طسٓ﴾؛ أي: هذه طس؛ أي: هذه السورة مسماة به، وقد مر الكلام مفصلاً في فواتح السور أنها إن كانت اسماً للسورة، فمحلها الرفع على أنها خبر مبتدأ كما قدرنا، أو على أنها مبتدأ خبرها ما بعدها، وإن لم تكن هذه الحروف اسماً للسورة بل مسرودة على نمط التعديد، فلا محل لها من الإعراب، وقد مر أيضاً أن القول الأسلم في تفسيرها أن يقال: الله أعلم بمراده بذلك. وقيل[1]: الطاء من اللطيف، والسين من السميع، حكاه الثعلبي، وقيل: ﴿الطاء﴾: إشارة إلى طوله؛ أي: فضله، و﴿السين﴾: إلى سنائه؛ أي: علوه.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير بطائه إلى طيب قلوب محبيه، وبالسين إلى سر بينه وبين قلوب محبيه، لا يسعهم فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل. وقيل: إنه قسم أقسم الله به، وهو من أسمائه، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وفي رواية أخرى عنه قال: هو اسم الله الأعظم، وفي «كشف الأسرار»: ﴿الطاء﴾: إشارة إلى طهارة قدسه، و﴿السين﴾ إشارة إلى سناء عزه. يقول تعالى بطهارة قدسي وسناء عزي: لا أخيب أمل من أمل لطفي، انتهى. وقيل غير ذلك، والله أعلم بأسرار كتابه.

﴿تِلْكَ﴾؛ أي[2]: هذه السورة العظيمة الشأن، أو آيات هذه السورة. ﴿ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ﴾؛ أي: بعض آيات القرآن المعروف بعلو الشأن، والإشارة بـ﴿تِلْكَ﴾ إلى السورة المترجم عنها باسم خاص، والإتيان بإشارة البعيد؛ لتنزيل البعد الرتبي منزلة البعد الحسي، والقرآن عبارة عن جميع القرآن، أو عن جيمع المنزل عند نزول هذه السورة؛ إذ هو المتسارع إلى الفهم حينئذ عند الإطلاق.

---

(١) زاد المسير.
(٢) روح البيان.

﴿وَكِتَابٍ﴾؛ أي: وآيات من كتاب عظيم الشأن. ﴿مُّبِينٍ﴾؛ أي: مظهر لما في تضاعيفه من الحكم والأحكام وأحوال الآخرة التي من جملتها الثواب والعقاب، إن قلنا: إنه من أبان بمعنى أظهر، أو ظاهر إعجازه وصحته، على أنه من أبان بمعنى بان؛ أي: ظهر، وعطفه على القرآن كعطف إحدى الصفتين على الأخرى، مثل غافر الذنب وقابل التوب.

أي: هذه السورة آيات الكلام الجامع بين القرآنية والكتابية، وكونه قرآناً من جهة أنه يقرأ، وكونه كتاباً بسبب أنه يكتب، وقدم الوصف الأول؛ لتقدم القرآنية على حال الكتابية، وأخّره في سورة الحجر حيث قال: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ۝١﴾ نظراً إلى حالته التي قد صار عليها، فإنه مكتوب والكتابة سبب القراءة، وقيل: نظراً إلى أن الإشارة إلى امتيازه عن سائر الكتب بعد التنبيه على انطوائه على كمالات غيره من الكتب أدخل في المدح، فإن وصفه بالكتابية مفصح عن اشتماله على صفة كمال الكتب الإلهية، فكأنه كلها.

وأما تعريف القرآن هنا[1] وتنكير الكتاب، وتعريف الكتاب في سورة الحجر وتنكير القرآن؛ فلصلاحية كل واحد منهما للتعريف والتنكير. وفي «كشف الأسرار»: القرآن والكتاب اسمان علمان للمنزل على محمد ﷺ، ووصفان لأنه يُقرأ ويُكتب، فحيث جاء بلفظ التعريف فهو العلم، وحيث جاء بلفظ النكرة فهو الوصف.

وقال شيخ الإسلام: إن قلت[2]: الكتاب المبين هو القرآن، فكيف عطفه عليه من أن العطف يقتضي المغايرة؟

قلتُ: المغايرة تصدق بالمغايرة لفظاً ومعنى، وباللفظ فقط، وهو هنا من الثاني، كما في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ﴾. أو المراد بالكتاب المبين هو اللوح المحفوظ، فهو هنا من الأول. فإن قلت: لم قدم القرآن هنا على الكتاب وعكس في الحجر؟

---

(١) شوكاني.
(٢) فتح الرحمن.

قلت: جرياً على قاعدة العرب في تفننهم في الكلام، انتهى.

وقال أبو حيان[1]: وأضاف الآيات إلى القرآن والكتاب المبين على سبيل التفخيم لها والتعظيم؛ لأن المضاف إلى العظيم عظيم، والكتاب المبين؛ إما اللوح المحفوظ وإبانته أنه قد خط فيه كل ما هو كائن فهو يبينه للناظرين، وإما السورة، وإما القرآن وإبانتهما أنهما يبينان ما أودعاه من العلوم والحكم والشرائع، وأن إعجازهما ظاهر مكشوف، ونكر ﴿وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾؛ ليبهم بالتنكير فيكون أفخم له، كقوله: ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾. وإذا أريد به القرآن فعطفه من عطف إحدى الصفتين على الأخرى؛ لتغايرهما في المدلول عليه بالصفة من حيث إن مدلول القرآن الاجتماع، ومدلول كتاب الكتابة، انتهى. ونظيره قولهم: هذا فعل السخي والجواد الكريم.

ومعنى الآية: أي إن[2] هذه الآيات التي أنزلتها إليك أيها الرسول لآيات القرآن وآيات كتاب بين واضح لمن تدبَّره، وفكَّر فيه أنه من عند الله سبحانه أنزله إليك، لم تتقوله أنت ولا أحد من خلقه؛ إذ لا يستطيع ذلك مخلوق ولو تظاهر معه الجن والإنس.

وقرأ الجمهور[3]: ﴿وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ بجر ﴿وَكِتَابٍ﴾ عطفاً على ﴿ٱلْقُرْءَانِ﴾؛ أي: تلك آيات القرآن وآيات كتاب مبين. وقرأ ابن أبي عبلة وأبو المتوكل وأبو عمران: ﴿وكتاب مبين﴾ بالرفع فيهما عطفاً على ﴿ءَايَٰتُ﴾، والأصل: وآيات كتاب، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، فأعرب بإعرابه حالة كون تلك الآيات. ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾؛ أي: هادية لهم ومبشرة لهم بالجنة، فأقيم المصدر مقام الفاعل؛ للمبالغة كأنها نفس الهدى والبشارة.

ومعنى هدايتها لهم وهم مهتدون أنَّها تزيدهم هدى، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾، وأما معنى تبشيرها إياهم فظاهر؛ لأنها تبشرهم

---

(١) البحر المحيط.
(٢) المراغي.
(٣) زاد المسير والبحر المحيط.

برحمة من الله ورضوان، وخصهم بالذكر لانتفاعهم بها. فـ﴿هُدًى﴾ و﴿بشرى﴾ إما حالان من ﴿الآيات﴾، أو من الكتاب، كما فسرنا، ويجوز أن يكونا خبرين آخرين لـ﴿تِلْكَ﴾، أو هما مصدران منصوبان بفعل مقدر؛ أي: يهدي هدى ويبشر بشرى.

ثم وصف المؤمنين الذين لهم الهدى والبشرى، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾؛ أي: يؤدون الصلوات الخمس بأركانها وشرائطها في مواقيتها. ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾؛ أي: يعطون الصدقة المفروضة للمستحقين. وتخصيص[1] الصلاة والزكاة بالذكر؛ لأنهما قرينتا الإيمان، وقطرا العبادات البدنية والمالية، مستتبعان لسائر الأعمال الصالحة، والموصول في محل جر صفة لـ﴿لمؤمنين﴾، أو بدل، أو عطف بيان منه، أو منصوب على المدح، أو مرفوع على تقدير مبتدأ. وجملة قوله: ﴿وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ في محل النصب حال من ﴿الواو﴾ في الصلة، فهي من تتمة الصلة؛ أي: الذين[2] يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، والحال أنهم يصدقون بالآخرة بأنها آتية مع ما فيها، ويعلمونها علماً يقيناً لا شك فيه، فإن تحمل مشاق العبادات إنما يكون لخوف العاقبة والوقوف على المحاسبة. وكرر[3] الضمير للدلالة على الحصر، كأنه قيل: أي: لا يوقن بالأخرة حق الإيقان إلا هؤلاء الجامعون بين الإيمان والعمل الصالح، لا من عداهم، وجعل الخبر مضارعاً؛ للدلالة على التجدد في كل وقت، وعدم الانقطاع.

وقال أبو حيان[4]: ولما كان إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة مما يتجدد ولا يستغرق إلا زمان.. جاءت الصلة فعلية، ولما كان الإيمان بالآخرة بما هو ثابت عندهم مستقر الديمومة.. جاءت الجملة اسمية، وأكد المسند إليه فيها بتكراره.

وفي «زاده» ولما كان[5] إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة مما يتكرر ويتجدد في

---

(١) روح البيان.
(٢) روح البيان.
(٣) الشوكاني.
(٤) البحر المحيط.
(٥) زاده.

أوقاتهما.. أتى بهما فعلين، ولمَّا كان الإيقان بالآخرة أمراً ثابتاً مطلوباً دوامه.. أتى به جملة اسمية، وجعل خبرها مضارعاً؛ للدلالة على أن إيقانهم يستمر على سبيل التجدد. اهـ.

ومعنى الآية: أي[1] إن المؤمنين حق الإيمان هم الذين يعملون الصالحات، فيقيمون الصلاة المفروضة على أكمل وجوهها، ويؤدون الزكاة التي تطهر أموالهم وأنفسهم من الأرجاس، ويوقنون بالمعاد إلى ربهم، وأن هناك يوماً يحاسبون فيه على أعمالهم خيرها وشرها، فيذلون أنفسهم في طاعته رجاء ثوابه، وخوف عقابه، وليسوا كأولئك المكذبين الذين لا يبالون أحسنوا أم أساؤوا، أطاعوا أم عصوا، لأنهم إن أحسنوا لا يرجون ثواباً وإن أساؤوا لم يخافوا عقابا.

ثم لما ذكر سبحانه أهل السعادة ذكر بعدهم أهل الشقاوة، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ ولا يصدقون بالبعث بعد الموت؛ وهم الكفار. ﴿زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ القبيحة حيث جعلناها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس، كما ينبىء عنه قوله عليه السلام: «حفَّت النار بالشهوات»؛ أي: جعلت محفوفة ومحاطة بالأمور المحبوبة المشتهاة.

واعلم[2]: أن كل مشيئة وتزيين وإضلال ونحو ذلك منسوبة إلى الله تعالى بالأصالة، وإلى غيره بالتبعية. وقال الزمخشري: فإن قلت: كيف أسند تزيين أعمالهم إلى ذاته هنا، وأسنده إلى الشيطان في قوله: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾؟.. قلت: بين الإسنادين فرق، وذلك أن اسناده إلى الشيطان حقيقة، وإسناده إلى الله مجاز. اهـ وهذا تأويل منه على طريق الاعتزال.

﴿فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ﴾؛ أي: يترددون في ضلالتهم، كما يكون حال الضال عن الطريق، وقيل: أي: يتحيرون ويترددون على التجدد والاستمرار في الاشتغال بها، والانهماك فيها من غير ملاحظة لما يتبعها من الضرر والعقوبة، لا يهتدون

---

(١) المراغي. (٢) روح البيان.

إلى طريقة ولا يقفون على حقيقة، والفاء لترتيب المسبب على السبب.

﴿أُولَٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بالكفر والعمه: مبتدأ، خبره ﴿ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾؛ أي: أشد العذاب وأقبحه في الدنيا، كالقتل والأسر يوم بدر، ووجه تخصيصه بعذاب الدنيا قوله بعده: ﴿وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾؛ أي: أشد الناس خسراناً وأعظمهم خيبة؛ لاشترائهم الضلالة بالهدى، فخسروا الجنة ونعيمها وحرموا النجاة من النار.

قال بعضهم[1]: واعلم أن أهل الدنيا في خسارة الآخرة، وأهل الآخرة في خسارة المولى، فمن لم يلتفت إلى الكونين ربح المولى. والمعنى: أي[2]: إن الذين لا يصدقون بالآخرة وقيام الساعة، والمعاد إلى الله بعد الموت، وبالثواب والعقاب.. حببنا إليهم قبيح أعمالهم، ومددنا لهم في غيهم، فهم في ضلالهم حيارى تائهون، يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، لا يفكرون في عقبى أمرهم، ولا ينظرون إلى ما يؤول إليه سلوكهم. قال الزجاج: أي: جعلنا جزاءهم على كفرهم أن زينا لهم ما هم فيه بأن جعلناه مشتهى بالطبع محبوباً إلى النفس، أولئك الموصوفون هم الذين لهم سوء العذاب في الدنيا بقتلهم وأسرهم حين قتال المؤمنين، كما وقع في بدر، وهم في الآخرة أعظم خسراناً مما هم فيه في الدنيا؛ لأن عذابهم فيها مستمر لا ينقطع، وعذابهم في الدنيا ليس بدائم، بل هو زائل لا بقاء له.

ثم مهد سبحانه مقدمة نافعة لما سيذكره بعد ذلك من الأخبار العجيبة، فقال ﴿وَإِنَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾؛ أي: لتعطى القرآن بطريق التلقية والتلقين. ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ﴾؛ أي: من عند رب حيكم فيما دبره لخلقه. ﴿عَلِيمٍ﴾ بأحوال خلقه؛ أي: تلقن القرآن من عند الله سبحانه وتعالى بواسطة جبريل، لا من عند نفسك، ولا من تلقاء غيرك، كما يزعم الكفار. و﴿لَّدُنْ﴾ بمعنى: عند، وتنوين[3]

---

(١) روح البيان.
(٢) المراغي.
(٣) روح البيان.

الاسمين للتعظيم؛ أي: من عند حكيم؛ أيّ: حكيم وعليم، أيّ عليم، وفي تفخيمهما تفخيم لشأن القرآن، وتنصيص على طبقته ﷺ في معرفة القرآن، والإحاطة بما فيه من الجلائل والدقائق، فإن من تلقى الحكم والعلوم من مثل ذلك الحكيم العليم يكون علماً في رصانة العلم والحكمة، وفي الجمع بين الحكيم والعليم إشعارٌ بأن علوم القرآن منها ما هو حكمة كالعقائد والشرائع، ومنها ما ليس كذلك كالقصص والأخبار الغيبية.

والمعنى: أي وإنك أيها الرسول لتحفظ القرآن وتعلمه من عند حكيم بتدبير خلقه عليم بأخبارهم وما فيه الخير لهم، فخبره هو الصدق، وحكمه هو العدل، كما قال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾.

قصص موسى عليه السلام

ثم شرع في بيان بعض تلك العلوم، فقال: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ﴾؛ أي: واذكر يا محمد لقومك قصة قول موسى لزوجته ومن معها من ولده وخادمه في وادي الطور، وذلك أنه مكث بمدين عند شعيب عشر سنين، ثم سار بأهله بنت شعيب إلى مصر لزيارة أمه وأخيه هارون فضل الطريق في ليلة مظلمة شديدة البرد، وقد أخذ امرأته الطلق، فقدح فأصلد زنده، فبدا له من جانب الطور نار، فقال لأهله: اثبتوا مكانكم. ﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ﴾ وأبصرت ﴿نَارًا﴾.

قال مقاتل: النار هو النور، وهو نور رب العزة رآه ليلة الجمعة عن يمين الجبل بالأرض المقدسة. ﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا﴾؛ أي: من تلك النار؛ أي: ممن عندها. ﴿بِخَبَرٍ﴾؛ أي: عن حال الطريق أين هو. و﴿السين﴾[1]: للدلالة على بعد المسافة، أو لتحقيق الوعد بالإتيان. وإن أبطأ فيكون للتأكيد. ﴿أَوْ ءَاتِيكُم﴾ منها. ﴿بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾؛ أي: بشعلة نار مقبوسة؛ أي: مأخوذة من معظم النار ومن أصلها إن لم أجد عندها من يدلني على الطريق، فإن سنة الله سبحانه أن لا يجمع حرمانين على عبده، يقال: اقتبست منه ناراً، أو علماً: استفدته منه، والشهاب:

(١) روح البيان.

الشعلة، والقبس: النار المقبوسة، فعل بمعنى مفعول؛ وهو القطعة من النار في عود أو غيره.

وقرأ الكوفيون عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب إلا زيداً[١]: ﴿بِشِهَابٍ﴾ منوناً. فـ﴿قَبَسٍ﴾: بدل منه، أو صفة له؛ لأنه بمعنى المقبوس. وقرأ باقي السبعة بالإضافة غير منون؛ وهي قراءة الحسن. قال الفراء: هذه الإضافة كالإضافة في قولهم: مسجد الجامع، وصلاة الأولى، أضاف الشيء إلى نفسه لاختلاف أسمائه. وقال النحاس: هي إضافة النوع إلى الجنس، كما تقول: ثوب خزٍّ وخاتم حديد.

فإن قلت: قال[٢] في سورة طه: ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ﴾ وفي القصص: ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ﴾ بصيغة الترجي في السورتين، وقال هنا: ﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ﴾ بصيغة الإخبار والتيقن، فبين الإخبار والترجي تناقض، فكيف يجمع بينهما؟

قلتُ: لا تناقض بينهما؛ لأن الراجي إذا قوي رجاؤه يقول: سأفعل كذا بصيغة الاخبار وإن كانت الخيبة يمكن أن تقع. وعبارة شيخ الإسلام: كيف قال هنا ذلك، وفي طه: ﴿نَارًا لَّعَلِّيٓ﴾، وأحدهما قطع وجزم، والآخر ترجّ، والقضية واحدة؟

قلتُ: قد يقول الراجي إذا قوي رجاؤه: سأفعل كذا، وسيكون كذا مع تجويزه عدم الجزم.

﴿لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ﴾؛ أي: رجاء أن تستدفئوا بها، أو لكي تستدفئوا بها، وتدفعوا البرد بحرها، وكان الزمان شتاء والليلة مثلجة، يقال: صلى بالنار واصطلى بها إذا استدفأ بها، والصلاء النار العظيمة، والاصطلاء الاستدفاء بها. قال بعضهم: الاصطلاء بالنار يقسي القلب، ولم يرو أنه ﷺ اصطلى بالنار.

---

(١) البحر المحيط وزاد المسير. (٢) روح البيان بتصرف.

والمعنى: أي[1] واذكر أيها الرسول الكريم لقومك قصة قول موسى لأهله، وقد سار بهم فضل الطريق في ليل دامس وظلام حالك، فرأى ناراً تأجج وتضطرب، فقال إني أبصرت ناراً سآتيكم منها إما بخبر عن الطريق أو آتيكم بشعلة من النار تستدفئون بها، وكان كما قال، فإنه رجع منها بخير عظيم، واقتبس نوراً جليلاً.

وقد كان هذا حين مسيره من مدين إلى مصر، ولم يكن معه سوى امرأته، وكانا يسيران ليلاً، فاشتبه عليهما الطريق والبرد شديد، وفي مثل هذه الحال يستبشر النَّاس بمشاهدة النار من بعد؛ لما يرجى فيها من زاول الحيرة، وأمن الطريق، ومن الانتفاع بها للاصطلاء، ومن ثم قال لها هذه المقالة.

﴿فَلَمَّا جَآءَهَا﴾؛ أي: فلما جاء موسى النار ووصل إليها، أي: جاء ذلك النور الذي ظنه ناراً. قال السدي: كان في النار ملائكة، والنار هنا مجرد نور، ولكنه ظن موسى أنها نار، فلما وصل إليها وجدها نوراً، وكانت الشجرة سمرة. ﴿نُودِىَ﴾ موسى من قبل الله تعالى؛ أي: جاءه النداء؛ وهو الكلام المسموع من جانب الطور، وأن في قوله: ﴿أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ إما مفسرة بمعنى أي؛ لأن في النداء معنى القول؛ أي: قيل له[2]: بورك من في النار، وبورك: مجهول بارك، وهو خبر لا دعاء؛ أي: جعل مباركاً، وهو ما فيه الخير والبركة؛ أي: بورك من في مكان النار؛ وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله: ﴿نُودِىَ مِن شَٰطِىِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ﴾ واستعملت ﴿مَن﴾ بمعنى (ما) حينئذ، ويدل عليه قراءة أبي: ﴿تباركت الأرض ومن حولها﴾ وعنه أيضاً: بوركت النار ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾؛ أي: ومن حول مكان النار.

والظاهر[3]: أن المبارك فيه عام في كل من في تلك البقعة وحواليها من أرض الشام الموسومة بالبركات؛ لكونها مبعث الأنبياء، وكفاتهم أحياء وأمواتاً،

---

(١) المراغي.
(٢) النسفي.
(٣) روح البيان.

وخصوصاً تلك البقعة التي كلم الله فيها موسى.

وقرأ أبيّ وابن عباس ومجاهد: ﴿أن بوركت النار ومن حولها﴾، أو مصدرية؛ أي: نودي موسى بأن بورك من في النار ومن حولها، أو مخففة من الثقيلة؛ أي: نودي بأنه بورك، والضمير ضمير الشأن. وقيل[1]: المراد بـ﴿مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ هو موسى عليه السلام لقربه منها. و﴿من حولها﴾ الملائكة؛ أي: نودي ببركة من في النار؛ أي: بتطهيره مما يشغل قلبه عن الله سبحانه، وتخليصه للنبوة والرسالة؛ أي: ناداه الله سبحانه وتعالى بأنا قدسناك يا موسى، واخترناك للرسالة، وهذه تحية من الله سبحانه لموسى، وتكرمة له، وبارك يتعدّى بنفسه، كما هنا، وبـ «على» كما في قوله: ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ﴾، وبـ ﴿في﴾ كما في قوله: ﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾.

وفي ابتداء[2] خطاب الله سبحانه موسى بذلك عند مجيئه بشارة بأنه قد قضي له أمر عظيم ديني تنتشر بركاته في أقطار الأرض المقدسة، وهو تكليمه تعالى إياه، واستنباؤه له وإظهار المعجزات على يده، وكل موضع يظهر فيه مشاهدة الحق ومكالمته يكون ذا بركة، ألا ترى إلى قول القائل:

إِذَا نَزَلَتْ سَلْمَىٰ بِوَادٍ فَمَاؤُهُ ... زُلَالٌ وَسِلْسَالٌ وَجَنَّاتُهُ وَرْدُ

وقوله: ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ من تمام ما نودي به؛ لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيهاً، وللتعجيب من عظمة ذلك الأمر. وعبارة «المراح» هنا: وقوله: ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ من كلام الله مع موسى، نزه الله تعالى نفسه عما لا يليق به في ذاته وحكمته؛ ليكون ذلك مقدمة في صحة رسالة موسى عليه السلام، وإعلاماً بأن ذلك الأمر مكونه رب العالمين، ولدفع ما قد يتوهمه بحسب الطبع البشري الجاري على العادة الخلقية من أن الله سبحانه المتكلم به في مكان، أو في جهة. ومن أن الكلام الذي يسمعه في ذلك المكان بحرف وصوت حادث ككلام

---

(1) المراح.

(2) روح البيان.

(3) المراح.

(4) المراغي.

الخلق، وقد علم موسى عليه السلام أن النداء من الله تعالى؛ لما دل على ذلك من أن النار كانت مشتعلة على شجرة خضراء لم تحترق. وقال السدي: هو من كلام موسى؛ لما سمع النداء قال: ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ تنزيهاً لله تعالى عن سمات المحدثين.

وحاصل معنى الآية: أي[1] فلما وصل موسى إلى النور الذي ظنه ناراً.. نودي بأن بورك من في مكان النار ومن حول مكانها، ومكانها هي البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى: ﴿نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾ ومن حولها هو من في ذلك الوادي وحواليه من أرض الشام الموسومة بالبركات، ومهبط الخيرات؛ لكونها مبعث الأنبياء وكفاتهم أحياء وأمواتاً. وقوله: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾ تنزيه لنفسه عما لا يليق به في ذاته وحكمته، وإيذان بأن مدبر ذلك الأمر هو رب العالمين.

﴿يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ﴾؛ أي[2]: إن مكلمك ﴿أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾؛ أي: القوي القادر على ما يبعد من الأوهام، كقلب العصا حية، وأمر اليد الفاعل ما أفعله بحكمة بالغة، وتدبير تامّ، و﴿أَنَا﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾، و﴿اللَّهُ﴾ عطف بيان له، و﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: صفتان لله ممهدتان؛ لما أراد الله أن يظهره على يد موسى عليه السلام من المعجزات.

قيل[3]: معناه أن موسى قال: من المنادي؟ قال: إنه أنا الله. وقال أكثر المفسرين: إن الضمير في ﴿إِنَّهُ﴾ ضمير الشأن، وجملة ﴿أَنَا اللَّهُ﴾ جملة مفسرة للشأن. وقوله: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ معطوف على ﴿بُورِكَ﴾، فكلاهما تفسير لـ﴿نُودِيَ﴾؛ أي: نودي أن بورك من في النار، وأن ألق عصاك.

فإن قلت: لم قال هنا: و﴿أَلْقِ﴾ بدون ذكر أن، وفي القصص بذكرها؟

---

(١) المراح.

(٢) الخازن.

قلتُ: لأن ما هنا تقدمه فعل بعد ﴿أَنْ﴾، وهو ﴿بُورِكَ﴾ فحسن عطف الفعل عليه، وما هناك لم يتقدمه فعل بعد ﴿أَنْ﴾، فذكرت ﴿أَنْ﴾؛ لتكون جملة ﴿وَأَنْ أَلْقِ﴾ معطوفة على جملة ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾. وقوله: ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾ معطوف على محذوف، تقديره: فألقاها موسى من يده، فانقلبت حية تسعى، فلما رآها وأبصرها موسى حالة كونها تهتز وتضطرب وتتحرك بحركة شديدة، وتذهب إلى جانب، وحال كونها ﴿كَأَنَّهَا﴾؛ أي: كأن تلك العصا ﴿جان﴾؛ أي: حية صغيرة في سرعة الحركة وخفتها، فشبه الحية العظيمة المسماة بالثعبات بالجان في سرعة الحركة والالتواء، والجان[1] ضرب من الحيات؛ أي: حية كحلاء العين لا تؤذي كثيرة في الدور، كما في «القاموس».

قال أبو الليث: الصحيح أن الثعبان كان عند فرعون، والجان عند الطور، وقرأ الحسن[2] والزهري وعمرو بن عبيد: ﴿جأن﴾ بهمزة مكان الألف، كأنه فر من التقاء الساكنين.

﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾؛ أي: هرب موسى منها مدبراً؛ أي: رجع وأعرض عنها هارباً خوفاً منها. قال في «كشف الأسرار»: أي أدبر عنها، وجعلها خلف ظهره. ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾؛ أي: ولم يرجع على عقبه، من عقب المقاتل إذا كر بعد الفر، وإنما اعتراه الرعب؛ لظنّه أن ذلك الأمر أريد به هلاك نفسه، ويدل عليه قوله: ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾؛ أي: قال الله تعالى: يا موسى ﴿لَا تَخَفْ﴾ من الحية وضررها، أو لا تخف من غيري مطلقاً ثقة بي لقوله: ﴿إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ﴾؛ أي: عندي ﴿ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ في حالة الإيحاء والإرسال، لا في جميع الأوقات، بل حين يوحي إليهم في وقت الخطاب، فإنهم حينئذ مستغرقون في مطالعة شؤون الله تعالى، لا يخطر ببالهم خوف من أحد أصلاً. أما الخوف في غير هذه الحالة فلا يفارقهم، قال النبي عليه السلام: «أنا أخشاكم»، ولا يخاف من الملك العدل إلا ظالم، كما قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ استثناء متصل من ﴿المرسلين﴾؛ أي: إلا من ظلم

---

(١) روح البيان.

(٢) البحر المحيط.

نفسه من المرسلين بذنب صدر منه، كآدم ويونس وداود وموسى عليهم السلام، والتعبير فيهم بالظلم؛ لقول آدم: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾، وموسى ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾.

﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا﴾؛ أي: توبة وندما. ﴿بَعْدَ سُوٓءٍ﴾؛ أي: بعد عمل سوء ﴿فَإِنِّي غَفُورٌ﴾ للتائبين ﴿رَّحِيمٌ﴾؛ أي: مشفق عليهم بقبول توبتهم، وهذا تعريض لطيف بما وقع من موسى عليه السلام من وكزه القبطي. و[1] اختار النحاس هذا القول؛ أي: جعله استثناء متصلاً، وقال: علم من عصى منهم فاستثناه، فقال: إلا من ظلم، وإن كنت قد غفرت له كآدم وداود وموسى، ولا مانع من الخوف بعد المغفرة، فإن نبينا ﷺ الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر كان يقول: «وددت أني شجرة تعضد».

وقيل: الاستثناء منقطع؛ أي: لكن من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء. وقيل: الاستثناء من محذوف، تقديره: أي: لا يخاف لدي المرسلون، وإنما يخاف غيرهم ممن ظلم إلا من ظلم ثم بدل حسناً إلخ. قاله الفراء، ورده النحاس. والمعنى: على الانقطاع؛ أي: لكن[2] من ظلم من سائر العباد فإنه يخاف إلا إذا تاب فبدل بتوبته حسناً بعد سوء فإني أغفر له، وأمحو ذنوبه، وجميع آثارها، كما فعل السحرة الذين آمنوا بموسى. وفي هذا بشارة عظيمة لسائر البشر، فإن من عمل ذنباً ثم أقلع عنه وتاب وأناب فإن الله يتوب عليه، كما قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾، وقال: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾.

وقال أبو حيان: والأظهر[3] أن قوله: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾: استثناء منقطع؛ إذ الأنبياء معصومون من وقوع الظلم والواقع من غيرهم. وقال الأخفش وأبو عبيدة: ﴿إِلَّا﴾: حرف عطف بمعنى ﴿الواو﴾ في التشريك في اللفظ، والمعنى: والتقدير: ولا من ظلم، وهذا ليس بشيء؛ لأن معنى ﴿إِلَّا﴾ مباين لمعنى

(١) الشوكاني.
(٢) المراغي.
(٣) البحر المحيط.

﴿الواو﴾ مباينة كثيرة؛ إذ ﴿الواو﴾ للإدخال؛ و﴿إلا﴾: للإخراج، فلا يمكن وقوع أحدهما موقع الآخر.

وقرأ أبو جعفر وزيد بن أسلم[1]: ﴿ألا من ظلم﴾ بفتح الهمزة وتخفيف اللام حرف استفتاح وتنبيه، و﴿من﴾ شرطية، وجوابها ﴿فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. وقرأ الجمهور: ﴿حُسْنًا﴾ بضم الحاء وإسكان السين منوناً. وقرأ محمد بن عيسى الأصبهاني كذلك إلا أنه لم ينون، جعله فعلى فامتنع الصرف، وابن مقسم بضم الحاء والسين منوناً. وقرأ مجاهد وأبو حيوة وابن أبي ليلى والأعمش وأبو عمرو في رواية الجعفي وأبو زيد وعصمة وعبد الوارث وهارون وعياش بفتحهما منوناً.

قال شيخ الإسلام زكريا: قوله تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ فإن قلت[2]: قال ذلك هنا، وقال في سورة القصص: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْآمِنِينَ﴾ بزيادة ﴿أَقْبِلْ﴾، فلم خالف بين الموضعين؟

قلتُ: لأن ما هنا بني عليه كلام يناسبه، وهو ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ فناسبه الحذف، وما هناك لم يبن عليه شيء فناسبه زيادة ﴿أَقْبِلْ﴾ جبراً له، وليكون في مقابلة مدبراً؛ أي: أقبل آمناً غير مدبر ولا تخف.

وقال أيضاً: قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ إِلَّا مَن ظَلَمَ...﴾ الآية، إن قلت: كيف وجه صحة الاستثناء فيه مع أن الأنبياء معصومون من المعاصي؟

قلتُ: الاستثناء منقطع؛ أي: لكن من ظلم من غير الأنبياء فإنه يخاف، فإن تاب وبدل حسناً بعد سوء فإني غفور رحيم، أو متصل بحمل الظلم على ما يصدر من الأنبياء من ترك الأفضل، أو ﴿إِلَّا﴾ بمعنى: ولا، كما في قوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ وإنما خص المرسلين بالذكر؛ لأن الكلام في قصة موسى وكان من المرسلين، وإلا فسائر الأنبياء كذلك وإن لم يكن بعضهم رسلاً.

---

(١) البحر المحيط. (٢) فتح الرحمن.

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ﴾: معطوف على ﴿بُورِكَ﴾ أيضاً، والجيب مدخل الرأس من القميص المفتوح إلى الصدر؛ أي: وأدخل يدك في جيب مدرعتك، واجعلها تحت إبطك، ولم يقل[1]: في كمّك؛ لأنه كان عليه مدرعة من صوف، لا كم لها ولا إزار، فكانت يده الكريمة مكشوفة، فأمر بإدخال يده في مدرعته، وهي جبة صغيرة يتدرع بها؛ أي: تلبس بدل الدرع، وهو القميص؛ أي: وأدخل يدك في جيبك وأخرجها.

﴿تَخْرُجْ﴾ يدك حالة كونها ﴿بَيْضَآءَ﴾؛ أي: براقة لها شعاع كشعاع الشمس؛ أي: إن أدخلتها تخرج على هذه الصفة ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾؛ أي: من غير آفة وعلة ومرض، كبرص وبهق ونحوهما مما يبيض الجسم.

فإن قلت: لِمَ[2] أتى هنا بلفظ ﴿أدخل﴾، وفي القصص بلفظ ﴿اسلك﴾ فلم خالف بين الموضعين؟

قلتُ: أتى هنا بلفظ ﴿أدخل﴾ وهناك بلفظ ﴿اسلك﴾؛ لأن الإدخال أبلغ من السلوك؛ لأن ماضيه أكثر حروفاً من ماضي السلوك، فناسب ﴿أدخل﴾ كثرة الآيات في قوله: ﴿تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات﴾؛ أي: معها مرسلاً إلى فرعون، وناسب ﴿اسلك﴾ قلتها، وهي سلوك اليد وضم الجناح المعبر عنهما بقوله: ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ﴾.

وقوله: ﴿فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾ خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: هاتان الآيتان المذكورتان؛ الأولى منهما تغيير ما في يده، وقلبها من جماد إلى حيوان، والثانية تغيير يده نفسها، وقلب أوصافها إلى أوصاف أخرى نورانية؛ أي[3]: هما داخلتان في جملة تسع آيات، فتكون الآيات تسعاً بالعصا واليد؛ وهن: العصا، واليد البيضاء، والجدب في البوادي، ونقص الثمرات، والطوفان، والجراد، والقمل، والدم، والضفادع، حالة كونك مبعوثاً بها ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ اللعين ﴿وَقَوْمِهِۦٓ﴾

---

(١) روح البيان.

(٢) فتح الرحمن.

(٣) روح البيان.

القبطيين، وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ تعليل للبعث؛ أي: وإنما بعثناك إليهم بهذه الآيات التسع؛ لأن فرعون وقومه كانوا قوماً فاسقين؛ أي: خارجين عن الحدود في الكفران والعدوان؛ أي: خرجوا عما تقتضيه الفطرة ويوجبه العقل بادعاء فرعون الألوهية وتصديقهم له في ذلك.

والظاهر[1]: أن قوله: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ متعلق بمحذوف حال من فاعل ﴿ألق﴾ و﴿أدخل﴾، وأن قوله: ﴿فِي تِسْعِ﴾ متعلق بمحذوف حال من مفعولهما؛ أي: ألق عصاك، وأدخل يدك حالة كون العصا واليد مع جملة الآيات التسع، فإن الآيات إحدى عشرة: العصا واليد، والفلق، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والطمسة، والجدب في بواديهم، والنقصان في مزارعهم، وحالة كونك مرسلاً بها إلى فرعون وقومه القبط إنهم كانوا قوماً خارجين عن ربقة الانقياد لأمري والعبودية لألوهيتي.

فإن قلت: قال هنا[2]: بلفظ ﴿وَقَوْمِهِ﴾، وفي القصص بلفظ ﴿وَمَلَإِيْهِۦ﴾ فما الفرق بين الموضعين؟

قلت: الفرق بينهما أن الملأ أشراف القوم، ولم يوصفوا ثَمَّ بما وصف به القوم من قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ الآية، فناسب ذكر القوم هنا؛ ليعم هذا الوصف الكل، وذكر الملأ ثم.

و﴿الفاء﴾ في قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا﴾ للإفصاح؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفت أنا بعثناه إلى فرعون وقومه في تسع آيات، وأردت بيان حالهم حين جاءهم موسى بآياتنا.. فأقول لك: لما جاءهم موسى بآياتنا التسع، وظهرت على يده حالة كون تلك الآيات ﴿مُبْصِرَةً﴾؛ أي: مستنيرة واضحة. وعبارة «الجمل»؛ أي: مضيئة إضاءة معنوية في كلها، وحسية أيضاً في بعضها؛ وهو اليد. اهـ. شيخنا.

---

(١) المراح. (٢) فتح الرحمن.

فقوله: ﴿مُبْصِرَةً﴾ اسم فاعل[1] أطلق على المفعول إشعاراً بأنها لفرط إنارتها ووضوحها للأبصار كانت بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت مما يبصر. ﴿قَالُواْ هَٰذَا﴾ الذي جئت به يا موسى من الخوارق التي تشاهدها ﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ واضح سحريته؛ أي[2]: فلما جاءت فرعون وقومه أدلتنا الواضحة المنيرة الدالة على صدق الداعي أنكروها، وقالوا: هذا سحر وخيال لا حقيقة له، بين لائح في أنه خيال يدل على مهارة فاعله، وحذق صانعه.

وقرأ علي بن الحسين وقتادة مبصرة بفتح الميم والصاد؛ أي: مكاناً يكثر فيه البصر.

ثم بين أن هذا التكذيب إنما كان باللسان فحسب، لا بالقلب، فقال: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا﴾؛ أي: وكذبوا بتلك الآيات بألسنتهم، ولم يقروا أنها من عند الله سبحانه، والواو: في قوله: ﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ للحال؛ أي: وقد أيقنتها أنفسهم، وعلمتها قلوبهم وضمائرهم علماً يقينياً أنها من عند الله وليست بسحر؛ أي: كذبوها بألسنتهم حالة كون أنفسهم مستيقنة لها. قال أبو الليث: وإنما استيقنتها قلوبهم؛ لأن كل آية رأوها استغاثوا بموسى، وسألوا منه بأن يكشف عنهم، فكشف عنهم، فظهر لهم بذلك أنها من الله تعالى.

وقوله: ﴿ظُلْمًا﴾ نفسانياً ﴿وَعُلُوًّا﴾؛ أي: استكباراً شيطانياً، علتان لـ﴿جحدوا﴾؛ أي: جحدوا بها ظلما لتلك الآيات؛ إذ حطوها عن مرتبتها العالية، وسموها سحراً وعلواً؛ أي: ترفعاً عن الإيمان بها، وهم يعلمون أنها من الله سبحانه، أو حالان من ﴿الواو﴾ في ﴿جحدوا﴾؛ أي: حالة كونهم ظالمين لتلك الآيات ومترفعين عن الإيمان بها.

وقرأ عبد الله وابن وثاب والأعمش وطلحة وأبان بن تغلب: ﴿وعلياً﴾ بقلب ﴿الواو﴾ ياء، وكسر العين واللام، وأصله فعول، لكنهم كسروا العين إتباعاً. وروي ضمها عن ابن وثاب والأعمش وطلحة. والمعنى: أي وكذبوا بها

---

(١) روح البيان. (٢) المراغي.

بألسنتهم، وأنكروا دلالتها على صدقه، وأنه رسول من ربه، لكنهم علموا في قرارة نفوسهم أنها حق من عنده، فخالفت ألسنتهم قلوبهم ظلماً للآيات، إذ خطوها عن مرتبتها العالية، وسموها سحراً ترفعاً عن الإيمان بها، كما قال في آية أخرى: ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ﴾.

والخلاصة: أنهم تكبروا عن أن يؤمنوا بها، وهم يعلمون أنها من عند الله سبحانه وتعالى. ﴿فَٱنظُرْ﴾ يا محمد وفكر ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ في الأرض وهو الإغراق في الدنيا والإحراق في الآخرة، أي فانظر أيها الرسول ما آل إليه أمر فرعون وقومه من الإغراق على الوجه الذي فيه العبر للظالمين ومن إخراجهم من الجنات والعيون والزروع والمقام الكريم.

وفي هذا تحذير للمكذبين بمحمد ﷺ الجاحدين لما جاء به من عند ربه أن يصيبهم مثل ما أصاب أولئك؛ لعلهم يقلعون عن عنادهم واستكبارهم حتى لا تنزل بهم القوارع، ويأخذهم العذاب من حيث لا يشعرون، فمن قدر على إهلاك فرعون كان قادراً على إهلاك من هو على صفته، وذلك إلى يوم القيامة، فإن جلال الله سبحانه دائم للأعداء، كما أن جماله باق للأولياء، مستمر في كل عصر وزمان، فعلى العاقل أن يتعظ بحال غيره، ويترك الأسباب المؤدية إلى الهلاك مثل الظلم والعلو الذي هو من صفات النفس الأمارة، ويصلح حاله بالعدل والتواضع، وغير ذلك مما هو من ملكات القلب.

قصة داود وسليمان عليهما السلام

ولما فرغ سبحانه من قصة موسى شرع في قصة داود بن إيشا وقصة ابنه سليمان عليهما السلام، وهذه القصص وما قبلها وما بعدها هي كالبيان والتقرير لقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦﴾ فقال: ﴿و﴾ عزتي وجلالي. ﴿لقد آتينا﴾ وأعطينا ﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ ابنه عليهما السلام ﴿عِلْمًا﴾؛ أي: طائفة عظيمة من العلم، فعلمنا داود صنعة الدروع ولبوس الحرب، وعلمنا سليمان منطق الطير والدواب وتسبيح الجبال ونحو ذلك، مما لم نؤته أحداً ممن قبلهما، فشكرا الله سبحانه على ما أولاهما من منته ﴿وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا﴾ بما آتانا

من النبوة والكتاب وتسخير الشياطين والجن ﴿عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين لم يؤتهم مثل ما آتانا.

تنبيه: وعاش داود مئة سنة، وبينه وبين موسى خمس مئة وتسع وستون سنة. وعاش سليمان نيفاً وخمسين سنة، وبينه وبين محمد ألف وسبع مئة سنة. اهـ. شيخنا نقلاً عن «التجيير».

فائدة: قال في «مشكاة الأنوار»: قالت نملة لسليمان عليه السلام: يا نبي الله أتدري لم صار اسم أبيك داود، واسمك سليمان؟ قال: لا. قالت: لأن أباك داوى قلبه عن جراحة الالتفات إلى غير الله سبحانه فَوُدَّ، وأنت سليم تصغير سليم آن لك، أي: حان لك أن تلحق بأبيك، انتهى.

فائدة أخرى: وعلم[1] سبحانه وتعالى سبعة أنفار سبعة أشياء: علم آدم أسماء الأشياء، فكان سبباً في حصول السجود والتحية، وعلم الخضر علم الفراسة، فكان سبباً لوجدان موسى ويوشع تلميذاً له، وعلم يوسف التعبير، فكان سبباً لوجدان الأهل والمملكة، وعلم داود صنعة الدروع، فكان سبباً لوجدان الرياسة والدرجة، وعلم سليمان منطق الطير فكان سبباً لوجدان بلقيس، وعلم عيسى الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل، فكان سبباً لزوال التهمة عن الشر، وعلم محمداً ﷺ الشرع والتوحيد، فكان سبباً لوجود الشفاعة.

وقال الزمخشري: قوله: ﴿وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ فإن قلت: أليس[2] هذا موضع الفاء دون ﴿الواو﴾، كقولك: أعطيته فشكر، ومنعته فصبر؟

قلت: بلى، ولكن عطفه بالواو إشعاراً بأن ما قالاه بعض ما أحدث فيهما إيتاء العلم، وشيء من موجبه، فأضر ذلك، ثم عطف عليه التحميد، كأنه قال: ولقد آتيناهما علماً فعملا به وعلماه، وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة، وقالا الحمد لله. والكثير المفضل عليه من لم يؤت علماً، أو من لم يؤت مثل علمهما، كذا قال أبو حيان. وقال غيره: والمفضل عليه من لم يؤت مثل علمهما، لا من

---

(١) روح البيان.

(٢) الكشاف.

لم يؤت علماً أصلاً، فإنه قد بين الكثير بالمؤمنين وخلوهم من العلم بالكلية مما لا يمكن، وفي تخصيصهما الكثير بالذكر رمز إلى أن البعض مُفَضَّلُون عليهما.

وقال الماوردي: المراد بقوله: ﴿عِلْمًا﴾ علم الكيمياء، وذلك لأنه من علوم الأنبياء والمرسلين والأولياء العارفين، والكيمياء في الحقيقة القناعة بالموجود، وترك التشوق إلى المفقود. وفي الآية إيماء[1] إلى فضل العلم وشرف أهله، وأن نعمة العلم من أجل النعم التي ينعم الله بها على عباده، وأن من أوتيه فقد أوتي فضلاً على كثير من العباد، ومنحا شرفاً جليلاً حيث شكرا عليه، وجعلاه أساس الفضل، ولم يعتبرا شيئاً دونه مما أوتياه من الملك العظيم.

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ وفيها تحريض للعلماء على أن يحمدوا الله على ما آتاهم من فضله، وأن يتواضعوا، ويعتقدوا أن في عباد الله من يفضلهم فيه، وفوق كل ذي علم عليم، ونعم ما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كل الناس أفقه من عمر.

وروي[2]: أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن أفضل الأعمال؟ فقال: «العلم بالله والفقه في دينه». وكررهما عليه، فقال يا رسول الله أسألك عن العمل؟ فتخبرني عن العلم، فقال: «إن العلم ينفعك معه قليل من العمل، وإن الجهل لا ينفعك معه كثير العمل». والمتعبد بغير علم كحمار الطاحونة، يدور ولا يقطع المسافة.

وهذا التفضيل سبب لمزيد الحمد والشكر لله تعالى، فإن الثناء بقدر الموهبة والعطية، نحمد الله تعالى على آلائه ونعمائه، ونستزيد العلم وقطراته من دَأْمَائِه، ونسأله التوفيق في طريق التحقيق، والثبات على العمل الصالح بالعلم النافع الذي هو للهوى قامع، وللشهوات دافع، إنه المتفضل المنعم الكبير والوهاب الفياض الرحيم.

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ﴾ بن داود أباه ﴿دَاوُودَ﴾ عليهما السلام؛ أي قام مقامه في

---

(١) المراغي.
(٢) روح البيان.

النبوة والملك بعد موته، وسخرت له الريح والشياطين؛ أي: صار إليه العلم والنبوة والملك بعد موت أبيه دون سائر أولاده، فسمي ميراثاً تجوزاً؛ لأن حقيقة الميراث في المال، والأنبياء إنما يرثون الكمالات النفسانية، ولا قدر للمال عندهم. وقال قتادة والكلبي[1]: كان لداود تسعة عشر ولداً ذكراً، فورث سليمان من بينهم نبوته، ولو كان المراد وراثة المال لم يَخُصَّ سليمانَ بالذكر؛ لأن جميع أولاده في ذلك سواء، وكذا قال جمهور المفسرين: فهذه الوراثة هي وراثة مجازية، كما في قوله ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء».

وقال قتادة في معنى الآية[2]: ورث نبوته وملكه وعلمه، وأعطي ما أعطي داود، وزيد له تسخير الريح والشياطين، وكان أعظم ملكاً منه، وأقضى منه، وكان داود أشد تعبداً من سليمان، شاكراً لنعم الله تعالى، اهـ.

ثم ذكر بعض نعم الله عليه، ﴿وَقَالَ﴾؛ أي: سليمان تشهيراً لنعمة الله تعالى عليه ودعاء للناس إلى الايمان إلى التصديق به بذكر المعجزات الباهرة التي أوتيها؛ أي: لا فخراً وتكبراً.

قال البقلي[3]: إن سليمان عليه السلام أخبر الخلق بما وهبه الله تعالى؛ لأن المتمكن إذا بلغ درجة التمكين يجوز له أن يخبر الخلق بما عنده من موهبة الله؛ لزيادة المؤمنين، وللحجة على المنكرين. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾؛ أي قال سليمان متحدثاً بنعمة ربه ومنبها إلى ما شرفه به يكون أجدر ﴿يا أيها الناس علمنا﴾ (النون)[4] نون الواحد المطاع على عادة الملوك، فإنهم متكلمون مثل ذلك، رعاية لقاعدة السياسة، لا تكبراً وتجبراً. وكذا في ﴿أوتينا﴾ وقال بعضهم: ﴿عُلِّمْنَا﴾؛ أي: أنا وأبي، وهذا ينافي اختصاص سليمان بفهم منطق الطير على ما هو المشهور؛ أي: علمنا الله سبحانه وتعالى ﴿مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾؛ أي: صوت الطير؛ أي: قال سليمان مخاطباً للناس، تحدثاً بما أنعم الله به عليه،

---

(١) الشوكاني.

(٢) المراغي.

(٣) روح البيان.

(٤) روح البيان.

وشكراً للنعمة التي خصه بها: يا أيها الناس إن ربي يسر لي فهم ما يريده الطائر إذا صوت، فأعطاني قوة أستطيع بها أن أتبين مقاصده التي يومىء إليها فضلاً منه ونعمة. والمعنى: علمنا فهم ما يقوله كل طائر إذا صوت.

وقدم منطق الطير[1]؛ لأنها نعمة خاصة به لا يشاركه فيها غيره. قال جماعة من المفسرين: إنه علم منطق جميع الحيوانات، وإنما ذكر الطير؛ لأنه كان جنداً من جنوده يسير معه لتظليله من الشمس. وقال قتادة والشعبي: إنما علم منطق الطير خاصة، ولا يعترض ذلك بالنملة، فإنها من جملة الطير، وكثيراً ما تخرج لها أجنحة فتطير، وكذلك كانت هذه النملة التي سمع كلامها وفهمه.

وسميت[2] أصوات الطير منطقاً اعتباراً بسليمان الذي كان يفهمه، فمن فهم من شيء معنى.. فذلك الشيء بالنسبة إليه ناطق وإن كان صامتاً، وبالنسبة إلى من لا يفهم عنه صامت وإن كان ناطقاً.

وقد اجتهد[3] كثير من الباحثين في العصر الحاضر فعرفوا كثيراً من لغات الطيور؛ أي: تنوع أصواتها لأداء أغراضها المختلفة، من حزن وفرح، وحاجة إلى طعام وشراب، واستغاثة من عدو إلى نحو ذلك من الأغراض القليلة التي جعلها الله سبحانه للطير.

وفي هذا معجزة لكتابه الكريم؛ لقوله في آخر السورة: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَاۚ﴾.

وإنك لتعجب إذ ترى اليوم أن كثيراً من الأمم تبحث في لغات الطيور والحيوان والحشرات، كالنمل والنحل، وتبحث في تنوع أصواتها لتنوع أغراضها، فكأنه تعالى يقول: إنكم لا تعرفون لغات الطيور الآن، وعلمتها سليمان، وسيأتي يوم ينتشر فيه علم أحوال مخلوقاتي، ويطلع الناس على عجائب صنعي فيها.

---

(١) الشوكاني.
(٢) روح البيان.
(٣) المراغي.

﴿وَأُوتِينَا﴾؛ أي: أعطينا ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ مما نحتاج إليه في تدبير الملك، ويعيننا في ديننا ودنيانا، كالعلم والحكمة، والنبوة والمال، وتسخير الجن والإنس، والطير والرياح، والوحوش والدواب، وكل ما بين السماء والأرض. وهذا أسلوب يراد به الكثرة من أي شيء، كما يقال: فلان يقصده كل أحد، ويعلم كل شيء، وجاء سليمان بنون العظمة، والمراد نفسه بياناً لحاله من كونه مطاعاً لا يخالف، لا تكبراً وتعظيماً لنفسه، وسيأتي في مقال الهدهد عن بلقيس: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾.

فإن قلت: كيف[1] سوى بينه في قوله: ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ وبين بلقيس في قول الهدهد ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾؟

قلتُ: الفرق بينهما أنها أوتيت من كل شيء من أسباب الدنيا فقط؛ لعطف ذلك على تملكهم، وسليمان أوتي من كل شيء من أسباب الدين والدنيا؛ لعطف ذلك على المعجزة؛ وهي: ﴿مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾.

قال مقاتل: كان سليمان عليه السلام جالساً إذ مر به طير يصوت، فقال لجلسائه: هل تدرون ما يقول هذا الطائر الذي مر بنا؟ قالوا: أنت أعلم. قال سليمان: إنه قال لي: السلام عليك أيها الملك المسلط على بني إسرائيل، أعطاك الله الكرامة، وأظهرك على عدوك، إني منطلق إلى فروخي، ثم أمر بك الثانية. وإنه سيرجع إلينا الثانية، فانظروا إلى رجوعه، قال: فنظر القوم إذ مر بهم، فقال: السلام عليك أيها الملك، إن شئت إيذن لي كيما أكتسب على فروخي حتى أشبعها ثم آتيك، فتفعل ما شئت، فأخبرهم سليمان بماقال، فأذن له.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ المذكور من التعليم والإيتاء ﴿لَهُوَ ٱلْفَضْلُ﴾ والإحسان من الله تعالى ﴿ٱلْمُبِينُ﴾؛ أي: الواضح الذي لا يخفى على أحد. وفي «الوسيط»: لهو الزيادة الظاهرة على ما أعطي غيرنا، قاله على سبيل الشكر والحمد، كما قال

---

(١) فتح الرحمن.

رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»؛ أي: أقول هذا القول شكراً، لا فخراً.

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ﴾؛ أي: جمع له بقهر وإكراه بأيسر أمر ﴿جُنُودُهُۥ﴾ وعساكره ﴿مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ﴾ من مختلف النواحي؛ ليحارب بهم من لم يدخل في طاعته، وإنما[1] قال: ﴿جُنُودُهُۥ﴾؛ لاختلاف أجناس عساكره، فكل جنس من الخلق جند على حدة، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ فالبعوض لنمرود جند، والأبابيل لأصحاب الفيل جند، والمعنى: أخرج لسليمان وجمع له عساكره في مسير وسفر كان له من الشام إلى طرف اليمن.

وفي «فتح الرحمن»: من إصطخر إلى اليمن، وإصطخر ـ بكسر الهمزة وفتح الخاء ـ بلدة من بلاد فارس كانت دار السلطنة لسليمان عليه السلام. من الجن والإنس والطير؛ أي: جمع له بمباشرة الرؤساء من كل جنس؛ لأنه كان إذا أراد سفراً أمر فجمع له طوائف من هؤلاء الجنود؛ ليجمعوا له أجناسهم، وقدم الجن للمسارعة إلى الإيذان بكمال قوة ملكه من أول أمر؛ لما أن الجن طائفة طاغية بعيدة من الحشر والتسخير ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾؛ أي: يحبسون ويمنعون من الانتشار والتفرق، حتى يرد أولهم على آخرهم، من الوزع بمعنى الكف والمنع عن التفرق والانتشار. والوازع الذي يكف الجيش عن الانتشار، ويكف الرعية عن التظالم والفساد، وجمعه وزعة، والمعنى يحبس أوائلهم على أواخرهم ليتلاحقوا، ويجتمعوا ولا ينتشروا حتى ساقوا، كما هو حال الجيش الكثير، وكان لكل صنف من جنوده وزعة ومنعة ترد أولادهم على أخراهم صيانة من التفرق.

قال محمد بن القرظي[2]: كان مُعَسْكَرُ سليمان عليه السلام مئة فرسخ في مئة فرسخ، خمسة وعشرون للإنس، وخمسة وعشرون للجن، وخمسة وعشرون للطير، وخمسة وعشرون للوحش، وكان له ألف بيت من القوارير مصنوعة على الخشب، فيها ثلاث مئة منكوحة؛ يعني حرة، وسبع مئة سرية. وقد نسجت له

---

(١) روح البيان. (٢) الفتوحات.

الجن بساطاً من ذهب وإبريسم فرسخاً في فرسخ، وكان يوضع منبره في وسطه، وهو من ذهب فيقعد عليه، وحوله ست مئة ألف كرسي من ذهب وفضة، فتقعد الأنبياء على كراسي الذهب، والعلماء على كراسي الفضة، وحولهم الناس، وحول الناس الجن والشياطين، وتظله الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس، وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر.

وفي «أبي السعود» قوله: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾؛ أي: يحبس أوائلهم على أواخرهم؛ أي: يوقف أوائل العسكر حتى يلحقهم الأواخر، فيكونون مجتمعين لا يتخلف منهم أحد، وذلك للكثرة العظيمة. ويجوز أن يكون ذلك لترتيب الصفوف، كما هو المعتاد في العساكر، وفيه إشعار بكمال مسارعتهم إلى السير، وتخصيص حبس أوائلهم بالذكر دون سوق آخرهم مع أن التلاحق يحصل بذلك أيضاً؛ لما أن أواخرهم غير قادرين على ما يقدر عليه أوائلهم من السير السريع، وهذا كله إذا لم يكن سيرهم بتيسير الله الريح في الجو، اهـ.

﴿حَتَّىٰٓ﴾: ابتدائية؛ لدخولها على الجملة، وغائية؛ لكونها غاية لمحذوف يدل عليه قوله: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ تقديره: فساروا حتى ﴿إِذَآ أَتَوۡاْ﴾؛ أي: ساروا مشاة على الأرض، وركباناً حتى إذا أتوا وأشرفوا ﴿عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ﴾ من فوق، وبلغوا آخره، ولعلهم أرادوا أن ينزلوا عند منتهى الوادي؛ إذ حينئذ يخافهم ما في الأرض لا عند مسيرهم في الهواء، كما في «الإرشاد»، ولعل هذه القصة قبل تسخير الله له الريح. والوادي مسيل الماء، والنمل معروف، الواحدة نملة.

ومعنى واد النمل[1]: وادٍ يكثر فيه النمل، كما يقال: بلاد الثلج لبلد يكثر فيه الثلج، والمراد هنا: واد بالشام أو بالطائف كثير النمل، والمشهور أنه النمل الصغير. وقيل: كان نمل ذلك المكان كالذئاب والبخاتي، ولذا قال بعضهم: ﴿في وادي النمل﴾: هو واد يسكنه الجن والنمل مراكبهم، ووقف القراء[2] جميعهم على ﴿وَادِ﴾ بدون ياء إتباعاً للرسم، حيث لم يكن الحذف عندهم

(١) البحر المحيط. (٢) زاد المسير.

للالتقاء الساكنين، كقوله: ﴿ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾ إلا الكسائي، فإنه وقف بالياء، قال: لأن الموجب للحذف إنما هو التقاء الساكنين بالوصل.

والمعنى: فهم يسيرون ممنوعاً بعضهم من مفارقة بعض، حتى إذا أتوا على وادِ النمل، وقطعوه، وبلغوا آخره، وأرادوا النزول. ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ من نمال الوادي؛ وهي ملكة النملة، وكانت عرجاء ذات جناحين في عظم الديك، أو النعجة، أو الذئب، واسمها منذرة أو طاخية، أو جرمى، سميت بهذا الاسم في التوراة أو في الإنجيل، أو في بعض الصحف الإلهية، سماها الله تعالى بهذا الاسم، وعرفها به الأنبياء قبل سليمان، وخصت بالتسمية لنطقها، وإلا فكيف يتصور أن يكون للنملة اسم علم، والنمل لا يسمي بعضهم بعضاً، ولا يتميز للآدميين صورة بعضهم من بعض حتى يسمونهم، ولا هم واقعون تحت ملك بني آدم كالخيل والكلاب ونحوهما، كما في كتاب التعريف والأعلام للسهيلي رحمه الله، وهي من الحيوانات التي تدخل الجنة.

أي: قالت قولاً مشتملاً على حروف وأصوات على وجه النصيحة، وهو جواب ﴿إِذَآ﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ﴾؛ أي: حجركم ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾؛ أي: لا يكسرنكم من الحطم؛ وهو الكسر. ﴿سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ يحطمنكم، ولا يعلمون بمكانكم، والجملة الاسمية حال من فاعل ﴿يَحْطِمَنَّكُمْ﴾؛ أي: والحال[1] أنهم لا يشعرون أنهم يحطمونكم؛ إذ لو شعروا لم يفعلوا؛ أي: إن من عدل سليمان وفضله وفضل جنوده أنهم لا يحطمون نملة فما فوقها إلا بأن لا يشعروا، كأنها شعرت عصمة الأنبياء من الظلم والأذى إلا على سبيل السهو.

وجعل خطاب النمل كخطاب العقلاء؛ لفهمها لذلك الخطاب، وجملة ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ نهي لهم عن الحطم، والمراد: نهيها عن التوقف والتأخر في دخول مساكنهم بحيث يحطمونها، قال مقاتل: سمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال،

(١) روح البيان.

وكان لا يتكلم أحد بشيء إلا حملته الريح حتى تلقيه إلى مسامع سليمان.

وقرأ الحسن[1] وطلحة بن مصرف ومعتمر بن سليمان وأبو سليمان التيمي وأبو مجلز وأبو رجاء وعاصم الجحدري: ﴿نمُلة﴾ ـ بضم الميم ـ على وزن سمرة، وعن سليمان التيمي ﴿نُمُلة﴾ ونمل بضم النون والميم فيهما، وقرأ شهر بن حوشب وأبي بن كعب وأبو المتوكل وعاصم الجحدري ﴿مسكنكم﴾ على الإفراد، وعن أبي ﴿ادخلن مساكنكن لا يحطمنكم﴾ مخففة النون التي قبل الكاف.

وقرأ الحسن وأبو رجاء وقتادة وعيسى بن عُمر الهمداني الكوفي ونوح القاضي: ﴿لا يُحطمنكم﴾ بضم الياء وفتح الحاء وشد الطاء والنون، مضارع حطم المضعف. وقرأ[2] أبي بن كعب وأبو رجاء: ﴿ليحطمنكم﴾ بغير ألف بعد اللام. وقرأ ابن مسعود ﴿لا يَحْطمكم﴾ بفتح الياء وسكون الحاء وتخفيف الطاء وسكون الميم وحذف النون.

وقرأ عمرو بن العاص وأبان ﴿يَحْطِمَنْكم﴾ بفتح الياء وسكون الحاء والنون ساكنة أيضاً والطاء خفيفة. وقرأ أبو المتوكل وأبو مجلز: ﴿لا يحطمنكم﴾: بفتح الياء وكسر الحاء وتشديد الطاء والنون جميعاً، أصله لا يحتطمنكم من الاحتطام. وقرأ ابن السميقع وابن يعمر وعاصم الجحدري: ﴿يحطمنكم﴾ بضم الياء وسكون الحاء وتخفيف الطاء وتشديد النون من الإحطام.

وفي «القرطبي»[3]: قال الثعلبي: كان للنملة جناحان، فصارت من الطير، فلذلك علم منطقها، ولولا ذلك لما علمه. قال أبو إسحق الثعلبي: ورأيت في بعض الكتب أن سليمان قال لها: لم حذرت النمل، أخفت من ظلمي أم علمت أني نبي عدل، فلم قلت لا يحطمنكم سليمان وجنوده؟ فقالت النملة: أما سمعت قولي وهم لا يشعرون، مع أني لم أرد حطم النفوس، وإنما أردت حطم القلوب

---

(١) البحر المحيط.

(٢) زاد المسير.

(٣) القرطبي.

خشية أن يتمنين مثل ما أعطيت ويفتتن بالدنيا، ويشتغلن بالنظر إلى ملكك عن التسبيح والذكر، فلما تكلمت مع سليمان مضت مسرعة إلى قومها، فقالت: هل عندكم من شيء نهديه إلى نبي الله؟ قالوا: وما قدر ما نهدي له، والله ما عندنا إلا نبقة واحدة. قالت: حسنة ائتوني بها، فأتوها بها، فحملتها بفيها، وانطلقت تجرها، وأمر الله الريح فحملتها وأقبلت تشق الجن والإنس والأنبياء والعلماء على البساط حتى وقفت بين يديه، فوضعت تلك النبقة من فيها في فيه، وأنشأت تقول:

أَلَـمْ تَـرَنَـا نَـهْـدِيْ إِلَـىٰ ٱلـلَّـهِ مَـالَـهُ ... وَإِنْ كَـانَ عَـنْـهُ ذَا غِـنَـىً فَـهْـوَ قَـابِـلُـهْ
وَلَـوْ كَـانَ يُـهْـدَىٰ لِـلْـجَـلِـيْـلِ بِـقَـدْرِهِ ... لأَقْـصَـرَ عَـنْـهُ ٱلْـبَـحْـرُ يَـوْمـاً وَسَـاحِـلُـهْ
وَلَـكِـنَّـنَـا نَـهْـدِيْ إِلَـىٰ مَـنْ نُـحِـبُّـهُ ... فَـيَـرْضَـىٰ بِـهَـا عَـنَّـا وَيُـشْـكَـرُ فَـاعِـلُـهْ
وَمَـا ذَاكَ إِلاَّ مِـنْ كَـرِيْـمِ فِـعَـالِـهِ ... وَإِلاَّ فَـمَـا فِـيْ مُـلْـكِـنَـا مَـا يُـشَـاكِـلُـهْ

فقال لها: بارك الله فيكم، فهم بتلك الدعوة أشكر خلق الله، وأكثر خلق الله، والنمل حيوان معروف، شديد الإحساس والشم، حتى أنه يشم الشيء من بعيد، ويدخر قوته، ومن شدة إدراكه أنه يفلق الحبة فلقتين خوفاً من الإنبات، ويفلق حبة الكزبرة أربع فلق؛ لأنها إذا فلقت فلقتين نبتت، ويأكل في عامه نصف ما جمع ويستبقي باقيه عدة. اهـ.

وهذه النملة التي تكلمت مع سليمان مؤنثة حقيقة بدليل لحاق علامة التأنيث لفعلها؛ لأن نملة تطلق على الذكر والأنثى، فإذا أريد تمييز ذلك.. قيل: نملة ذكر، ونملة أنثى، نحو حمامة ويمامة.

وحكى الزمخشري عن أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ: أنه وقف على قتادة، وهو يقول: سلوني، فأمر أبو حنيفة شخصاً أن يسأل قتادة عن نملة سليمان، هل كانت ذكراً أو أنثى؟ فلم يجب قتادة، فقيل لأبي حنيفة في ذلك، فقال: كانت أنثى، واستدل على ذلك بلحاق علامة التأنيث بالفعل المسند إليه. اهـ. ورده بعضهم؛ لأنه يصح أن يقال في الذكر: قالت نملة على إرادة الواحدة.

وقوله: ﴿فَتَبَسَّمَ﴾ سليمان ﴿ضَاحِكًا﴾؛ أي: شارعاً في الضحك متعجباً ﴿مِّن قَوْلِهَا﴾ كلام مفرع[١] على محذوف تقديره: فسمع قولها المذكور، فتبسم. وكل[٢] من التبسم والضحك والقهقهة انفتاح في الفم، لكن الأول انفتاح بلا صوت أصلاً، والثاني انفتاح مع صوت خفيف، والثالث انفتاح مع صوت قوي، اهـ عن «شرح على المواهب» يعني: أنه بالغ في تبسمه حتى بلغ نهايته التي هي أول مراتب الضحك، فهو حال مقدرة، أو مؤكدة على معنى: تبسم متعجباً من حذرها وتحذيرها، واهتدائها إلى مصالحها ومصالح بني نوعها، فإن ضحك الأنبياء التبسم، والإنسان إذا رأى أو سمع ما لا عهد له به يتعجب ويتبسم.

قال بعضهم: ضحك سليمان كان ظاهره تعجباً من قول النملة، وباطنه فرحاً بما أعطاه الله سبحانه من فهم كلام النملة، وسروراً بشهرة حاله وحال جنوده في باب التقوى والشفقة فيما بين أصناف المخلوقات، فإنه لا يسر نبي بأمر الدنيا وإنما كان يسر بما كان من أمر الدين. وقرأ ابن السمقيع: ﴿ضحكا﴾ جعله مصدراً؛ لأن تبسم بمعنى ضحك، فانتصابه على المصدرية، أو على أنه مصدر في موضع الحال كقراءة ﴿ضَاحِكًا﴾.

﴿وَقَالَ﴾ سليمان ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ﴾؛ أي: ألهمني، وفقني. وقرأ البزي وورش بفتح ياء ﴿أَوْزِعْنِيٓ﴾. ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ﴾ بها ﴿عَلَيَّ﴾ من النبوة والملك والعلم والعدل وفهم كلام الطير ونحوها. ﴿وَ﴾ أنعمت بها ﴿على والدي﴾؛ أي: والدي ووالدتي، وأدرج فيه[٣] ذكر والديه تكثيراً للنعمة أو تعميماً لها، فإن النعمة عليهما نعمة عليه والنعمة عليه يرجع نفعها إليهما، لاسيما الدينية. اهـ «بيضاوي».

قال أهل الكتاب[٤]: وأمه هي زوجة أوريا بوزن قوتلا التي امتحن الله سبحانه بها داود.

أي[٥]: وأنعمت بها على والدي داود بن إيشا بالنبوة، وتسبيح الجبال

---

(١) الفتوحات.
(٢) روح البيان.
(٣) البيضاوي.
(٤) القرطبي.
(٥) روح البيان.

والطير معه وصنعة اللبوس، وإلانة الحديد وغيرها، وعلى والدتي بتشايع بنت اليائن، كانت امرأة أوريا التي امتحن بها داود؛ وهي امرأة مسلمة زاكية طاهرة، وهي التي قالت له: يا بني لا تكثرن النوم بالليل، فإنه يدع الرجل فقيراً يوم القيامة، كذا في «كشف الأسرار».

قال ابن قتيبة[1]: معنى ﴿أَوْزِعْنِيٓ﴾: ألهمني، وأصل الإيزاع: الإغراء بالشيء، يقال: أوزعته بكذا؛ أي: أغريته به، وهو موزع بكذا، مولع بكذا. وقال الزجاج: تأويله في اللغة: كفني عن الأشياء، إلا عن شكر نعمتك. والمعنى: كفني عما يباعدني منك.

﴿و﴾ ألهمني ﴿أَنْ أَعْمَلَ﴾ عملاً ﴿صَٰلِحًا﴾؛ أي: مخلصاً لوجهك ﴿تَرْضَىٰهُ﴾؛ أي: تقبله مني قيد العمل الصالح بذلك؛ لأن العمل الصالح قد لا يرضاه المنعم لنقص في العامل، كما قيل:

إِذَا كَانَ ٱلْمُحِبُّ قَلِيْلَ حَظٍّ ... فَمَا حَسَنَاتُهُ إِلاَّ ذُنُوْبُ

﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ﴾ وفضلك ﴿فِي﴾ زمرة ﴿عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ إبراهيم وإسحاق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين، كما قاله ابن عباس؛ لأن الصالح الكامل هو الذي لا يعصي الله تعالى، ولا يهم بمعصية؛ أي: أثبت اسمي في أسمائهم، واحشرني في زمرتهم. وقيل: أدخلني الجنة برحمتك؛ لأنه لا يدخل الجنة أحد إلا بالرحمة والفضل، لا بالعمل مع عبادك الصالحين؛ أي: الكاملين في الصلاح. قال المفسرون: إنما شكر الله عز وجل؛ لأن الريح أبلغت إليه صوتها ففهم ذلك.

فإن قيل[2]: درجات الأنبياء أفضل من درجات الصالحين، فما السبب في أن الأنبياء يطلبون جعلهم من الصالحين، وقد تمنى يوسف عليه السلام ذلك بقوله: ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾؟

---

(١) زاد المسير. (٢) الفتوحات.

أجيب: بأن الصالح الكامل هو الذي لا يعصي الله سبحانه، ولا يفعل معصية، ولا يهم بها، وهذه درجة عالية. اهـ «خطيب».

وإصلاح الله تعالى[1] الإنسان يكون تارة بخلقه إياه صالحاً، وتارة بإزالة ما فيه من الفساد، والأول أعز وأندر.

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾ والتفقد: تطلب ما غاب عنك، وتعرف أحواله. والطير: اسم جنس لكل ما يطير، وكانت تصحبه في سفره، وتظله بأجنحتها؛ أي: تعرف سليمان أحوال الطير، وبحث عنها ـ فلم ير الهدهد فيما بينها، أي[2]: نزل سليمان منزلاً، واحتاج إلى الماء، فطلبوه فلم يجدوه، فطلب الهدهد ليدل على الماء؛ لأنه يعرف موضع الماء قربه وبعده، فينقر الأرض ثم تجيء الشياطين فيحفرونها ويستخرجون الماء في ساعة يسيرة. ﴿فَقَالَ﴾ سليمان ﴿مَا لِيَ﴾؛ أي: أي شيء ثبت لي حال كوني ﴿لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ وكان رئيس الهداهد، واسمه يعفور، وقيل: عنبر، كما أخرج ابن أبي حاتم عن الحسن؛ أي: ما لي لا أراه، هل ذلك لساتر ستره عني، أو لشيء آخر؛ ثم ظهر له أنه غائب، فقال: ﴿أَمْ كَانَ﴾؛ أي الهدهد ﴿مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ أي: من الذين غابوا عني، و﴿أَمْ﴾ هي المنقطعة التي تقدر ببل وبالهمزة. أي[3]: بل أكان من الغائبين، كأنه لما لم يره ظن أنه حاضر، ولا يراه لساتر أو غيره، فقال: ما لي لا أراه، ثم احتاط فلاح له أنه غائب، فأضرب عن ذلك، وأخذ يقول: أهو غائب، كأنه يسأل عن صحة ما لاح له.

والصحيح[4]: أن ﴿أَمْ﴾ في هذا الموضع هي المنقطعة؛ لأن شرط المتصلة تقدم همزة الاستفهام، فلو تقدمها أداة الاستفهام غير الهمزة كانت أم منقطعة، وهنا تقدم عليها ﴿ما﴾ ففات شرط المتصلة.

---

(١) روح البيان.

(٢) المراح.

(٣) البيضاوي.

(٤) البحر المحيط الشوكاني وزاد المسير.

(٥) البحر المحيط الشوكاني وزاد المسير.

وقرأ ابن كثير وابن محيصن وعاصم والكسائي وهشام وأيوب هنا وفي يس[1]: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ بفتح الياء، وقرأ حمزة ويعقوب والبزار بإسكانها في الموضعين، وقرأ الباقون بفتح التي في «يس» وإسكان التي هنا. قال أبو عمرو: لأن هذه التي هنا استفهام، والتي في «يس» نفي، واختار أبو حاتم وأبو عبيد الإسكان.

وخلاصة ذلك: أغاب عني الهدهد الآن، فلم أره حين تفقدته، أم كان قد غاب من قبل ولم أشعر بغيبته.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن الواجب على الملوك التيقظ في مملكتهم وحسن قيامهم وتكفلهم بأمور رعاياهم، وتفقد أصغر رعيتهم، كما يتفقدون أكبرها بحيث لم يخف عليهم غيبة الأصاغر والأكابر منهم، كما أن سليمان تفقد حال أصغر طير من الطيور، ولم يخف عليه غيبته ساعة، ثم غاية شفقته على الرعية أحال النقص والتقصير إلى نفسه، فقال: ﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ وما قال: ما للهدهد لم أره؛ لرعاية مصالح الرعية، وتأديبهم، قال: ﴿أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ يعني: من الذين غابوا عني بلا إذني.

روي: أن سليمان عليه السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس.. تجهز للحج، فوافى الحرم، وأقام به ما شاء، وكان ينحر في كل يوم طول مقامه فيه خمسة آلاف ناقة، وخمسة آلاف بقرة، وعشرين ألف شاة، ثم عزم على السير إلى اليمن، فخرج من مكة صباحاً، فوافى صنعاء وقت الزوال، فرأى أرضاً حسناء أعجبته خضرتها، فنزل بها ليتغذى ويصلي، فلم يجد الماء، فتفقد الهدهد، وكان حين اشتغل سليمان بالنزول ارتفع نحو السماء، فنزل إلى بستان بلقيس، فإذا هو بهدهد آخر، وكان اسم هدهد سليمان يعفور، وهدهد اليمن عفير، فقال: عفير ليعفور: من أين أقبلت؟ قال: أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود، قال: ومن سليمان؟ قال: ملك الإنس والجن والشياطين، والطير والوحش والرياح، قال يعفور: ومن ملك هذه البلاد؟ قال عفير: امرأة يقال لها: بلقيس، وإن ـ لصاحبك ملكاً عظيماً، ولكن ليس ملك بلقيس دونه،

فإنها تملك اليمن، وتحت يدها أربع مئة ملك، كل ملك على كورة، مع كل ملك أربعة آلاف مقاتل، ولها ثلاث مئة وزير يدبرون ملكها، ولها اثنا عشر ألف قائد، مع كل قائد مئة ألف مقاتل، وذهب معه لينظر إلى بلقيس وملكها، فما رجع يعفور إلا بعد العصر، فلما دخل العصر سأل سليمان الإنس والجن والشياطين عن الماء، فلم يعلموا، فتفقد الهدهد فلم يره فدعا عريف الطير؛ وهو النسر، فسأله عن الهدهد، فقال: أصلح الله الملك ما أدري أين هو، وما أرسلته إلى مكان! فغضب سيلمان عند ذلك، وقال: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ﴾؛ أي: والله لأعذبن الهدهد بسبب غيبته فيما لم آذن فيه، ﴿عَذَابًا شَدِيدًا﴾؛ أي: عذاباً موجعاً بنتف ريشه وإلقائه في الشمس، أو حيث النمل تأكله، أو جعله مع ضده في قفص، فهذا عذاب الطير، ﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ بالسكين، ليعتبر به أبناء جنسه، ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي﴾ الهدهد ﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾؛ أي: بحجة تبين عذره، فلا أذبح ولا أعذب، يشير[1] إلى أن حفظ المملكة يكون بكمال السياسة، وكمال العدل، فلا يتجاوز عن جرم المجرمين، ويقبل منهم العذر الواضح بعد البحث عنه، والحلف في الحقيقة على أحد الأولين على عدم الثالث، فكلمة ﴿أَوْ﴾ بين الأولين للتخيير، وفي الثالث للترديد بينه وبينهما.

وفيه[2]: دليل على الإغلاظ على العاصين وعقابهم، وبدأ أولاً بأخف العقابين؛ وهو التعذيب، ثم أتبعه بالأشد؛ وهو إذهاب المهجة بالذبح، وأقسم على هذين؛ لأنهما من فعله، وأقسم على الإتيان بالسلطان وليس من فعله لما نظم الثلاثة في الحكم بـ﴿أَوْ﴾، كأنه قال: ليكونن أحد الثلاثة.

ثم دعا العقاب[3]؛ وهو أشد الطير طيراناً، فقال له: عليَّ بالهدهد الساعة، فارتفع العقاب في الهواء، فالتفت يميناً وشمالاً، فرأى الهدهد من نحو اليمن، فانقض العقاب نحوه، يريده، وعلم الهدهد أن العقاب يقصده بسوء، فقال: بحق الله الذي قواك، وأقدرك علي، وإلا ما رحمتني، ولم تتعرض لي بسوء، فتركه

---

(١) روح البيان.

(٢) البحر المحيط.

(٣) المراح.

العقاب، وقال له: ويلك إن نبي الله قد حلف أن يعذبك، أو يذبحك، فطارا متوجهين نحو سليمان، فلما انتهى إلى العسكر تلقاه النسر والطير، فقالوا له: ويلك أين غبت في يومك هذا؟ فلقد توعدك نبي الله، وأخبروه بما قال سليمان، فقال الهدهد: أو ما استثنى نبي الله؟ فقالوا: بلى إنه قال: أو ليأتيني بلسطان مبين، فقال: نجوت إذاً، ثم طار العقاب والهدهد حتى أتيا سليمان، وكان قاعداً على كرسيه، فقال: العقاب: قد أتيتك به يا نبي الله.

قرأ[1] ابن كثير وحده بنون التوكيد المشددة بعدها نون الوقاية. وقرأ الباقون بنون مشددة فقط؛ وهي نون التوكيد. وقرأ عيسى بن عمر بنون مشددة مفتوحة غير موصولة بالياء. وقرأ الجمهور: ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي﴾ بنون مشددة بعدها ياء المتكلم.

قال شيخ الإسلام[2]: قوله تعالى: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾ توعد به سليمان الهدهد مع أنه غير مكلف بياناً لكونه خص بذلك، كما خص بعلم منطقه. اهـ.

﴿فَمَكَثَ﴾ الهدهد بعد تفقد سليمان إياه مكثاً ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾؛ أي: غير طويل، أو مكث زماناً غير مديد، يشير إلى أن الغيبة، وإن كانت موجبة للعذاب الشديد؛ وهو الحرمان من سعادة الحضور ومنافعه، ولكنه من أمارات السعادة سرعة الرجوع، وتدارك الفائت.

قرأ الجمهور: ﴿فمكث﴾: بضم الكاف. وقرأ عاصم وحده بفتحها، ومعناه على القراءتين: أقام زماناً غير طويل. قال سيبويه: مكث مكوثاً من باب قعد قعوداً. وقيل: إن الضمير في مكث لسليمان. والمعنى: بقي سليمان بعد التفقد والتوعد زماناً غير طويل، والأول أولى.

وقرأ ابن مسعود: ﴿فتمكث﴾: بزيادة تاء من باب تفعل. ﴿فَقَالَ﴾ معطوف على محذوف تقديره: فمكث الهدهد غير بعيد، فجاء فعوتب على مغيبه، فقال معتذراً عن ذلك: ﴿أَحَطتُ﴾ علماً ومعرفة ﴿بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ علماً ومعرفة؛ أي:

---

(١) الشوكاني.
(٢) فتح الرحمن.

علمت من الأمر ما لم تعلمه، ويجوز[1] إدغام التاء في الطاء، فقال: ﴿أحط﴾، وإدغام الطاء في التاء، فيقال: أحت.

وقيل: هنا محذوفات تقديرها[2]: فلما قرب الهدهد منه رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرهما تواضعاً لسليمان، فلما دنا منه أخذ برأسه فمده إليه، وقال له: أين كنت؟ لأعذبنك عذاباً شديداً، فقال: يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى، فلما سمع سليمان ذلك ارتعد، وعفا عنه، ثم سأله، فقال: ما الذي أبطأك عني؟ فقال الهدهد: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾؛ أي: علمت ما لم تعلم أيها الملك، وبلغت إلى ما لم تبلغ.

وذلك[3] لأنه كان مما لم يشاهده سليمان، ولم يسمع خبره من الجن والإنس يشار إلى سعة كرم الله تعالى ورحمته بأن يختص طائراً بعلم ما لم يعلمه نبي مرسل، وهذا لا يقدح في حال النبي ﷺ والرسول بأن لا يعلم علماً غير نافع في النبوة.

والحاصل: أن الذي أحاط به الهدهد كان من الأمور المحسوسة التي لا تعد الإحاطة بها فضيلة، ولا الغفلة عنها نقيصة؛ لعدم توقف إدراكها إلا على مجرد إحساس يستوي فيه العقلاء وغيرهم. وفي «القرطبي»: فإن قلت: كيف يخفى على سليمان مكانها، وكانت المسافة بينهما قريبة؛ وهو مسيرة ثلاث مراحل بين صنعاء ومأرب؟ فالجواب أن الله عز وجل أخفى ذلك عنه لمصلحة رآها، كما أخفى مكان يوسف على يعقوب. اهـ.

وفي «الأسئلة المقحمة»: هذا سوء أدب في المخاطبة، فكيف واجهه بمثله، وقد احتمله وعفاه؟ والجواب أنه لا بأس به؛ لأنه عقبه بفائدة، والخشونة المصاحبة بفائدة قد يحتملها الأكابر، انتهى.

ثم أشار إلى أنه بصدد إقامة خدمة مهمة له، كما قال: ﴿وَجِئْتُكَ﴾ أيها

---

(١) الشوكاني.

(٢) المراح.

(٣) روح البيان.

الملك ﴿مِن﴾ مدينة ﴿سَبَإٍ﴾ وهي مدينة من اليمن تعرف بمأرب، بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام، وعلى هذا فسبأ غير منصرف للعلمية والتأنيث المعنوي. وقيل: اسم لحي باليمن، سموا باسم أبيهم الأكبر، وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود عليه السلام. قالوا: اسمه عبد الشمس، لقب به لكونه أول من سبى، ثم سميت مدينة مأرب بسبأ، وعلى هذا فسبأ مصروف.

﴿بِنَبَإٍ﴾؛ أي: بخبر خطير ﴿يَقِينٍ﴾؛ أي: صادق محقق لا شك فيه، يشير إلى أن شرط المخبر أن لا يخبر عن شيء إلا أن يكون متيقناً فيه لا سيما عند الملوك.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿مِن سَبَإٍ﴾ - بكسر الهمزة مصروفاً هنا -، وفي قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ على جعله اسماً لحي، أو الموضع، أو للأب، كما في حديث فروة بن مسيك وغيره عن رسول الله ﷺ، أنه اسم رجل ولد عشرة من الأولاد، تيامن ستة منهم، وتشاءم أربعة، والستة الذين تيامنوا: حمير، وكندة، والأزد، وأشعر، وخشعم، وبجيلة، والأربعة الذي تشاءموا: لخم، وجذام، وعاملة، وغسان.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الهمزة غير مصروف فيهما. وقرأ قنبل من طريق النبال بإسكانها فيهما. وقرأت[2] فرقة: ﴿بنبأ﴾: بألف عوض الهمزة، وكأنها قراءة من قرأ: ﴿لسبا﴾ بالألف لتوازن الكلمتين، كما توازنتا في قراءة من قرأهما بالهمزة المكسور والتنوين.

وقرأ الأعمش: ﴿من سبأ﴾ بكسر الهمزة من غير تنوين، حكاها عنه ابن خالويه وابن عطية. ويبعد توجيهها، وقرأ ابن كثير في رواية: ﴿من سبًا﴾ بتنوين الباء على وزن رحى، جعله مقصوراً مصروفاً. وذكر أبو معاوية أنه قرأ: ﴿من سبْأ﴾ بسكون الباء وهمزة مفتوحة غير منونة، بناء على فعلى، فامتنع الصرف للتأنيث اللازم. وروى ابن حبيب عن اليزيدي ﴿من سبأ﴾ بألف ساكنة، كقولهم:

---

(١) البحر المحيط. (٢) البحر المحيط.

تفرقوا أيدي سبأ.

قال الزمخشري[1]: ألهم الله سبحانه الهدهد، فكافح سليمان بهذا الكلام على ما أوتي من فضل النبوة والحكمة، والعلوم الجمة، والإحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له في علمه، وتنبيهاً على أن في أدنى خلقه وأضعفه من أحاط بما لم يحط به سليمان لتتحاقر إليه نفسه، ويصغر إليه علمه، ويكون لطفاً له في ترك الإعجاب الذي هو فتنة العلماء، وأعظم بها فتنة، اهـ.

ولما أبهم الهدهد أولاً، ثم أبهم ثانياً دون ذلك الإبهام.. صرح بما كان أبهمه، فقال: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ﴾ ورأيت ﴿ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ﴾؛ أي: تملك أهل سبأ، وهذه الجملة كالبيان والتفسير للجملة التي قبلها؛ أي: ذلك النبأ اليقين هو كون هذه المرأة تملك هؤلاء.

وإيثار ﴿وَجَدتُّ﴾ على رأيت؛ لأنه أراه عليه السلام كونه عند غيبته بصدد خدمته بإبراز نفسه في معرض من يتفقد أحوال تلك المرأة، كأنها ضالة ليعرضها على سليمان، والضمير في ﴿تملكهم﴾ لسبأ على أنه اسم للحي، أو لأهل المدلول عليهم بذكر مدينتهم على أنه اسم لها، يعني أنها تملك الولاية والتصرف عليهم ولم يرد به ملك الرقبة، والمراد بها بلقيس بنت شرحبيل بن مالك بن ريان من نسل يعرب بن قحطان، وكان أبوها ملك أرض اليمن كلها، وورث الملك من أربعين أباً، ولم يكن له ولد غيرها، فغلبت بعده على الملك، ودانت لها الأمة، وكانت هي وقومها يعبدون النار، وكان أبوها يقول لملوك الأطراف ليس أحد منكم كفؤاً لي، وأبى أن يتزوج منهم، فزوجوه امرأة من الجن يقال لها: قارعة، أو ريحانة بنت السكن، فولدت بلقيس، وتسمى بلقة، وبلقيس ـ بالكسر ـ، كما في «القاموس». وذلك يدل على إمكان العلوق بين الإنسي والجني، كما قيل. وذلك لأن الجن وإن كانوا من النار، لكنهم ليسوا بباقين على عنصرهم الناري، كالإنس ليسوا بباقين على عنصرهم الترابي، فيمكن أن يحصل الازدواج

---

(١) الكشاف.

بينهما على ما حقق في «آكام المرجان» قيل في سبب وصوله إلى الجن حتى خطب إليهم أنه كان كثير الصيد، فربما اصطاد من الجن وهم على صورة الظباء فيخليْ عنهم، فظهر له ملك الجن، وشكره على ذلك، اتخذه صديقاً فخطب ابنته فزوجه إياها، اهـ «خازن».

﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾؛ أي: من الأشياء التي يحتاج إليها الملوك، من الخيل وعتاد الحرب والسلاح، والسياسية، والهيبة، والمال، والنعيم ﴿وَلَهَا عَرْشٌ﴾؛ أي: سرير ﴿عَظِيمٌ﴾؛ أي: كبير؛ أي: بالنسبة إلى حالها، أو إلى عروش أمثالها من الملوك. ووصفه[1] بالعظم؛ لأنه كما قيل كان طولها ثمانين ذراعاً في ثمانين ذراعاً، وطوله في الهواء ثمانين ذراعاً، مقدمه من ذهب مفصص بالياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر، ومؤخره من فضة مكلل بأنواع الجواهر، له أربع قوائم قائمة من ياقوت أحمر، وقائمة من ياقوت أخضر، وقائمة من زبرجد، وقائمة من در، وصفائح السرير من ذهب، وعليه سبعة أبيات لكل بيت باب مغلق، وكان عليه من الفرش ما يليق به.

والحاصل: أنه[2] بين في هذه الآية شؤونهم الدنيوية، وذكر منها ثلاثة أمور:

١. أن ملكتهم امرأة؛ وهي بلقيس بنت شراحيل، وكان أبوها من قبلهم ملكاً جليل القدر، واسع الملك.

٢. أنها أوتيت من الثراء وأبهة الملك، وما يلزم ذلك من عتاد الحرب والسلاح، وآلات القتال الشيء الكثير الذي لا يوجد مثله إلا في الممالك العظمى.

٣. أن لها سريراً عظيماً تجلس عليه، مرصعاً بالذهب وأنواع اللآلىء والجواهر، في قصر كبير رفيع الشأن، وفي هذا أكبر الأدلة على عظمة الملك وسعة رقعته، ورفعة شأنه بين الممالك.

---

(١) روح البيان.
(٢) المراغي.

وبعد أن بين شؤونهم الدنيوية ذكر معتقداتهم الدينية، فقال: ﴿وَجَدتُّهَا﴾؛ أي: وجدت تلك المرأة ﴿وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ﴾ لا لرب العرش وخالق الكون المحيط بكل شيء علماً. ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ سبحانه؛ أي: متجاوزين عبادة الله تعالى، قيل: كانوا مجوساً.

﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ﴾؛ أي: حسن لهم ﴿ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ القبيحة التي هي عبادة الشمس ونظائرها من أصناف الكفر والمعاصي ﴿فَصَدَّهُمْ﴾؛ أي: صدهم الشيطان بسبب ذلك التزين ومنعهم ﴿عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾؛ أي: عن طريق الحق والصواب، وهو الإيمان بالله وتوحيده ﴿فَهُمْ﴾؛ أي: تلك المرأة وقومها بسبب صد الشيطان إياهم ﴿لَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى ذلك السبيل.

والمعنى: أي لقيتها وقومها في ضلال مبين، فهم يعبدون الشمس لا رب الشمس وخالق الكون، وزين لهم الشيطان أعمالهم القبيحة، فظنوا حسناً ما ليس بالحسن، وصدهم عن الطريق القويم الذي بعث به الأنبياء والرسل؛ وهو إخلاص السجود والعبادة لله وحده.

وقوله: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾: مفعول له للصد على حذف اللام منه؛ أي: فصدهم عن السبيل لئلا يسجدوا لله، وهو ذم لهم على ترك السجود، فلذا وجب السجود عند تمام هذه الآيات.

قرأ الجمهور: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا﴾ بالتشديد(١)، خرجت على أن قوله: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا﴾ في موضع نصب على أن يكون بدلاً من قوله: ﴿أَعْمَـٰلَهُمْ﴾؛ أي: فزين لهم الشيطان ألا يسجدوا، وما بين المبدل منه والبدل معترض، أو في موضع جر على أن يكون بدلاً من ﴿ٱلسَّبِيلِ﴾؛ أي: فصدهم عن أن لا يسجدوا، وعلى هذا التخريج تكون ﴿لا﴾ زائدة؛ أي: فصدهم عن أن يسجدوا لله، فيكون قوله: ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ معترضاً بين المبدل منه والبدل، ويحتمل أن يكون على تقدير اللام على أنه مفعول به لـ﴿زين﴾، أو ﴿صدهم﴾؛ أي: زين لهم أعمالهم لئلا

---

(١) البحر المحيط.

يسجدوا لله، أو صدهم عن السبيل لئلا يسجدوا لله. وقيل: العامل في قوله: ﴿أَلَّا يَسْجُدُواْ﴾ ﴿يَهْتَدُونَ﴾؛ أي: فهم لا يهتدون أن يسجدوا لله، وتكون ﴿لا﴾ على هذا زائدة، كقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾.

وعلى قراءة الجمهور ـ أعني التشديد ـ ليست هذه الآية موضع سجدة؛ لأن ذلك إخبار عنهم بترك السجود؛ إما بالتزيين، أو بالصد، أو بمنع الاهتداء، وقد رجح كونه علة للصد الزجاج. ورجح الفراء كونه علة لـ﴿زين﴾. قال: زين لهم أعمالهم لئلا يسجدوا، ثم حذفت اللام.

وقرأ ابن عباس[1] وأبو عبد الرحمن السلمي والحسن والزهري وقتادة وأبو العالية وحميد الأعرج والأعمش وابن أبي عبلة والكسائي ﴿أَلَّا يَسْجُدُواْ﴾ بتخفيف ﴿أَلَّا﴾ على معنى: ألا يا هؤلاء اسجدوا فتكون ﴿أَلَّا﴾ على هذه القراءة حرف تنبيه واستفتاح، وما بعدها حرف نداء، والمنادى محذوف، واكتفى منه بـ﴿يا﴾، و﴿اسجدوا﴾ فعل أمر، ويكون الوقف على قوله: ﴿ألا يا﴾ والابتداء بـ﴿اسجدوا﴾. وكان[2] حق الخط على هذه القراءة أن يكون هكذا ﴿ألا يا اسجدوا﴾، ولكن الصحابة رضي الله عنهم أسقطوا الألف من يا، وهمزة الوصل من ﴿اسجدوا﴾ خطاً، ووصلوا الياء بسين ﴿اسجدوا﴾ فصارت صورة الخط هكذا: ﴿أَلَّا يَسْجُدُواْ﴾ والمنادى محذوف، تقديره: ألا يا هؤلاء اسجدوا. وقد حذفت[3] العرب المنادى كثيراً من كلامها. ومنه قول الشاعر:

أَلاَ يَا ٱسْلَمِيْ يَا دَارَمَيَّ عَلَىٰ ٱلْبِلَىٰ   وَلاَ زَالَ مُنْهَلاً بِجَرْعَائِكِ ٱلْقَطْرُ

وقول الآخر:

يَا ٱسْلَمِيْ يَا هِنْدُ هِنْدَ بَنِيْ بَدْرِ   وَإِن كَانَ جَبَانَاً عِدَا آخِرُ ٱلدَّهْرِ

وقول الآخر:

---

(١) البحر المحيط.

(٢) الشوكاني.

(٣) البحر المحيط.

فَقَالَتْ أَلاَ يَا ٱسْمَعْ أَعِظْكَ بِخُطْبَةٍ   فَقُلْتُ سَمِعْنَا فَٱنْطِقِي وَأَصِيْبِي

وسُمع بعض العرب يقول: ألا يا ارحمونا ألا تَصَدَّقوا علينا. وقال[1] أبو عبيدة: هذا أمر من الله مستأنف، يعني: ألا يا أيها الناس اسجدوا، وعلى هذه القراءة أعني قراءة التخفيف تكون الآية آية سجدة. قال الزجاج: ولقراءة التخفيف وجه حسن، إلا أن فيها انقطاع الخبر عن أمر سبأ، ثم الرجوع بعد ذلك إلى ذكرهم. قال النحاس: وعلى هذه القراءة تكون جملة ﴿أَلَّا يَسْجُدُواْ﴾ معترضة[2] من كلام الهدهد، أو من كلام سليمان، أو من كلام الله سبحانه. والقراءة بالتشديد خبر يتبع بعضه بعضاً، لا انقطاع في وسطه. وفي قراءة عبد الله بن مسعود: ﴿هلا تسجدوا﴾ بالفوقية وبالهاء. وفي قراءة أبي ﴿ألا تسجدوا﴾: بالفوقية أيضاً. وعن عبد الله: ﴿هلا تسجدون﴾. وعن أبي ﴿ألا تسجدون﴾.

وقال الزمخشري: فإن قلت[3]: من أين للهدهد الهدي إلى معرفة الله ووجوب السجود له، وإنكار السجود للشمس، وإضافته إلى الشيطان وتزيينه؟

قلتُ: لا يبعد أن يلهمه الله سبحانه، كما ألهم غيره من الطيور، وسائر الحيوانات والمعارف اللطيفة التي لا تكاد العقلاء يهتدون لها. ومن أراد استقراء ذلك فعليه بكتاب «الحيوان» خصوصاً في زمان نبي سخرت له الطيور، وعلم منطقها، وجعل ذلك معجزة له، انتهى.

وقال الزمخشري أيضاً: فإن قلت أَسَجْدَةُ التلاوة واجبة في قراءتي التشديد والتخفيف جميعاً، أو في واحدة منهما؟

قلتُ: هي واجبة فيهما، وإحدى القراءتين أمر بالسجود، والأخرى ذم للتارك. وما ذكره الزجاج من وجوب السجدة مع التخفيف دون التشديد فغير مرجوع إليه. انتهى.

---

(١) زاد المسير.

(٢) الشوكاني.

(٣) الكشاف.

وقوله: ﴿ٱلَّذِى﴾: صفة للجلالة، أو بدل منه، أو عطف بيان له؛ أي: للإله الذي ﴿يُخْرِجُ﴾؛ أي: يظهر ﴿ٱلْخَبْءَ﴾؛ أي: الشيء المدخر المستور ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي[1]: يظهر للناس ما كان مخبؤاً ومخفياً ومستوراً فيهما كائناً ما كان، كالثلج والمطر في السموات والنبات، والماء في الأرض. وقيل: خبء الأرض كنوزها ونباتها، والمعنى: يعلم الغيب في السموات والأرض. وقال ابن جرير: ﴿فِى﴾ بمعنى من، فتقديره: يخرج الخبء من السموات والأرض.

وقرأ أبي وعيسى بن عمر[2]: ﴿الخب﴾: بنقل حركة الهمزة إلى الباء، وحذف الهمزة تخفيفاً. وقرأ عبد الله بن مسعود وعكرمة ومالك بن دينار: ﴿الخبا﴾ بالألف بدل الهمزة، فلزم فتح ما قبلها. قال أبو حاتم: وهذا لا يجوز في العربية، ورد عليه بأن سيبويه حكى عن العرب أن الألف تبدل من الهمزة إذا كان قبلها ساكن.

وقرأ الجمهور: ﴿ٱلْخَبْءَ﴾ بسكون الباء والهمزة. وفي قراءة عبد الله: ﴿يخرج الخبء من السموات والأرض﴾ قال الفراء: ومن وفي يتعاقبان. ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ﴾ في القلوب ﴿وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ بالألسنة والجوراح. وذكر ﴿ما تلعنون﴾؛ لتوسيع دائرة العلم؛ للتنبيه على تساويهما بالنسبة إلى العلم الإلهي.

وقرأ الجمهور[3]: بالتحتية في الفعلين. وقرأ الجحدري وعيسى بن عمر وحفص عن عاصم والكسائي بالتاء فيهما للخطاب. أما القراءة الأولى فلكون الضمائر المتقدمة ضمائر غيبة، وأما القراءة الثانية فلكون قراءة الزهري والكسائي فيهما الأمر بالسجود، والخطاب لهم بذلك فهذا عندهم من تمام ذلك الخطاب.

والمعنى: أن الله سبحانه يخرج ما في هذا العالم الإنساني من الخفاء بعلمه له، كما يخرج ما خفي في السموات والأرض.

ثم بعد ما وصف الرب سبحانه بما تقدم مما يدل على عظيم قدرته، وجليل

---

(١) روح البيان.
(٢) البحر المحيط.
(٣) الشوكاني.

سلطانه، ووجوب توحيده، وتخصيصه بالعبادة.. قال: ﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: الجملة خبره ﴿رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾: خبر بعد خبر.

قرأ الجمهور[1]: ﴿ٱلۡعَظِيمِ﴾ بالجر نعتاً لـ﴿ٱلۡعَرۡشِ﴾. وقرأ ابن محيصن والضحاك بالرفع نعتاً لـ الرب، وخص العرش بالذكر؛ لأنه أعظم المخلوقات، كما ثبت ذلك في الحديث المرفوع إلى رسول الله ﷺ، ووصفه بالعظيم؛ لأنه أعظم ما خلق الله سبحانه من الأجرام، وما سواه في ضمنه.

وقال الزمخشري: فإن قلت: كيف سوى الهدهد بين عرش بلقيس وعرش الله في الوصف العظيم؟

قلت: بين الوصفين فرق؛ لأن وصف عرشها تعظيم له بالإضافة إلى عروش أبناء جنسها من الملوك، ووصف عرش الله سبحانه بالعظم تعظيم له بالنسبة إلى سائر ما خلق الله من السموات والأرض، فبين العظمين تفاوت عظيم.

وقال ابن زيد: من قوله: ﴿أَحَطتُ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلۡعَظِيمِ﴾ كلام الهدهد. انتهى. وقوله: ﴿رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ محل سجود بالاتفاق، كما في «فتح الرحمن»، يستحب للقارىء والمستمع أن يسجد عند قراءتها.

وحاصل معنى الآيتين: أي[2] فصدهم عن السبيل حتى لا يهتدوا ويسجدوا لله الذي يظهر المخبوء في السموات والأرض، كالمطر والنبات، والمعادن المخبوءة في الأرض، ويعلم ما يخفيه العباد وما يعلنونه من الأقوال والأفعال، كما قال: ﴿سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾﴾ ولما بين أن كل العوالم مفتقرة إليه، ومحتاجة إلى تدبيره.. ذكر ما هو كالدليل على ذلك، فأبان أن أعظمها قدراً؛ وهو العرش الذي هو مركز تدبير شؤون العالم هو الخالق به، وهو محتاج إليه، فقال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ۩ ﴿٢٦﴾﴾؛ أي: هو الله الذي لا تصلح العبادة إلا له، وهو رب

---

(١) الشوكاني.

(٢) المراغي.

العرش العظيم، فكل عرش وإن عظم فهو دونه فأفردوه بالطاعة، ولا تشركوا به شيئاً.

ولما ذكر الهدهد[1] قصة بلقيس.. لم يتغير سليمان عليه السلام لذلك، ولم يستفزه الطمع لما سمع من ملكها، كعادة الملوك في الطمع في ملك غيرهم، فلما ذكر الهدهد عبادة بلقيس وقومها غير الله سبحانه اغتاظ سليمان، وأخذته حمية الدين، وجعل يبحث عن تحقق ذلك. و﴿قَالَ﴾؛ أي: سليمان للهدهد، استئناف بياني، كأنه قيل: فما فعل سليمان بعد فراغ الهدهد من كلامه، فقيل: قال: ﴿سَنَنظُرُ﴾ فيما أخبرتنا، وسنتعرف في مقالتك بالتجربة من النظر بمعنى التأمل، والسين للتأكيد. ﴿أَصَدَقْتَ﴾ فيما قلت ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ فيه، هذه الجملة استفهامية في محل نصب على أنه مفعول ﴿سَنَنظُرُ﴾، و﴿أَمْ﴾ هي المتصلة، وقوله: ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ أبلغ من قوله: أم كذبت؛ لأن المعنى من الذين اتصفوا بالكذب وصار خلقاً لهم؛ أي: قال له: سنختبر مقالك ونتعرف حقيقته بالامتحان، أصادق أنت فيما تقول أم كاذب فيه؛ لنتخلص من الوعيد.

وفي هذا[2]: دلالة على أن خبر الواحد، وهو الحديث الذي يرويه الواحد والاثنان فصاعداً ما لم يبلغ حد الشهرة والتواتر لا يوجب العلم، فيجب التوقف فيه على حد التجويز، وفيه دليل على أن لا يطرح، بل يجب أن يتعرف هل هو صدق أو كذب، فإن ظهرت أمارات صدقه قبل، وإلا لم يقبل.

فكتب سليمان ـ أي: في المجلس أو بعده ـ كتاباً إلى بلقيس، فقال فيه: من عبد الله سليمان بن داود إلى ملكة سبأ بلقيس: بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فلا تعلوا علي وائتوني مسلمين، ثم طبعه بالمسك، وختمه بخاتمه المنقوش على فصه اسم الله الأعظم، ودفعه إلى الهدهد فأخذه بمنقاره، أو علقه بخيط، وجعل الخيط في عنقه، وقال: ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا﴾؛ أي: اذهب بهذا الكتاب، فالباء للتعدية، وتخصيصه بالرسالة دون سائر

(١) المراح.
(٢) روح البيان.

ما تحت ملكه من أبناء الجن الأقوياء على التصرف والتعرف؛ لما عاين فيه من علامات العلم والحكمة وصحة الفراسة، ولئلا يبقى لها عذر.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أنه لما صدق فيما أخبر، وبذل النصح لملكه، وراعى جانب الحق.. عوض عليه حتى أهل لرسالة رسول الحق على ضعف صورته ومعناه.

﴿فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ﴾؛ أي: اطرحه على بلقيس وقومها؛ لأنه ذكرهم معها في قوله: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا﴾. وفي «الإرشاد»: وجمع الضمير؛ لما أن مضمون الكتاب الكريم دعوة الكل إلى الإسلام. قال الزجاج[1]: في ﴿ألقه﴾ خمسة أوجه: إثبات الياء في اللفظ وحذفها، وإثبات الكسرة للدلالة عليها، وبضم الهاء، وإثبات ﴿الواو﴾، وبحذف ﴿الواو﴾ وإثبات الضمة للدلالة عليها، وبإسكان الهاء. وقرأ بهذه اللغة الخامسة أبو عمرو وحمزة وأبو بكر. وقرأ قالون بكسر الهاء فقط من غير ياء، وروي عن هشام وجهان: إثبات الياء لفظاً، وحذفه مع كسر الهاء، وقرأ الباقون إثبات الياء في اللفظ. وفي «الروح» قوله: ﴿فألقه﴾ بسكون الهاء تخفيفاً لغة صحيحة، أو على نية الوقف يعني: أن أصله ﴿ألقه﴾ بكسر القاف والهاء على أنه ضمير مفعول راجع إلى الكتاب، فسكن لما ذكر. اهـ.

﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾؛ أي: أعرض عنهم بترك وليهم وقربهم، وابتعد إلى مكان تتوارى فيه، وتسمع ما يجيبونه. أمره بالتولي؛ لكون التنحي بعد دفع الكتاب من أحسن الآداب التي يتأدب بها رسل الملوك، والمراد التنحي إلى مكان يسمع فيه حديثهم حتى يخبر سليمان بما سمع. ﴿فَانْظُرْ﴾؛ أي: أي تأمل وتعرف ﴿مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾؛ أي: ماذا يرجع بعضهم إلى بعض من القول.

قال ابن الشيخ: ﴿مَاذَا﴾ اسم واحد استفهام منصوب بـ﴿يَرْجِعُونَ﴾، أو مبتدأ، و﴿ذا﴾ بمعنى الذي، و﴿يَرْجِعُونَ﴾ صلتها، والعائد محذوف؛ أي: أي شيء الذي يرجعونه؟

---

(١) الشوكاني.

وقيل: في[1] الآية تقديم وتأخير، تقديرها: فألقه إليهم، فانظر ماذا يرجعون، ثم تول عنهم؛ أي: انصرف إلي. فأخذ الهدهد الكتاب، وأتى به إلى بلقيس، وكانت بأرض مأرب من اليمن على ثلاثة مراحل من صنعاء، فوجدها نائمة مستلقية على قفاها وقد غلقت الأبواب، ووضعت المفاتيح تحت رأسها، فألقى الكتاب على نحرها، وتوارى في الكوة، فانتبهت فزعة، فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت؛ لأن ملك سليمان كان في خاتمه، فعند ذلك ﴿قَالَتْ﴾ بلقيس لأشراف قومها.

وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة أن أهل مشورتها كانوا ثلاث مئة واثني عشر رجلاً. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟﴾ وهم عظماء قومها، يجمع على أملاء كنبأ وأنباء ﴿إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾؛ أي: مختوم، وفي الكلام حذف، والتقدير: فذهب الهدهد، فألقاه إليهم، فسمعها تقول: يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم؛ أي[2]: مكرم علي معظم لدي؛ لكونه مختوماً بخاتم عجيب وأصلاً على نهج غير معتاد، كما قال في «الأسئلة المقحمة»: معجزة سليمان كانت في خاتمه، فختم الكتاب بالخاتم الذي فيه ملكه، فأوقع الرعب في قلبها حتى شهدت بكرم كتابه إظهاراً لمعجزته، انتهى.

ويدل على أن الكريم هنا بمعنى المختوم. قوله ﷺ: «كرم الكتاب ختمه». وقيل: معنى ﴿كَرِيمٌ﴾: مرضي في لفظه ومعانيه، أو ﴿كَرِيمٌ﴾: شريف؛ لأنه صدر بالبسملة.

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ﴾ استئناف بياني، كأنه قيل: ممن هو، وماذا مضمونه فقالت: إنه من سليمان؛ أي: إن هذا الكتاب مرسل من سليمان. ﴿وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾؛ أي[3]: وإن ما اشتمل عليه من الكلام، وتضمنه من القول مفتتح بالتسمية، وبعد التسمية ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ﴾؛ أي: لا تتكبروا عليَّ كما

---

(١) الخازن بتصرف.
(٢) روح البيان.
(٣) الشوكاني.
(٤) روح البيان.

يفعله جبابرة الملوك.

و﴿أن﴾ هي المفسرة، أو مصدرية، و﴿لا﴾ ناهية، وقيل: نافية، ومحل الجملة الرفع على أنها بدل من ﴿كِتَٰبٌ﴾، أو خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هو أن لا تعلوا، وهذه[1] البسملة ليست بآية تامة مثل ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ بخلاف ما وقع في أوائل السور، فإنها آية منفردة نزلت مئة وأربع عشرة مرة، عدد السور، كذا قاله بعضهم.

قرأ الجمهور[2]: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ﴾ بكسرهما على الاستئناف، وقرأ عكرمة وابن أبي عبلة بفتحهما على إسقاط حرف الجر؛ أي: لأنه. وقرأ أبي: ﴿أن من سليمان وأن بسم الله﴾ بحذف الضميرين وإسكان النونين على أنهما مفسرتان، أو مخففتان من الثقيلة. وقرأ عبد الله بن مسعود: ﴿وإنه من سليمان﴾ بزيادة ﴿الواو﴾ عطفاً على ﴿إِنِّىٓ أُلْقِىَ﴾. وروى ذلك أيضاً عن أبي. وقرأ أشهب العقيلي وابن السميقع: ﴿أن لا تغلوا﴾ بالغين المعجمة من الغلو؛ وهو تجاوز الحد في الكبر.

فإن قلت: لم قدم[3] سليمان اسمه على اسم الله سبحانه في قوله: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾﴾؟.

قلت: قدم سليمان اسمه على اسم الله تعالى مع أن المناسب عكسه؛ لأنه عرف أن بلقيس تعرف اسمه دون اسم الله تعالى، فخاف أن تستخف باسم الله تعالى أول ما يقع نظرها عليه، أو كان اسمه على عنوان الكتاب واسم الله تعالى في باطنه.

﴿وَأْتُونِى﴾ حال كونكم ﴿مُسْلِمِينَ﴾؛ أي: منقادين للدين مؤمنين بما جئت به، فإن الإيمان لا يستلزم الإسلام والانقياد، دون العكس. وهذا[4] الكلام كان في غاية الإيجاز مع كمال الدلالة على المقصود؛ لاشتماله على البسملة الدالة على

---

(1) الشوكاني.
(2) فتح الرحمن.
(3) البيضاوي.
(4) البحر المحيط.

ذات الصانع وصفاته صريحاً، أو التزاماً، والنهي عن الترفع الذي هو أم الرذائل، والأمر بالإسلام الجامع لأمهات الفضائل، وليس الأمر فيه بالانقياد قبل إقامة الحجة على رسالته، حتى يكون استدعاء للتقليد، فإن إلقاء الكاتب إليها على تلك الحالة من أعظم الأدلة.

وروي[1]: أنه لم يكتب أحد بسم الله الرحمن الرحيم قبل سليمان عليه السلام، والظاهر أن الكاتب هو ما نص الله عليه فقط، واحتمل أن يكون مكتوباً بالعربي؛ إذ الملوك يكون عندهم من يترجم بعدة ألسن، فكتب بالخط العربي، واللفظ العربي؛ لأنها كانت عربية من نسل تبع بن شراحيل الحميري، واحتمل أن يكون باللسان الذي كان سليمان يتكلم به، وكان عندها من يترجم لها؛ إذ كانت هي عارفة بذلك اللسان.

ونص هذا الكتاب مع وَجازَتِه يدل على أمور:

١. إنه مشتمل على إثبات الإله ووحدانيته وقدرته، وكونه رحماناً رحيماً.

٢. نهيهم عن اتباع أهوائهم، ووجوب اتباعهم للحق.

٣. أمرهم بالمجيء إليه منقادين خاضعين. وبهذا يكون الكتاب قد جمع كل ما لا بد منه في الدين والدنيا.

الإعراب

﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ۝١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٣﴾

﴿طسٓۚ﴾ قد تقدم إعراب هذه الكلمة، وتقدم لنا أن القول الأسلم في معنى هذه الكلمة تفويض علمها إلى الله سبحانه، وعلى هذا القول ليس لهذه الكلمة محل من الإعراب؛ لأن الإعراب فرع عن إدراك المعنى ﴿تِلۡكَ﴾: مبتدأ. ﴿ءَايَٰتُ

(١) روح البيان.

﴿ٱلْقُرْءَانِ﴾: خبر ومضاف إليه، والجملة مستأنفة. ﴿وَكِتَابٍ﴾: معطوف على ﴿ٱلْقُرْءَانِ﴾. ﴿مُّبِينٍ﴾: صفة لـ﴿كتابٍ﴾. ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ﴾: حالان من ﴿ءَايَٰتُ﴾، والعامل فيها ما في ﴿تِلْكَ﴾ من معنى الإشارة؛ أي: هادية ومبشرة، ويجوز فيهما الرفع على أنهما خبران لمبتدأ محذوف؛ أي: هي هدى وبشرى، ومعنى هداها للمؤمنين، وهم مهديون، زيادتها في هداهم. ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: تنازع فيه كل من ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ﴾. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول للجمع المذكر في محل الجر صفة لـ﴿المؤمنين﴾، ويجوز قطعه على أنه خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: هم الذين. ﴿يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به صلة الموصول. ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿يُقِيمُونَ﴾. ﴿وَهُم﴾: ﴿الواو﴾: حالية، أو عاطفة. ﴿هُم﴾: مبتدأ، ﴿بِٱلْأَخِرَةِ﴾: متعلق بـ﴿يُوقِنُونَ﴾. ﴿هُمْ﴾: تأكيد لفظي للمبتدأ، ولما فصل بين المبتدأ والخبر بالمتعلق الذي هو ﴿بِٱلْأَخِرَةِ﴾.. أعيد المبتدأ ثانياً؛ ليتصل بخبره في الصورة، وجملة ﴿يُوقِنُونَ﴾ خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب حال من فاعل ﴿يُؤْتُونَ﴾، أو معطوفة على جملة الصلة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾: ناصب واسمه. ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿بِٱلْأَخِرَةِ﴾: متعلق بـ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿زَيَّنَّا﴾: فعل وفاعل، ﴿لَهُمْ﴾: متعلق به. ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة مستأنفة، ﴿فَهُمْ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿هم﴾ مبتدأ، وجملة ﴿يَعْمَهُونَ﴾ خبره، والجملة الاسمية في محل الرفع معطوفة على جملة ﴿زَيَّنَّا﴾. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة مستأنفة. ﴿لَهُمْ﴾: خبر مقدم. ﴿سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة صلة الموصول. ﴿وَهُمْ﴾: مبتدأ. ﴿فِي ٱلْأَخِرَةِ﴾: متعلق بـ﴿ٱلْأَخْسَرُونَ﴾. ﴿هُمُ﴾: تأكيد للمبتدأ. ﴿ٱلْأَخْسَرُونَ﴾: خبر المبتدأ، والجملة معطوفة على جملة الصلة ﴿وَإِنَّكَ﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿إِنَّكَ﴾: ناصب واسمه. ﴿لَتُلَقَّى﴾:

﴿اللام﴾: حرف ابتداء، ﴿تلقى﴾: فعل مضارع مغير الصيغة، ونائب فاعله ضمير يعود على محمد. ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾: مفعول ثان لـ﴿تلقى﴾ ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿تلقى﴾. ﴿عَلِيمٍ﴾: صفة ﴿حَكِيمٍ﴾، وجملة ﴿تلقى﴾ في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة.

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾﴾.

﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان متعلق بمحذوف تقديره: اذكر يا محمد لقومك قصة إذ قال موسى، والجملة المحذوفة مستأنفة. ﴿قَالَ مُوسَىٰ﴾: فعل وفاعل. ﴿لِأَهْلِهِۦٓ﴾: متعلق بـ﴿قَالَ﴾، والجملة الفعلية في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إِذْ﴾. ﴿إِنِّىٓ﴾: ناصب واسمه. ﴿ءَانَسْتُ نَارًا﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول ﴿قال﴾. ﴿سَـَٔاتِيكُم﴾: ﴿السين﴾: حرف تنفيس واستقبال، ﴿آتيكم﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به. ﴿مِّنْهَا﴾: جار ومجرور حال من خبر؛ لأنه صفة نكرة قدمت عليها. ﴿بِخَبَرٍ﴾: متعلق بـ﴿ءَاتِيكُم﴾، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها مستأنفة، ﴿أَوْ﴾: حرف عطف وتنويع، وهي مانعة خلو. ﴿ءَاتِيكُم﴾: فعل وفاعل ومفعول به معطوف على ﴿ءَاتِيكُم﴾ الأول. ﴿بِشِهَابٍ﴾: متعلق بـ﴿ءَاتِيكُم﴾. ﴿قَبَسٍ﴾: بدل من ﴿شهاب﴾، أو نعت له على تأويله بمشتق؛ أي: شهاب مقتبس؛ أي: مأخوذ من نار. ﴿لَّعَلَّكُمْ﴾: ناصب واسمه، وجملة ﴿تَصْطَلُونَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿لعل﴾، وجملة ﴿لعل﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها معللة لما قبلها.

﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨﴾﴾.

﴿فَلَمَّا﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة على محذوف معلوم من السياق تقديره: فذهب موسى من عند أهله، فلما جاءها نودي. ﴿لما﴾: اسم شرط غير جازم في محل نصب مفعول فيه ظرف زمان. ﴿جَآءَهَا﴾: فعل ومفعول به، وفاعله ضمير مستتر

يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾، والجملة فعل شرط ومحلها الجر بالإضافة لـ﴿لمّا﴾. ﴿نُودِيَ﴾: فعل ماض مغير الصيغة، ونائب فاعله ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾، والجملة جواب ﴿لما﴾، وجملة ﴿لما﴾ معطوفة على تلك المحذوفة. ﴿أَنۢ﴾: مفسرة بمعنى أي؛ لأن في النداء معنى القول دون حروفه، والمعنى: قيل له بورك، ويجوز أن تكون مصدرية، ودخلت هنا على الماضي، أو مخففة من الثقيلة، و﴿أَنۢ﴾ ما بعدها ﴿بُورِكَ﴾ في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض؛ أي: بأن بورك. ﴿مَن﴾: اسم موصول في محل الرفع نائب فاعل لـ﴿بُورِكَ﴾. ﴿فِي ٱلنَّارِ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف صلة ﴿مَن﴾ الموصولة؛ أي: استقر في مكان النار، وجملة ﴿بُورِكَ﴾ جملة مفسرة لا محل لها من الإعراب، و﴿مَن﴾ الثانية: معطوفة على ﴿مَن﴾ الأولى. ﴿حَوْلَهَا﴾: ظرف صلة ﴿مَن﴾ الثانية. ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿سبحانَ﴾: منصوب على المفعولية المطلقة بفعل محذوف وجوباً. ﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: بدل منه، أو نعت له، والجملة المحذوفة مستأنفة، وهي من جلمة لمّا نودي.

﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾﴾.

﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾: منادى مفرد العلم، وجملة النداء مستأنفة. ﴿إِنَّهُۥٓ﴾: ناصب واسمه والهاء: إما ضمير الشأن، أو عائدة إلى ما دل عليه ما قبلها، يعني إن مكلمك. ﴿أَنَا﴾: مبتدأ. ﴿ٱللَّهُ﴾: خبره، والجملة في محل الرفع خبر ﴿إن﴾. ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾: صفتان للجلالة. ﴿وَأَلْقِ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿ألق﴾: فعل أمر، وفاعل مستتر يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾. ﴿عَصَاكَ﴾: مفعول به ومضاف إليه، والجملة معطوفة على ﴿بُورِكَ﴾؛ لأن المعنى: نودي أن بورك من النار وأن ألق عصاك، وهذا مما يرجح كون ﴿أن﴾ مفسرة. ﴿فَلَمَّا﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة على محذوف تقديره: فألقاها فاستحالت حية فلما رآها. ﴿لما﴾: اسم شرط غير جازم. في محل نصب مفعول فيه ظرف زمان ﴿رَءَاهَا﴾: فعل وفاعل مستتر

ومفعول به، و﴿رأى﴾ هنا بصرية تتعدى إلى مفعول واحد. ﴿تَهْتَزُّ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على العصا، والجملة في محل النصب حال من مفعول رآها. ﴿كَأَنَّهَا﴾: ناصب واسمه. ﴿جَآنٌّ﴾: خبره، وجملة كأن في محل النصب حال ثانية من ضمير ﴿رَءَاهَا﴾، أو هي حال من ضمير ﴿تَهْتَزُّ﴾ فتكون حالا متداخلة. ﴿وَلَّىٰ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾. ﴿مُدْبِرًا﴾: حال من فاعل ولى، والجملة الفعلية جواب ﴿لما﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿لما﴾ معطوفة على الجملة المحذوفة. ﴿وَلَمْ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿لَمْ﴾: حرف جزم. ﴿يُعَقِّبْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ﴿لَمْ﴾، وفاعله ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾، والجملة معطوفة على جملة ﴿وَلَّىٰ﴾. ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾: منادى مفرد العلم، وجملة النداء في محل النصب مقول لقول محذوف تقديره: قال الله سبحانه يا موسى. ﴿لَا﴾: ناهية جازمة. ﴿تَخَفْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ﴿لَا﴾ الناهية، وفاعله ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾، والجملة في محل النصب مقول للقول المحذوف على كونها جواب النداء. ﴿إِنِّى﴾: ناصب واسمه. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَخَافُ﴾: فعل مضارع. ﴿لَدَىَّ﴾ ظرف ومضاف إليه متعلق بـ﴿يَخَافُ﴾. ﴿ٱلْمُرْسَلُونَ﴾: فاعل، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول للقول المحذوف على كونها معللة لما قبلها ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء بمعنى لكن؛ لأن الاستثناء منقطع. ﴿مَن﴾: اسم موصول في محل النصب على الاستثناء. ﴿ظَلَمَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَن﴾، والجملة صلة ﴿مَن﴾ الموصولة. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿بَدَّلَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر. ﴿حُسْنًۢا﴾: مفعول به. ﴿بَعْدَ سُوٓءٍ﴾: ظرف ومضاف إليه صفة لـ﴿حُسْنًۢا﴾، والجملة الفعلية معطوفة على جملة ﴿ظَلَمَ﴾. ﴿فَإِنِّى﴾: ﴿الفاء﴾: تعليلية، ﴿إِنِّى﴾: ناصب واسمه. ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: خبر أول لها. ﴿رَّحِيمٌ﴾: خبر ثان لها، والجملة في محل النصب مقول القول المحذوف على كونها معلل للاستثناء.

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾.

﴿وَأَدْخِلْ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿أدخل﴾ فعل أمر وفاعل مستتر يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾. ﴿يَدَكَ﴾: مفعول به ومضاف إليه. ﴿فِي جَيْبِكَ﴾: متعلق بـ﴿أدخل﴾، والجملة معطوفة على جملة ﴿ألق﴾، ﴿تَخْرُجْ﴾: فعل مضارع مجزوم بالطلب السابق، وفاعله ضمير يعود على ﴿يَدَكَ﴾. ﴿بَيْضَآءَ﴾: حال من فاعل ﴿تَخْرُجْ﴾. ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه صفة ﴿بَيْضَآءَ﴾، أو حال أخرى من فاعل ﴿تَخْرُجْ﴾. ﴿فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بمحذوف حال أخرى من فاعل ﴿تَخْرُجْ﴾؛ أي: حالة كونها آية مندرجة في جملة الآيات التسع ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من فاعل ﴿أدخل﴾؛ أي: أدخل يدك في جيبك حال كونك مرسلاً بها إلى فرعون. ﴿وَقَوْمِهِۦٓ﴾: معطوف على ﴿فِرْعَوْنَ﴾. ﴿إِنَّهُمْ﴾: ناصب واسمه. ﴿كَانُوا۟ قَوْمًا﴾: فعل ناقص واسمه وخبره. ﴿فَٰسِقِينَ﴾: صفة ﴿قَوْمًا﴾، وجملة ﴿كان﴾ في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل الأمر بالذهاب. ﴿فَلَمَّا﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفت أنا بعثناه إلى فرعون وقومه في تسع آيات، وأردت بيان حالهم حين جاءهم موسى.. فأقول لك. ﴿لما جَآءَتْهُمْ: ﴿لما﴾: اسم شرط. ﴿جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا﴾: فعل ومفعول به وفاعل. ﴿مُبْصِرَةً﴾: حال من ﴿ءَايَٰتُنَا﴾. ﴿قَالُوا۟﴾: فعل وفاعل جواب ﴿لما﴾، وجملة ﴿لما﴾ في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة. ﴿هَٰذَا سِحْرٌ﴾: مبتدأ وخبر. ﴿مُّبِينٌ﴾: صفة ﴿سِحْرٌ﴾، والجملة في محل النصب مقول ﴿قال﴾. ﴿وَجَحَدُوا۟﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿قَالُوا۟﴾. ﴿بِهَا﴾: متعلق بـ﴿جحدوا﴾. ﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ﴾: ﴿الواو﴾: حالية. ﴿استيقنتها﴾: فعل ومفعول به. ﴿أَنفُسُهُمْ﴾: فاعل، والجملة في محل النصب حال من فاعل ﴿جحدوا﴾ ولكنها على تقدير قد. ﴿ظُلْمًا﴾: مفعول لأجله لـ﴿جحدوا﴾، أو حال من فاعل ﴿جحدوا﴾؛ أي: ظالمين ومستكبرين. ﴿وَعُلُوًّا﴾: معطوف على ﴿ظُلْمًا﴾. ﴿فَٱنظُرْ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفت جحدهم بآيات الله سبحانه، وأردت بيان ما هو اللائق بك.. فأقول لك انظر وفكر واعجب. ﴿انظر﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على

محمد، والجملة في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة. ﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام التعجبي في محل النصب خبر ﴿كَانَ﴾ مقدم عليه وجوباً ﴿كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: فعل واسمه ومضاف إليه، وجملة ﴿كَانَ﴾ في محل النصب مفعول به لـ﴿انظر﴾ معلقة عنها باسم الاستفهام. وعبارة «السمين»: والجملة في محل نصب على إسقاط الخافض؛ لأنها معلقة لـ﴿انظر﴾ بمعنى: تفكر.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية، و﴿اللام﴾: موطئة للقسم، ﴿قد﴾: حرف تحقيق. ﴿ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ﴾: فعل وفاعل ومفعول أول. ﴿وَسُلَيْمَٰنَ﴾: معطوف على ﴿دَاوُۥدَ﴾. ﴿عِلْمًا ۖ﴾: مفعول ثان لـ﴿ءَاتَيْنَا﴾، والجملة الفعلية جواب القسم لا محل لها من الإعراب. ﴿وَقَالَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة على محذوف تقديره: فعملا بما أعطياه بالقلب بالعزم وعملا به بالجوارح بالمباشرة، وعملا به باللسان، وقالا الحمد لله، والجملة المحذوفة معطوفة على ﴿ءَاتَيْنَا﴾. ﴿قالا﴾: فعل وفاعل معطوف على الجملة المحذوفة. ﴿ٱلْحَمْدُ﴾: مبتدأ. ﴿لِلَّهِ﴾: جار ومجرور خبر المبتدأ، والجملة في محل النصب مقول ﴿قالا﴾. ﴿ٱلَّذِى﴾: صفة للجلالة. ﴿فَضَّلَنَا﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به، والجملة صلة الموصول. ﴿عَلَىٰ كَثِيرٍ﴾: متعلق بـ﴿فَضَّلَنَا﴾. ﴿مِّنْ عِبَادِهِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه صفة لـ﴿كَثِيرٍ﴾. ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: صفة لـ﴿عِبَادِهِ﴾. ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة مستأنفة. ﴿وَقَالَ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على ﴿سُلَيْمَٰنُ﴾ معطوف على ﴿ورث﴾. ﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾: حرف نداء. ﴿أي﴾: منادى نكرة مقصودة، و﴿ها﴾: حرف تنبيه زائد تعويضاً عما فات؛ أي: من الإضافة. ﴿ٱلنَّاسُ﴾: بدل من ﴿أي﴾، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿عُلِّمْنَا﴾: فعل ونائب فاعل. ﴿مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾: مفعول ثان لـ﴿عُلِّمْنَا﴾، والجملة في

محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها جواب النداء. ﴿وَأُوتِينَا﴾: فعل ونائب فاعل معطوف على ﴿عُلِّمْنَا﴾. ﴿مِن﴾: زائدة، أو تبعيضية. ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾: مفعول ثان لـ﴿وَأُوتِينَا﴾. ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾: ناصب واسمه. ﴿لَهُوَ﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء، ﴿هو﴾: ضمير فصل. ﴿الْفَضْلُ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿الْمُبِينُ﴾: صفة ﴿الْفَضْلُ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة على كونها مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَحُشِرَ﴾: فعل ماض مغيَّر الصيغة. ﴿لِسُلَيْمَانَ﴾: متعلق به. ﴿جُنُودُهُ﴾: نائب فاعل لـ﴿حُشر﴾، والجملة مستأنفة. ﴿مِنَ الْجِنِّ﴾: حال من ﴿جُنُودُهُ﴾. ﴿وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ﴾: معطوفان على ﴿الْجِنِّ﴾. ﴿فَهُمْ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفت حشر جنوده، وأردت بيان حالهم عند الحشر.. فأقول لك هم. ﴿هم﴾: مبتدأ. ﴿يُوزَعُونَ﴾: فعل ونائب فاعل، والجملة خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة.

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾﴾.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف جر وغاية لمحذوف تقديره: فساروا حتى إذا أتوا. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان. ﴿أَتَوْا﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل الخفض بإضافة إذا إليها، والظرف متعلق بالجواب الآتي. ﴿عَلَىٰ﴾: حرف جر. ﴿وَادِ﴾: مجرور بـ﴿عَلَىٰ﴾، وحذفت الياء في الخط تبعاً للفظ. ﴿النَّمْلِ﴾: مضاف إليه، الجار والمجرور متعلق بـ﴿أَتَوْا﴾. ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾: فعل وفاعل، والجملة جواب ﴿إِذَا﴾، وجملة ﴿إِذَا﴾ الشرطية في محل الخفض بـ﴿حَتَّىٰ﴾ الجارة تقديره: فساروا إلى قول النملة وقت إتيانهم وادي النمل. ﴿يَا أَيُّهَا﴾: ﴿يا﴾ حرف نداء ﴿أي﴾: منادى نكرة مقصودة، ﴿ها﴾: حرف تنبيه. ﴿النَّمْلُ﴾: بدل من ﴿أي﴾، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قَالَتْ﴾. ﴿ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول به على السعة، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَتْ﴾ على كونها جواب

النداء. ﴿لَا﴾ ناهية جازمة. ﴿يَحْطِمَنَّكُمْ﴾: فعل مضارع، ونون توكيد ثقيلة، ومفعول به في محل الجزم بـ﴿لَا﴾ الناهية مبني على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة. ﴿سُلَيْمَٰنُ﴾: فاعل. ﴿وَجُنُودُهُۥ﴾: معطوف عليه، والجلمة في محل النصب مقول ﴿قَالَتْ﴾ على كونها مستأنفة؛ لأنها لا تعلق لها بما قبلها. ﴿وَهُمْ﴾: ﴿الواو﴾: حالية ﴿هُمْ﴾: مبتدأ، وجملة ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾ خبره، والجملة الاسمية في محل النصب حال من ﴿سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾. ﴿فَتَبَسَّمَ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة على محذوف تقديره: فسمع قولها فتبسم ﴿تبسم﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على ﴿سُلَيْمَٰنُ﴾. ﴿ضَاحِكًا﴾: حال مؤكدة من فاعل ﴿تبسم﴾، والجملة معطوفة على تلك المحذوفة. ﴿مِّن قَوْلِهَا﴾: متعلق بـ﴿ضَاحِكًا﴾. ﴿وَقَالَ﴾: فعل وفاعل مستتر معطوف على ﴿تبسم﴾. ﴿رَبِّ﴾: منادى مضاف حذف منه حرف النداء في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿أَوْزِعْنِىٓ﴾: فعل دعاء وفاعل مستتر ومفعول به ونون وقاية، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها جواب النداء. ﴿أَنْ﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿أَشْكُرَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ﴿أَنْ﴾ المصدرية، وفاعله ضمير مستتر يعود على ﴿سُلَيْمَٰنُ﴾. ﴿نِعْمَتَكَ﴾: مفعول به ومضاف إليه. ﴿ٱلَّتِىٓ﴾: صفة لـ﴿نِعْمَتَكَ﴾، وجملة ﴿أَنْ﴾ المصدرية مع صلتها في تأويل مصدر منصوب على كونه مفعولاً ثانياً لـ﴿أَوْزِعْنِىٓ﴾؛ لأنه بمعنى: ألهمني، أو منصوب بنزع الخافض؛ أي: رب أوزعني شكر نعمتك. ﴿أَنْعَمْتَ﴾: فعل وفاعل صلة الموصول، والعائد محذوف تقديره: أنعمتها. ﴿عَلَىَّ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أَنْعَمْتَ﴾. ﴿وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ﴾: معطوف على قوله: ﴿عَلَىَّ﴾. ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ﴾: ناصب وفعل مضارع، وفاعل مستتر معطوف على ﴿أَنْ أَشْكُرَ﴾. ﴿صَٰلِحًا﴾: مفعول به، أو مفعول مطلق. ﴿تَرْضَىٰهُ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به، والجملة صفة ﴿صَٰلِحًا﴾. ﴿وَأَدْخِلْنِى﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة ﴿أدخلني﴾: فعل دعاء ونون وقاية وفاعل مستتر ومفعول به معطوف على ﴿أَوْزِعْنِىٓ﴾. ﴿بِرَحْمَتِكَ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿أدخلني﴾، والباء سببية، أو بمحذوف حال من مفعول ﴿أدخلني﴾؛ أي: حالة كوني متلبساً برحمتك. ﴿فِى عِبَادِكَ﴾: متعلق بـ﴿أدخلني﴾ أيضاً. ﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: نعت لـ﴿عِبَادِكَ﴾.

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به، والجملة مستأنفة مسوقة في سرد أمر آخر حدث لسليمان أثناء مسيره الذي كان فيه قصة النمل. ﴿فَقَالَ﴾: فعل وفاعل مستتر معطوف على ﴿تفقد﴾. ﴿مَا﴾: اسم استفهام في محل الرفع مبتدأ مبني على السكون. ﴿لي﴾: جار ومجرور خبر المبتدأ، والجملة في محل النصب مقول ﴿قال﴾. ﴿لَآ﴾: نافية. ﴿أَرَى﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر. ﴿ٱلْهُدْهُدَ﴾: مفعول به، والجملة في محل النصب حال من ياء المتكلم. ﴿أَمْ﴾: منقطعة بمعنى بل. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص، واسمه ضمير يعود على ﴿ٱلْهُدْهُدَ﴾. ﴿مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾: خبره، والجملة في محل النصب مقول ﴿قال﴾. وفي «الفتوحات»: قوله: ﴿أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾: ﴿أَمْ﴾: منقطعة، كأنه لما لم يره ظن أنه حاضر ولا يراه لساتر أو غيره، فقال: ﴿مَالِيَ لَآ أَرَى﴾، ثم احتاط فلاح له أنه غائب فأضرب عن ذلك، وأخذ يقول: أهو غائب، كأنه يسأل عن صحة ما لاح له. اهـ. «بيضاوي». وعلى هذا فتقدر ببل والهمزة، أو ببل وحدها، أو بالهمزة وحدها، اهـ.

﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾.

﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ﴾: ﴿اللام﴾: موطئة للقسم، ﴿أعذبن﴾: فعل مضارع في محل الرفع مبني على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وفاعله ضمير مستتر يعود على ﴿سُلَيْمَٰنُ﴾، و﴿الهاء﴾: مفعول به ﴿عَذَابًا﴾: مفعول مطلق. ﴿شَدِيدًا﴾: صفة له، والجملة جواب القسم. ﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾: فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بالنون، وفاعله ضمير يعود على ﴿سُلَيْمَٰنُ﴾، و﴿الهاء﴾: مفعول به، والجملة معطوفة على جملة ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ﴾. ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي﴾ ﴿أَوْ﴾: حرف عطف، و﴿اللام﴾: حرف موطئة للقسم. ﴿يأتيني﴾: فعل مضارع في محل الرفع؛ لتجرده عن الناصب والجازم مبني على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱلْهُدْهُدَ﴾، ونون الوقاية حرف لا محل لها من الإعراب؛ لأن أصله: ليأتينني بثلاث نونات، و﴿الياء﴾: مفعول به. ﴿بِسُلْطَٰنٍ﴾: متعلق بـ﴿يأتيني﴾.

﴿مُّبِينٍ﴾: صفة ﴿سلطان﴾، والجملة معطوفة على جملة ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ﴾.

﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿فَمَكَثَ﴾: ﴿الفاء﴾: استئنافية، ﴿مكث﴾: فعل ماض وفاعل مستتر، والجملة مستأنفة. ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾: منصوب على الظرفية الزمانية؛ أي: زماناً غير بعيد، أو على المكانية؛ أي: مكاناً غير بعيد. ﴿فَقَالَ﴾: فعل وفاعل مستتر يعود على ﴿ٱلْهُدْهُدَ﴾، معطوف على ﴿مكث﴾. ﴿أَحَطتُ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل النصب مقول ﴿قال﴾. ﴿بِمَا﴾: متعلق بـ﴿أَحَطتُ﴾. ﴿لَمْ﴾: حرف جزم. ﴿تُحِطْ﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر يعود على ﴿سُلَيْمَٰنُ﴾ مجزوم بـ﴿لَمْ﴾. ﴿بِهِۦ﴾: متعلق بـ﴿تُحِطْ﴾، والجملة صلة الموصول. ﴿وَجِئْتُكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به معطوف على ﴿أَحَطتُ﴾. ﴿مِن سَبَإٍ﴾: متعلق بمحذوف حال من ﴿نبأ﴾؛ لأنه صفة نكرة قدمت عليها. ﴿بِنَبَإٍ﴾: متعلق بـ﴿جئتك﴾. ﴿يَقِينٍ﴾ صفة ﴿نباء﴾.

﴿إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿إِنِّى﴾: ناصب واسمه. ﴿وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً﴾: فعل وفاعل ومفعول به، ووجد هنا يتعدى لمفعول واحد؛ لأنه من وجدان الضالة، والجملة في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول ﴿قال﴾. ﴿تَمْلِكُهُمْ﴾: فعل وفاعل مستتر يعود على ﴿ٱمْرَأَةً﴾، ومفعول به، والجملة صفة لـ﴿ٱمْرَأَةً﴾. ﴿وَأُوتِيَتْ﴾: فعل ماض مغير الصيغة، ونائب فاعله ضمير يعود على ﴿ٱمْرَأَةً﴾، والجملة معطوفة على جملة ﴿تَمْلِكُهُمْ﴾. ﴿مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أوتيت﴾. ﴿وَلَهَا﴾: خبر مقدم. ﴿عَرْشٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿عَظِيمٌ﴾: صفة لـ﴿عَرْشٌ﴾، والجملة في محل النصب حال من نائب فاعل ﴿أوتيت﴾.

﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿وَجَدتُّهَا﴾: فعل وفاعل ومفعول به ﴿وَقَوْمَهَا﴾: معطوف على الهاء، أو مفعول معه، والجملة الفعلية بدل من جملة قوله: ﴿وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً﴾، فهي داخلة في

حيز خبر ﴿إِنَّ﴾، ووجد يتعدى لواحد، كما مر آنفاً؛ لأنه بمعنى لقيتها. ﴿يَسْجُدُونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿لِلشَّمْسِ﴾: متعلق به. ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: حال من فاعل ﴿يَسْجُدُونَ﴾؛ أي: مجاوزين الله، وجملة ﴿يَسْجُدُونَ﴾: في محل النصب حال من مفعول ﴿وَجَدتُّ﴾ وما عطف عليه. ﴿وَزَيَّنَ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿زين﴾: فعل ماض. ﴿لَهُمُ﴾: متعلق به. ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: فاعل: ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾: مفعول به، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة ﴿يَسْجُدُونَ﴾. ﴿فَصَدَّهُمْ﴾: ﴿الفاء﴾: حرف عطف وتفريع، ﴿صدهم﴾: فعل ومفعول به، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾، والجملة معطوفة على جملة ﴿زين﴾. ﴿عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: متعلق بـ﴿صدهم﴾. ﴿فَهُمْ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة تفريعية، ﴿هم﴾: مبتدأ، وجملة ﴿لَا يَهْتَدُونَ﴾: خبره، والجملة الاسمية معطوفة على جملة ﴿فَصَدَّهُمْ﴾.

﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿أَلَّا﴾: ﴿أن﴾: حرف نصب ومصدر مبني بسكون على النون المدغمة في لام ﴿لا﴾، وحذفت في الخط اتباعاً لرسم المصحف العثماني، ﴿لا﴾: زائدة. ﴿يَسْجُدُوا۟﴾: فعل وفاعل منصوب بحذف النون، وجملة ﴿أن﴾ المصدرية مع صلتها في تأويل مصدر منصوب على المفعولية لـ﴿يَهْتَدُونَ﴾، لكن بنزع الخافض، وهو إلى. والمعنى: فهم لا يهتدون إلى السجود، وعلى هذا الإعراب لا يصح الوقف على ﴿يَهْتَدُونَ﴾. ويجوز أن يكون المصدر بدلاً من ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾، و﴿لا﴾: نافية حينئذ، والتقدير: وزين لهم الشيطان أعمالهم عدم السجود، ويجوز أن يكون بدلاً من ﴿ٱلسَّبِيلِ﴾، و﴿لا﴾: زائدة، وفيه أوجه آخر كما أشرنا إليها في مبحث التفسير. ﴿لِلَّهِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿يَسْجُدُوا۟﴾. ﴿ٱلَّذِى﴾: صفة للجلالة. ﴿يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به، والجملة صلة الموصول. ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: متعلق بـ﴿يُخْرِجُ﴾. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾. ﴿وَيَعْلَمُ﴾: فعل وفاعل مستتر معطوف على ﴿يُخْرِجُ﴾. ﴿مَا﴾: مفعول ﴿يَعْلَمُ﴾، وجملة ﴿تُخْفُونَ﴾ صلة الموصول، والعائد محذوف؛ أي: ما تخفونه.

﴿وَمَا تُعْلِنُونَ﴾: معطوف على ﴿مَا تُخْفُونَ﴾. ﴿اللَّهُ﴾: مبتدأ، وجملة ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: خبره، والجملة مستأنفة. ﴿رَبُّ الْعَرْشِ﴾: خبر ثان للجلالة. ﴿الْعَظِيمِ﴾: بالجر صفة لـ﴿الْعَرْشِ﴾، وبالرفع صفة لـ﴿رَبُّ﴾.

﴿۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على ﴿سُلَيْمَانُ﴾، والجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً. ﴿سَنَنظُرُ﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر يعود على ﴿سُلَيْمَانُ﴾، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿أَصَدَقْتَ﴾: ﴿الهمزة﴾: فيه للاستفهام، ﴿صدقت﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل النصب مفعول ﴿ننظر﴾ معلق عنها بهمزة الاستفهام. ﴿أَمْ﴾: متصلة معادلة للهمزة. ﴿كُنتَ﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾: خبر ﴿كان﴾، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة ﴿صدقت﴾. ﴿اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا﴾: قبله محذوف تقديره: ثم كتب سليمان كتاباً، فقال اذهب بكتابي هذا. ﴿اذْهَب﴾: فعل أمر، وفاعل مستتر يعود على ﴿الْهُدْهُدَ﴾. ﴿بِّكِتَابِي﴾: متعلق به. ﴿هَٰذَا﴾: صفة لـ﴿كتابي﴾، أو بدل منه، والجملة الفعلية في محل النصب مقول للقول المحذوف، كما قدرنا. ﴿فَأَلْقِهْ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿ألقه﴾: فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول به. ﴿إِلَيْهِمْ﴾: متعلق به، والجملة معطوفة على جملة ﴿اذْهَب﴾، ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿تَوَلَّ﴾: فعل أمر وفاعل مستتر معطوف على ﴿ألق﴾. ﴿عَنْهُمْ﴾: متعلق بـ﴿تَوَلَّ﴾، أو بمحذوف حال من فاعل ﴿تَوَلَّ﴾؛ أي: متجاوزاً إياهم إلى مكان قريب تتوارى فيه ﴿فَانظُرْ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿انظر﴾: فعل أمر، وفاعل مستتر معطوف على ﴿تَوَلَّ﴾. ﴿مَاذَا﴾: اسم استفهام مركب في محل النصب مفعول مقدم لـ﴿يَرْجِعُونَ﴾. ﴿يَرْجِعُونَ﴾: فعل وفاعل؛ أي: أي شيء يرجعون؟، أو ﴿ما﴾: اسم استفهام مبتدأ ﴿ذا﴾: اسم موصول بمعنى الذي في محل الرفع خبره، وجملة ﴿يَرْجِعُونَ﴾: صلة ﴿ذا﴾، والعائد محذوف تقديره: أي شيء الذي يرجعونه؟ وعلى كلا التقديرين، فالجملة الاستفهامية قد علق عنها العامل، وهو ﴿انظر﴾ بالاستفهام، فمحلها

النصب على نزع الخافض؛ أي: ثم انظر في أي شيء يرجعون.

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣١)﴾.

﴿قَالَتْ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على بلقيس، والجملة مستأنفة. ﴿يا﴾: حرف نداء. ﴿أي﴾: منادى نكرة مقصودة، ﴿ها﴾: حرف تنبيه زائد. ﴿الْمَلَأُ﴾: صفة لـ﴿أي﴾، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قال﴾. ﴿إِنِّي﴾: ناصب واسمه. ﴿أُلْقِيَ﴾: فعل ماض مغير الصيغة. ﴿إِلَيَّ﴾: متعلق به. ﴿كِتَابٌ﴾: نائب فاعل. ﴿كَرِيمٌ﴾: صفة لـ﴿كِتَابٌ﴾، وجملة ﴿أُلْقِيَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَتْ﴾ على كونها جواب النداء. ﴿إِنَّهُ﴾: ناصب واسمه. ﴿مِن سُلَيْمَانَ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة مسوقة للرد على سؤال مقدر، كأنهم قالوا: ممن هو وما هي منطوياته. ﴿وَإِنَّهُ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿إِنَّهُ﴾: ناصب واسمه، وجملة البسملة خبرها، وجملة ﴿إن﴾ معطوفة على جملة ﴿إن﴾ الأولى. ﴿أَلَّا﴾: ﴿أن﴾: مفسرة. ﴿لا﴾: ناهية. ﴿تَعْلُوا﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية. ﴿عَلَيَّ﴾: متعلق به، والجملة الفعلية مفسرة لـ﴿كِتَابٌ﴾؛ لتضمنه معنى القول دون حروفه؛ أي: ألقي إلى أن لا تعلوا علي. ويجوز أن تكون ﴿أن﴾ مصدرية ناصبة للفعل، و﴿لا﴾: نافية، و﴿أن﴾ وما في حيزها مصدر مؤول في محل رفع بدل من ﴿كِتَابٌ﴾، أو خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: مضمونه أن لا تعلوا، أو في محل النصب بنزع الخافض؛ أي: بأن لا تعلوا. ﴿وَأْتُونِي﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿وَأْتُونِي﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو: فاعل، و﴿النون﴾: للوقاية، و﴿الياء﴾: مفعول به. ﴿مُسْلِمِينَ﴾: حال من فاعل ﴿وَأْتُونِي﴾.

التصريف ومفردات اللغة

﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٢)﴾: هما مصدران أقيما مقام الفاعل للمبالغة، كأنهما نفس الهدى والبشارة.

﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾؛ أي: يترددون ويتحيرون في أودية الضلال من العمه، وهو التردد في الأمر من التحير؛ أي: يترددون بين تركها؛ لأنها واضحة البطلان، ظاهر السوء، وبين الاستمرار عليها. وقيل: معنى ﴿يَعْمَهُونَ﴾: يستمرون من غير تردد؛ إذ لم يدر في خلدهم لحظة الإقلاع عنها. ويقال في تصريفه: عمه يعمه ـ من باب ضرب وفتح ـ عمهاً وعموهاً وعموهية وعمهاناً إذا تحير في طريقه أو أمره، وتردد في الضلال فهو عمه، وجمعه عمهون وعامه، وجمعه عامهون وعمه.

﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ والسوء: كل ما يسوء الإنسان ويغمه.

﴿ٱلْأَخْسَرُونَ﴾؛ أي: أشد الناس خسراناً لحرمانهم الثواب، واستمرارهم في العذاب.

﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾؛ أي: لتلقن وتعطي، يقال: تلقى الكلام من فلان ولقنه إذا أخذه من لفظه وفهمه. وعبارة «القرطبي»: أي: يلقى إليك فتتلقاه، وتعلمه وتأخذه من لدن حكيم عليم. وفي «السمين»: لقي مخففاً يتعدى لواحد، ومضعفاً يتعدى لاثنين، فأقيم أولهما هنا مقام الفاعل، والثاني: ﴿ٱلْقُرْءَانِ﴾. اهـ.

﴿ءَانَسْتُ نَارًا﴾؛ أي: أبصرت إبصاراً حصل لي به أنس، يقال: آنست ناراً، وآنست فزعاً، وآنست منه رشداً، فهو يطلق على المادي والمعنوي.

﴿بِخَبَرٍ﴾؛ أي: عن الطريق وحاله. ﴿أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾؛ أي: بشعلة نار قبس؛ أي: بقطعة من النار مقبوسة، ومأخوذة من أصلها. يقرأ بإضافة ﴿شهاب﴾ إلى ﴿قَبَسٍ﴾، فالإضافة فيه للبيان؛ لأن الشهاب يكون قبساً وغيره، كالكوكب فهو من إضافة النوع إلى جنسه، كخاتم حديد وثوب خز، وهي بمعنى من؛ أي: شهاب من قبس، ويقرأ بتنوين ﴿شهاب﴾، فـ﴿قَبَسٍ﴾ على هذا بدل منه، أو نعت له على تأويله بالمفعول؛ أي: شهاب مقتبس؛ أي: مأخوذ من نار، فالشهاب الشعلة، والقبس النار. والشهاب في الأصل كل مضيء متولد من النار، وما يرى كأنه كوكب انقض، والكوكب عموماً، والسنان لما فيه من البريق، وجمعه شهب وشُهبان وشِهبان وأشهب، ويقال: فلان شهاب حرب إذا كان ماضياً فيها،

والقَبَس ـ بفتحتين ـ: النار المقبوسة. تقول: خذ لي قبساً من النار ومقبساً ومقباساً، واقبس لي ناراً واقتبس، ومنه: ما أنت إلا كالقابس العجلان؛ أي: المقتبس، وما زورتك إلا كقبسة العجلان. وتقول: ما أنا إلا قبسة من نارك وقبضة من آثارك، وقبسته ناراً وأقبسته، كقولك بغيته الشيء وأبغيته، ومن المجاز قبسته علماً وخبراً وأقبسته.

وفي «المفردات»: الشهاب: الشعلة الساطعة من النار المتوقدة، والقبس: المتناول من الشعلة، والاقتباس، ثم استعير لطلب العلم والهداية.

﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾: فيه الإبدال من تاء الافتعال؛ لأن أصله تصتلون، فقلبت التاء طاء لوقوعها بعد حرف الإطباق، وهو الصاد على القاعدة التصريفية، وهو من صلي بالنار ـ بكسر اللام ـ من باب تعب. وفي «المصباح»: صلى بالنار وصليها صلى ـ من باب تعب ـ: وجد حرها، والصلاء ـ بوزن كتاب ـ حر النار، والنار العظيمة، وصليت اللحم أصليه ـ من باب رمى ـ شويته. وفي «الأساس»: وصلي النار وصلى بها يصلى النار الكبرى وتصلاها وتصلى بها، وأصلاه وصلاه، وشاة مصلية: مشوية، وقد صليتها. ومعنى ﴿تَصْطَلُونَ﴾: تستدفئون بها.

قال الشاعر:

اَلـنَّـارُ فَـاكِـهَـةُ ٱلـشِّـتَـاءِ فَـمَـنْ يُـرِدْ   أَكْـلَ ٱلْـفَـوَاكِـهِ شَـاتِـيَـاً فَـلْـيَـصْـطَـلِ

﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ والجان: حية صغيرة سريعة الحركة، هذا بالنظر إلى أصل معناها، وإلا فجثتها كانت كبيرة جداً. وفي «القاموس» و «التاج»: والجان: اسم جمع للجن، وحية أكحل العين لا تؤذي كثيره في الدور.

﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ يقال: ولى عنها: أعرض عنها، وأدبر عنها: جعلها تلي ظهره. ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾: لم يعطف ولم ينتظر من عقب المقاتل إذا كر بعد الفر.

قال الشاعر:

فَـمَـا عَـقَّـبُـوْا إِذْ قِـيْـلَ هَـلْ مِـنْ مُـعَـقِّـبٍ   وَلاَ نَـزَلُـوْا يَـوْمَ ٱلْـكَـرِيْـهَـةِ مَـنْـزِلاَ

يصف قوماً بالجبن، وأنهم إن قيل لهم: هل من معقب وراجع على عقبه

للحرب لم يرجعوا إليها، ولا نزلوا يوم الحرب منزلاً من منازلها.

﴿فِي جَيْبِكَ﴾؛ أي: طوق قميصك، وسمي جيبك؛ لأنه يجاب؛ أي: يقطع ليدخل فيه الرأس. ﴿جحدوا بها﴾؛ أي: كذبوها. ﴿وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾؛ أي: علمت علماً يقينياً أنها من عند الله، والجحود: إنكار الشيء بعد المعرفة والإيقان تعنتاً، وأريد هنا التكذيب؛ لئلا يلزم استدراك قوله: ﴿وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾.

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾؛ أي: قام مقامه في النبوة والملك.

﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ﴾؛ أي: أعطينا فهم ما يريده كل طائر إذا صوت. والمنطق: مصدر ميمي لنطق ينطق ـ من باب ضرب ـ نطقاً ومنطقاً ونطوقاً؛ أي: تكلم بصوت وحروف تعرف بها المعاني، والمنطق: الكلام، وقد يستعمل في غير الإنسان. يقال: سمعت منطق الطير.

وقال البيضاوي: والنطق والمنطق في المتعارف: كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفرداً كان أو مركباً، مفيداً كان أو غير مفيد، وقد يطلق على ما يصوت به على التشبيه أو التبع، كقولهم: نطقت الحمامة إذا صوتت، ومنه الناطق والصامت للحيوان والجماد، وعلم المنطق: هو علم يبحث في صحيح الفكر وفاسده، فهو يضع القواعد التي تعصم الذهن من الوقوع في الأخطاء.

والطير جمع طائر، كركب وراكب، وهو كل ذي جناح يسبح في الهواء ويجري، وكان سليمان يعرف نطق غير الطير أيضاً، كما يجيء من قصة النمل، لكنه أدرج هذا في قوله: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ وخص منطق الطير؛ لشرف الطير على سائر الحيوان.

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ﴾ الحشر: إخراج الجماعة من مقرهم وإزعاجهم عنه إلى الحرب وغيرها.

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾؛ أي: يحبس أولهم ليلحق آخرهم، فيكونون مجتمعين لا يتخلف منهم أحد. وفي «المختار»: وزعه يزعه وزعاً مثل وضعه يضعه وضعاً؛ أي: كفه فانتزع هو؛ أي: كف، وأوزعه بالشيء أغراه به، واستوزعت الله

شكره، فأوزعني؛ أي: استلهمته، فألهمني. والوازع: الذي يتقدم الصف فيصلحه ويقدم ويؤخر، وجمعه وزعة. وقال الحسن: لا بد للناس من وازع؛ أي: سلطان يكفهم. يقال: وزعت الجيش إذا حبست أولهم على آخرهم.

﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ النَمل والنُمل ـ بضم الميم ـ حيوان حريص على جمع الغذاء، يتخذ قرى تحت الأرض، فيها منازل ودهاليز، وغرف وطبقات منعطفة يملؤها حبوباً وذخائر للشتاء. الواحدة: نملة، ونملة للذكر والأنثى. والجمع: نمال كرملة ورمال. وفي «الروح»: ونملة مؤنث حقيقي بدليل لحوق علامة التأنيث فعلها؛ لأن نملة تطلق على الذكر والأنثى، فإذا أريد تمييزها احتيج إلى مميز خارجي، نحو نملة ذكر، ونملة أنثى، وكذلك لفظة حمامة ويمامة من المؤنثات اللفظية. اهـ

﴿وَادِ ٱلنَّمْلِ﴾ والوادي: الموضع الذي يسيل فيه الماء، والنمل معروف، الواحدة: نملة، سميت نملة لتنملها؛ وهي كثرة حركتها وقلة قوائمها، ومعنى وادي النمل: واد يكثر فيه النمل، والمراد: واد بالشام أو بالطائف كثير النمل، والمشهور أنه النمل الصغير.

﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾؛ أي: لا يكسرنكم ويهشمنكم سليمان وجنوده. وفي «المختار»: حطمه من باب ضرب؛ أي: كسره فانحطم وتحطم، والتحطيم: التكسير، والحطام: ما تكسر من اليبس. اهـ، وسمي حجر الكعبة الحطيم؛ لأنه كسر منها.

﴿أَوْزِعْنِيٓ﴾ ألهمني، وحقيقته: اجعلني أزع شكر نعمتك عندي، وأكفه وارتبطه لا ينفلت عني حتى لا أنفك شاكراً لك، وقد تقدم شرح هذه المادة قريباً.

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾ قال في «القاموس»: تفقده طلبه عن غيبة. وفي «كشف الأسرار»: التفقد: طلب المفقود، وإنما قيل له التفقد؛ لأن طالب الشيء يدرك بعضه ويفقد بعضه. في المفردات: التفقد التعهد، لكن حقيقة التفقد تعرف فقدان

الشيء، والتعهد: تعرف العهد المقدم، والطير: اسم جامع للجنس كما في «الوسيط».

﴿ٱلْهُدْهُدَ﴾ ـ بضمتين مع سكون الدال ـ والهُدَهِد ـ بضم ففتح فكسر ـ والهداهد: طائر ذو خطوط وألوان كثيرة، الواحدة: هدهدة بضمتين بينهما سكون، وهدهدة بضم ففتح فكسر، وهداهدة، والجمع: هداهد وهداهيد.

ويقولون: هو أبصر من هدهد؛ لأنهم يزعمون أنه يرى الماء تحت الأرض، وفي «حياة الحيوان»: الهدهد: منتن الريح طبعاً؛ لأنه يبني أفحوصه في الزبل. وهذا عام في جنسه وإن بخر المجنون بعرف الهدهد أبرأه ولحمه إذا بخر به معقود عن المرأة، أو مسحور أبرأه. وفي «الفتاوى الزينية»: سئل عن أكل الهدهد أيجوز أم لا؟ أجاب نعم يجوز. انتهى.

﴿عَذَابًا شَدِيدًا﴾ العذاب: الإيجاع الشديد، وعذبه تعذيباً أكثر حبسه في العذاب. ﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ وأصل الذبح شق حلق الإنسان. اهـ. «روح».

﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي﴾ بنون مشددة مفتوحة؛ هي نون التوكيد الثقيلة بعدها نون مكسورة؛ هي نون الوقاية، وقرىء ﴿لَيَأْتِيَنِّي﴾ بنون مشددة مكسورة أصله: ليأتينني بثلاث نونات، فحذفت النون التي قبل ياء المتكلم لتوالي الأمثال.

﴿فَمَكَثَ﴾ بضم الكاف وفتحها، والأول من باب قرب، والثاني من باب نصر، وفي «القاموس» وغيره: مكث يمكث ـ من باب نصر ـ مكثاً بفتح فسكون ومكثاً بفتحتين ومكوثاً ومكيثي بالمكان أقام ولبث فهو ماكث. والاسم المكث بضم الميم، والمِكث بكسرها، ومكث يمكث ـ من باب قرب ـ مكاثة نبت ورزن. اهـ والمكث: ثبات مع انتظار.

﴿بِمَا لَمْ تُحِطْ﴾ والإحاطة بالشيء علماً: أن يعلمه من جميع جهاته حتى لا يخفى عليه معلوم ما. اهـ «خازن».

﴿مِن سَبَإٍ﴾ وسبأ: بلاد واقعة جنوبي غربي الجزيرة العربية في اليمن،

ذكرت في كتاب العهد القديم، وفي مؤلفات العرب، واليونان، والرومان كانت على جانب عظيم من الحضارة، كان يتعاطى سكانها تجارة الذهب والفضة والأحجار الكريمة.

﴿تَمْلِكُهُمْ﴾؛ أي: تسوسهم وتدبر أمورهم، لا ملك الرقبة. ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ والعرش في الأصل: شيء مسقف، ويراد به هنا سرير عظيم، أعني: سرير الملك. ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ والسبيل من الطريق ما هو معتاد السلوك.

﴿الْخَبْءَ﴾: مصدر بمعنى المخبوء، يقال: خبأت الشيء أخبؤه خبأ ـ من باب نفع ـ؛ أي: سترته، والخبء في السموات المطر وفي الأرض النبات.

﴿سَنَنْظُرُ﴾ من النظر بمعنى التأمل، والسين للتأكيد؛ لنعرف بالتجربة البتة.

﴿تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾؛ أي: تنح عنهم إلى مكان قريب تتوارى فيه؛ ليكون ما يقولونه بسمع منك. ﴿فَانْظُرْ﴾؛ أي: تأمل وفكر. ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ﴾ والملأ: عظماء القوم الذين يملؤون العيون مهابة، والقلوب جلالة، جمعه أملاء كنبأ وأنباء. ﴿أَلَّا تَعْلُوا﴾؛ أي: ألا تتكبروا ولا تنقادوا للهوى والنفس. ﴿مُسْلِمِينَ﴾؛ أي: منقادين خاضعين.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: الإشارة بالبعيد عن القريب في قوله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ﴾ للإيذان ببعد منزلته في الفضل والشرف.

ومنها: التنكير للتعظيم والتفخيم في قوله: ﴿وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾؛ أي: كتاب عظيم الشأن رفيع القدر.

ومنها: الإتيان بالمصدر بدل اسم الفاعل؛ للمبالغة في قوله: ﴿هُدًى

﴿وَبُشْرَىٰ﴾؛ أي: هادياً ومبشراً، كأنها نفس الهدى والبشارة.

ومنها: تكرير الضمير في قوله: ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ لإفادة الحصر والاختصاص، وأما وجه تكراره هنا فهو أنه كان أصل الكلام هم يوقنون بالآخرة، ثم قدم المجرور على عامله عناية به، فوقع فاصلاً بين المبتدأ والخبر، فأريد أن يلي المبتدأ خبره. وقد حال المجرور بينهما، فطرّي ذكره ليليه الخبر، ولم يفت مقصود العناية بالجار والمجرور حيث بقي على حاله مقدماً، ولا يستنكر أن تعاد الكلمة مفصولة له وحدها بعدما يوجب التطرية. ومثله ﴿وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ وفيه المقابلة اللطيفة بين الجملتين.

ومنها: العدول في الصلة عن الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية؛ لإفادة التأكيد والمبالغة والدوام، فإن الإيمان والإيقان بالآخرة أمر ثابت مطلوب دوامه، ولذلك أتي به جملة اسمية، وجعل خبرها فعلاً مضارعاً، فقال: ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾؛ للدلالة على أن إيقانهم يستمر على سبيل التجدد، أما إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة مما يتكرر ويتجدد في أوقاتهما المعينة، ولذلك أتى بهما فعلين، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾.

ومنها: التأكيد بـ﴿إن﴾ واللام في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾؛ أي: لوجود المتشككين في القرآن.

ومنها: تنوين الاسمين للتعظيم في قوله: ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾.

ومنها: الجمع بين الحكيم والعليم إشعاراً بأن علوم القرآن منها ما هو حكمة كالعقائد والشرائع، ومنها ما ليس كذلك كالقصص والأخبار الغيبية.

ومنها: استعمال أو بدل ﴿الواو﴾ في قوله: ﴿أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ آثر ﴿أو﴾ على ﴿الواو﴾؛ لنكتة بلاغية رائعة، فإن ﴿أو﴾ تفيد التخيير، وقد بنى رجاءهُ على أنه إن لم يظفر بحاجتيه جميعاً فلن يعدم بواحدة منهما، وهما: إما هداية الطريق، وإما اقتباس النار هضماً لنفسه، واعترافاً بقصوره نحو ربه.

ومنها: إيجاز الحذف في قوله: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾ حذفت قبل الرؤية جمل تقديرها: فألقاها فانقلبت إلى حية الخ.

ومنها: التعجيب من عظمة ما رأى في قوله: ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

ومنها: التشبيه في قوله: ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ حيث شبه الحية العظيمة المسماة بالثعبان بالجان؛ أي: الحية الصغيرة في سرعة الحركة والالتواء.

ومنها: التعريض بظلم موسى بقتل القبطي في قوله: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ﴾.

ومنها: الطباق بين الحسن والسوء في قوله: ﴿حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ﴾، وبين ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾.

ومنها: التشبيه المرسل المجمل في قوله: ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ ذكرت أداة التشبيه وحذفت وجه الشبه، فصار مرسلاً مجملاً.

ومنها: المجاز العقلي في إسناد الإبصار إلى الآيات في قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً﴾ حيث نسب الإبصار إليها مجازاً؛ لأنه بها يبصر، ويجوز أن يكون مجازاً مرسلاً، والعلاقة السببية؛ لأنها سبب الإبصار، وهذا أولى من قول بعضهم: إن مبصرة اسم فاعل بمعنى اسم المفعول نحو ماء دافق؛ أي: مدفوق إشعاراً بأنها لفرط وضوحها وإنارتها كأنها تبصر نفسها لو كانت مما يبصر.

ومنها: التنوين والتنكير في قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا﴾؛ لتعظيم العلم الذي أوتياه وتكثيره، كأنه قال: علماً أي، علم، وهو كذلك فإن علمهما كان مما يستغرب ويستعظم، ومن ذلك علم منطق الطير وسائر الحيوانات على أن كل علم بالإضافة إلى علم الله سبحانه قليل ضئيل.

ومنها: استعمال حرف الاستعلاء لإفادة الفوقية في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ﴾ فعدى ﴿أَتَوْا۟﴾ بـ﴿عَلَىٰ﴾؛ لأن الإتيان كان من فوق، فأتى بحرف الاستعلاء.

ومنها: التوليد في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فإن هذه الآية اشتملت على أحد عشر نوعاً من البلاغة يتولد بعضها من بعض: **أولها**: النداء بـ﴿يا﴾، **وثانيها**: كنت بـ﴿أي﴾، **وثالثها**: نبهت بـ﴿ها﴾ التنبيه، **ورابعها**: سمت بقولها: ﴿ٱلنَّمْلِ﴾، **وخامسها**: أمرت بقولها: ﴿ٱدْخُلُوا۟﴾، **وسادسها**: نصت بقولها: ﴿مَسَٰكِنَكُمْ﴾، **وسابعها**: حذرت بقولها: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾، **وثامنها**: خصصت بقولها: ﴿سُلَيْمَٰنُ﴾، **وتاسعها**: عممت بقولها: ﴿وَجُنُودُهُۥ﴾، **وعاشرها**: أشارت بقولها؛ ﴿وَهُمْ﴾، **وحادي عشرها**: عذرت بقولها: ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾. هذا وقد أنشدوا ملغزين في نملة سليمان وبقرة بني إسرائيل.

فَمَا مَيْتٌ أَحْيَا لَهُ ٱللَّهُ مَيِّتاً ... لِيُخْبِرَ قَوْماً أُنْذِرُوا بِبَيَانِ
وَعَجْفَاءُ قَدْ قَامَتْ لِتُنْذِرَ قَوْمَهَا ... وَأَهْلَ قُرَاهَا رَهْبَةَ ٱلْحَدَثَانِ

ومنها: أسلوب التعجب في قوله: ﴿مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾.

ومنها: التأكيد المكرر في قوله: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ﴾، ﴿أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ﴾، ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّى﴾؛ لتأكيد الأمر.

ومنها: طباق السلب في قوله: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾.

ومنها: جناس التصريف في قوله: ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ وهو اختلاف صيغة الكلمتين بإبدال حرف من حرف إما من مخرجه، أو من قريب من مخرجه؛ وهو من محسنات الكلام المتعلقة باللفظ. وقال أبو حيان في تعريفه: وهو أن تنفرد كل كلمة من الكلمتين عن الأخرى بحرف. انتهى.

قال صاحب «الكشاف»: وهذا من محاسن الكلام بشرط أن يجيء مطبوعاً غير متكلف، أو يصنعه عالم بجوهر الكلام، ولقد حسن في الآية، وبدع لفظاً ومعنى، ألا ترى أنه لو وضع مكان ﴿بِنَبَإٍ﴾ لفظة بخبر.. لكان المعنى صحيحاً، ولكن يفوت ما في النبأ من الزيادة التي معناها الخبر الهام، والتي يطابقها وصف الحال؛ لأنه جاء منغوماً عذب الجرس؛ لاتفاق سبأ ونبأ.

ومنها: الطباق في اللفظ في قوله: ﴿تُخْفُونَ﴾ و﴿تُعْلِنُونَ﴾.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ (٣٢) قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟
قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣) قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً
أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ
يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ (٣٥) فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم ۚ بَلْ أَنتُم
بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٦) ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ
(٣٧) قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ
بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ
قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن
شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ (٤٠) قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ
تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (٤١) فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا
مُسْلِمِينَ (٤٢) وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ (٤٣) قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ
فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى
ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٤٤) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ
ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ (٤٥) قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا
تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤٦) قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ
أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ (٤٧) وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (٤٨)
قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ
(٤٩) وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ
مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢) وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ (٥٣) وَلُوطًا إِذْ قَالَ
لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ (٥٤) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ
بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (٥٥)﴾.

التفسير وأوجه القراءة

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ﴾؛ أي: بلقيس قبله حذف معلوم من السياق، تقديره:

فلما قرأت بلقيس الكتاب جمعت أشراف قومها وقالت لهم: يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى﴾ وكرر[1] ﴿قَالَتْ﴾؛ للإيذان بغاية اعتنائها بما قالت؛ أي: قالت: يا أيها الأشراف أفتوني في أمري؛ أي: أجيبوني في الذي ذكرت لكم بما يقتضيه الحزم، واذكروا ما تستصيبون فيه، وأشيروا علي وبينوا لي الصواب فيه، وعبرت عن جواب المشورة بالفتوى الذي هو الجواب في الحوادث المشكلة غالباً، إشعاراً بأنهم قادرون على حل المشكلات النازلة، وليكون في ذلك حل لما أشكل عليها من الأمر. قال بعضهم: الفتوى من الفتى؛ وهو الشاب القوي، وسميت الفتوى بذلك؛ لأن المفتي؛ أي: المجيب الحاكم بما هو صواب يقوي السائل في جواب الحادثة.

ثم زادت في التأدب لهم، واستجلاب خواطرهم ليمحضوها النصح، ويشيروا عليها بالصواب، فقالت: ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا﴾؛ أي: فاصلة ومنفذة أمراً من الأمور ﴿حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾؛ أي: حتى تحضروا عندي، وتشيروا علي؛ أي: لا أقطع أمراً إلا بمحضركم وبموجب آرائكم؛ أي: عادتي معكم أن لا أفعل أمراً من الأمور المتعلقة بالملك حتى أحضركم وأشاوركم.

وفيه استمالة لقلوبهم[2]؛ لئلا يخالفوها في الرأي والتدبير، وفيه إشارة إلى أن المرء لا ينبغي أن يكون مستبداً برأيه، ويكون مشاوراً في جميع ما سنح له من الأمور، لا سيما الملوك يجب أن يكون لهم قوم من أهل الرأي والبصيرة، فلا يقطعون أمراً إلا بمشاورتهم. والمعنى: أي[3]: قالت بلقيس لأشراف قومها: أيها الملأ أشيروا علي في أمر هذا الكتاب الذي ألقي إلي، فإني لا أقضي فيه برأي حتى تشهدوني فأشاوركم فيه.

وفي قولها هذا دلالة على إجلالهم، وتكريمهم ليمحضوها النصح، ويشيروا عليها بالصواب، ولتختبر عزمهم على مقاومة عدوهم، وحزمهم فيما يقيم أمرهم

---

(١) روح البيان.
(٢) المراغي.

وإمضاءهم على الطاعة لها، علماً منها أنهم إن لم يبذلوا أنفسهم وأموالهم ودماءهم دونها.. لم يكن لها طاقة بمقاومة عدوها، وإن لم يجتمع أمرهم وحزمهم وجدهم.. كان ذلك عوناً لعدوهم عليهم، وإن لم تختبر ما عندهم، وتعلم قدر عزمهم.. لم تكن على بصيرة من أمرهم، وربما كان في استبدادها برأيها وهن في طاعتها، وتعمية في تقدير أمرهم، وكان في مشاورتهم، وأخذ رأيهم عون على ما تريد من قوة شوكتهم، وشدة مدافعتهم، ألا ترى إلى قولهم في جوابهم: ﴿نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُوْلُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ على ما لها من عقل راجح وأدب جم في التخاطب. وعلى هذا النهج سار الإسلام، فقد قال سبحانه لنبيه: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾، وقد مدح سبحانه صحابة رسوله بقوله: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾.

وفي قراءة عبد الله[1]: ﴿ما كنت قاضية أمراً﴾ وقوله: ﴿حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ بكسر النون[2] والفتح لحن، لأن النون إنما تفتح في موضع الرفع، وهذا في موضع النصب. وأصله: حتى تشهدونني، فحذفت النون الأولى للنصب والياء؛ لدلالة الكسرة عليها، وبالياء في الوصل والوقف. قرأ يعقوب: أي: حتى تحضروني، أو تشيروني، أو تشهدوا أنه صواب؛ أي: لا أبت الأمر إلا بمحضركم. وقيل: كان أهل مشورتها ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً.

وقوله: ﴿قَالُوا۟﴾؛ أي: قال الملأ مجيبين لها، استئناف بياني، كأنه قيل: فماذا قالوا في جوابها؟ فقيل: قالوا: ﴿نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ﴾ في العدد والعدة؛ أي: ذووا قوة في الآلات والأجساد والعدد. ﴿وَأُوْلُوا بَأْسٍ﴾ وأخذ ﴿شَدِيدٍ﴾ لأعدائنا عند الحرب واللقاء؛ أي: لنا من الشجاعة والنجدة ما نمنع به أنفسنا وبلدنا ومملكتنا؛ أي: لنا شجاعة مفرطة، وبطش شديد، فلا نخاف أعداءنا.

وهذا تعريض[3] منهم بالقتال إن أمرتهم بذلك، ثم فوضوا الأمر إليها؛ لعلمهم بصحة رأيها وقوة عقلها، فقالوا: ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾ في شأننا هذا، بل في كل

---

(١) البحر المحيط.
(٢) النسفي.
(٣) روح البيان.

أمورنا مفوض ﴿إِلَيْكِ﴾ أيتها الملكة، وموكول إلى رأيك ونظرك. ﴿فَٱنظُرِي﴾ وفكري ﴿مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ وتشيرين علينا؛ أي: تأملي ماذا تأمرينا به سامعون لأمرك، مطيعون له، فمري بنا بأمرك.

وفيه إشارة إلى أن شرط أهل المشاورة أن لا يحكموا على الرئيس المستشير بشيء، بل يخيرونه فيما أراد من الرأي الصائب، فلعله أعلم بصلاح حاله منهم، فلما أحست منهم الميل إلى الحرب، والعدول عن سنن الصواب، بادعائهم القوى الذاتية والعرضية لم ترض به، لما علمت أن من سخر له الطير على هذا الوجه لا يعجزه شيء يريده، ومالت إلى الصلح، وبينت السبب في رغبتها فيه. فـ﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً﴾ من القرى، ومدينة من المدن على منهاج الحراب والقتال.

قال الزجاج: أي إذا دخلوها عنوة عن قتال وغلبة ﴿أَفْسَدُوهَا﴾؛ أي[1]: خربوا مبانيها، وغيروا مغانيها، وأتلفوا أموالها، وفرقوا شمل أهلها ﴿وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾؛ أي: ذليلين بالقتل والأسر، والإجلاء وغير ذلك من أنواع الإهانة والإذلال؛ أي: أهانوا أشرافها، وحطوا مراتبهم، فصاروا عند ذلك أذلة. وإنما يفعلون ذلك لأجل أن يتم لهم الملك، وتستحكم لهم الوطأة، وتتقرر لهم في قلوبهم المهابة، والمقصود من قولها هذا تحذير قومها من مسير سليمان إليهم، ودخوله بلادهم، وقد صدقها الله سبحانه فيما قالت، فقال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾؛ أي: مثل ذلك الفعل من الإفساد، وجعل الأعزة أذلة يفعلون؛ أي: وكما قالت هي تفعل الملوك.

قال ابن الأنباري: الوقف على قوله: ﴿وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾ وقف تام. فقال الله عز وجل تحقيقاً لقولها: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ وقيل[2]: هذه الجملة من تمام كلامها، ذكرته توكيداً لما وصفته من حال الملوك، وتقريراً بأن ذلك من عادتهم المستمرة؛ أي: إن الذين أرسلوا الكتاب يفعلون مثل الذي تفعله الملوك،

---

(١) الشوكاني. (٢) المراح.

فإن ذلك عادتهم المستمرة.

وفي ذلك إشارة إلى أن العاقل مهما تيسر له دفع الخصوم بطريق صالح لا يوقع نفسه في خطر الهلاك بالمحاربة والمقاتلة بالاختيار، إلا أن يكون مضطراً. قال بعضهم: من السؤدد الصلح وترك الإفراط في الغيرة.

وفي «الفتوحات المكية»: للملك أن يعفو عن كل شيء إلا عن ثلاثة أشياء، وهي: التعرض للحرم، وإفشاء سره، والقدح في الملك. نسأل الله حسن الأدب في طريق الطلب.

ومعنى الآية: أي قالت لهم حين عرضوا عليها أنفسهم لقتال سليمان: إنّ الملوك إذا دخلوا قرية فاتحين أفسدوها بتخريب عمائرها، وإتلاف أموالها، وأذلوا أهلها بالأسر والإجلاء عن موطنهم، أو قتلوهم تقتيلاً ليتم لهم الملك والغلبة، وتتقرر لهم في النفوس المهابة، وهكذا يفعلون معنا، وفي هذا تحذير شديد لقومها من مسير سليمان إليهم ودخوله بلادهم.

ثم لما قدمت لهم هذه المقدمة، وبينت لهم ما في دخول الملوك إلى أرضهم من المفسدة.. أوضحت لهم وجه الرأي عندها، وصرحت لهم بصوابه، فقالت: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم﴾؛ أي: إلى سليمان وقومه رسلاً ﴿بِهَدِيَّةٍ﴾ عظيمة، وهي[1] اسم للشيء المهدى بملاطفة ورفق ﴿فَنَاظِرَةٌ﴾؛ أي: فمنتظرة. قال في «كشف الأسرار»: الناظر ههنا بمعنى المنتظر، و﴿الفاء﴾ فيه للعطف على مرسلة.

﴿بِمَ﴾ أصله بما، على أنه استفهام؛ أي: بأي شيء. ﴿يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ بالجواب من عنده حتى أعمل بما يقتضيه الحال، و﴿بِمَ﴾ متعلق بـ﴿يَرْجِعُ﴾؛ أي: إني أجرب هذا الرجل بإرسال رسلي إليه بهدية مشتملة على نفائس الأموال، فإن كان ملكاً أرضيناه بذلك، وكفينا أمره، وإن كان نبياً لم يرضه ذلك؛ لأن غاية مطلبه، ومنتهى أربه هو الدعاء إلى الدين فلا ينجينا منه إلا إجابته ومتابعته، والتدين بدينه، وسلوك طريقته، وإني ناظرة فيما يرجع به رسلي المرسلون بالهدية

(١) روح البيان.

من قبول أو رد، فعاملة بما يقتضيه ذلك.

والمعنى: أي[1] وإني سأرسل إليه هدية من نفائس الأموال؛ لأتعرف حاله، وأختبر أمره، أنبي هو أم ملك، فإن كان نبياً لم يقبلها، ولم يرض منا إلا أن نتبعه على دينه، وإن كان ملكاً قبل الهدية، وانصرف إلى حين، فإن الهدايا مما تورث المودة، وتذهب العداوة. وفي الحديث: «تصافحوا يذهب الغل، وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء». ولقد أحسن من قال:

هَدَايَا ٱلنَّاسِ بَعْضُهُمُ لِبَعْضٍ ... تُوَلِّدُ فِيْ قُلُوْبِهِمُ ٱلْوِصَالاَ
وَتَزْرَعُ فِيْ ٱلضَّمِيْرِ هَوَى وَوِدّاً ... وَتُكْسِبُهُمْ إِذَا حَضَرُوْا جَمَالاَ

وحاصل القصة[2]: أن بلقيس كانت امرأة لبيبة عاقلة، قد ساست الأمور وجربتها فأهدت وصفاء ووصائف. قال ابن عباس: مئة وصيف، ومئة وصيفة. وقال وهب وغيره: عمدت بلقيس إلى خمس مئة غلام، وخمس مئة جارية، فألبست الجواري لباس الغلمان الأقبية والمناطق، وألبست الغلمان لباس الجواري، وجعلت في أيديهم أساور الذهب، وفي أعناقهم أطواق الذهب، وفي آذانهم أقرطة، وشنوفاً مرصعات بأنواع الجواهر، وحملت الجواري على خمس مئة فرس، والغلمان على خمس مئة برذون، على كل فرس سرج من الذهب مرصع بالجواهر وأغشية الديباج، وبعثت إليه لبنات من ذهب، ولبنات من فضة، وتاجاً مكللاً بالدر والياقوت، وأرسلت بالمسك والعنبر والعود والألنجوج، وعمدت إلى حقة جعلت فيها درة ثمينة غير مثقوبة، وخرزة جرع معوجة الثقب، ودعت رجلاً من أشراف قومها ـ يقال له: المنذر بن عمرو ـ وضمت إليه رجالاً من قومها أصحاب عقل ورأي، وكتبت مع المنذر كتاباً تذكر فيه الهدية، وقالت: إن كنت نبياً فميز بين الوصفاء والوصائف، وأخبرنا بما في الحقة قبل أن تفتحها، وأثقب الدرة ثقباً مستوياً، وأدخل في خرزة خيطاً من غير علاج إنس ولا جن، وأمرت بلقيس الغلمان، فقالت: إذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام فيه تأنيث

---

(١) المراغي.
(٢) الخازن.

وتخنيث يشبه كلام النساء، وأمرت الجواري أن يكلموه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال، ثم قالت للرسول: انظر إلى الرجل إذا دخلت عليه، فإن نظر إليك نظراً فيه غضب.. فاعلم أنه ملك فلا يهولنك منظره، فإنا أعز منه، وإن رأيت الرجل بشاشاً لطيفاً.. فاعلم أنه نبي فتفهم قوله، ورد الجواب، فانطلق الرسول بالهدايا، وأقبل الهدهد مسرعاً إلى سلميان فأخبره الخبر، فأمر سليمان الجن أن يضربوا لبناً من الذهب والفضة ففعلوا، وأمرهم بعمل ميدان مقدار تسع فراسخ، وأن يفرش فيه لبن الذهب والفضة، وأن يخلوا قدر تلك اللبنات التي معهم، وأن يعملوا حول الميدان حائطاً مشرفاً من الذهب والفضة ففعلوا، ثم قال سليمان: أي دواب البر والبحر أحسن، فقالوا يا نبي الله رأينا في بحر كذا دواب مختلفة ألوانها لها أجنحة وأعراف ونواص، قال: عليَّ بها، فأتوه بها، فقال: شدوها عن يمين الميدان وشماله، وقال للجن: عليَّ بأولادكم، فاجتمع منهم خلق كثير فأقامهم على يمين الميدان وشماله، ثم قعد سليمان في مجلسه على سريره، ووضع أربعة آلاف كرسي على يمينه وعلى شماله، وأمر الجن والإنس والشياطين والوحوش والسباع والطير، فاصطفوا فراسخ عن يمينه وشماله، فلما دنا القوم من الميدان، ونظروا إلى ملك سليمان، ورأوا الدواب التي لم يروا مثلها تروث على لبن الذهب والفضة.. تقاصرت إليهم أنفسهم، ووضعوا ما معهم من الهدايا، وقيل: إن سليمان لما فرش الميدان بلبنات الذهب والفضة.. ترك من طريقهم موضعاً على قدر ما معهم من اللبنات، فلما رأى الرسل موضع اللبنات خالياً خافوا أن يتهموا بذلك، فوضعوا ما معهم من اللبن في ذلك الموضع، ولما نظروا إلى الشياطين هالهم ما رأوا وفزعوا، فقالت لهم الشياطين: جوزوا لا بأس عليكم، وكانوا يمرون على كراديس الإنس والجن والوحش والطير حتى وقفوا بين يدي سليمان، فأقبل عليهم بوجه طلق، وتلقاهم متلقى حسناً، وسألهم عن حالهم، فأخبره رئيس القوم بما جاؤوا فيه، وأعطاه كتاب الملكة فنظر فيه، وقال: أين الحقة؟ فأتي بها، فحركها فجاءه جبريل عليه السلام، فأخبره بمافيها، فقال لهم: إن فيها درة ثمينة غير مثقوبة، وجزعة فقال الرسول صدقت فأثقب الدرة، وأدخل الخيط في الجزعة، فقال سليمان: من لي بثقبها؟ وسأل الإنس

والجن فلم يكن عندهم علم ذلك، ثم سأل الشياطين، فقالوا: نرسل إلى الأرضة، فلما جاءت الأرضة، أخذت شعرة في فمها، ودخلت فيها حتى خرجت من الجانب الآخر، فقال لها سليمان: ما حاجتك؟ قالت: يكون رزقي في الشجرة، فقال لها: لك ذلك، ثم قال: من لهذه الخرزة؟ فقالت دودة بيضاء: أنا لها يا نبيَّ الله، فأخذت الدودة خيطاً في فمها، ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر، فقال لها سليمان: ما حاجتك؟ قالت: يصير رزقي في الفواكه، فقال لها: لك ذلك، ثم ميز بين الغلمان والجواري بأن أمرهم بأن يغسلوا وجوههم وأيديهم، فجعلت الجارية تأخذ الماء بيدها، وتضرب بها الأخرى، وتغسل وجهها، والغلام يأخذ الماء بيديه، ويضرب به وجهه، وكانت الجارية تصب الماء على باطن ساعدها، والغلام يصبه على ظهره، فميز بين الغلمان والجواري، ثم رد سليمان الهدية، كما أخبر الله سبحانه عنه بقوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَ﴾؛ أي: الرسول المبعوث من قبل بلقيس وهو المنذر بن عمرو ﴿سُلَيْمَٰنُ﴾ بالهدية، والمراد بهذا المضمر الجنس، فلا ينافي كونهم جماعة، كما يدل عليه قولها: ﴿بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾.

وقرأ عبد الله[1]: ﴿فلما جاؤوا﴾ وقرأ: ﴿ارجعوا﴾ جعله عائداً على قوله: ﴿ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿قَالَ﴾ سليمان مخاطباً للرسول والمرسل تغليباً على الغائب؛ أي: قال بعد ما جرى بينه وبينهم من قصة الحقة وغيرها، لا أنه خاطبهم أول ما جاؤوه، كما يفهم من ظاهر العبارة.

﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ حقير، أصله: أتمدونني[2]، فحذفت الياء اكتفاء بالكسرة الدالة عليها، والهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي؛ أي: لا ينبغي لكم يا أهل سبأ أن تمدوني وتعاونوني بالمال، ثم علل هذا الإنكار بقوله: ﴿فَمَآ﴾ موصولة ﴿ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾ مما رأيتم آثاره من النبوة، والملك الذي لا غاية وراءه ﴿خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ من المال ومتاع الدنيا، فلا حاجة لي إلى هديتكم، ولا وقع لها عندي؛

---

(١) البحر المحيط. (٢) روح البيان.

أي: لأن الله سبحانه وتعالى قد أعطاني منه ما لم يعط أحداً، ومع ذلك أكرمني بالنبوة والدين.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو[١]: ﴿أتمدونني﴾ بنونين وياء في الوصل. وروي المسيبي عن نافع: ﴿أتمدوني﴾ بنون واحدة خفيفة وياء في الوصل والوقف. وقرأ عاصم وابن عامر والكسائي: ﴿أَتُمِدُّونَنِ﴾ بغير ياء في الوصل والوقف. وقرأ حمزة ﴿أتمدوني بمال﴾ بنون واحدة مشددة ووقف على الياء. وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم: ﴿فما آتان الله﴾ بكسر النون من غير ياء. وقرأ أبو عمرو ونافع وحفص عن عاصم: ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ﴾ بفتح الياء، فكأنهم فتحوا التاء، غير الكسائي، فإنه أمالها من ﴿أتاني الله﴾.

أي: قال منكراً لإمدادهم له بالمال مع علو سلطانه، وكثرة أمواله[٢]: أتساعدونني وتكرمونني بمال حقير، فما آتاني الله من النبوة والملك العظيم والأموال الكثيرة خير مما آتاكم من المال الذي هذه الهدية من جملته، ثم إنه أضرب عن الإنكار المتقدم، فقال: ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ﴾؛ أي: بما يهدى إليكم من الأموال. فالمضاف إليه ضمير المهدي إليه ﴿تَفْرَحُونَ﴾ حباً لزيادة المال وكثرته لما أنكم لا تعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا، توبيخاً لهم بفرحهم بهذه الهدية فرح فخر وخيلاء، وأما أنا فلا أفرح بها، وليست الدنيا من حاجتي؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد أعطاني منها ما لم يعطه أحداً من العالمين، ومع ذلك أكرمني بالنّبوة. والمراد بهذا الإضراب من سليمان بيان السبب الحامل لهم على الهدية مع الإزدراء بهم والحط عليهم.

وفي «الإرشاد»[٣]: إضراب عما ذكر من إنكار الإمداد بالمال إلى التوبيخ بفرحهم بهديتهم التي أهدوها إليه افتخاراً وامتناناً، واعتداداً بها، كما ينبىء عنه ما ذكر من حديث الحقة والجزعة وتغيير زي الغلمان والجواري وغير ذلك. انتهى.

---

(١) زاد المسير.
(٢) الشوكاني.
(٣) روح البيان.

يقول الفقير: إنهم لما رأوا ما أنعم الله به على سليمان من الملك الكبير.. استقلوا بما عندهم حتى هموا بطرح اللبنات، إلا أنه منعتهم الأمانة من ذلك، فكيف امتنوا على سليمان بهديتهم، وافتخروا على أن حديث الحقة ونحوه إنما كان على وجه الامتحان لا بطريق الهدية كما عرف.

وفي «التأويلات» يشير إلى أن الهدية موجبة لاستمالة القلوب، ولكن أهل الدين لما عارضهم أمر ديني في مقابلة منافع كثيرة دنيوية.. رجحوا طرف الدين على طرف المنافع الكثيرة الدنيوية، واستقلوا كثرتها؛ لأنها فانية، واستكبروا قليلاً من أمور الدين؛ لأنها باقية، كما فعل سليمان لما جاءه الرسول بالهدية.. استغل كثرتها، وقال: فما آتاني الله من كمالات الدين والقربات والدرجات الأخروية خير مما آتاكم من الدنيا وزخارفها. ﴿بَلۡ أَنتُم﴾ أي: أمثالكم من أهل الدنيا بمثل هديتكم الدنيوية الفانية تفرحون؛ لخسة نفوسكم، وجهلكم عن السعادات الأخروية الباقية.

قال جعفر الصادق: الدنيا أصغر قدراً عند الله وعند أنبيائه وأوليائه من أن يفرحوا بشيء منها، أو يحزنوا عليه، فلا ينبغي لعالم ولا لعاقل أن يفرح بعرض الدنيا.

وعبارة المراح هنا: قوله: ﴿بِهَدِيَّتِكُمۡ﴾ فالمصدر[١] إما مضاف لفاعله؛ أي: تفرحون بما تهدونه افتخاراً على أمثالكم، واعتداداً به من حيث إنكم قدرتم على إهداء مثله، وإما مضاف لمفعوله؛ أي: تفرحون بما يهدى إليكم حباً في كثرة أموالكم، وحالي خلاف حالكم، فلا أفرح بالدنيا، وليست الدنيا من حاجتي. وقيل: بل أنتم بهديتكم هذه تفرحون بأخذها إن رددت إليكم.

ثم قال سليمان عليه السلام للمنذر بن عمرو أمير الوفد: ﴿ٱرۡجِعۡ﴾ أيها الرسول[٢]، أفرد الضمير ههنا بعد جمع الضمائر الخمسة فيما سبق، لأن الرجوع مختص بالرسول، والإمداد ونحوه عام. أو خص أمير الرسل بالخطاب هنا،

---

(١) المراح. (٢) روح البيان.

وخاطبهم معه فيما سبق افتناناً في الكلام. وقرأ عبد الله: ﴿ارجعوا﴾. وقيل: إن الضمير يرجع إلى الهدهد.

﴿إِلَيْهِمْ﴾؛ أي: إلى بلقيس وقومها بهديتهم؛ ليعلموا أن أهل الدين لا ينخدعون بحطام الدنيا، وإنما يريدون الإسلام فليأتوا مسلمين مؤمنين، وإلا ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ﴾؛ أي: بجموع من الجن والإنس والتأييد الإلهي ﴿لَّا قِبَلَ لَهُم﴾؛ أي: لا طاقة لهم ﴿بِهَا﴾؛ أي: بمقاومتها، ولا قدرة لهم على مقابلتها. وقرأ ابن مسعود: ﴿بهم﴾ بضمير جمع الذكور، واللام في ﴿لنأتينهم﴾ موطئة للقسم المحذوف. وقوله: ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُم﴾ معطوف على جواب القسم؛ أي: فوالله لنأتين بلقيس وقومها في أرضهم سبأ بجنود لا قبل لهم بها، ولنخرجنهم ﴿مِّنْهَا﴾؛ أي: من سبأ وأرضهم التي هم فيها حالة كونهم ﴿أَذِلَّةً﴾ بذهاب ما كانوا فيه من العز؛ أي: ذليلين بذهاب ملكهم وعزهم. بعدما كانوا أعزة أهلها، وجملة قوله: ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾؛ أي: أسارى مهانون بوقوعهم في أسر واستعباد بأغلال أيمانهم إلى أعناقهم، حال أخرى مفيدة لكون إخراجهم بطريق الإجلاء. وقيل[1]: هي حال مؤكدة؛ لأن الصَّغار هو الذلة. وقيل: إن المراد بالصغار هنا الأسر والاستعباد. وقيل: إن الصغار الإهانة التي تسبب عنها الذلة.

ولما رجع رسل بلقيس إليها، وأخبروها بخبر سليمان.. قالت: والله قد علمت أنه ليس بملك، ولا لنا به من طاقة، وبعثت إلى سليمان أني قادمة إليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك، وما تدعو إليه من دينك، وتجهزت للمسير إلى سليمان. وقيل: أخبر جبريل سليمان بذلك، فقال سليمان: يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها... إلخ.

وروي عن ابن عباس[2] ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: لما رجعت رسل بلقيس إليها من عند سليمان، وأخبروها الخبر.. قالت: قد عرفت والله ما هذا بملك، ولا لنا به من طاقة، وبعثت إلى سليمان أني قادمة إليك بملوك قومي حتى

---

(١) الشوكاني. (٢) المراح.

أنظر ما أمرك، وما تدعو إليه من دينك، ثم أمرت بعرشها، فجعل في آخر سبعة أبيات بعضها في داخل بعض، ثم غلقت عليه سبعة أبواب، وجعلت عليها حراساً يحفظونه، ثم تجهزت للمسير، فارتحلت إلى سليمان في اثني عشر ألف ملك من ملوكها تحت كل ملك ألوف، فخرج سليمان يوماً فجلس على سريره فسمع وهجاً قريباً منه، فقال: ما هذا؟ قالوا: بلقيس، وقد نزلت بهذا المكان؛ أي: الذي على مسيرة فرسخ من سليمان عليه السلام. فأقبل سليمان على جنوده فـ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟﴾ والأشراف ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا﴾؛ أي: من الذي منكم يأتيني بعرشها وسريرها؛ أي: بعرش بلقيس الذي تقدم وصفه بالعظم ﴿قَبْلَ أَن يَأْتُونِى﴾؛ أي: قبل أن تأتيني هي وقومها حالة كونهم ﴿مُسْلِمِينَ﴾؛ أي: مؤمنين بالله وبرسوله؛ لأنه قد أوحي إليه أنها سوف تسلم.

قيل: أراد سليمان أن يريها بعض ما خصه الله تعالى به من إجراء العجائب على يده الدالة على عظيم قدرة الله تعالى، وعلى صدقه في نبوته، وكان سليمان إذ ذاك في بيت المقدس، وعرشها في سبأ بلدة باليمن، وبينها وبين بيت المقدس مسيرة شهرين، وأن يعرف مقدار مملكتها قبل وصولها إليه؛ لأن العرش سرير المملكة، وقيل: إنما أراد أخذ عرشها قبل أن يصلوا إليه ويسلموا؛ لأنها إذا أسلمت وأسلم قومها.. لم يحل أخذ أموالهم بغير رضاهم، وهذا[1] بعيد عند أهل التحقيق، أو أراد أن يؤتي به فينكر ويغير، ثم ينظر أتثبته أم تنكره، اختباراً لعقلها، ولهذا قال: ﴿نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا﴾.

قال ابن عطية: وظاهر الروايات أن هذه المقالة من سليمان هي بعد مجيء هديتها ورده إياها وبعثه الهدهد بالكتاب، وعلى هذا جمهور المتأولين. انتهى. وقيل: أراد أن يختبر صدق الهدهد في وصفه للعرش بالعظم. والقول الأول هو الذي عليه الأكثر.

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ﴾؛ أي: مارد خبيث ﴿مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ بيان له؛ إذ يقال للرجل

---

(١) النسفي.

الخبيث المنكر المعفر لأقرانه عفريت. قيل: اسم[1] هذا العفريت كودت. ذكره النحاس عن وهب بن منبه. وقال السهيلي: اسمه ذكوان. وقيل: اسمه دعوان. وقيل: صخر. وفي «فتح الرحمن»: اسمه كوذى أو اصطخر سيد الجن، وكان قبل ذلك متمرداً على سليمان. واصطخر فارس تنسب إليه، وكان الجني كالجبل العظيم يضع قدمه عند منتهى طرفه.

وقرأ الجمهور[2]: ﴿عِفْرِيتٌ﴾ ـ بكسر العين وسكون الفاء وكسر الراء وسكون المثناة التحتية وبالتاء ـ، وقرأ أبي بن كعب وأبو العالية وابن يعمر وعاصم الجحدري: ﴿عَفْرِيت﴾ ـ بفتح العين وكسر الراء ـ وقرأ أبو رجاء وأبو السمال وعيسى الثقفي وابن السميقع ورويت عن أبي بكر الصديق: ﴿عِفْرِيَة﴾ ـ بكسر العين وسكون الفاء وكسر الراء بعدها ياء مفتوحة بعدها تاء التأنيث ـ، وقرأت فرقة: ﴿عفر﴾ بلا ياء ولا تاء. ويقال في لغة طي وتميم: ﴿عفراة﴾ بالألف وتاء التأنيث، وفيه لغة سادسة: ﴿عفارية﴾، ويوصف بها الرجل، ولما كان قد يوصف به الإنس.. خص بقوله: ﴿من الجن﴾. وقرأ ابن مسعود وابن السميقع أيضاً: ﴿عفراة﴾ بكسر العين وفتح الراء وبألف من غير ياء.

﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ﴾؛ أي: بعرشها ﴿قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾؛ أي: من مجلسك للحكومة بين الناس، وكان يجلس من الصبح إلى الظهر في كل يوم. وقيل: المعنى قبل أن تستوي من جلوسك قائماً. وقوله: ﴿ءَاتِيكَ﴾: فعل مضارع، أصله: أأتيك بهمزتين، فأبدلت الثانية ألفاً، وكذا في الموضع الآتي. وقيل: هو اسم فاعل، وهو[3] الأنسب لمقام ادعاء الإتيان بلا محالة، وأوفق بما عطف عليه من الجملة الاسمية؛ أي: أنا آت به في تلك المدة البتة.

﴿وَإِنِّى عَلَيْهِ﴾؛ أي: على حمله والإتيان به ﴿لَقَوِىٌّ﴾ لا يثقل علي حمله ﴿أَمِينٌ﴾ على ما فيه من الجواهر واللؤلؤ والذهب والفضة، لا أغيره ولا أبدله

---

(١) الشوكاني.
(٢) البحر المحيط. وزاد المسير.
(٣) روح البيان.

بغيره، والمعنى أنه سيأتي بالعرش إلى سليمان قبل أن يقوم من مجلسه الذي يجلس فيه للحكومة بين الناس.

ولما قال سليمان عليه السلام: أريد أسرع من هذا ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وهو آصف بن برخيا بن خالة سليمان، وكان وزيره وكاتبه ومؤدبه في حال صغره، وكان رجلاً صديقاً يقرأ الكتب الإلهية، ويعلم الاسم الأعظم الذي إذا دعي الله به أجاب، وقد خلقه الله لنصرة سليمان ونفاذ أمره.

فالمراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة على موسى وإبراهيم وغيرهما، أو اللوح المحفوظ وأسراره المكنونة. قال ابن عطية: وقالت فرقة: هو سليمان نفسه، ويكون الخطاب على هذا للعفريت، كأن سليمان استبطأ ما قاله العفريت، فقال له تحقيراً له: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ﴾؛ أي: بعرشها ﴿قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ﴾ ويرجع ﴿إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾؛ أي: بصرك مما نظرت إليه يعني أنك ترسل طرفك إلى شيء فقبل أن ترده أبصرت العرش بين يديك.

والمعنى على هذا القول الأخير؛ أي[1]: قال سليمان للعفريت محدثاً بنعمة الله وعظيم فضله عليه: أنا أفعل ما لا تستطيع أنت، أنا أحضره في أقصر ما يكون مدة، أنا أحضره قبل ارتداد طرفك إليك، وقد كان كما قال. وقال المعتزلة: هو جبريل؛ وذلك لأنهم لا يرون كرامة الأولياء، وقيل: الخضر، والأول أولى، وقيل: غير ذلك مما لا أصل له. والله أعلم.

ويروى[2]: أن آصف قال لسليمان عليه السلام: مد عينيك حتى ينتهي طرفك، فمد عينيه، فنظر نحو اليمن، فدعا آصف فغار العرش في مكانه، ثم نبع عند مجلس سليمان بقدرة الله تعالى قبل أن يرتد طرفه. قيل: كان الدعاء الذي دعا به آصف يا ذا الجلال والإكرام. وقيل: يا حي يا قيوم، وروي ذلك عن عائشة، وروي عن الزهري قال: دعاء الذي عنده علم من الكتاب: يا إلهنا وإله كل شيء إلهاً واحداً لا إله إلا أنت ائتني بعرشها. والمراد بالطرف تحريك

---

(١) المراغي. (٢) النسفي.

الأجفان وفتحها للنظر، وارتداده انضمامها.

قال شيخ الإسلام[1]: القائل في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ هو كاتب سليمان واسمه آصف. فإن قلت: كيف قدر مع أنه غير نبي على ما لم يقدر عليه سليمان من إحضار عرش بلقيس في طرفة عين؟ قلت: يجوز أن يخص غير النبي بكرامة لا يشاركه فيها النبي، كما خصت مريم بأنها كانت ترزق من فاكهة الجنة، وزكريا لم يرزق منها، ولم يلزم من ذلك فضلها على زكريا، وقد نقل أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ كان إذا أراد الخروج إلى الغزاة.. قال لفقراء المهاجرين والأنصار ادعو لنا بالنصرة، فإن الله سبحانه ينصرنا بدعائكم، ولم يكونوا أفضل منه مع أن كرامة التابع من جملة كرامة المتبوع.

ويحكى: أن العلم الذي كان عند آصف هو اسم الله الأعظم، فدعا به، فأجيب له في الحال، وهو عند أكثر العلماء كما قال البندنيجي اسم الله، وقيل: يا حي يا قيوم، وقيل: يا ذام الجلال والإكرام، وقيل: الله يا رحمن، وقيل: يا إلهنا وإله كل شيء إلهاً واحداً لا إله إلا أنت. انتهى.

قال بعضهم[2]: أراد سليمان أن يظهر كرامة أمته؛ ليعلم أن في أمم الأنبياء أهل الكرامات؛ لئلا ينكروا من كرامات الأولياء. وقال محمد بن المنكدر: إنما الذي عنده علم هو سليمان نفسه، قال له عالم من بني إسرائيل: أنت النبي ابن النبي، وليس أحد أوجه منك عند الله، فإن دعوت الله كان العرش عندك، فقال: صدقت، ففعل ذلك، فجيء بالعرش في الوقت.

قال الرازي: وهذا القول أقرب، والمخاطب العفريت الذي كلمه، وأراد سليمان عليه السلام إظهار المعجزة فطالبه أولاً، ثم بين أنه يتحصل له من سرعة الإتيان بالعرش ما لا يتهيأ للعفريت. قيل: خر سليمان ساجداً ودعا باسم الله الأعظم، فغاب العرش تحت الأرض حتى ظهر عند كرسي سليمان. وإنما هذا

---

(١) فتح الرحمن.

(٢) المراح.

أقرب؛ لأن سليمان كان أعرف بالكتاب من غيره؛ لأنه نبي، وإن إحضار العرش في تلك الساعة اللطيفة درجة عالية، فلو حصلت لآصف.. لاقتضى ذلك تفضيله على سليمان، ولو افتقر إليه في ذلك.. لاقتضى ذلك نقص حال سليمان في أعين الخلق، ولأن ظاهر قوله: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ يقتضي أن يكون إتيان العرش بدعاء سليمان. انتهى.

قوله: ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ﴾ قبله حذف، تقديره: فأذن له سليمان، فدعا الله، فأتي به فلما رآه سليمان؛ أي: فلما رأى سليمان العرش ﴿مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾؛ أي: حاضراً لديه؛ أي: متحولاً إليه من مأرب إلى الشام في قدر ارتداد الطرف ﴿قَالَ﴾ سليمان شاكراً لربه لما آتاه الله سبحانه من هذه الخوارق ﴿هذا﴾؛ أي: إتيان العرش في هذه المدة القصيرة ﴿مِن فَضْلِ رَبِّي﴾؛ أي: من إحسانه إلي من غير استحقاق له من قبلي أكرمني به ﴿لِيَبْلُوَنِيٓ﴾؛ أي: لكي يختبرني ﴿ءَأَشْكُرُ﴾ه بذلك، واعترف بأنه من فضله من غير حول مني ولا قوة. ﴿أَمْ أَكْفُرُ﴾ه بترك الشكر عليه، وعدم القيام به، أو بأن أثبت لنفسي تصرفاً في ذلك.

قال الأخفش: المعنى لينظر أأشكر أم أكفر. والابتلاء: الاختبار، وإذا قيل[1]: ابتلي فلان بكذا وبلاه.. يتضمن أمرين:

أحدهما: تعرف حاله، والوقوف على ما يجهل من أمره.

والثاني: ظهور جودته ورداءته، وربما قصد به الأمران، وربما يقصد به أحدهما، فإذا قيل بلاه الله كذا، وابتلاه.. فليس المراد إلا ظهور جودته، أو رداءته دون التعرف لحاله، والوقوف على ما يجهل منه؛ إذ كان تعالى علام الغيوب.

﴿ءَأَشْكُرُ﴾ بأن أراني محض فضله تعالى من غير حول من جهتي ولا قوة، وأقوم بحقه ﴿أَمْ أَكْفُرُ﴾ بأن أجد لنفسي مدخلاً في البين، وأقصر في إقامة موجبه، و﴿أَمْ﴾ هنا متصلة.

---

(١) روح البيان.

﴿وَمَن شَكَرَ﴾ فضل الله سبحانه وإحسانه إليه ﴿فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾؛ لأنه غني عنه وعن شكره؛ أي: لغرض نفسه ونفعها، فإن نفع شكره يعود إليه؛ وهو أن يخرج عن علقة وجوب الشكر عليه، ويستوجب به تمام النعمة ودوامها؛ لأن[1] الشكر قيد النعمة الموجودة، وصيد النعمة المفقودة.

﴿وَمَن كَفَرَ﴾؛ أي: ترك شكر الله سبحانه على فضله وإحسانه إليه بأن لم يعرف النعمة، ولم يؤد حقها، فإن مضرة كفره ووباله عليه، لا يضر الله سبحانه كفرانه. ﴿فَإِنَّ رَبِّى﴾؛ أي: لأن ربي سبحانه ﴿غَنِىٌّ﴾ عن شكره، لا يضره ذلك الكفران ﴿كَرِيمٌ﴾ بالإفضال عليه، لا يقطع نعمه عنه بسبب إعراضه عن الشكر وكفران النعمة. قال الواسطي: ما كان منا من الشكر فهو لنا، وما كان منه من النعمة فهو إلينا، وله المنة والفضل علينا.

قال في «المفردات»: المنحة والمحنة جميعاً بلاء، فالمحنة مقتضية للصبر، والمنحة مقتضية للشكر. والقيام بحقوق الصبر أيسر من القيام بحقوق الشكر، فصارت المنحة أعظم البلاءين، وبهذا النظر قال عمر ـ رضي الله عنه ـ: بلينا بالضراء فصبرنا، وبلينا بالسراء فلم نصبر، ولهذا قال أمير المؤمنين ـ رضي الله عنه ـ: من وسع عليه دنياه فلم يعلم أنه قد مكر به فهو مخدوع عن عقله. وقال الواسطي أيضاً في الشكر: إبطال رؤية الفضل كيف يوزاي شكر الشاكرين فضله، وفضله قديم وشكرهم محدث. اهـ.

قال في «الأسئلة المقحمة»: في الآية دليل على إثبات الكرامات من وجهين:

أحدهما: أن العفريت من الجن لما ادعى إحضاره قبل أن يقوم سليمان من مقامه.. لم ينكر عليه سليمان، بل قال: أريد أعجل من ذلك، فإذا جاز أن يكون مقدوراً لعفريت من الجن.. فكيف لا يكون مقدوراً لبعض أولياء الله تعالى.

---

(١) الخازن.

والثاني: أن الذي عنده علم من الكتاب؛ وهو آصف وزير سليمان لم يكن نبياً، وقد أحضره قبل أن يرتد طرفه إليه، كما نطق به القرآن، فدل على جواز إثبات الكرامات الخارقة للعادات للأولياء خلافاً للقدرية حيث أنكروا ذلك.

فصل

والكرامة[1]: ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص صالح غير مقرون بدعوى النبوة والرسالة، فما لا يكون مقروناً بالإيمان والعمل الصالح يسمى استدراجاً، وما يكون مقروناً بدعوى النبوة يسمى معجزة. قال بعضهم: لا ريب عند أولي التحقيق أن كل كرامة نتيجة فضيلة من علم أو عمل أو خلق حسن، فلا يعول على خرق العادة بغير علم صحيح، أو عمل صالح، فطي الأرض إنما هو نتيجة عن طي العبد أرض جسمه بالمجاهدات، وأصناف العبادات، وإقامته على طوال الليالي بالمناجاة، والمشي على الماء لمن أطعم الطعام وكسا العراة؛ إما من ماله، أو بالسعي عليهم، أو علم جاهلاً، أو أرشد ضالاً؛ لأن هاتين الصفتين سر الحياتين، الحسية والعلمية، وبينهما وبين الماء مناسبة بينة.

وترك الظهور بالكرامات الحسية والعلمية أليق للعارف؛ لأنه محل الآفات، وللعارف استخدام الجن أو الملك في غذائه من طعامه وشرابه وفي لباسه. قال في «كشف الأسرار»: قد تحصل الكرامة باختيار الولي ودعائه، وقد تكون بغيره، وفي الحديث: «كم من أشعث أغبر ذي طمرين - إزار ورداء باليين - لا يؤبه - يبالي - له لو أقسم على الله لأبره».

وكرامات الأولياء ملحقة بمعجزات الأنبياء؛ إذ لو لم يكن النبي صادقاً في معجزته ونبوته. . لم تكن الكرامة تظهر على من يصدقه، ويكون من جملة أمته، ولا ينكر كرامات الأولياء إلا أهل الحرمان سواء أنكروها مطلقاً، أو أنكروا كرامات أولياء زمانهم، وصدقوا كرامات الأولياء الذين ليسوا في زمانهم

(١) روح البيان.

كالصحابة والسلف الصالح، كمن صدق بموسى وكذب بمحمد عليهما السلام. وما هي إلا خصلة إسرائيلية، نسأل التوفيق وحسن الخاتمة لنا ولجميع المسلمين أجمعين. آمين.

﴿قَالَ﴾ سليمان، كرر الحكاية تنبيهاً على ما بين السابق واللاحق من المخالفة؛ لما أن الأول من باب الشكر، والثاني أمر لخدمه: ﴿نَكِّرُوا﴾؛ أي: غيروا ﴿لَهَا﴾؛ أي: لأجل إدراك مستوى عقلها. ﴿عَرْشَهَا﴾؛ أي: سريرها الذي جيء به؛ أي: غيروا هيئته وشكله بوجه من الوجوه، بحيث ينكر ويجهل، والأمر للشياطين، فجعل الشياطين أسفله أعلاه، وبنوا فوقه قباباً أخرى هي أعجب من تلك القباب، وجعلوا موضع الجوهر الأحمر الأخضر وبالعكس؛ أي: غيروا سريرها إلى حال تنكره إذا رأته بزيادة أو نقصان.

قال الفراء وغيره: إنما أمرهم بتنكيره؛ لأن الشياطين قالوا له: إن في عقلها شيئاً، فأراد أن يمتحنها. وقيل: خافت الجن أن يتزوج بها سليمان، فيولد له منها ولد، فيبقوا مسخرين لآل سليمان أبداً، فقالوا لسليمان: إنها ضعيفة العقل، ورجلها كرجل الحمار.

وقوله: ﴿نَنظُرْ﴾ قراءة الجمهور بالجزم على أنه جواب الأمر[١]. وقرأ أبو حيوة بالرفع على الاستئناف؛ أي: نختبر ﴿أَتَهْتَدِيٓ﴾ إلى معرفته فتظهر رجاحة عقلها. ﴿أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى معرفته فتظهر سخافة عقلها. وذلك[٢] أن الشياطين خافوا أن تفشي بلقيس أسرارهم إلى سليمان؛ لأن أمها كانت جنية، وأن يتزوجها سليمان، ويكون بينهما ولد جامع للجن والإنس فيرث الملك، ويخرجون من ملك سليمان إلى ملك هو أشد وأفظع، ولا ينفكون من التسخير، ويبقون في التعب والعمل أبداً، فأرادوا أن يبغضوها إلى سليمان، فقالوا: إن في عقلها خللاً وقصوراً، وإنها شعراء الساقين، وإن رجليها كحافر الحمار، فأراد سليمان أن يختبرها في عقلها فأمر بتنكير العرش، واتخذ الصرح كما سيأتي؛

---

(١) البحر المحيط. (٢) روح البيان.

ليتعرف ساقيها ورجليها.

﴿فَلَمَّا جَآءَتۡ﴾ بلقيس سليمان والعرش بين يديه ﴿قِيلَ﴾ لها من جهة سليمان بالذات، أو بالواسطة امتحاناً لعقلها: ﴿أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ﴾؛ أي: أمثل هذا عرشك الذي تركته في قصرك، وأغلقت عليه الأبواب، وجعلت عليه حراساً، ولم يقل: هذا عرشك؛ لئلا يكون تلقيناً لها، فيفوت ما هو المقصود من الأمر بالتنكير، وهو اختيار عقلها ﴿قَالَتۡ﴾ بلقيس جواباً له: ﴿كَأَنَّهُۥ﴾؛ أي: كأن عرشي ﴿هُوَۚ﴾؛ أي: هذا العرش الحاضر، أو كأن هذا الحاضر هو عرشي، فلوحت لما اعتراه بالتنكير من نوع مغاير في الصفات مع اتحاد الذات، فاستدل سليمان بذلك على كمال عقلها، حيث لم تقر ولم تنكر، ولم تقل لا، ولا قالت: نعم، بل شبهوا عليها فشبهت عليهم مع علمها بحقيقة الحال، ولو قيل لها: هذا عرشك؟ لقالت: نعم، لمعرفتها للعرش. وقال عكرمة: كانت حكيمة، لم تقل: نعم، خوفاً من أن تكذب، ولم تقل: لا، خوفاً من التكذيب لها.

وكأنها ظنت أن سليمان أراد بذلك اختبار عقلها، وإظهار معجزة لها، فقالت: ﴿وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ﴾؛ أي[1]: وأعطينا العلم بكمال قدرته تعالى، وصحة نبوتك ﴿مِن قَبۡلِهَا﴾؛ أي: من قبل هذه المعجزة التي شاهدناها الآن في العرش بما سمعناه من رسولنا المنذر بن عمرو من الآيات الدالة على ذلك ﴿وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ﴾؛ أي: منقادين خاضعين لأمر سليمان من ذلك الوقت. وهذا من تتمة كلام بلقيس.

والمعنى: وأوتينا العلم بالله وبصحة نبوة سليمان بالآيات المتقدمة من أمر الهدهد والرسل من قبلها؛ أي: من قبل الآية الظاهرة في العرش. وقيل: هو من كلام سليمان، والمعنى عليه: وأوتينا العلم بالله وبقدرته على ما يشاء من قبل هذه المرأة، وقيل: أوتينا العلم بإسلامها، وبمجيئها طائعة من قبلها؛ أي: من قبل مجيئها، وكنا مسلمين منقادين لأوامر الله تعالى.

ويكون الغرض من هذا[2]: شكر نعمة الله تعالى عليه أن خصه بمزيد العلم

---

(١) المراح. (٢) الخازن.

والتقدم في الإسلام، وقيل: هو من كلام قوم سليمان، والقول الثاني أرجح[١] من سائر الأقوال.

وخلاصة المعنى على القول الأول: وعليه أكثر المفسرين؛ أي: وأوتينا العلم بكمال قدرة الله وصدق نبوتك من قبل هذه المعجزة بما شاهدناه من أمر الهدهد، وبما سمعناه من رسلنا إليك من الآيات الدالة على ذلك، وكنا منقادين لك من ذلك الحين، فلا حاجة إلى إظهار معجزات أخرى.

وقوله: ﴿وَصَدَّهَا﴾؛ أي: منع بلقيس من إظهار ما ادعته من الإسلام إلى الآن. ﴿مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ سبحانه، بيان من جهته تعالى لما كان يمنعها من الإسلام؛ أي: منعها عن عبادة الله سبحانه عبادة ما كانت تعبده من دون الله تعالى قديماً؛ وهو الشمس، فـ﴿مَا كَانَت تَّعْبُدُ﴾ فاعل ﴿صد﴾، ويحتمل كون[٢] فاعل ﴿صد﴾ ضميراً عائداً على ﴿سُلَيْمَٰنُ﴾، و﴿مَا﴾ مجرورة بحرف جر محذوف.

والمعنى: وصدها سليمان؛ أي: منعها وصرفها عن الذي كانت تعبده من دون الله، وحال بينها وبينه؛ وهو الشمس، أو المعنى[٣]: وصدها الله سبحانه عن عبادتها القديمة بالتوفيق للإيمان، فيكون الفاعل ضميراً يعود على ﴿ٱللَّهِ﴾ سبحانه، و﴿مَا﴾: مفعول على الوجهين الأخيرين، وفاعل على الأول، والأول أولى، والجملة مستأنفة للبيان، كما ذكرنا.

وقوله: ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾: تعليل لسببية عبادتها المذكورة؛ للصد عن عبادة الله سبحانه؛ أي: إنها كانت من قوم راسخين في الكفر، ولذلك لم تكن قادرة على إسلامها، وهي بين ظهرانيهم إلى أن دخلت تحت ملك سليمان؛ أي: فصارت من قوم مؤمنين، أو استئناف أخبر الله تعالى أنها كانت من مجوس يعبدون الشمس، فلا تعرف إلا عبادتها.

قرأ الجمهور[٤]: بكسر الهمزة. وقرأ سعيد بن جبير وأبو حيوة وابن أبي

---

(١) الشوكاني.
(٢) المراح بتصرف.
(٣) البيضاوي.
(٤) البحر المحيط.

عبلة بفتحها، فإنا على تقدير الجر؛ أي: لأنها، وإما على أن يكون بدلاً من الفاعل الذي هو ﴿مَا كَانَت تَّعْبُدُ﴾؛ أي: ومنعها عن إظهار دعواها الإسلام كونها من قوم كافرين، أو وصرفها سليمان عن صيرورتها كافرة.

والمعنى: أي[1] ومنعها ما كانت تعبده من دون الله تعالى؛ وهو الشمس عن إظهار الإسلام، والاعتراف بوحدانيته تعالى من قبل أنها من قوم كانوا يعبدونها، ونشأت بين أظهرهم، ولم تكن قادرة على إظهار إسلامها إلى أن مثلت بين يدي سليمان، فاستطاعت أن تنطق بما كانت تعتقده في قرارة نفسها، ويجول في خاطرها.

روي: أن سليمان أمر قبل مقدمها ببناء قصر عظيم جعل صحنه ـ أي أرضه ـ من زجاج أبيض شفاف يجري من تحته الماء، وألقى فيه دواب البحر من سمك وغيره، فلما قدمت إليه استقبلها فيه، وجلس في صدره، فحين أرادت الوصول إليه.. حسبته ماء، فكشفت عن ساقيها؛ لئلا تبتل أذيالها، كما هي عادة من يخوض الماء، فقال لها سليمان: إن ما تظنينه ماء ليس بالماء، بل هو صرح قد صنع من الزجاج، فسترت ساقيها وعجبت من ذلك، وعلمت أن هذا ملك أعز من ملكها، وسلطان أعز من سلطانها، ودعاها سليمان إلى عبادة الله سبحانه، وعابها على عبادة الشمس دون الله سبحانه، فأجابته إلى ما طلب، وقالت: رب إني ظلمت نفسي بالثبات على ما كنت عليه من الكفر، وأسلمت مع سليمان لله رب كل شيء، وأخلصت له العبادة.

وإلى ما تقدم أشار سبحانه بقوله: ﴿قِيلَ لَهَا﴾ من جهة سليمان ﴿ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ﴾؛ أي: الصحن والبلاط المتخذ من زجاج. قال أبو عبيدة[2]: الصرح: القصر. وقال الزجاج: الصرح الصحن. يقال: هذه صرحة الدار وقاعتها. وقال ابن قتيبة: الصرح: بلاط اتخذ من قوارير، وجعل تحته ماء وسمك.

﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ﴾؛ أي: فلما رأت بلقيس الصرح؛ أي: ذلك الصحن المتخذ من

---

(١) المراغي. (٢) الشوكاني.

زجاج شفاف ﴿حَسِبَتْهُ﴾؛ أي: ظنت ذلك الصرح ﴿لُجَّةً﴾؛ أي: ماء غمرا ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَاۚ﴾ على عادة من أراد خوض الماء، تثنية ساق؛ وهي[1] ما بين الكعبين، كعب الركبة وكعب القدم.

وقرأ ابن كثير وقنبل في رواية الأخريط عن وهب بن واضح: ﴿عن سأقيها﴾ بالهمز. قال أبو عليّ: وهي ضعيفة، وكذلك في قراءة قنبل ﴿يوم يكشف عن سأق﴾، وأما همزة السؤق وعلى سؤقه، فلغة مشهورة في همز ﴿الواو﴾ التي قبلها ضمة، ذكره أبو حيان.

أي: تَشَمَّرَت؛ لئلا تبتل أذيالها؛ لأجل أن تصل إلى سليمان، فإذا هي أحسن الناس ساقاً وقدماً، خلا أنها شعراء. قال وهب بن منبه: فلما رأت اللجة فزعت وظنت أنها قصد بها الغرق، وتعجبت من كون كرسيه على الماء، ورأت ما هالها، ولم يكن لها بدّ من امتثال الأمر، فرفعت ثيابها عن ساقيها فرآهما، فإذا هي أحسن النساء ساقاً وقدماً سليمة مما قالت الجن فيها إلا أنها كانت كثيرة الشعر في ساقيها، فلما علم الحال صرف بصره عنها.

﴿قَالَ﴾ سليمان عليه السلام حين رأى منها الدهشة والرعب لا تكشفي ساقيك ﴿إِنَّهُۥ﴾؛ أي: إن ما توهمته ماء ﴿صَرْحٌ﴾؛ أي: بلاط ﴿مُّمَرَّدٌ﴾؛ أي: مملس؛ أي: أملس مصنوع ﴿مِّن قَوَارِيرَۗ﴾؛ أي: من زجاج صاف شفاف، وليس بماء؛ جمع قارورة؛ أي: إن الذي ظننته ماء سقف مملس مصنوع من زجاج تحته ماء، فلا تخافي واعبري.

وحاصل ما في المقام كما مر قريباً: أن سليمان[2] أمر الشياطين قبل قدوم بلقيس بأن يحفروا على طريقها حفيرة، ويجعلوا سقفها زجاجاً أبيض شفافاً، ويصنعوا فيها ماء وسمكاً وضفدعاً وغير ذلك من حيوانات الماء، وصار الماء وما فيه يرى من هذا الزجاج، فمن أراد مجاوزته يمر فوق السطح الذي تحته الماء، ولا يمسه الماء، ومن لم يكن عالماً بالحال يظن هذا ماء مكشوفاً ليس له

---

(١) روح البيان.
(٢) المراح.

سقف يمنع من الخوض فيه، ووضع سليمان عليه السلام سريره في صدر ذلك السطح، فجلس عليه، فدعاها إليه وقال لها: ﴿ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾. فلما سمعت بلقيس ذلك أذعنت واستسلمت، و﴿قَالَتْ﴾ حين عاينت تلك المعجزة أيضاً بعد أن دعاها سليمان إلى الاسلام ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾ بعبادة الشمس، والثبات على الكفر فيما تقدم من الزمان، وقيل بسوء ظني بسليمان أنه يغرقني في اللجة. ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ﴾؛ أي: ودخلت في دين الإسلام مصاحبة له في الدين مقتدية به. ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾؛ أي: معبود العالمين، التفتت من الخطاب إلى الغيبة؛ أي: إلى الاسم الجليل، والوصف بالربوبية لإظهار معرفتها بألوهيته تعالى، وتفرده باستحقاق العبودية، وربوبيته لجميع الموجودات التي من جملتها ما كانت تعبده قبل ذلك من الشمس. والمعنى[1]: أخلصت له التوحيد تابعة لسليمان مقتدية به.

وقال القيصري: أسلمت إسلام سليمان؛ أي: كما أسلم سليمان. و﴿مَعَ﴾ في هذا الموضع كـ﴿مع﴾ في قوله: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾؛ إذ لا شك أن زمان إيمان المؤمنين ما كان مقارناً لزمان إيمان الرسل، وكذا إسلام بلقيس ما كان عند إسلام سليمان، فالمراد كما أنه آمن بالله آمنت بالله، وكما أنه أسلم لله أسلمت لله. انتهى.

ويجوز أن يكون ﴿مَعَ﴾ هنا واقعاً موقع بعد، كما في قوله: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ وقال[2] شيخ الإسلام: حقيقة المعية الاتفاق في الزمان، وسليمان كان مسلماً قبلها، ولم يقل بدل ﴿مَعَ سُلَيْمَـٰنَ﴾ على يد سليمان؛ لأنها كانت ملكة فلم تذكر عبارة تدل على أنها صارت مولاة له بإسلامها، وإن كان الواقع كذلك. انتهى.

قيل لما أراد سليمان أن يتزوجها، وكره شعر ساقيها.. أمر الشياطين أن يتخذوا النورة والحمام لأجل إزالته، فكانتا من يومئذ، فلما تزوجها سليمان أحبها حباً شديداً حتى بقيت على نكاحه إلى أن مات عنها، ورزق منها بولد اسمه داود.

---

(١) روح البيان. (٢) فتح الرحمن.

وأقرها على ملكها، وأمر الجن فبنوا لها بأرض اليمن ثلاثة قصور لم يرَ الناس مثلها ارتفاعاً وحسناً، وكان يزورها في الشهر مرة، ويقيم عندها ثلاثة أيام، وكان يبكر من الشام إلى اليمن ومن اليمن إلى الشام، وانقضى ملكها بانقضاء ملك سليمان، فسبحان من لا يزول ملكه.

فائدة: روي[1] أن سليمان ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة، ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة، فمدة ملكه أربعون سنة، ووفاته في أواخر سنة خمس وسبعين وخمس مئة لوفاة موسى عليه السلام، وبين وفاته والهجرة الشريفة الإسلامية ألف وسبع مئة وثلاث وسبعون سنة، ونقل أن قبره ببيت المقدس عند الجيسمانية، وهو وأبوه داود في قبرٍ واحد، وعاش أبوه داود مئة سنة.

قصص صالح عليه السلام

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ﴾ معطوف[2] على قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ﴾، واللام فيه موطئة للقسم، وهذه القصة من جملة بيان قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦﴾؛ أي: وعزتي وجلالي لقد أرسلنا ﴿إِلَىٰ ثَمُودَ﴾ وهي قبيلة من العرب كانوا يعبدون الأصنام ﴿أَخَاهُمْ﴾ النسبي المعروف عندهم بالصدق والأمانة، وقوله: ﴿صَٰلِحًا﴾ عطف بيان من ﴿أَخَاهُمْ﴾، وهو صالح بن عبيد بن آسف بن كاشح بن حاذر بن ثمود، وعاش[3] صالح مئتين وثمانين سنة، وبينه وبين هود مئة سنة، وعاش هود أربع مئة سنة وأربعاً وستين سنة، وبينه وبين نوح ثمان مئة سنة.

أي: أرسلناه إليهم بـ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ سبحانه؛ أي: وحدوه بالعبادة، ولا تعبدوا غيره معه، فـ﴿إن﴾ مصدرية في محل الجر بالباء المحذوفة، ويصح كونها مفسرة؛ لأن الإرسال بمعنى الوحي يتضمن معنى القول، كما في «الكرخي».

و﴿إذا﴾ في قوله: ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ فجائية؛ أي: ففاجأ إرساله تفرقهم واختصامهم، فآمن فريق وكفر فريق؛ أي: استمروا على كفرهم.

---

(١) روح البيان.
(٢) الشوكاني.
(٣) الفتوحات.

و﴿هُمْ﴾: مبتدأ و﴿فَرِيقَانِ﴾: خبره، وجملة ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾: صفة ﴿فَرِيقَانِ﴾، والواو: فيه مجموع الفريقين، كما في «البيضاوي». وهو العامل في إذا على القول بظرفيتها؛ أي: ففي الوقت الحاضر أعني: وقت الإرسال اختصم الفريقان في الدين، كل فريق يقول الحق معي.

والمراد بالفريقين[1]: المؤمنون منهم والكافرون، ومعنى الاختصام: أن كل فريق يخاصم على ما هو فيه، ويزعم أن الحق معه. وقيل: إن الخصومة بينهم في صالح هل هو مرسل أم لا؟. وقيل: أحد الفريقين صالح، والفريق الآخر جميع قومه؛ وهو ضعيف.

والمعنى[2]: إذا قوم صالح فريقان مؤمن به وكافر به يختصمون في الدين، فيقول كل فريق الحق معي، وهو مبين في قوله في سورة الأعراف: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾ وقال الفريق الكافر: يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين.

ومعنى الآية: وعزتي وجلالي لقد بعثنا إلى ثمود أخاهم صالحا، وقلنا لهم: اعبدوا الله وحده لا شريك له، ولا تجعلوا معه إلهاً غيره. وحين دعاهم إلى ذلك افترقوا فرقتين؛ فريق صدق صالحاً، وآمن بما جاء به من عند ربه، وفريق كذبه، وكفر بما جاء به وصارا يتجادلان ويتخاصمان، وكل منهما يقول: أنا على الحق، وخصمي على الباطل.

ثم ذكر أن صالحاً استعطف المكذبين، وكانوا أكثر عدداً وأشد عتوا وعناداً، حتى قالوا: ﴿يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾؛ ﴿قَالَ﴾ صالح ﴿يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾؛ أي: بالعقوبة التي يسوءُكم نزولها بكم.

---

(١) الشوكاني.

(٢) النسفي.

﴿قِبَلَ﴾ حصول ﴿ٱلْحَسَنَةِ﴾ والخيرات التي بشرتكم بها في الدنيا والآخرة إن أنتم مؤمنون.

والاستعجال: طلب الشيء قبل أوانه، وأصل ﴿لِمَ﴾ لما على أنه استفهام، حذفت ألفها فرقاً بينها وبين ﴿ما﴾ الموصولة في صورة الجر بالحرف؛ أي: قال لهم: لأي غرض تطلبون عجلة العقوبة حيث قلتم ائتنا بما تعدنا قبل التوبة، فتؤخرونها إلى حين نزول العذاب، فإنهم كانوا من جهلهم وغوايتهم يقولون: إن وقع تبنا حينئذٍ وإلا فنحن على ما كنا عليه.

ثم نصحهم، وطلب إليهم أن يستغفروا ربهم لعلهم يرحمون، فقال: ﴿لَوْلَا﴾ حرف تحضيض بمعنى هلا؛ أي: هلا ﴿تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ﴾ سبحانه وتتوبون إليه من كفركم، فيغفر لكم عظيم جرمكم، ويصفح عن عقوبتكم على ما أتيتم به من الخطايا. ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ بقبولها؛ إذ قد جرت سنته أن لا تقبل التوبة بعد نزول العقوبة، أي[1]: رجاء أن ترحموا أو لكي ترحموا فلا تعذبوا، فإن استعجال الخير أولى من استعجال الشر، ووصف العذاب بأنه سيئة مجازاً؛ إما لأن العذاب من لوازمه، أو لأنه يشبهه في كونه مكروهاً، فكان جوابهم عليه بعد هذا الإرشاد الصحيح والكلام اللين أنهم ﴿قَالُوا۟﴾؛ أي: قال الفريق الكافر منهم لصالح ومن معه: إنا قد ﴿ٱطَّيَّرْنَا﴾ وتشاءمنا ﴿بِكَ﴾ يا صالح ﴿و﴾ بـ﴿مَن﴾ دخل ﴿مَّعَكَ﴾ في دينك؛ أي: كرهنا فألكم وفأل دينكم، حيث[2] تتابعت علينا الشدائد والمصائب. من القحط والاختلاف منذ اخترعتم دينكم هذا، وكانوا قحطوا عند مبعثه بسبب تكذيبه، فقالوا: أصابنا هذا الشر من شؤمك وشؤم أصحابك فنسبوه إلى مجيئه، يعنون: شدتنا من شؤمك ومن شؤم من آمن معك؛ أي: من قبح حالكم وقبح دينكم، وقد كانت العرب أكثر الناس طيرة وأشقاهم بها، وكانوا إذا أرادوا سفراً أو أمراً من الأمور نفروا ـ حركوا ـ طائراً من وكره، فإن طار يمنةً ساروا وفعلوا ما عزموا، وإن طار يسرةً تركوا ذلك.

---

(١) الشوكاني.   (٢) المراح.

وفي «الفتوحات»: تشاءمنا؛ أي: أصابنا الشؤم؛ أي: الضيق والشدة. وفي «القرطبي»: الشؤم النحس، ولا شيء أضر ولا أفسد للتدبير من اعتقاد الطيرة، ومن ظن أن خوار بقرة، أو نعيق غراب يرد قضاء، أو يدفع مقدوراً.. فقد جهل. اهـ.

وأصل ﴿اطَّيَّرْنَا﴾ تطيرنا، وقد قرىء بذلك فادغمت التاء في الطاء، واجتلبت الهمزة لسكون الطاء، فإذا ابتدأت قلت: اطيرنا، وإذا وصلت لم تذكر الهمزة وتسقط لأنها همزة وصل.

فلما قالوا ذلك ﴿قَالَ﴾ لهم صالح ﴿طَائِرُكُمْ﴾؛ أي: حظكم ونصيبكم من الخير والشر مكتوب ﴿عِندَ اللَّهِ﴾ سبحانه وتعالى، ومقدر عليكم من عنده تعالى، لا من عندنا. وقيل: طائركم؛ أي: شدتكم ورخاؤكم من عند الله تعالى، لا من عندنا. وقال ابن عباس: الشؤم: الشدة التي أتتكم من عند الله بكفركم. وقيل: طائركم؛ أي: عملكم عند الله سمي طائراً؛ لسرعة صعوده إلى السماء. وقيل طائركم؛ أي: سببكم الذي جاء منه شركم عند الله؛ وهو قدره، سمي القدر طائراً لسرعة نزوله، ولا شيء أسرع من قضاء محتوم.

والمعنى: أن الشؤم الذي أصابكم هو من عند الله تعالى بسبب كفركم، ثم أوضح لهم سبب ما هم فيه بأوضح بيان، فقال: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾؛ أي: تختبرون[1] بتعاقب السراء والضراء؛ أي: الخير والشر، والدولة والنكبة، والسهولة والصعوبة، أو تعذبون بذنوبكم. وقيل: يفتنكم غيركم. وقيل: يفتنكم الشيطان بما تقعون فيه من الطيرة، أو بما لأجله تطيرون، فأضرب عن ذكر طائرهم الذي هو مبدأ ما يحيق بهم إلى ذكر ما هو الداعي إليه.

واختبار الله تعالى[2]: إنما هو لإظهار الجودة والرداءة، ففي الأنبياء والأولياء والصلحاء تظهر الجودة، ألا ترى أن أيوب عليه السلام امتحن فصبر، فظهر للخلق درجته وقربه من الله تعالى، وفي الكفار والمنافقين والفاسقين تظهر

---

(١) روح البيان.
(٢) روح البيان.

الرداءة. حكي أن امرأة مرضت مرضاً شديداً طويلاً، فأطالت على الله تعالى في ذلك وكفرت، ولذا قيل: عند الامتحان يكرم الرجل أو يهان.

والابتلاء مطلقاً؛ أي: سواء كان في صورة المحبوب، أو في صورة المكروه رحمة من الله تعالى في الحقيقة؛ لأن مراده جذب عبده إليه، فإن لم ينجذب حكم عليه بالغضب في الدنيا والآخرة، كما ترى في الأمم السالفة، ومن يليهم في كل عصر إلى آخر الزمان.

والمعنى: أي[1] بل أنتم قوم يختبركم ربكم حين أرسلني إليكم أتطيعونه فتعملوا بما أمركم به، فيجزيكم الجزيل من ثوابه، أم تعصونه فتعملوا بخلافه فيحل بكم عقابه.

ثم ذكر أن قريته كانت كثيرة الفساد، فقال: ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾؛ أي: في مدية ثمود، وهي الحجر، وتقدم في سورة الحجر أن الحجر واد بين المدينة والشام، وهو ديار ثمود. ﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾؛ أي: تسعة أشخاص، وبهذا الاعتبار وقع تمييزاً للتسعة، لا باعتبار لفظه، فإن مميز الثلاثة إلى العشرة مخفوض مجموع. قال[2] ابن عباس - رضي الله عنهما -: أسماؤهم: رهي، ورعيم، وهرمي، وهريم، وداب، وصواب، ورباب، ومسطع، وقدار بن سالف عاقر الناقة، وأسماؤهم عن وهب بن منبه قد نظمها بعضهم في بيتين، فقال:

رَبَابٌ وَغَنْمٌ وَٱلْهُذَيْلُ وَمِسْطَعٌ ... عُمَيْرٌ بَسِيْطٌ عَاصِمٌ وَقِدَارُ
وَسَمْعَانُ رَهْطِ ٱلْمَاكِرِيْنَ بِصَالِحٍ ... أَلاَ إِنَّ عُدْوَانَ ٱلنُّفُوْسِ جَوَارُ

وهم الذين سعوا في عقر الناقة، وكانوا عتاة قوم صالح، وكانوا من أبناء أشرافهم.

ثم وصف التسعة بقوله: ﴿يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: يعملون الفساد في أرض الحجر بالشرك، وسائر أنواع المعاصي ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾؛ أي: لا يفعلون

---

(١) المراغي. (٢) المراح.

شيئاً من الإصلاح، ففائدة العطف بيان أن إفسادهم لا يخالطه شيء ما من الإصلاح.

﴿قَالُوا﴾ استئناف لبيان[1] بعض ما فعلوا من الفساد، أي: قال بعضهم لبعض في أثناء المشاورة في أمر صالح عليه السلام بعد أن عقروا الناقة، وتوعدهم بقوله: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ ﴿تَقَاسَمُوا﴾؛ أي: تحالفوا، وهو أمر مقول لـ﴿قالوا﴾، أو ماض وقع حالاً من ﴿الواو﴾ في ﴿قالوا﴾ بإضمار قد؛ أي: والحال أنهم تقاسموا بالله ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾؛ أي: احلفوا لنباغتنه وأهله بالهلاك ليلاً؛ أي: لنأتين صالحاً ليلاً بغتة، فلنقتلنه وأهله ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ﴾؛ أي: لولي دم صالح وأهله إن سألنا عنه ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾؛ أي: ما حضرنا هلاكه وهلاكهم فضلاً عن أن نتولى إهلاكهم فيكون مصدراً، أو وقت هلاكهم فيكون زماناً، أو مكان هلاكهم فيكون اسم مكان. ولا ندري من قتله ولا قتل أهله ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾؛ أي: ونحلف إنا لصادقون فيما نقول، فهو من تمام القول، وإذا كانوا لم يشهدوا هلاكهم فهم لم يقتلوهم بالأولى، وأيضاً فهم إذا لم يقتلوا الأتباع فأحر بهم أن لا يقتلوا صالحاً.

وقرأ الجمهور[2]: ﴿تَقَاسَمُوا﴾ وابن أبي ليلى: ﴿تقسموا﴾ بغير ألف وتشديد السين، وكلاهما من القسم، والتقاسم والتقسيم كالتظاهر والتظهير، والظاهر أن قوله: ﴿تَقَاسَمُوا﴾ فعل أمر محكي بالقول، وهو قول الجمهور. وقرأ[3] حمزة والكسائي: ﴿لتبيتنه﴾ بتاء فوقية بعد اللام، وبالرفع للجمع ﴿ثم لتقولن﴾ بتاء فوقية وبالرفع للجمع. وقرأ مجاهد وأبو رجاء وحميد بن قيس: ﴿ليبيتنه﴾ بياء وتاء مضمومتين. ﴿ثم ليقولن﴾ بياء مفتوحة وقاف مضمومة وواو ساكنة ولام مضمومة.

وعبارة أبي حيان: وقرأ الجمهور[4]: ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ﴾ بالنون فيهما، والحسن وحمزة والكسائي بتاء خطاب الجمع، ومجاهد وابن وثاب

---

(١) روح البيان.
(٢) البحر المحيط.
(٣) المراح.
(٤) البحر المحيط.

وطلحة والأعمش بياء الغيبة، والفعلان مسندان للجمع، وحميد بن قيس بياء الغيبة في الأول مسنداً للجمع؛ أي: ﴿ليبيتنه﴾؛ أي: قوم منا، وبالنون في الثاني؛ أي: جميعنا يقول: لوليه، والبيات: مباغتة العدو.

وقرأ الجمهور: ﴿مهلك﴾ - بضم الميم وفتح اللام - من أهلك الرباعي. وقرأ حفص والمفضل: ﴿مَهْلِكَ﴾ بفتح الميم وكسر اللام، وأبو بكر وأبان عن عاصم بفتحهما، فأما القراءة الأولى فتحتمل المصدر والزمان والمكان؛ أي: ما شهدنا إهلاك أهله، أو زمان إهلاكهم، أو مكان إهلاكهم. ويلزم من هذين أنهم إذا لم يشهدوا الزمان، ولا المكان أن لا يشهدوا الإهلاك. وأما القراءة الثانية فالقياس يقتضي أن يكون للزمان والمكان؛ أي: ما شهدنا زمان هلاكهم ولا مكانه. والثالثة يقتضي القياس أن يكون مصدراً؛ أي: ما شهدنا هلاكه.

والمعنى: أنهم توافقوا[1] وحلفوا بالله لندخلن على صالح ومن آمن به، وهم أربعة آلاف ليلاً بغتة، ونقتلهم جميعاً، ثم لنقولن لولي دم صالح: ما حضرنا قتلهم أو وقته أو مكانه، فلا ندري من قتلهم وإنا لصادقون في إنكارنا لقتلهم؛ أي: لو اتهمنا قوم صالح حلفنا لهم أنا لم نحضر.

قال الزجاج: كان هؤلاء النفر تحالفوا أن يبيتوا صالحاً وأهله، ثم ينكروا عند أوليائه أنهم ما فعلوا ذلك ولا رأوه، وكان هذا مكراً منهم، ومن ثم قال سبحانه محذراً لهم ولأمثالهم: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا﴾؛ أي[2]: غدروا غدراً بهذه المحالفة حين قصدوا تبييت صالح وأهله ﴿وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾؛ أي: جازيناهم على مكرهم بتعجيل العذاب لهم ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بمكرنا؛ أي: وغدر هؤلاء التسعة الرهط الذين يفسدون في الأرض بصالح؛ إذ ساروا إليه ليلاً ليقتلوه وأهله وهو لا يشعر بذلك فأخذناهم بعقوبتنا، وعجلنا لهم العذاب من حيث لا يشعرون بمكر الله بهم، والمكر: صرف الغير عما يقصده بحيلة.

﴿فَانظُرْ﴾؛ أي: فكر يا محمد في أنه ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ﴾؛

---

(١) المراح. (٢) الخازن.

أي: على أيّ حال وقع وحدث عاقبة مكرهم، وهي ﴿أَنَّا دَمَّرْنَـٰهُمْ﴾؛ أي: استأصلناهم بالهلاك؛ أي: أهلكنا هؤلاء التسعة الماكرين بصالح ﴿وَقَوْمَهُمْ﴾ الذين لم يكونوا معهم في مباشرة التبييت ﴿أَجْمَعِينَ﴾ بحيث لم يشذ منهم شاذ.

أي: ففكر[1] يا محمد كيف آل أمرهم، وكيف كانت عاقبة مكرهم؟ فقد أهلكناهم وقومهم الذين لم يؤمنوا على وجه يقتضي النظر، ويسترعي الاعتبار، ويكون عظة لمن غدر كغدرهم في جميع الأزمان.

روي أنه كان لصالح في الحجر مسجد في شعب يصلي فيه، ولما قال لهم بعد عقرهم الناقة: إنكم تهلكون إلى ثلاثة أيام.. قالوا: زعم صالح أنه يفرغ منا إلى ثلاث، فنحن نفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث، فذهبوا إلى الشعب ليقتلوه، فوقعت عليهم صخرة من جبالهم طبقت عليهم الشعب، فهلكوا وهلك الباقون في أماكنهم بالصيحة، ونجى الله صالحاً ومن آمن معه.

ومعنى الآية[2]: أن الله دمر التسعة الرهط المذكورين، ودمر قومهم الذين لم يكونوا معهم عند مباشرتهم لذلك. ومعنى التأكيد بـ﴿أَجْمَعِينَ﴾ أنه لم يشذ منهم أحد، ولا سلم من العقوبة فرد من أفرادهم، فهو تأكيد لكل من المعطوف والمعطوف عليه.

وقال ابن الجوزي في صفة إهلاكهم أربعة أقوال[3]:

أحدها: أنهم أتوا دار صالح شاهرين سيوفهم، فرمتهم الملائكة بالحجارة فقتلتهم، قاله ابن عباس.

والثاني: رماهم الله تعالى بصخرة فأهلكتهم، قاله قتادة.

والثالث: أنهم دخلوا غاراً ينتظرون مجيء صالح، فبعث الله صخرة سدت باب الغار، قاله ابن زيد.

---

(١) المراغي.

(٢) الشوكاني.

(٣) زاد المسير.

والرابع: أنهم نزلوا في سفح جبل ينتظر بعضهم بعضاً؛ ليأتوا دار صالح، فجثم عليهم الجبل فأهلكهم، قاله مقاتل. اهـ.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿إنا دمرناهم﴾ بكسر الهمزة على الاستئناف، وقرأ الحسن وابن أبي إسحاق وحمزة والكسائي بفتحها على أن جملة ﴿أنا﴾ بدل من ﴿عاقبة مكرهم﴾، أو خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هي؛ أي: العاقبة تدميرهم، أو يكون على تقدير حرف الجر؛ أي: لأنا دمرناهم، وقرأ أبيّ: ﴿أن دمرناهم﴾ وهي أن التي شأنها أن تنصب المضارع، ويجوز فيها الأوجه الجائزة في أنا بفتح الهمزة.

ثم أكد ما تقدم، وقرره بقوله: ﴿فَتِلْكَ﴾ الآثار الموجودة في ديار ثمود ﴿بُيُوتُهُمْ﴾؛ أي: بيوت الذين كذبوا صالحاً حالة كونها ﴿خَاوِيَةً﴾؛ أي: خالية عن الأهل والسكان، من خوى البطن إذا خلا، أو حالة كونها ساقطة منهدمة من خوى النجم إذا سقط، وقال ابن عباس: أي: ساقط أعلاها على أسفلها.

﴿بِمَا ظَلَمُوٓا۟﴾؛ أي: بسبب ظلمهم المذكور وغيره كالشرك؛ أي: فتلك مساكنهم أصبحت خالية منهم؛ قد أهلكهم الله سبحانه بظلمهم أنفسهم بشركهم به وتكذيبهم برسوله. والمعنى: فانظر إلى بيوتهم خاوية.

وقرأ الجمهور[2]: ﴿خَاوِيَةً﴾ بالنصب على الحال. قال الزمخشري: عمل فيها ما دل عليه ﴿تلك﴾ من معنى الإشارة. وقرأ عيسى بن عمر وعاصمَ بن عمرَ ونصر بن عاصم والجحدري برفع ﴿خاوية﴾ على أنه خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: هي خاوية، أو على الخبر عن ﴿تلك﴾ و﴿بُيُوتُهُمْ﴾ بدل من ﴿تلك﴾، أو عطف بيان له، أو على أنه خبر كان لـ﴿تلك﴾.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾؛ أي: إن في فعلنا بثمود ما قصصناه عليك، وهو استئصالنا إياهم بالتدمير، وخلاء مساكنهم منهم، وبيوتهم هي بوادي القرى بين المدينة والشام. ﴿لَءَايَةً﴾ عظيمة وعبرة بليغة وعظة زاجرة. ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾؛

---

(١) البحر المحيط.
(٢) البحر المحيط.

أي: يتصفون بالعلم فيتعظون بها؛ أي: لمن كان من أولي العلم والمعرفة، فيعلم ارتباط الأسباب بمسبباتها، والنتائج بمقدماتها، بحسب السنن التي وضعت في الكون. يعني[1]: اعلم يا محمد أني فاعل ذلك العذاب بكفار قومك في الوقت المؤقت لهم، فليسوا خيراً منهم، كما في «كشف الأسرار».

وبعد أن ذكر من هلكوا.. أردفهم بمن أنجاهم، فقال: ﴿وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ أي: صالحاً ومن معه من المؤمنين من نقمتنا وعذابنا الذي أحللناه بثمود. وقوله ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾؛ أي: الكفر والمعاصي اتقاء مستمرا، معطوف على الصلة، فلذلك خصوا بالنجاة؛ أي: وإنما نجوا[2]؛ لأنهم كانوا يتقون سخط الله، ويخافون شديد عذابه، وأليم عقابه بتصديقهم رسوله الذي أرسله إليهم، وكانوا أربعة آلاف، خرج بهم صالح إلى حضرموت، وهي مدينة من مدن اليمن، وسميت حضرموت؛ لأن صالحاً لما دخلها مات، ثم بنوا مدينة يقال لها: حاضوراء.

وفي هذا إيماء[3] إلى أن الله ينجي محمداً وأتباعه عند حلول العذاب بمشركي قريش، حين يخرج من بين ظهرانيهم، كما أحل بقوم صالح ما أحل حين خرج هو والمؤمنون به إلى أطراف الشام، ونزل رملة وفلسطين.

وفيه أيضاً إشارة[4] إلى أن الهجرة من أرض الظلم إلى أرض العدل لازمة خصوصاً من أرض الظالمين المؤاخذين بأنواع العقوبات؛ إذ مكان الظلم ظلمة فلا نور للعبادة فيه، وإن الإنسان إذا ظلم في أرض ثم تاب، فالأفضل له أن يهاجر منها إلى مكان لم يعص الله تعالى فيه.

فإن قلت[5]: لم قال الله سبحانه هنا: ﴿أنجينا﴾ بصيغة أفعل، وقال: في حم السجدة ﴿ونجينا﴾ بصيغة فعل المضعف، فما الفرق بين الموضعين؟.

---

(١) روح البيان.
(٢) المراغي.
(٣) المراغي.
(٤) روح البيان.
(٥) فتح الرحمن بتصرف.

قلت: قال هنا: ﴿أنجينا﴾ بصيغة أفعل موافقة لما بعده، حيث قال هنا فيما بعد: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ وَأَمْطَرْنَا﴾ وقال هناك: ﴿نجّينا﴾ بصيغة فعل المضعف موافقة لما قبله حيث قال قبله: ﴿وَزَيَّنَّا﴾ وموافقة لما بعده أيضاً، حيث قال بعده: ﴿وَقَيَّضْنَا﴾ والله أعلم بأسرار كتابه.

قصة لوط عليه السلام

وقوله: ﴿وَلُوطًا﴾ منصوب بفعل مضمر معطوف على ﴿أَرْسَلْنَآ﴾ في صدر قصة صالح. وقوله: ﴿إِذْ قَالَ﴾ ظرف للإرسال المحذوف، على أن المراد به أمر ممتد وقع فيه الإرسال، وما جرى بينه وبين قومه من الأفعال والأقوال. والمعنى: وعزتي وجلالي لقد أرسلنا لوطاً بن هاران وقت قوله: ﴿لِقَوْمِهِۦٓ﴾ الساكنين معه في قرية سدوم على وجه الإنكار عليهم والتوبيخ لهم ﴿أَتَأْتُونَ﴾؛ أي: هل تفعلون الفعلة ﴿ٱلْفَٰحِشَةَ﴾؛ أي: المتناهية في القبح. والمراد بها هنا اللواطة، والإتيان في الأدبار. وقال بعضهم: انتصاب ﴿لوطا﴾ بإضمار أذكر و﴿إذ﴾ بدل منه؛ أي: واذكر لوطاً إذ قال لقومه على وجه الإنكار عليهم: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾؛ إما من بصر القلب وهو العلم. والمعنى[1]: أي: تأتونها، والحال أنكم تعلمون فحشها علماً يقينياً، وتعاطي القبيح من العالم بقبحه أقبح من غيره، ولذا قيل: فساد كبير جاهل متنسك وعالم متهتك، أو من نظر العين؛ أي: وأنتم تبصرونها بعضكم من بعض؛ لما أنهم كانوا يعلنون بها، ولا يستترون حال فعل الفاحشة عتواً وتمرداً، فيكون أفحش. وجملة قوله: ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ في محل النصب على الحال متضمنة لتأكيد الإنكار.

والمعنى[2]: واذكر يا محمد لقومك قصة لوط إذ قال لقومه منذراً ومحذِّراً لهم: إنكم لتفعلون فاحشة لم يسبقكم بها أحد من بني آدم مع علمكم بقبحها لدى العقول والشرائع، واقتراف القبائح ممن يعلم قبحها أشنع.

---

(١) روح البيان. (٢) المراغي.

ثم بين ما يأتون من الفاحشة بطريق التصريح بعد الإبهام؛ ليكون أوقع في النفس، فقال: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾؛ أي: لتطؤون أدبار الرجال ﴿شَهْوَةً﴾؛ أي: لأجل الشهوة والتلذذ فقط، كالبهائم ليس فيها قصد إعفاف، ولا قصد ولد. ﴿مِّن دُونِ النِّسَاءِ﴾؛ أي: حال كونكم متجاوزين النساء اللاتي هن محالُّ الشهوة. وفي قوله: ﴿ائنكم...﴾ إلخ تكرير للتوبيخ مع التصريح بأن تلك الفاحشة هي اللواطة: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ التحريم، أو العقوبة على هذه المعصية؛ أي: بل أنتم قوم سفهاء ماجنون متجاهلون، حيث لا تعملون بموجب علمكم، فإن من لا يجري على مقتضى بصارته وعلمه، ويفعل فعل الجاهل هو والجاهل سواء، و﴿تَجْهَلُونَ﴾ صفة لـ﴿قَوْمٍ﴾، والتاء فيه؛ لكون الموصوف في معنى المخاطب.

فإن قلت[1]: إذا فسرنا ﴿تُبْصِرُونَ﴾ بالعلم، وقد قال بعده ﴿قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ فيكون العلم جهلاً فبينهما مناقضة؟

قلت: معناه تفعلون فعل الجاهلين، وتعلمون أنه فاحشة، وقيل: تجهلون العاقبة، وقيل: أراد بالجهل السفاهة التي كانوا عليها.

وقرىء[2]: ﴿أَئِنَّكُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وبتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين أو تركه، فالقراءات أربع. واختار الخليل وسيبويه تخفيف الهمزة الثانية من ﴿أَئِنَّكُمْ﴾، فأما الخط فالسبيل فيه أن يكتب بألفين على الوجوه كلها؛ لأنها همزة مبتدأة دخلت عليها ألف الاستفهام. ذكره القرطبي».

ومعنى الآية: أي[3] أينبغي أن تأتوا الرجال، وتقودكم الشهوة إلى ذلك، وتذروا النساء اللاتي فيهن محاسن الجمال وفيهن مباهج الرجال، إنكم لقوم جاهلون سفهاء حمقى ماجنون.

وقد أشار سبحانه إلى قبيح فعلهم، وعظيم شناعته من وجوه:

---

(١) الخازن.

(٢) الجلالين.

(٣) المراغي.

١. قوله: ﴿ٱلرِّجَالَ﴾ فيه الإشارة إلى أن الحيوان الأعجم لا يرضى بمثل هذا.

٢. قوله: ﴿مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ﴾ وفي ذلك إيماء إلى أن تركهن، واستبدال الرجال بهن خطأ شنيع، وفعل قبيح.

٣ ـ قوله: ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾ وفي هذا إيماء إلى أنهم يفعلون فعل الجهلاء الذين لا عقول لهم، ولا يدرون عظيم قبح ما يفعلون.

ونحو الآية قوله: ﴿أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾.

الإعراب

﴿قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ﴿٣٣﴾﴾.

﴿قَالَتۡ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على بلقيس، والجملة مستأنفة. ﴿قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي ...﴾، إلى آخر الآية مقول محكي لـ﴿قَالَتۡ﴾، وإن شئت قلت: ﴿يا﴾: حرف نداء. ﴿أي﴾: منادى نكرة مقصودة، ﴿ها﴾: حرف تنبيه زائد تعويضاً عما فات؛ أي: من الإضافة. ﴿ٱلۡمَلَؤُاْ﴾ صفة لـ﴿أي﴾، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قَالَتۡ﴾. ﴿أَفۡتُونِي﴾: فعل أمر وفاعل ونون وقاية ومفعول به، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها جواب النداء. ﴿فِيٓ أَمۡرِي﴾ متعلق بـ﴿أَفۡتُونِي﴾. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿كُنتُ قَاطِعَةً﴾: فعل ناقص واسمه، وخبره. ﴿أَمۡرًا﴾: مفعول به. لـ﴿قَاطِعَةً﴾، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَتۡ﴾. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف جر وغاية. ﴿تَشۡهَدُونِ﴾: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد ﴿حَتَّىٰ﴾ بمعنى إلى، وعلامة نصبه حذف النون، والنون الموجودة نون الوقاية، والواو فاعل، وياء المتكلم المحذوفة للفاصلة مفعول به، والجملة الفعلية مع أن المضمرة في تأويل مصدر مجرور بـ﴿حَتَّىٰ﴾ تقديره إلى شهودكم إياي، الجار والمجرور متعلق بـ﴿كان﴾. ﴿قَالُوٓاْ﴾: فعل وفاعل، والجملة

مستأنفة. ﴿نَحْنُ﴾: مبتدأ. ﴿أُوْلُواْ﴾: خبر مرفوع بالواو؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم. ﴿قُوَّةٍ﴾: مضاف إليه. ﴿وَأُوْلُواْ بَأْسٍ﴾: معطوف عليه. ﴿شَدِيدٍ﴾: صفة ﴿بَأْسٍ﴾، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قَالُواْ﴾. ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾: مبتدأ. ﴿إِلَيْكِ﴾: جار ومجرور خبر المبتدأ؛ أي: والأمر موكول إليك، والجملة معطوفة على الجملة التي قبلها. ﴿فَٱنظُرِى﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفت ما قلنا لك، وأردت بيان ما هو اللازم لك.. فنقول لك. ﴿انظري ماذا تأمرين﴾: ﴿انظري﴾: فعل أمر، وفاعل مبني على حذف النون، والجملة في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة في محل النصب مقول ﴿قَالُواْ﴾. ﴿مَاذَا﴾: اسم استفهام مركب في محل النصب مفعول ثان لـ﴿تَأْمُرِينَ﴾. مقدم عليه وجوباً للزومه الصدارة، وهو معلق للنظر عن العمل في لفظ ما بعده. ﴿تَأْمُرِينَ﴾: فعل مضارع وفاعل مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والمفعول الأول محذوف تقديره: تأمريننا.

﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

﴿قَالَتْ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على بلقيس، والجملة مستأنفة. ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ﴾: ناصب واسمه. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان. ﴿دَخَلُواْ﴾: فعل وفاعل. ﴿قَرْيَةً﴾: مفعول به على التوسع، والجملة الفعلية في محل الخفض بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها على كونها فعل شرط لها، والظرف متعلق بالجواب الآتي. ﴿أَفْسَدُوهَا﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها من الإعراب. ﴿وَجَعَلُوٓاْ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿أَفْسَدُوهَا﴾. ﴿أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ﴾: مفعول ﴿جعلوا﴾ الأول ومضاف إليه. ﴿أَذِلَّةً﴾: مفعول ثان لـ﴿جعلوا﴾، وجملة ﴿إِذَا﴾ في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَتْ﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿كذلك﴾: جار ومجرور صفة لمصدر محذوف. ﴿يَفْعَلُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محل النصب معطوفة على جملة ﴿إِنَّ﴾ على كونها مقولاً لـ﴿قَالَتْ﴾، والتقدير: ويفعلون فعلاً كائناً كذلك المذكور

من جعل الأعزة أذلة.

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

﴿وَإِنِّي﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿إني﴾: ناصب واسمه. ﴿مُرْسِلَةٌ﴾: خبره، ومفعوله محذوف تقديره: رسلاً، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة ﴿إِنَّ﴾ في قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ﴾. ﴿إِلَيْهِم﴾: متعلق بـ﴿مُرْسِلَةٌ﴾. ﴿بِهَدِيَّةٍ﴾: متعلق به أيضاً. ﴿فَنَاظِرَةٌۢ﴾: معطوف على ﴿مُرْسِلَةٌ﴾. ﴿بِمَ﴾: ﴿الباء﴾: حرف جر، ﴿م﴾: اسم استفهام في محل الجر بالباء مبني بسكون على الألف المحذوف، فرقاً بينها وبين ﴿ما﴾ الموصولة، الجار والمجرور متعلق بـ﴿يَرْجِعُ﴾، ولا يجوز تعلقه بـ﴿ناظرة﴾؛ لأن الاستفهام له صدر الكلام فلا يعمل فيه ما قبله. ﴿يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل النصب مفعول ﴿ناظرة﴾ معلق عنه باسم الاستفهام ﴿فَلَمَّا جَآءَ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة على محذوف تقديره: فأعدت الهدية فأرسلتها مع رسول إلى سليمان. ﴿لما﴾: اسم شرط غير جازم في محل نصب مفعول فيه ظرف زمان. ﴿جَآءَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير مستتر يعود على الرسول. ﴿سُلَيْمَٰنَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية فعل شرط لـ﴿لما﴾ في محل جر بالإضافة. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على ﴿سُلَيْمَٰنَ﴾، والجملة جواب ﴿لما﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿لما﴾ معطوفة على الجملة المحذوفة ﴿أَتُمِدُّونَنِ﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام الإنكاري التوبيخي. ﴿تمدونن﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبات النون، والواو فاعل، والنون للوقاية، والياء المحذوفة مفعول به. ﴿بِمَالٍ﴾: متعلق به؛ أي: تعاونونني بالمال، والجملة الفعلية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿فَمَآ﴾: ﴿الفاء﴾: تعليلية معللة؛ لما تقدم من إنكاره عليهم وتوبيخه إياهم. ﴿ما﴾: اسم موصول في محل الرفع مبتدأ. ﴿ءَاتَىٰنِۦَ﴾: فعل ماض ونون وقاية ومفعول به مقدم. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعل مؤخر، والجملة الفعلية صلة لـ﴿ما﴾ الموصولة، والعائد محذوف تقديره: ما آتانيه الله. ﴿خَيْرٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على

كونها معللة للإنكار. ﴿مِّمَّآ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿خَيْرٌ﴾. ﴿ءَاتَىٰكُم﴾: فعل وفاعل مستتر يعود على ﴿ٱللَّهُ﴾ ومفعول أول، والمفعول الثاني محذوف تقديره: مما آتاكموه، وهو العائد على الموصول، والجملة صلة الموصول. ﴿بَلْ﴾: حرف عطف وإضراب للإضراب الانتقالي؛ لبيان السبب الذي حداهم إلى إمداده بالمال. ﴿أَنتُم﴾: مبتدأ. ﴿بِهَدِيَّتِكُمْ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بما بعده، وجملة ﴿تَفْرَحُونَ﴾ خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾.

﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿ٱرْجِعْ﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود إلى رسول بلقيس. ﴿إِلَيْهِمْ﴾: متعلق به، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم﴾: ﴿الفاء﴾: استئنافية، و﴿اللام﴾: موطئة للقسم. ﴿نأتينهم﴾: فعل مضارع مبني على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وفاعله ضمير يعود على سليمان ومن معه تقديره: نحن، و﴿الهاء﴾: مفعول به، و﴿الميم﴾: علامة الجمع الذكور. و﴿بِجُنُودٍ﴾ متعلق به، والجملة الفعلية جواب القسم لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿لَا﴾: نافية للجنس. ﴿قِبَلَ﴾: في محل النصب اسمها مبني على الفتح. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور خبر ﴿لَا﴾. ﴿بِهَا﴾: متعلق بـ﴿قِبَلَ﴾ لتضمنه معنى المصدر؛ لأن حقيقته المقابلة والمقاومة، يقال: مالي به قبل؛ أي: طاقة، وجملة ﴿لَا﴾ في محل الجر صفة لـ﴿جنود﴾. ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُم﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة، و﴿اللام﴾: موطئة للقسم. ﴿نخرجنهم﴾: فعل مضارع مبني على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وفاعله ضمير يعود على ﴿سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾، و﴿الهاء﴾: مفعول به، والجملة الفعلية جواب القسم، وجملة القسم في محل النصب معطوفة على جملة القسم الأول. ﴿مِّنْهَا﴾: متعلق بـ﴿نخرج﴾، والضمير يعود إلى سبأ؛ أي: بلادهم. ﴿أَذِلَّةً﴾: حال من ضمير المفعول. ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾: ﴿الواو﴾: حالية. ﴿هم صاغرون﴾: مبتدأ وخبر، والجملة في محل النصب حال ثانية من الهاء في ﴿لنخرجنهم﴾.

﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ

﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على سليمان، والجملة مستأنفة. ﴿يا﴾: حرف نداء. ﴿أي﴾: منادى نكرة مقصودة، ﴿والهاء﴾: حرف تنبيه ﴿ٱلْمَلَؤُا۟﴾ صفة لـ﴿أي﴾، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿أَيُّكُمْ﴾: مبتدأ ومضاف إليه. ﴿يَأْتِينِي﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر يعود على ﴿أي﴾ ونون وقاية ومفعول به، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها جواب النداء. ﴿بِعَرْشِهَا﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿يَأْتِينِي﴾ ﴿قَبْلَ﴾ منصوب على الظرفية متعلق بـ﴿يَأْتِينِي﴾ ﴿أَنْ﴾ حرف نصب ومصدر ﴿يَأْتُونِي﴾ فعل مضارع منصوب بـ﴿أَنْ﴾، علامة نصبه حذف النون، والواو: فاعل، و﴿النون﴾: للوقاية، و﴿الياء﴾: مفعول به. ﴿مُسْلِمِينَ﴾: حال من فاعل ﴿يَأْتُونِي﴾، والجملة الفعلية في تأويل مصدر مجرور بإضافة الظرف إليه. والتقدير: قبل إتيانهم إياي منقادين خاضعين. ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ﴾: فعل وفاعل. ﴿مِنَ ٱلْجِنِّ﴾: صفة لـ﴿عِفْرِيتٌ﴾، والجملة مستأنفة. ﴿أَنَا۠﴾: مبتدأ. ﴿ءَاتِيكَ﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر يعود على ﴿عِفْرِيتٌ﴾ ومفعول به، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾: ﴿بِهِۦ﴾: متعلق بـ﴿ءَاتِيكَ﴾، وكذا الظرف في قوله: ﴿قَبْلَ أَن تَقُومَ﴾: متعلق به. ﴿أَن﴾: حرف مصدر. ﴿تَقُومَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ﴿أَنْ﴾، وفاعله ضمير يعود على ﴿سُلَيْمَٰنُ﴾. ﴿مِن مَّقَامِكَۖ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿تَقُومَ﴾، والجملة الفعلية في تأويل مصدر مجرور بإضافة الظرف إليه. تقديره قبل قيامك من مقامك. ﴿وَإِنِّي﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿إني﴾: ناصب واسمه، ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلق بما بعده. ﴿لَقَوِيٌّ﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء، ﴿قوي﴾: خبر ﴿إن﴾. ﴿أَمِينٌ﴾: خبر ثان لها؛ أي: قوي على حمله أمين على ما فيه، لا أختلس منه شيئاً، ولا أعبث به، وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب معطوفة على جملة قوله ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ﴾ على كونها مقولاً لـ﴿قَالَ﴾.

﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ

﴿مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾.

﴿قَالَ ٱلَّذِى﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿عِندَهُۥ﴾: ظرف ومضاف إليه خبر مقدم. ﴿عِلْمٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: صفة لـ﴿عِلْمٌ﴾، والجملة الاسمية صلة الموصول. ﴿أَنَا۠﴾: مبتدأ، وجملة ﴿ءَاتِيكَ بِهِۦ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿قَبْلَ﴾: منصوب على الظرفية متعلق بـ﴿ءَاتِيكَ﴾. ﴿أَن﴾: حرف مصدر ونصب. ﴿يَرْتَدَّ﴾: منصوب بـ﴿أَنْ﴾. ﴿إِلَيْكَ﴾: متعلق به. ﴿طَرْفُكَ﴾: فاعل، والجملة في تأويل مصدر مجرور بإضافة الظرف إليه، تقديره: قبل ارتداد طرفك إليك. ﴿فَلَمَّا﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة على محذوف. تقديره: ودعا آصف بالعلم الذي عنده، فغار العرش في مكانه بمأرب، ثم نبع بمجلس سليمان، فلما رآه. ﴿لما﴾: اسم شرط غير جازم في محل نصب على الظرفية الزمانية. ﴿رَءَاهُ﴾: فعل وفاعل مستتر يعود على ﴿سُلَيْمَٰنَ﴾ ومفعول به. ﴿مُسْتَقِرًّا﴾: حال من ضمير المفعول، والجملة الفعلية فعل شرط لـ﴿ما﴾ في محل جر بالإضافة. ﴿عِندَهُۥ﴾: متعلق بـ﴿مُسْتَقِرًّا﴾؛ أي: ساكناً عنده. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على ﴿سُلَيْمَٰنُ﴾، والجملة جواب ﴿لما﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿لما﴾ معطوفة على تلك الجملة المحذوفة. ﴿هَٰذَا﴾: مبتدأ. ﴿مِن فَضْلِ رَبِّى﴾: جار ومجرور خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿لِيَبْلُوَنِىٓ﴾: ﴿اللام﴾: حرف جر وتعليل، ﴿يبلو﴾: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام كي، وعلامة نصبه فتحة ظاهرة في آخره، وفاعله ضمير يعود على ﴿رَبِّى﴾، و﴿النون﴾: للوقاية، و﴿الياء﴾: مفعول به، والجملة الفعلية مع أن المضمرة في تأويل مصدر مجرور باللام تقديره: لبلائه إياي، الجار والمجرور متعلق بمحذوف معلوم من السياق تقديره: تفضل عليّ بإحضار هذا العرش في قدر طرفة عين لبلائه إياي، والجملة المحذوفة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿ءَأَشْكُرُ﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام الذي يطلب به تعيين أحد الشيئين. ﴿أشكر﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿سُلَيْمَٰنُ﴾، وجملة ﴿ءَأَشْكُرُ﴾ في محل النصب بدل من الياء في ﴿يبلوني﴾، فهي بمثابة المفعول به. ﴿أَمْ﴾: حرف عطف متصلة، وجملة ﴿أَكْفُرُ﴾ معطوفة على جملة

﴿أشكر﴾.

﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾.

﴿وَمَن﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿مَن﴾: اسم شرط في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط، أو الجواب، أو هما. ﴿شَكَرَ﴾: فعل ماض في محل الجزم بـ﴿مَن﴾ على كونه فعل شرط لها، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَن﴾. ﴿فَإِنَّمَا﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة الجواب جوازاً. ﴿إنما﴾: أداة حصر. ﴿يَشْكُرُ﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر يعود على ﴿مَن﴾. ﴿لِنَفْسِهِۦ﴾: متعلق بـ﴿يَشْكُرُ﴾، والجملة الفعلية في محل الجزم جواب ﴿مَن﴾ الشرطية، وإنما جزمت المحل مع كونه مضارعاً؛ ليشاكل الجواب الشرط، وجملة ﴿مَن﴾ الشرطية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها مستأنفة. ﴿وَمَن﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿مَن﴾: اسم شرط في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط، أو الجواب. ﴿كَفَرَ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على ﴿مَن﴾، في محل الجزم بـ﴿مَن﴾ الشرطية على كونه فعل شرط لها. ﴿فَإِنَّ﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة الجواب وجوباً، ﴿إن﴾: حرف نصب. ﴿رَبِّي﴾: اسمها. ﴿غَنِيٌّ﴾: خبر أول لها. ﴿كَرِيمٌ﴾: خبر ثان، وجملة ﴿إن﴾ في محل الجزم جواب ﴿مَن﴾ الشرطية، وجملة ﴿مَن﴾ الشرطية معطوفة على جملة ﴿مَن﴾ الأولى.

﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على ﴿سُلَيْمَٰنُ﴾، والجملة مستأنفة. ﴿نَكِّرُوا﴾: فعل وفاعل. ﴿لَهَا﴾: متعلق به. ﴿عَرْشَهَا﴾: مفعول به، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿نَنظُرْ﴾: فعل مضارع مجزوم بالطلب السابق، وفاعله ضمير يعود على ﴿سليمان﴾ ومن معه، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾، وقرىء بالرفع على الاستئناف. ﴿أَتَهْتَدِيٓ﴾ ﴿الهمزة﴾: للاستفهام الذي يطلب به تعيين أحد الشيئين. ﴿تهتدي﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر يعود على بلقيس، والجملة في محل النصب مفعول ﴿نَنظُرْ﴾ علق عنها بالاستفهام. ﴿أَمْ﴾:

حرف عطف معادلة للهمزة. ﴿تَكُونُ﴾: فعل مضارع ناقص، واسمها ضمير يعود على بلقيس. ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ﴾: جار ومجرور خبر ﴿تَكُونُ﴾، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة ﴿تهتدي﴾، وجملة ﴿لَا يَهۡتَدُونَ﴾ صلة الموصول. ﴿فَلَمَّا﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة على محذوف تقديره: فجاءت بلقيس. ﴿لما﴾: اسم شرط غير جازم في محل نصب على الظرفية الزمانية. ﴿جَآءَتۡ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على بلقيس، والجملة فعل شرط لـ﴿لما﴾. ﴿قِيلَ﴾: فعل ماض مغير الصغة. ﴿أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ﴾: نائب فاعل محكي لـ﴿قِيلَ﴾، وجملة ﴿قِيلَ﴾ جواب ﴿لما﴾، وجملة ﴿لما﴾ معطوفة على الجملة المحذوفة، وإن شئت قلت: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام الاستخباري. ﴿ها﴾: حرف تنبيه. ﴿كذا﴾: جار ومجرور خبر مقدم. ﴿عَرۡشُكِۖ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل الرفع نائب فاعل لـ﴿قِيلَ﴾، والأصل اتصال هاء التنبيه باسم الاشارة، فكان مقتضاه أن يقال: أكهذا عرشك. وهذا الفصل جائز إذا كان حرف الجر كافاً، فلو قلت: أبهذا أمرت، أو لهذا فعلت.. لم يجز فيه ذلك الفصل، فلا يجوز أن يقال: أها بذا أمرت، أها لذا فعلت؛ لعدم السماع. ﴿قَالَتۡ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على بلقيس، والجملة مستأنفة. ﴿كَأَنَّهُۥ﴾: ناصب واسمه. ﴿هُوَ﴾: في محل الرفع خبره، وجملة ﴿كأن﴾: في محل النصب مقول ﴿قَالَتۡ﴾. ﴿وَأُوتِينَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة على محذوف تقديره: فلما سمعوا قولها: ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَۚ﴾ قالوا: أصابت في الجواب. ﴿وَأُوتِينَا﴾: فعل ماض مغير الصيغة، ونائب فاعل. ﴿ٱلۡعِلۡمَ﴾: مفعول ثان لـ﴿أوتينا﴾. ﴿مِن قَبۡلِهَا﴾: متعلق بـ﴿أوتينا﴾، والجملة الفعلية في محل النصب معطوفة على تلك المحذوفة على كونها مقول ﴿قالوا﴾ المقدر. ﴿وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ﴾: فعل ناقص واسمه وخبره معطوف على ﴿أوتينا﴾.

﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ٤٣﴾.

﴿وَصَدَّهَا﴾: فعل ومفعول. ﴿مَا﴾: موصولة في محل الرفع فاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿أوتينا﴾؛ لأنها من جملة كلام سليمان. ﴿كَانَت﴾: فعل ناقص، واسمها ضمير يعود على بلقيس، وجملة ﴿تَّعۡبُدُ﴾ في محل النصب خبر

﴿كان﴾. ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: جار ومجرور حال من فاعل ﴿تَّعْبُدُ﴾، وجملة ﴿كَانَ﴾ صلة لـ﴿مَا﴾ الموصولة. ﴿إِنَّهَا﴾: ناصب واسمه. ﴿كَانَتْ﴾: فعل ناقص، واسمه ضمير يعود على بلقيس. ﴿مِن قَوْمٍ﴾: خبر ﴿كان﴾. ﴿كَٰفِرِينَ﴾: صفة لـ﴿قَوْمٍ﴾، وجملة ﴿كان﴾ في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿قِيلَ﴾: فعل ماض مغير الصيغة. ﴿لَهَا﴾: متعلق به. ﴿ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ﴾: نائب فاعل محكي لـ﴿قِيلَ﴾، والجملة مستأنفة، وإن شئت قلت: ﴿ٱدْخُلِي﴾: فعل أمر وفاعل. ﴿ٱلصَّرْحَ﴾: مفعول به على التوسع، والجملة في محل الرفع نائب فاعل لـ﴿قِيلَ﴾. ﴿فَلَمَّا﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة على محذوف تقديره: فدخلته. ﴿لما﴾: اسم شرط غير جازم في نصب على الظرفية الزمانية. ﴿رَأَتْهُ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به؛ لأن رأى بصرية، والجملة فعل شرط لـ﴿لما﴾. ﴿حَسِبَتْهُ﴾: فعل وفاعل مستتر يعود على بلقيس ومفعول أول. ﴿لُجَّةً﴾: مفعول ثان لحسب، والجملة جواب ﴿لما﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿لما﴾ معطوفة على الجملة المحذوفة. ﴿وَكَشَفَتْ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على بلقيس معطوف على ﴿حَسِبَتْهُ﴾. ﴿عَن سَاقَيْهَا﴾: متعلق بـ﴿كشفت﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على ﴿سُلَيْمَٰنُ﴾، والجملة مستأنفة ﴿إِنَّهُۥ صَرْحٌ﴾: ناصب واسمه وخبره. ﴿مُّمَرَّدٌ﴾: صفة أولى لـ﴿صَرْحٌ﴾. ﴿مِّن قَوَارِيرَ﴾: صفة ثانية لـ﴿صَرْحٌ﴾، وجملة ﴿إن﴾: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿قَالَتْ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على بلقيس، والجملة مستأنفة. ﴿رَبِّ﴾: منادى مضاف حذف منه حرف النداء، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قَالَتْ﴾. ﴿إِنِّي﴾: ناصب واسمه. ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَتْ﴾ على كونها جواب النداء. ﴿وَأَسْلَمْتُ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿ظَلَمْتُ﴾. ﴿مَعَ سُلَيْمَٰنَ﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بمحذوف حال من فاعل ﴿أسلمت﴾؛ أي: حالة كوني مصاحبة

لسليمان. ﴿لِلَّهِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أسلمت﴾. ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: صفة للجلالة. ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: مضاف إليه.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية، و﴿اللام﴾: موطئة للقسم، ﴿قد﴾: حرف تحقيق. ﴿أَرْسَلْنَآ﴾: فعل وفاعل. ﴿إِلَىٰ ثَمُودَ﴾: متعلق بـ﴿أَرْسَلْنَآ﴾. ﴿أَخَاهُمْ﴾: مفعول به ومضاف إليه. ﴿صَٰلِحًا﴾: بدل من ﴿أَخَاهُمْ﴾، أو عطف بيان له، والجملة الفعلية مستأنفة مسوقة لبيان قصة صالح ﴿أَنِ﴾: مصدرية. ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾: فعل أمر وفاعل ومفعول به في محل النصب بـ﴿أن﴾ المصدرية مبني على حذف النون، والجملة الفعلية مع ﴿أن﴾ المصدرية في تأويل مصدر مجرور بالباء المقدرة؛ أي: بعبادة الله، والجار المقدر متعلق بـ﴿أَرْسَلْنَآ﴾، ويصح كونها مفسرة؛ لأن الإرسال يتمضن معنى القول. ﴿فَإِذَا﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة. ﴿إذا﴾: فجائية حرف لا محل لها من الإعراب. ﴿هُمْ﴾: مبتدأ. ﴿فَرِيقَانِ﴾: خبر، وجملة ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ صفة لـ﴿فَرِيقَانِ﴾ على المعنى، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾؛ لأن كل فريق يضم جماعة، والجملة الاسمية معطوفة على جملة ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ...﴾ الخ؛ لأنها في معنى: ولقد أرسلنا صالحاً إلى ثمود، ففاجأ الإرسال افتراقهم واختصامهم.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على ﴿صالح﴾، والجملة مستأنفة. ﴿يَٰقَوْمِ﴾ إلى قوله: ﴿قَالُوا۟﴾ مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿يَٰقَوْمِ﴾: منادى مضاف، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿لِمَ﴾: ﴿اللام﴾: حرف جر، ﴿ما﴾: اسم استفهام في محل الجر باللام، حذفت ألفها لدخول الجار عليه، الجار والمجرور متعلق بـ﴿تَسْتَعْجِلُونَ﴾. ﴿تَسْتَعْجِلُونَ﴾ فعل وفاعل، والجملة في

محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿بِٱلسَّيِّئَةِ﴾: متعلق بـ﴿تَسْتَعْجِلُونَ﴾. ﴿قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾: ظرف متعلق بمحذوف حال من ﴿السيئة﴾، والمراد بـ﴿السيئة﴾ العذاب، وبـ﴿ٱلْحَسَنَةِ﴾ الرحمة. ﴿لَوْلَا﴾ حرف تحضيض بمعنى: هلا. ﴿تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ ناصب واسمه، وجملة ﴿تُرْحَمُونَ﴾ خبره، وجملة ﴿لعل﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها معللة لما قبلها. ﴿قَالُوا۟﴾ فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿ٱطَّيَّرْنَا﴾: فعل ماض وفاعل، والجملة الفعلية في محل النصب مقول ﴿قَالُوا۟﴾. ﴿بِكَ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿ٱطَّيَّرْنَا﴾. ﴿وَبِمَن﴾: معطوف على ﴿بِكَ﴾. ﴿مَّعَكَ﴾: منصوب على الظرفية الاعتبارية متعلق بمحذوف صلة ﴿من﴾ الموصولة. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على ﴿صالح﴾. ﴿طَٰٓئِرُكُمْ﴾: مبتدأ ومضاف إليه. ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿بَلْ﴾: حرف عطف وإضراب أضرب بها عن بيان طائرهم الذي هو مبدأ ما يحيق بهم إلى ذكر ما هو الداعي إليه. ﴿أَنتُمْ﴾: مبتدأ. ﴿قَوْمٌ﴾: خبره، وجملة ﴿تُفْتَنُونَ﴾ صفة ﴿قَوْمٌ﴾، والجملة الاسمية معطوفة على الجملة التي قبلها على كونها مقولاً لـ﴿قَالَ﴾. ﴿وَكَانَ﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾: خبرها مقدم على اسمها. ﴿تِسْعَةُ﴾ اسمها مؤخر. ﴿رَهْطٍ﴾: مضاف إليه، وجملة ﴿كَانَ﴾ مستأنفة. ﴿يُفْسِدُونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلق به، والجملة في محل الرفع صفة لـ﴿تِسْعَةُ﴾، وجملة ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾: معطوفة على جملة ﴿يُفْسِدُونَ﴾.

﴿قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

﴿قَالُوا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿تَقَاسَمُوا۟﴾: فعل أمر وفاعل بمعنى: احلفوا، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالُوا۟﴾، ويجوز أن يكون فعلاً ماضياً، وحينئذ يجوز أن يكون مفسراً لـ﴿قَالُوا۟﴾، كأنه قيل: ما قالوا، فقيل تقاسموا، ويجوز أن يكون مع فاعله جملة في محل نصب على الحال؛ أي:

قالوا متقاسمين بإضمار قد ﴿بِٱللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلقان بـ ﴿تَقَاسَمُواْ﴾.
﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ﴾: ﴿اللام﴾: موطئة للقسم، ﴿نبيتن﴾: فعل مضارع مبني على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد، وفاعله ضمير مستتر تقديره: نحن، و﴿الهاء﴾: مفعول به.
﴿وَأَهْلَهُۥ﴾: معطوف على ﴿الهاء﴾، أو مفعول معه، والجملة الفعلية جواب القسم، وجملة القسم في محل النصب مقول ﴿قَالُواْ﴾. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف وتراخ. ﴿لَنَقُولَنَّ﴾ ﴿اللام﴾: موطئة للقسم. ﴿نقولن﴾: فعل مضارع مبني على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد، وفاعله ضمير مستتر تقديره نحن. ﴿لِوَلِيِّهِۦ﴾: متعلق به، وجملة القسم معطوفة على جملة القسم الأول. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿شَهِدْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿مَهْلِكَ﴾: مفعول به. ﴿أَهْلِهِۦ﴾: مضاف إليه، والجملة في محل النصب مقول ﴿لَنَقُولَنَّ﴾. ﴿وَإِنَّا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة، أو حالية. ﴿إنا﴾: ناصب واسمه. ﴿لَصَٰدِقُونَ﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء، ﴿صادقون﴾: خبر ﴿إنا﴾، والجملة الاسمية معطوفة على جملة ﴿لَنَقُولَنَّ﴾، أو في محل النصب على الحال من فاعل ﴿لَنَقُولَنَّ﴾.

﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾:

﴿وَمَكَرُواْ﴾ فعل وفاعل، ﴿مَكْرًا﴾: مفعول مطلق، والجملة مستأنفة.
﴿وَمَكَرْنَا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿مكروا﴾. ﴿مَكْرًا﴾: مفعول مطلق أيضاً.
﴿وَهُمْ﴾: ﴿الواو﴾: حالية. ﴿هُمْ﴾: مبتدأ، وجملة ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾ خبره، والجملة الاسمية في محل النصب حال من مفعول ﴿مكرنا﴾ المحذوف؛ أي: ومكرناهم وهم لا يشعرون مكرنا بهم، أو حال من فاعل ﴿مكروا﴾. ﴿فَٱنظُرْ﴾: ﴿الفاء﴾: استئنافية، ﴿انظر﴾: فعل أمر، وفاعل مستتر يعود على محمد، أو على أي مخاطب، والجملة مستأنفة. ﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام للاستفهام التعجبي في محل النصب خبر ﴿كَانَ﴾ مقدم عليها للزومه الصدارة. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص.
﴿عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ﴾: اسمها ومضاف إليه، وجملة ﴿كَانَ﴾ في محل النصب مفعول

﴿انظر﴾؛ لأن الاستفهام علقه عن العمل في لفظه، أو في محل النصب بنزع الخافض. ﴿أَنَّا﴾: ناصب واسمه. ﴿دَمَّرْنَٰهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول به. ﴿وَقَوْمَهُمْ﴾: معطوف على ضمير المفعول. ﴿أَجْمَعِينَ﴾: تأكيد لكل من المعطوف والمعطوف عليه، وجملة ﴿دَمَّرْنَٰهُمْ﴾ في محل الرفع خبر ﴿إنا﴾، وجملة ﴿إن﴾ بالكسر مستأنفة، وبالفتح بدل من ﴿العاقبة﴾، أو خبر لمبتدأ محذوف، كما أشرنا إليه في مبحث التفسير. ﴿فَتِلْكَ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿تلك﴾: مبتدأ. ﴿بُيُوتُهُمْ﴾: خبر. ﴿خَاوِيَةً﴾: حال من ﴿بُيُوتُهُمْ﴾، والعامل فيها معنى الإشارة، والجملة الاسمية معطوفة على جملة ﴿أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ﴾ مقررة لها. ﴿بِمَا﴾: ﴿الباء﴾: حرف جر وسبب، ﴿ما﴾: مصدرية. ﴿ظَلَمُوٓاْ﴾: فعل وفاعل صلة ﴿ما﴾ المصدرية، ﴿ما﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بالباء؛ أي: بسبب ظلمهم، الجار والمجرور متعلق بـ﴿خَاوِيَةً﴾. ﴿إِنَّ﴾: حرف نصب. ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾: خبر مقدم لـ﴿إِنَّ﴾. ﴿لَأٓيَةً﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء. ﴿آية﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾ مؤخر، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة. ﴿لِّقَوْمٍ﴾: جار ومجرور صفة لـ﴿آية﴾. وجملة ﴿يَعْلَمُونَ﴾ صفة ﴿قوم﴾. ﴿وَأَنجَيْنَا﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿أنجينا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: مفعول به لـ﴿أنجينا﴾. ﴿ءَامَنُواْ﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿وَكَانُواْ﴾: فعل ناقص واسمه، وجملة ﴿يَتَّقُونَ﴾ خبر كان، وجملة كان معطوفة على جملة ﴿ءَامَنُواْ﴾.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾:

﴿وَلُوطًا﴾: مفعول به لفعل محذوف تقديره: ولقد أرسلنا لوطاً، والجملة المحذوفة إما مستأنفة، أو معطوفة على جملة قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان متعلق بـ: أرسلنا المقدر، أو بـ: اذكر المحذوف. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على ﴿لوط﴾، وجملة ﴿قَالَ﴾ في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إِذْ﴾. ﴿لِقَوْمِهِۦٓ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿قَالَ﴾. ﴿أَتَأْتُونَ﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام الإنكاري التوبيخي.

﴿تأتون﴾: فعل وفاعل. ﴿ٱلْفَٰحِشَةَ﴾: مفعول به، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَأَنتُمْ﴾: ﴿الواو﴾: حالية. ﴿أَنتُمْ﴾: مبتدأ، وجملة ﴿تُبْصِرُونَ﴾: خبره، والجملة الاسمية في محل النصب حال من فاعل ﴿تأتون﴾. ﴿أَئِنَّكُمْ﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام الإنكاري التوبيخي. ﴿إنكم﴾: ناصب واسمه. ﴿لَتَأْتُونَ﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء، ﴿تأتون﴾: فعل وفاعل. ﴿ٱلرِّجَالَ﴾: مفعول به. ﴿شَهْوَةً﴾: مفعول لأجله، أو حال من الفاعل، أو من المفعول. و﴿مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾: حال من الفاعل؛ أي: متجاوزين النساء إلى الرجال، وجملة ﴿تأتون﴾ في محل الرفع خبر إن، وجملة إن في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿بَلْ﴾: حرف اضراب. ﴿أَنتُمْ﴾: مبتدأ. ﴿قَوْمٌ﴾: خبر، وجملة ﴿تَجْهَلُونَ﴾ صفة ﴿قَوْمٌ﴾، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾.

التصريف ومفردات اللغة

﴿أَفْتُونِى﴾؛ أي: أشيروا إلي بما عندكم من الرأي والتدبير فيما حدث. والفتوى: الجواب في الحادثة، اشتقت على طريق الاستعارة من الفتي في السن. والمراد بالفتوى هنا: الإشارة إليها بما عندهم، وكما ذكرنا فيما حدث لها من الرأي والتدبير. والفتوى في العرف: هو الجواب في الحوادث المشكلة. قال بعضهم: الفتوى من الفتى؛ وهو الشاب القوي، وسميت الفتوى؛ لأن المفتي؛ أي: المجيب الحاكم بما هو صواب يقوي السائل في جواب الحادثة، كما مر.

﴿قَاطِعَةً أَمْرًا﴾؛ أي: باتة فيه منفذته. ﴿تَشْهَدُونِ﴾؛ أي: تحضروني. ﴿أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُوْلُوا بَأْسٍ﴾ وأولو: اسم جمع بمعنى أصحاب، والواحد: ذو بمعنى صاحب، وقيل: جمع ذو على غير لفظه، وهو من ملحقات جمع المذكر السالم في إعرابه، والمؤنث أولات، وواحدتها: ذات، تقول: جاء أولو العلم وأولات الفضل، والمراد بالقوة: القوة الجسمية وكثرة الآلات، والمراد بالبأس: النجدة والثبات في الحرب.

﴿أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ﴾: جمع عزيز بمعنى القاهر الغالب، والشريف العظيم، مأخوذ من العزة؛ وهي حالة مانعة للإنسان من أن يغلب. ﴿أَذِلَّةً﴾: جمع ذليل؛ أي:

بالقتل والأسر والإجلاء، وغير ذلك من فنون الإهانة والإذلال.

﴿بِهَدِيَّةٍ﴾: وهي اسم للشيء المهدي بملاطفة ورفق. قال في «المفردات»: الهدية مختصة باللطف الذي يهدي بعضنا إلى بعض. اهـ.

هذا، والهدية اسم الشيء المهدىٰ، كما أن العطية اسم للشيء المعطى، فتضاف إلى المهدي والمهدى إليه. تقول: هذه هدية فلان تريد هي التي أهداها، أو أُهديَت إليه، والمضاف إليه في قوله: ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ هو المهدى إليه؛ أي: بما يُهدىٰ إليكم، وأما نحن فلسنا كذلك.

وفي «الفتوحات»: قوله: ﴿بِهَدِيَّتِكُمْ﴾ والهدية: مصدر بمعنى الإهداء مضاف لفاعله؛ أي: تفرحون بما تهدونه افتخاراً على أمثالكم، أو لمفعوله؛ أي: تفرحون بما يهدى إليكم حباً في كثرة أموالكم، فإن الهدايا مم يورث المودة ويذهب الشحناء، وفي الحديث: «تصافحوا يذهب الغل، وتهادوا تحابوا» ولقد أحسن من قال شعراً:

هَدَايَا ٱلنَّاسِ بَعْضُهُمُ لِبَعْضٍ ... تُوَلِّدُ فِيْ قُلُوْبِهِمُ ٱلْوِصَالاَ

وَتَزْرَعُ فِيْ ٱلضَّمِيْرِ هَوَىً وَوِدّاً ... وَتُكْسِبُهُمْ إِذَا حَضَرُوْا جَمَالاَ

كما مرَّ. ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ سمي المال مالاً؛ لكونه مائلاً أبداً ونائلاً، ولذلك يسمى عرضاً، وعلى هذا دل من قال: «المال قحبة: يكون يوماً في بيت عطار، ويوماً يكون في بيت بيطار، كما في «الفردات» يقال: أمده بالمال إذا ساعده به وزاده منه.

﴿بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾؛ أي: لا طاقة لهم بمقاومتها، ولا قدرة لهم على مقابلتها. قال في «المختار»: رآه قبلاً ـ بفتحين ـ وقبلا ـ بضمتين ـ وقبلاً ـ بكسر بعده فتح ـ؛ أي: مقابلة وعيانا. قال تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا﴾ ولي قبل فلان حق؛ أي: عنده. وما لي به قبل؛ أي: طاقة. انتهى. والذي يفهم من «المفردات»: أنه في الأصل بمعنى عند، ثم يستعار للقوة والقدرة على المقابلة؛ أي: المجازاة، فيقال: لا قبل لي بكذا؛ أي: لا يمكنني أن أقابله، ولا قبل لهم

بها؛ أي: لا طاقة لهم على دفاعها.

﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ يقال: صغر صغراً بالكسر في ضد الكبر، وصغاراً بالفتح في الذلة، والصاغر الراضي بالمنزلة الدنيئة، وكل من هذه الذلة والصغار مبني على الإنكار والإصرار، كما أن كلاً من العز والشرف مبني على التصديق والإقرار.

﴿عِفْرِيتٌ﴾ العفريت من البشر الخبيث الماكر الذي يعفر أقرانه، ومن الشياطين والجن المارد، وجمعه: عفاريت، ومؤنثه: عفريته، والعفرية: مثله.

﴿مِن مَّقَامِكَ﴾؛ أي: مجلسك الذي تجلس فيه للحكم. ﴿لَقَوِيٌّ﴾؛ أي: قادر على حمله لا أعجز عنه. ﴿أَمِينٌ﴾؛ أي: على ما فيه من اللآلىء والجواهر وغيرها.

﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ﴾: يحتمل أنه مضارع أصله: أأتي بهمزتين، فوزنه أفعل، فالهمزة الأولى زائدة للمضارعة، والثانية أصلية فاء الكلمة، ويحتمل أنه اسم فاعل فوزنه فاعل، فالهمزة الأولى أصلية فاء الكلمة، والألف بعدها زائدة كالتي في ضارب وقائم اهـ. شيخنا.

﴿قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ قال أبو السعود: الطرف: تحريك الأجفان وفتحها للنظر إلى شيء، وارتداده انضمامها، ولكونه أمراً طبيعياً غير منوط بالقصد آثر الارتداد على الرد. اهـ شيخنا. وفي «القاموس»: إن الطرف كما يطلق على نظر العين يطلق على العين نفسها. اهـ.

﴿لِيَبْلُوَنِىٓ﴾ وفي «المفردات»: يقال: بلى الثوب بلى خلق، وبلوته اختبرته كأني أخلقته من كثرة اختباري له.

﴿نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا﴾؛ أي: غيروا هيئته وشكله بحيث لا يعرف بسهولة. قال الراغب: التنكير: جعل الشيء بحيث لا يعرف ضد التعريف، ومنه نقل إلى مصطلح أهل العربية. اهـ. «شهاب».

﴿ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ﴾ قال في «الكشاف»: الصرح القصر، وكل بناء عال سمي

بذلك اعتباراً بكونه صرحاً من الثوب؛ أي: خالصاً. فإن الصرح بالتحريك الخالص من كل شيء، وقيل: صحن الدار، وأصله من التصريح، وهو الكشف، وكذب صُراح؛ أي: ظاهر مكشوف، ولؤم صُراح، ولبن صُريح؛ أي: ذهبت رغوته وخلص، وكأس صراح لم تمزج، وصرحت الخمرة: ذهب عنها الزبد، ولقيته مصارحة؛ أي: مجاهرة، وصَرَح النهار ذهب سحابه وأضاءت شمسه.

﴿لُجَّةً﴾ واللجة: الماء الكثير. وفي «المفردات»: لجة: البحر تردد أمواجه. وفي «كشف الأسرار»: اللجة: الضحضاح من الماء، وهو الماء اليسير، أو إلى الكعبين وأنصاف السوق، أو ما لا غرق فيه، كما في «القاموس». والمعنى: ظننت أنه ماء كثير بين يدي سرير سليمان.

﴿عَن سَاقَيْهَاۚ﴾: تثنية ساق؛ وهي ما بين الكعبين، كعب الركبة وكعب القدم؛ أي: تشمرت لئلا تبتل أذيالها.

﴿صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾؛ أي: ذو سطح أملس، ومنه الأمرد؛ لملاسة وجه؛ أي: نعومته لعدم وجود الشعر به. وفي «القاموس»: التمريد في البناء التمليس والتسوية، وبناء ممرد مطول، والمارد: المرتفع العالي، وشجرة مرداء إذا لم يكن عليها ورق.

﴿مِّن قَوَارِيرَۗ﴾؛ أي: مصنوع من الزجاج الصافي، وليس بماء. جمع قارورة، وفي «المصباح»: القارورة: إناء من زجاج، والجمع القوارير، والقارورة أيضاً وعاء الرطب والتمر؛ وهي القوصرة. وتطلق القارورة على المرأة؛ لأن الولد أو المني يقر في رحمها، كما يقر الشيء من الإناء، أو تشبيهاً بآنية الزجاج لضعفها. قال الأزهري: والعرب تكني عن المرآة بالقارورة والقوصرة. وفي «القاموس»: والقارورة: حدقة العين، وما قر فيه الشراب، أو نحوه، أو يخص بالزجاج. و﴿قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ﴾؛ أي: من زجاج في بياض الفضة وصفاء الزجاج.

﴿فَرِيقَانِ﴾؛ أي: طائفتان؛ طائفة مؤمنة، وأخرى كافرة. ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾؛ أي: يجادل بعضهم بعضاً ويحاجه، من الاختصام، وأصله: أن يتعلق كل واحد بخصم الآخر بالضم؛ أي: بجانبه. ﴿بِالسَّيِّئَةِ﴾ العقوبة التي تسوء صاحبها. ﴿قَبْلَ

﴿ٱلْحَسَنَةِ﴾ التوبة.

﴿لَوْلَا﴾ للتحضيض، بمعنى: هلاً، وهي كلمة تفيد الحث على حصول ما بعدها. ﴿ٱطَّيَّرْنَا﴾؛ أي: تطايرنا، وتشاءمنا بك وبمن معك في دينك، حيث تتابعت علينا الشدائد، وأصل اطيرنا: تطيرنا أدغمت التاء في الطاء، فتعذر الابتداء بالساكن، واجتلبت همزة الوصل، فصار اطيرنا.

وأصل ذلك أنهم كانوا إذا خرجوا مسافرين، فمروا بطائر يزجرونه، فإن مر سانحاً تيمنوا، وإن مر بارحاً تشاءموا، فلما نسبوا الخير والشر إلى الطير استعير لما كان سبباً لهما من قدر الله سبحانه وقسمته، أو عمل العبد. وفي «القاموس»: البارح من الصيد ما مر من ميامنك إلى مياسرك، وبرح الظبي بروحاً: ولاّك مياسره ومر، وسنح سنوحاً ضد برح، ومن لي بالسانح بعد البارح؛ أي: المبارك بعد المشؤوم. انتهى.

قال في «كشف الأسرار»: هذا كان اعتقاد العرب في بعض الوحوش والطيور أنها إذا صاحت في جانب دون جانب دل على حدوث آفات وبلايا. ونهى رسول الله ﷺ عنها. وقال: «أقروا الطير على مكناتها»؛ لأنها أوهام لا حقيقة معها. والمكنات بيض الضبة، واحدتها: مكنة. قال ابن الملك: كان أهل الجاهلية إذا قصد واحد إلى حاجة، وأتى من جانبه الأيسر طير وغيره يتشاءم به فيرجع، هذا هو الطيرة.

﴿فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾: هي البلد. من أخذها من مدن بالمكان يمدن إذا أقام فيه، فهي فعيلة، والجمع: مدائن بالهمز والميم أصلية والياء زائدة، ومن أخذها من دان يدين فالميم زائدة والياء أصلية، وهي مفعولة، ويقال: دنت الرجل: ملكته. ودنت له: خضعت له وأطعت، ويقال: للأمة مدينة؛ لأنها مملوكة. وفي معاجم اللغة: مدن بالمكان يمدن ـ من باب نصر ـ مدوناً إذا أقام، وهو فعل ممات. ومدن المدينة آتاها، ومدن المدائن ـ بالتشديد ـ بناها ومصرّها، وتمدّن: تخلق بأخلاق أهل المدن، وانتقل من الهمجية إلى حالة الأنس والظرف، وتجمع المدينة على مدن بسكون الدال، ومدن بضمها، ومدائن. والمدينة: علم أطلق

على يثرب. ومدينة السلام بغداد، والمدائن مدينة قرب بغداد كان فيها إيوان كسرى، وسميت بالجمع؛ لكبرها، والنسبة إليها مدائني.

﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ الرهط: قوم الرجل وقبيلته، وعدد يجمع من الثلاثة إلى العشرة، وليس فيهم امرأة، ولا واحد له من لفظه، وجمعه أرهط وأرهاط. وجمع الجمع أراهط وأراهيط، وإذا أضيف إلى الرهط عدد كان المراد به الشخص والنفس، نحو عشرون رهطاً؛ أي: شخصاً. ويقال: نحن ذوو رهط؛ أي: مجتمعون. وفي «المصباح»: الرهط: ما دون العشرة من الرجال ليس فيهم امرأة. وسكون الهاء أفصح من فتحها، وهو جمع لا واحد له من لفظه. وقيل: الرهط من سبعة إلى عشرة، وما دون السبعة إلى الثلاثة نفر، والفرق بينه وبين النفر أن الرهط من الثلاثة أو من السبعة إلى العشرة، ليس فيهم امرأة، والنفر من الثلاثة إلى التسعة.

﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ﴾ والبيات: مباغتة العدو ومفاجأته بالإيقاع به ليلاً. ﴿لِوَلِيِّهِ﴾؛ أي: لمن له حق القصاص من ذوي قرابته إذا قتل. ﴿مَهْلِكَ﴾ بضم الميم وفتح اللام؛ أي: إهلاكهم مصدر ميمي من أهلك الرباعي، وبفتح الميم واللام؛ أي: هلاكهم مصدر ميمي من هلك الثلاثي، وبفتح الميم وكسر اللام؛ أي: وقت هلاكه أو مكانه، فهو للظرف؛ لأنه من باب ضرب.

﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا﴾ والمكر: صرف الغير عما يقصده بحيلة. وقيل: المكر: التدبير الخفي لعمل الشر، ومكرهم: هو ما أخفوه من تدبير القتل بصالح ومكر الله إهلاكهم من حيث لا يشعرون على سبيل الاستعارة المنضمة إلى المشاكلة، كما في «الكشاف» وشروحه اهـ «شهاب»؛ أي: تشبيهاً له بالمكر من حيث كونه إضراراً في خفية؛ لأن المكر قصد الإضرار على طريق الغدر والحيلة اهـ «زاده». ﴿أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ﴾ التدمير: استئصال الشيء بالهلاك.

﴿خَاوِيَةً﴾؛ أي: خالية عن السكان، من خوى البطن إذا خلا، أو ساقطة متهدمة، من خوى النجم إذا سقط. اهـ «بيضاوي». وخوى بالمعنَيَيْن من باب رمى.

﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ والفاحشة: كل ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال. والمراد بها هنا اللواطة، والإتيان في الأدبار. ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ من بصر القلب؛ وهو العلم، أو من بصر العين؛ وهو النظر. ﴿شَهْوَةً﴾ وأصل الشهوة: نزوع النفس إلى ما تريده.

البلاغة

وقد تضمت هذه الآيات ضروباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: حكاية الحال الماضية في قوله: ﴿حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ حيث عبرت عن الماضي بالمضارع.

ومنها: التأكيد في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾؛ لأن هذه الجملة سيقت لتأكيد ما قبلها.

ومنها: الإيجاز بالحذف في قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾؛ لأنه معطوف على محذوف تقديره: فأعدت الهدية مع رسول بكتاب فأرسلته، فلما جاء سليمان الخ.

ومنها: جناس الاشتقاق في قوله: ﴿تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾.

ومنها: الكناية في قوله: ﴿قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ فإن ارتداد الطرف كناية عن الإسراع. والطرف: هو تحريك أجفانك إذا نظرت، فوضع موضع النظر، ولما كان الناظر موصوفاً بإرسال الطرف وصف برد الطرف، ووصف الطرف بالارتداد.

ومنها: الطباق في قوله: ﴿وَمَن شَكَرَ﴾ وقوله: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾.

ومنها: التشبيه المرسل المجمل في قوله: ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾؛ أي: كأنه عرشي في الشكل والوصف.

ومنها: التجنيس، وهو تألف الكلمتين في تأليف حروفهما في قوله:

﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ﴾.

ومنها: الطباق بين ﴿السيئة﴾ و﴿ٱلْحَسَنَةِ﴾ في قوله: ﴿لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾.

ومنها: التحضيض في قوله: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ﴾.

ومنها: جناس الاشتقاق في قوله: ﴿ٱطَّيَّرْنَا﴾ ﴿طَٰٓئِرُكُمْ﴾.

ومنها: الطباق بين ﴿يُفْسِدُونَ﴾ و﴿يُصْلِحُونَ﴾.

ومنها: الاستعارة التصريحية في قوله: ﴿طَٰٓئِرُكُمْ﴾؛ لأنه مستعار لما كان سبباً للخير والشر من قدر الله تعالى وقسمته، أو من عمل العبد، كما في «الروح».

ومنها: التمام كما سماه قدامة في نقد الشعر، أو التميم كما سماه الحاتمي في قوله: ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ وهو أن تأتي في الكلام كلمة إذا طرحت منه نقص معناه في ذاته، أو في صفاته، ولفظه تام؛ لأن قوله: ﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مفهومه أن شأنهم الإفساد البحت، ولكن قوله: ﴿يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ لا يدفع أن يندر منهم، أو من أحدهم بعض الصلاح فتمم الكلام بقوله: ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ دفعاً لتلك الندرة أن تقع، أو أن يخالج بعض الأذهان شك في أنها ستقع، وبذلك قطع كل رجاء في إصلاح أمرهم، وحسن حالهم. اهـ من الدرويش.

ومنها: المشاكلة في قوله: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ والمشاكلة معناها: ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته؛ لأن الله تعالى تقدس أن يستعمل في حقه المكر، إلا أنه استعمل هنا مشاكلة، وهو كثير في القرآن، أما مكرهم: فهو ما بيتوه لصالح، وما انتووه من إهلاكه وأهله خفية. وأما مكر الله تعالى بهم: فهو إهلاكهم من حيث لا يشعرون.

وفيه أيضاً الاستعارة المنضمة إلى المشاكلة، فقد شبه الاهلاك بالمكر في كونه إضراراً في الخفاء؛ أي: من حيث لا يشعرون.

ومنها: الاستفهام التوبيخي في قوله: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع[1].

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

---

(١) وهذا آخر ما بشرني الله سبحانه به في تفسير هذا المجلد العشرون، وأسأله عم نواله أن ييسر لي ويوفقني فيما بقي من كتابه الكريم شرحاً موافقاً لما هو المعنى عنده سبحانه، ونحمده سبحانه حمداً كثيراً طيباً مباركاً يوافي نعهم، ويكافىء مزيده حمداً يعدل حمد الملائكة المقربين وأوليائه الصالحين وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين. آمين.

وكان الفراغ من مسودة هذا المجلد بعون الملك ذي الكبرياء في أوائل ليلة الأربعاء من الثلث الثالث من الشهر الرابع من شهور سنة ألف وأربع مئة وثلاثة عشر من سني الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية من تاريخ ٢٥/ ٤/ ١٤١٣هـ.

انتهى المجلد العشرون بعون الله وتوفيقه، ويليه المجلد الحادي العشرون، وأوله قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ...﴾ الآية.

شعرٌ

وَقُلْ بِذُلٍّ رَبِّ لاَ تَقْطَعَنِّي عَنْكَ بِقَاطِعٍ وَلاَ تَحْرِمَنِّيْ

مِنْ سِرِّكَ ٱلأَبهَىٰ ٱلْمُزِيلِ لِلْعَمَىٰ وَٱخْتُمْ بِخَيْرٍ يَا رَحِيْمَ ٱلرُّحَمَا

من كلام زين العابدين

أَلاَ يَا أَيُّهَا ٱلْمَأْمُوْلُ فِيْ كُلِّ حَاجَةٍ إِلَيْكَ شَكَوْتُ ٱلضُّرَّ فَٱرْحَمْ شِكَايَتِيْ

أَلاَ يَا رَجَائِيْ أَنْتَ كَاشِفُ كُرْبَتِيْ فَهَبْ لِيْ ذُنُوْبِيْ كُلَّهَا وَٱقْضِ حَاجَتِيْ

فَزَادِيْ قَلِيْلٌ مَا أَرَاهُ مُبَلِّغِيْ عَلَىٰ ٱلزَّادِ أَبْكِيْ أَمْ لِبُعْدِ مَسَافَتِيْ

أَتَيْتُ بِأَعْمَالٍ قِبَاحٍ رَدِيْئَةٍ وَمَا فِيْ ٱلْوَرَىٰ خَلْقٌ جَنَىٰ كَجِنَايَتِيْ

الفهرس